هذا تفسير ابو السعود افندي
من سورة ... المجلد الثالث

وقفت هذا الكتاب الشريف وقفا صحيحا شرعيا بشرط ان استعمله مدة حياتي

وبعد مماتي من كان اهلا من اولادي واولاد اولادي من الذكور والاناث

وبعد انقراضهم حفظهم الله عنهم من كان اهلا لمطالعته في شهر اذمير

ولا يخرج منه وبشرط ان يحفظ في الجامع الذي بناه الحاج احمد اغا

رحمه الله تعالى وبشرط ان يكون الناظر عليه واعظ هذا الجامع الشريف

فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه

على الذين يبدلونه

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي انزل على عبده • محمد صلى الله عليه وسلم
الكتاب • اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ لما مر مرارا او
في وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل
الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا
الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار
بان شان الرسول ان يكون عبد المرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتاخير المفعول
الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى • ولم يجعل له عوجا • اي
شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو
في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الا
عيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة
استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني
وقيل العوج في اعوجاج المنتصب كالعود والحايط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى
قيما • بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا
عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من
صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شانه وانتصابه على
تقدير كون الجملة المتقدمة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية
فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف فقيما • لينذر • متعلق
بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للا
يذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر
به الذين كفروا به • باسا • اي عذابا • شديدا من لدنه • اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقا
بلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر
الهاء للاتباع • ويبشر • بالتشديد وقرئ بالتخفيف • المؤمنين • اي المصدقين به • الذين
يعملون الصالحات • الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة
للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول

الاعمال هو الايمان • ان لهم • اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة • اجرا حسنا •
هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى • ماكثين • حال من الضمير المجرور في لهم • فيه • اي في ذلك
الاجر • ابدا • من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على
التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله
تعالى • وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا • متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي
البأس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر
الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هذه العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات
الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول
على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في
الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة
القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي
الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا
لحمله على معنى الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان
انذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد
على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول
عليه السلام • ما لهم به • اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا • من علم • مرفوع على الابتداء او الفاعلية لا
عتماده الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي
ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل
لاستحالته في نفسه • ولا لآبائهم • الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
او ما لهم علم بما قالوه هو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر
وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة
كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو
الانسب بقوله تعالى • كبرت كلمة • اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه
الى ما لا يكاد يليق بجنابه كبر ما بكبر بابه جنابه والفاعل اما ضمير المقالة المدلول عليها بقوله
ولدا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا
والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان
الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع • تخرج من افواههم • صفة للكلمة مفيدة لاستعظام
اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت
الملابسة بها • ان يقولون • ما يقولون في ذلك الشأن • الا كذبا • اي كذبا لا يكاد يدخل تحت

امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم و
توليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند
مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر
والاشفاق من ذلك • فلعلك باخع • اي مهلك • نفسك على آثارهم • غما ووجدا على فراقهم و
قرئ بالاضافة • ان لم يؤمنوا بهذا الحديث • اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا واعمال
باخع بجعله على حكاية حال ماضية لاستحضار صورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه • اسفا
مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا عليهم ويجوز
حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين
المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم • انا جعلنا ما على
الارض • استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من
وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا • زينة • مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى
الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها
الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذ
كيرهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته
على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل
اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم
داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء • لنبلوهم • متعلق
بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم • ايهم احسن عملا • فنجزيهم با
لثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين
حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك
كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في
محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك
اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا
مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي
هو احسن عملا فح يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا
وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن

الزهاد

العمل فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها
ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة
الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتلاء شامل للفريقين بين اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن و
الاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين
على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا • وانا لجاعلون • فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا
ما عليها • من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لاد
راج المكلفين فيه • صعيدا • مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو
عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه • جرزا • ترابا لا نبات
فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها
وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد
ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل
والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على
الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن
قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم • ام حسبت • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال
وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت • ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا • في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر • من آياتنا • من بين آياتنا التي من
جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا
كان لم تغن بالامس • عجبا • اي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك
بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة
للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها
كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية ابن ابي الصلت وليس بها
الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه
اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل
الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون
وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين
اذ اوى • ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي اذكر حين اوى • الفتية • اي اصحاب الكهف اوثر
الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف

لها

والرقيم

الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا بدينهم ولان صاحبة الكهف من فروع النجاة لهم الى
الكهف فلا نيأس بسبب اعتبارهم معهم قبيل بيانه • الى الكهف • بجعلهم بجلوس واتخذوه مأوى
فقالوا ربنا آتنا من لدنك • من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن
ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت
لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك • رحمة • خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من
الاعداء • وهيئ لنا من امرنا • الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل
التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا • رشدا • اصابة للطريق الموصل
الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرور
على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تا
خير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ
عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على
تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او
اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا • فضربنا على آذانهم
اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى
الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور
عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم
واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما
في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا
يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى
اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث
وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم
في الكهف • ظرف مكان لضربنا • سنين • ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه • عددا • اي
ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك
اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون
القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل • ثم بعثنا
هم • اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت • لنعلم • بنون العظمة وقرئ بالياء
مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار
والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الدائر من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله
تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا اذ ظاهر انهما الذي

يتحقق

يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب
وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه و
تعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم
الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء من ذلك في سلك الغاية
وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقدير غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما
من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا
بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن
المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب
وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم • اي الحزبين • اي الفريقين
المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي • احصى • اي ضبط • لما لبثوا • اي للبثهم
امدا • اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا احوالهم وما صنع
الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث
ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة
على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى
من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم ايهما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله
الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الا
يمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل
ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من
الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان
جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ
وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا
المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم
والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور
حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه
لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها
من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان
يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة
عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد له
بحالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسببه

انطباق على الزمان الممتد بالذات وهي ان انبعاثهم من نومهم فانه موقتة من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة الثانية نفس المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها في السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنهما قبل سنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما تحقيق وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول والامد نصب على التمييز واما ما قيل من احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة لنخواتهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفصيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذاك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلما ان يمنع لصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا او يقال ان العامل في امدا افعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر فمع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختيار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيها ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختيار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم

نحن نقص عليك • شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي له شأن وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم • او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا • بالحق • او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به وبناؤهم جسما ذكره محمد بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاسوا خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالف من المتمسكين بدين عيسى عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في

الدقيانوس

الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة وجبروته لن ندعوا من دونه احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فازمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجعلوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وعلا • انهم فتية • استيناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي • آمنوا بربهم • او ثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما يحكى عنهم • وزدناهم هدى • بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم • وربطنا على قلوبهم • اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار • اذ قاموا • منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا • فقالوا ربنا رب السموات والارض • ضمنوا دعواهم ما يحقق

قصة اصحاب الكهف

بمواتها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء وقيل المراد
قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام ثم يكون كما ياتي من قوله تعالى
هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده • لن ندعو • لن نعبد ابدا • من دونه الها
معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا
يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق
الالوهية لا بطريق المالكية المجازية • لقد قلنا اذا شططا • اي قولا ذا شطط اي تجاوز عن الحد او
قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت
العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا
واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا
في الظلم • هؤلاء • اتخذوا من دونه آلهة • خبره وفيه معنى الانكار • لولا يأتون • تحضيض
فيه الانكار والتعجيز اي هلا يأتون • عليهم • على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة
سلطان بين • بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر • فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا • بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك
النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود • واذا
اعتزلتموهم • اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني • وما يعبدون الا الله • عطف على
الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذا اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او عبادتهم
الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع
على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
معترض من اذ وجوابه فأووا • اي التجئوا • الى الكهف • قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ
فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا
جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف • ينشر لكم • يبسط لكم و
يوسع عليكم • ربكم • مالك امركم • من رحمته • في الدارين • ويهيئ لكم • يسهل لكم • من امركم • الذي
انتم بصدده من الفرار بالدين • مرفقا • ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا
كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم و
التشويق الى وروده • وترى الشمس • بيان لحالهم بعدما أووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم
الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله تعالى
سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب
للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية حقيقة بل الا
نباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس • اذا طلعت تزاور • اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى

التائين

التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزاور كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو
الميل • عن كهفهم • الذي أووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة • ذات اليمين • اي جهة ذات يمين
الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم • واذا
غربت • اي تراها عند غروبها • تقرضهم • اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم • ذات
الشمال • اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج
خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى • وهم في فجوة منه • جملة مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم
يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان حرفها عنهم يد
التقدير • ذلك • اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع
شعاعها • من آيات الله • العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه
وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش و
اقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على
جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى
جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك اشارة الى
[illegible] الى الكهف هذا [illegible] والا جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة
او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة
من يهد الله • الى الحق بالتوفيق له • فهو المهتد • الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم
والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه
على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها • ومن يضلل • اي
يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه • فلن تجد له • ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء • وليا
مرشدا • يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده
او امكانه • وتحسبهم • بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق • ايقاظا • جمع يقظ
بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل لكثرة تقلبهم
ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم • وهم رقود • اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره
السابق من الضرب على آذانهم • ونقلبهم • في رقدتهم • ذات اليمين • نصب على الظرفية اي جهة تلي
ايمانهم • وذات الشمال • اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء
وقيل في كل تسع سنين وقرئ تقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل
مضمر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم • وكلبهم • قيل هو كلب مر بهم فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه

قصة كلب اصحاب الكهف

الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل كلب راع قد تبعهم على
دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بجنسهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه و
اختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل اسمه كان قطمير وقيل
ريان وقيل تتوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب
اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا • باسط ذراعيه • حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا و
الذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى • بالوصيد • اي بموضع الباب من الكهف • لو اطلعت
عليهم • اي عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة و
قرئ بضم الواو • لوليت منهم فرارا • هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله
اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا
مبالغة كما في قوله فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له • ولملئت منهم رعبا • وقرئ بضم العين
اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة
كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده
قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم
في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في
الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو
عليه للاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله
تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا
وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد
اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد • وكذلك بعثناهم • اي كما انمناهم وحفظنا
اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم • ليتساءلوا بينهم • اي ليسأل
بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار
من حيث انه من احكامه المترتبة والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره • قال • استئناف لبيان
تساؤلهم • قائل منهم • هو رئيسهم واسمه مكسلمينا • كم لبثتم • في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة
حالهم لما هو المعتاد في الجملة • قالوا • اي بعضهم • لبثنا يوما او بعض يوم • قيل انما قالوه لما انهم
دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد
قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب • قالوا • اي بعض آخر
منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه • ربكم اعلم بما لبثتم • اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم

اطلاع اصحاب الكهف

كذا ذكره الامام الواحدي في الوسيط منه تمت

وانما

وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق
التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم
فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل
ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا • فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة • قالوه اعراضا عن التعمق في البحث
واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة
يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام
القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل
على الله تعالى • فلينظر ايها • اي اي اهلها • ازكى • احل واطيب او اكثر وارخص • طعاما • فليأتكم برزق
منه • اي من ذلك الازكى طعاما • وليتلطف • وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الا
ستخفاء لئلا يعرف • ولا يشعرن بكم احدا • من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن
ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف • انهم • تعليل
لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم • ان يظهروا عليكم • اي
يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها • يرجموكم • ان ثبتم على ما انتم عليه
او يعيدوكم في ملتهم • اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او
لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار
الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات
على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث
الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه
اكثر واوفر • ولن تفلحوا اذا • اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير • ابدا • لا في
الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى • وكذلك • اي وكما انمناهم وبعثناهم لما في
من ازدياد علمهم في مراتب اليقين • اعثرنا • اي اطلعنا الناس • عليهم ليعلموا • اي الذين اعثرناهم
عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة • ان وعد الله • اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو
البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا
حق • صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث • وان
الساعة • اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء • لا ريب فيها
لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها
من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في
القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم • اذ يتنازعون • ظرف لقوله اعثرنا
قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالة على ان التنازع يحدث بعد الا

عشار

وليعلموا كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون • بينهم امرهم • ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل
المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول يبعث الارواح
دون الاجساد وآخر يقول يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل
مملكته في البعث حينئذ فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه
ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه
حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المد
ينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك
عليهم ثيابهم وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من
الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا
لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قيل بعثهم اي
اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال و
يتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل • فقالوا • فصيحة
اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فقالوا اي قال بعضهم • ابنوا عليهم • اي على باب كهفهم بنيانا
لئلا يتطرق عليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى • ربهم اعلم بهم • من كلام المتنا
زعين كانهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث العدد ومن حيث اللبث في
الكهف قالوا ذلك تفويضا للعلم الى علام الغيوب او من كلام الله تعالى ردا لقول الخائضين في
حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت و
النوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذن متعلقه بقوله تعالى • قال الذين
غلبوا على امرهم • وهم الملك والمسلمون • لنتخذن عليهم مسجدا • وقوله تعالى فقالوا معطوف
على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع
وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل
قبله وجعل وقت النزاع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا
مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع • سيقولون • الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين
في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل
الى بعضهم • ثلاثة رابعهم كلبهم • اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم
كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث باد

غام

الثاء في التاء • ويقولون خمسة سادسهم كلبهم • قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان
نسطوريا • رجما بالغيب • رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن
اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان
الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون
رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك • ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم • هو ما
يقوله المسلمون بطريق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم
بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل
قل • تحقيقا للحق وردا على الاولين • ربي اعلم • اي اقوى علما • بعدتهم • بعددهم • ما يعلمهم
اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم • الا قليل من الناس • فقد وفقهم الله تعالى للا
ستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه
مدار قوله رضي الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج
الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة
نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش و
دبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا
من ملكهم دقيانوس واسمه كفشيططوس • فلا تمار • الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذا قد عرفت
جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم • فيهم • في شأن الفتية • الا مراء ظاهرا • قدر ما تعرض
له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الذي يعلمهم
من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق • ولا تستفت فيهم • في شانهم • منهم
احدا • فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من
اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى
صحة القول الثالث وفيه تمحيص لحملة الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سلك
واحد ناشيا عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى
حينئذ اذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به
الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم
من احتمال جوازه واحتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية و
لا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي • ولا تقولن لشيء •
اي لاجل شيء تعزم عليه • اني فاعل ذلك الشيء • غدا • اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل
فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف و
ذي القرنين فسألوه عليه الصلاة والسلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي

مطلب
اسماء اصحاب الكهف
واسم دقيانوس ٢٢٢

حتى تشق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق
دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فانه ولعدم المجال دليل القدرة فليتأمل
الا ان يشاء الله • استثناء مفرغ من النهي اى لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسة
بمشية الله تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان
يشاء الله ان تقوله لا مطلق بل مشية اذن فان النسيان ايضا بمشيته تعالى ولا مساغ لتعليقه تعالى على
لعدم سداد الاستثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاة الاستثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء
جار مجرى التأبيد كأنه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله • واذكر
ربك • بقولك ان شاء الله متداركا له • اذا نسيت • اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على
خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال الوطى
هذا آخر تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون
المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا
تركت بعض ما امرك ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على
اداء المنسية عند ذكرها • وقل عسى ان يهدين ربي • اى يوفقني • لاقرب من هذا • اى لشيء اقرب واظهر من نبأ
اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي • رشدا • اى ارشادا للناس ودلالة على ذلك
وقد فعل عز وجل ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي
ولبثوا في كهفهم • احياء مضروبا على آذانهم • ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا • وهي جملة مستأنفة مبينة
لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم
كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال
عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في
كل مائة سنة ثلثة سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الا
ضافة وضعا للجمع موضع المفرد وما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد والاصل في
العدد اضافته الى الجمع • قل الله اعلم بما لبثوا • اى بالزمان الذي لبثوا فيه • له غيب السموات والارض
اى ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص
بالغيب • ابصر به واسمع • دل بصيغة التعجب على ان شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج
عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف و
الكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة
عند سيبويه وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة

الصيغة

الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور
وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم
امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات • ما لهم • اى لاهل السموات والارض • من
دونه تعالى • من ولي • يتولى امورهم ويخرجهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب
احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ
على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف
من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره صلى الله عليه وسلم بالمداومة على درسه
فقال • واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك • ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله • لا مبدل
لكلماته • لا قادر على تبديله وتغييره غيره • ولن تجد • ابدا الدهر وان بالغت في الطلب • من دونه
ملتحدا • ملجأ تعدل اليه عند الالمام ملمة • واصبر نفسك • احبسها وثبتها مصاحبة • مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي • اى داءبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ با
لغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين
مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال
قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى
نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل
الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة • يريدون • بدعائهم ذلك • وجهه
حال من المستكن في يدعون اى مريدين لرضاه تعالى وطاعته • ولا تعد عيناك عنهم • اى لا يجاوزهم
نظرك الى غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم
من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد
عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه الصلوة والسلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم
طموحا الى زي الاغنياء • تريد زينة الحيوة الدنيا • اى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب
الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها و
ضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها
العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين • ولا تطع • في تنحية الفقراء عن
مجلسك • من اغفلنا قلبه • اى جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا
كقولك اجبنته وافحمته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اى لم نسمه بالذكر • عن ذكرنا • كاولئك
الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون
من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله
سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقوى

اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اى جعلنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من الغفلة اذا
وجدته غافلا • واتبع هواه وكان امره فرطا • ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له
وراء ظهره من قولهم فرس فرط اى متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره
سبحانه يؤدى الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول
للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهى عن الاطاعة • وقل • لاولئك الغافلين المتبعين هواهم
الحق من ربكم • اى ما اوحى الى الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتى حتى
يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى • فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • اما من تمام
القول المامور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفويض عليه كما في قوله تعالى هذا
عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى عقيب تحقق ان
ما اوحى الى حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين
ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء
عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء
لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء
ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى • انا اعتدنا •
وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم
المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعى الاملاء والامهال وعلى
الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدى اى قل لهم انا اعتدنا • للظالمين • اى هيأنا
للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشية الكفر واختيارها
تجاوز عن الحد ووضع للشىء في غير موضعه • نارا • عظيمة عجيبة • احاط بهم • اى يحيط بهم و
ايثار صيغة الماضى للدلالة على التحقق • سرادقها • اى فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل
السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار • وان يستغيثوا
من العطش • يغاثوا بماء كالمهل • كالحديد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم • يشوى الوجوه • اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبى صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت
فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه • بئس الشراب • ذلك • وساءت • النار • مرتفقا • متكأ
واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت
مرتفقا • ان الذين امنوا • في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كأنه قيل وللذين
امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافى مآلى الفريقين اى ان الذين امنوا بالحق الذى اوحى
اليك • وعملوا الصالحات • حسبما بين في تضاعيفه • انا لا نضيع اجر من احسن عملا • خبر ان الاولى
هى الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اى من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في نحو نعم الرجل

زيدا او واقع موقع الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذى امن وعمل الصالح • اولئك • المنعوتون
بالنعوت الجليلة • لهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار • استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض
او هو خبر بعد خبر • يحلون فيها من اساور من ذهب • من الاولى ابتدائية والثانية صفة لاساور والتنكير
للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار • ويلبسون ثيابا خضرا • خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الا
لوان واكثرها طراوة • من سندس واستبرق • اى مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة
على ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين • متكئين فيها على الارائك • على السرر على ما هو شان المتنعمين
نعم الثواب • ذلك • وحسنت • اى الارائك • مرتفقا • اى متكأ • واضرب لهم • اى للفريقين الكافر والمؤمنين
مثلا رجلين • مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين
والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من
حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال
رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بنى اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا
اقتسما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه
المبار فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بنى مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد و
مسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة قبله اولا • جعلنا لاحدهما • وهو الكافر جنتين
بستانين • من اعناب • من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين • وحففناهما
بنخل • اى جعلنا النخل محيطة بهما موزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم
جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا اخر كقولك غشيته به • وجعلنا بينهما • وسطهما • زرعا •
ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق
كلتا الجنتين اتت اكلها • ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اتى
اكله • ولم تظلم منه • لم تنقص من اكلها • شيئا • كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا
تكثر في عام وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار تاتى بالثمر في بعض الاعوام دون بعض • وفجرنا خلالهما •
فيما بين كل من الجنتين • نهرا • على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تاخير ذكر
تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجى على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل و
تفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة
بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقى عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف
على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار • وكان له • لصاحب الجنتين • ثمر • انواع من المال غير
الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان و
غير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة • فقال لصاحبه • المؤمن • وهو • اى القائل • يحاوره •
اى صاحبه المؤمن والجملة حال من فاعل قال اى يراجعه في الكلام من حار اذا رجع • انا اكثر منك مالا واعز نفرا •

زيدا

حشماً واعواناً او اولاداً ذكوراً لانهم الذين ينفرون معه • ودخل جنته • التي فرغت احواله وعددها
وصفاتها وهيآتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احدهما بالاخرى واما لان الدخول
يكون في واحدة • وهو ظالم لنفسه • ضار لها بعجبه وكفره • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر
دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال • ما اظن ان تبيد هذه • الجنة اي تفنى
ابدا • لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قال بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره
بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات • وما اظن الساعة قائمة • كائنة
فيما سيأتي • ولئن رددت • بالبعث عند قيامها كما تقول • الى ربي لاجدن • يومئذ • خيرا منها • اي من
هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين • منقلبا • مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة
اعتقاده انه تع انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج
قال له صاحبه • استئناف كما سبق • وهو يحاوره • جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر على ان
ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة • اكفرت • حيث قلت ما اظن الساعة قائمة • بالذي
خلقك • اي في ضمن خلق اصلك • من تراب • فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما ان خلق
كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عم من
التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة
فتدبر • ثم من نطفة • هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد • ثم سواك رجلا • اي
عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تع بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لا
نكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث فانا خلقناكم من تراب الخ • لكنا هو الله ربي • اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة
فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا
والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة
وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تع اكفرت كانه قال
انت كافر لكني مؤمن موحد • ولا اشرك بربي احدا • فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك • ولولا اذ
دخلت جنتك قلت • اي هلا قلت عند دخولها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول
في آن الدخول من غير ريث لا للقصر • ما شاء الله • اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان
ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف و
المراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تع ان شاء ابقاها وان شاء افناها • لا قوة
الا بالله • اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته
تع واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره • ان ترن

انا اقل منك مالا وولدا • انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية
واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان كون ضمير فصل توسطه بين
المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او
حال وفي قوله تع وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد • فعسى ربي ان يؤتين من جنتك • هو جواب الشرط
والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وبك من الفقر والغنى فيرزقني
لايماني جنة خيرا من جنتك لكفرك بنعمه ويخرب جنتك • ويرسل عليها حسبانا • هو مصدر بمعنى
الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تع وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان
وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وما عن النظم الكريم فيما سيأتي
للاولين اكثر • من السماء فتصبح صعيدا زلقا • مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملسا
يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات • او يصبح • عطف على قوله تع فتصبح
وعلى الوجه الثالث على يرسل • ماؤها غورا • اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة • فلن
تستطيع له ابدا • اي للماء الغائر • طلبا • فضلا عن وجدانه ورده • واحيط بثمره • اهلك امواله
المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع
من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء
الفصيحة • فاصبح يقلب كفيه • ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم • على ما انفق فيها
اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال
الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء
ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا
الشيء السريع الزوال • وهي • اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل • خاوية • ساقطة • على عروشها
اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها
العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مسندة
بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله عليها
نارا فاحرقتها وغار ماؤها • ويقول • عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول • يا ليتني لم اشرك
بربي احدا • كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه
قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه • ولم تكن له • وقرئ بالياء التحتانية • فئة
ينصرونه • يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار
المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم • من دون الله • فانه القادر على ذلك وحده • وما كان • في نفسه
منتصرا • ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه • هنالك • في ذلك المقام وتلك الحال • الولاية لله الحق • اي

النصرة لله وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر
بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى • هو خير ثوابا وخير عقبا • اى لاوليائه وقرئ
الولاية بكسر الواو ومعناها هنا الملك والسلطان اى هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمنع
منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك آه كان عن اضطرار وجزع مما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع
الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى
العاقبة • واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا • اى واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها
لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي
في الغرابة كالمثل • كماء • استيناف لبيان المثل اي هي كماء • انزلناه من السماء • ويجوز كونه مفعولا
ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير • فاختلط به • نبات الارض اشتبك بسببه • نبات الارض • فالتف وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات
الارض وايثاره عليه في النظم الكريم للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة
صاحبه • فاصبح • ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه • هشيما • [illegible] مهشوما مكسورا • تذروه
الرياح • تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة
من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس • و
كان الله على كل شيء • من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء • مقتدرا • قادرا على الكمال
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا • بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال
الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع
كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الآيات
الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات
فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم
انما يكون بالنسبة الى من يبلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان
الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له
بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل
اطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين
به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي
شانها ان تزول قبل زوالها • والباقيات الصالحات • هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير تدخل فيها

اعمال

اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها
فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا • خير • اى مما نعت شانه من المال
والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي
الافادة لا سيما في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند
الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم
يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها • عند ربك • اى في الآخرة وهو بيان لما يظهر
فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة
الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة • ثوابا • عائدة تعود الى صاحبها • وخير املا
حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل
ينال به وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها • ويوم نسير الجبال • منصوب بمضمر
اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيآتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه
من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة
وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن
الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير الجبال • وترى الارض • جوابها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول • بارزة • اما بروزها فظاهر واما
ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا • وحشرناهم • جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق
الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا و
موجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم
قبل ذلك • فلم نغادر • اى لم نترك • منهم احدا • غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء
والغدير الذي هو ما تركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير
الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت • وعرضوا على ربك • شبهت حالهم بحال جند عرضوا على
السلطان ليامر فيهم بما يامر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة الى ضميره عليه السلام تربية للمهابة واجراء على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام • صفا •
اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الا
ولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا • لقد جئتمونا • على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عر
ضوا اي مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل
كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص بالمعللين بما قبله

من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض • كما خلقناكم • نعت لمصدر مقدر اى مجيئا كائنا كمجيئكم عند
خلقناكم • اول مرة • او حال من ضمير جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما
معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم • بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا • اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتو
بيخ والتقريع اى زعمتم فى الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة
من المثقلة فصل بحرف النفى بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان
للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع • ووضع الكتاب •
عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التى اريد بتذكيرها تذكير وقتها واورد فيه ما اورد فى امثاله
من صيغة الماضى دلالة على التقرر ايضا اى وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس و
المراد بوضعها اما وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما فى الميزان • فترى المجرمين • قاطبة فيدخل
فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا • مشفقين • خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب • ويقو
لون • عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا وقطميرا • يا ويلتنا • منادين لهلكتهم التى هلكوها من بين
الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى فهذا اوان حضورك
ما لهذا الكتاب • اى اى شيء له • وقوله تعالى • لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها • اى حواها وضبطها جملة
حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه
قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها • ووجدوا ما عملوا • فى
الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا • حاضرا • مسطورا عتيدا • ولا يظلم ربك احدا • فيكتب ما لم يعمل من
السيئات او يزيد فى عقابه المستحق فيكون اظهار المعدلة القلم الازلى • واذ قلنا للملائكة • اى اذكر وقت
قولنا لهم • اسجدوا لآدم • سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله • فسجدوا • جميعا امتثالا بالامر • الا
ابليس • فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى • كان من الجن • كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما
يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان جنيا • ففسق عن امر ربه • اى
خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف
الربوبية النافية للفسق لكمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تنزيرا التكبر على المتكبرين المفتخرين بانسابهم
واموالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم
فى ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى • افتتخذونه • الخ فان الهمزة للانكار والتعجب والفاء
للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه • وذريته • اى اولاده واتباعه جعلوا
ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة
عن جماعة من الشياطين • اولياء من دونى • فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى • وهم • اى والحال
ان ابليس وذريته • لكم عدو • اى اعداء كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو

وانما

وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار
وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا • بئس للظالمين • اى الواضعين للشيء فى
غير موضعه • بدلا • من الله سبحانه ابليس وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع
الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى • ما اشهدتهم • استئناف مسوق
لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسوق
والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته • خلق السموات والارض • حيث خلقتهما قبل خلقهم و
لا خلق انفسهم • اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور
حذرا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثانى الى الظالمين
وتلتزم التفكيك بناء على قوة المعنى اليه فان نفى اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور
عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما تصحح التولى حضور الولى خلق المتولى وحيث لا حضور لا
مصحح للتولى قطعا واما نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور فى
شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على دلالته على كمال له باعتبار انه
له مدخل فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون
نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط للانكار المذكور • وما كنت متخذ
المضلين • عضدا اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا
لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء • عضدا • اعوانا فى شأن الخلق او فى شأن من شؤونى حتى يتوهم شر
كتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخا
فة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به
وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم
مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة
من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم فى شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ باحضار
الله عز وجل ولم يكن ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم
على اسرار التكوين وخصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين ويعضده
القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووضعهم بالاضلال
لتعليل نفى الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح
وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كخدم وخادم • ويوم يقول • اى
الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة • نادوا شركائى الذين زعمتم • انهم شفعا
ؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته • فدعوهم • اى نادوهم للاغاثة

وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة • فلم يستجيبوا لهم
فلم يغيثوهم اذ لا في الحماقة بحيث لا يفقهونه الا بالتصريح به • وجعلنا بينهم • بين الداعين والمدعوين
موبقا • اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا
يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك
تلفا وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء
الملائكة وعزيرا وعيسى عليهما السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا
يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان • ورأى المجرمون النار • وضع المظهر
مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك • فظنوا • اى فايقنوا • انهم مواقعوها • مخالطوها واقعون
فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد • انهم مواقعوها • الساعة • ولم يجدوا عنها مصرفا •
انصرافا او معدلا ينصرفون اليه • ولقد صرفنا • اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم • في هذا
القرآن • للناس • لمصلحتهم ومنفعتهم • من كل مثل • من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا
او من كل نوع من الانواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس
كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا • وكان الانسان • بحسب جبلته • اكثر شيء جدلا • اى اكثر الاشياء
التي يأتي منه الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة
الملاجة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل
مجادل • وما منع الناس • اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم • ان يؤمنوا • من ان يؤمنوا بالله تعالى و
يتركوا ما هم فيه من الاشراك • اذ جاءهم الهدى • اى القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون
المعاني الموجبة له • ويستغفروا ربهم • عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل
الا ان تأتيهم سنة الاولين • اى الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال • او يأتيهم العذاب • اى عذاب الآخرة • قبلا • اى انواعا
على انه جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اى مستقبلا يقال
لقيته قبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور
المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين
على الجدل المفرط • وما نرسل المرسلين • الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال • الا • حال كونهم • مبشرين
للمؤمنين بالثواب • ومنذرين • للكفرة والعصاة بالعقاب • ويجادل الذين كفروا بالباطل • باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوهما تعنتا • ليدحضوا به • اى
بالجدال • الحق • اى يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل
عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما • واتخذوا آياتي • التي تخر لها
صم الجبال • وما انذروا • اى انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم • هزوا •

اي امكان المدافعة ومع ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في غاية الحماقة صح

استهزاء

استهزاء او قرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به • ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه • وهو القرآن العظيم
فاعرض عنها • ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية
من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في
حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد • ونسي
ما قدمت يداه • اى عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم
يتفكر في عاقبتها • انا جعلنا على قلوبهم اكنة • اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم • ان يفقهوه • مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوا على انه
او مفعول له اى كراهة ان يفقهوه • وفي آذانهم • اى جعلنا فيها • وقرا • ثقلا يمنعهم من استماعه
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا • اى فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن
جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال صلى الله
عليه وسلم مالي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم آه وجمع الضمير الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه
كما ان افراده في المواضع الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه • وربك • مبتدأ وقوله تعالى • الغفور • خبره
وقوله تعالى • ذو الرحمة • اى الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه
على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو كان قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل
وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم
بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل • لو يؤاخذهم
اى لو يريد مؤاخذتهم • بما كسبوا • من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل و
اعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات • لعجل لهم العذاب • لاستيجاب اعمالهم
لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي
المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف الشدة كما ينبئ عنه مآلها وايثار صيغة الاستقبال وان كان
المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع
الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه • بل لهم موعد • زمان
هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة • لن يجدوا
البتة • من دونه موئلا • منجى او ملجأ يقال وأل اى نجا ووأل اليه اى لجأ اليه • وتلك القرى • اى قرى
عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف اى واهل تلك القرى خبره وقوله تعالى • اهلكناهم
او مفعول مضمر مفسر به • لما ظلموا • اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك
المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور
واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء
الظلم آه • وجعلنا لمهلكهم • اى عينا لهلاكهم • موعدا • اى وقتا معينا لا يحيدون عن ذلك وهذا استشهاد

على ما فعل بقريش من تعيين الموعد لينتبهوا الذكر ولا يغتروا بتأخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي
اهلاكهم وبفتحها ۔ واذ قال موسى ۔ نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عم ۔ لفتاه ۔ وهو يوشع بن
نون ابن افرائيم ابن يوسف عم سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان
شيخاً ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعداً تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها
من سائر المنافع الجليلة ۔ لا ابرح ۔ من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتماداً
على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالاً على ما يعقبه من قوله ۔ حتى ابلغ ۔ فان ذلك
غاية تستدعي ذا غاية يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حاصلاً حتى ابلغ فحذف
المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعاً مستكناً والفعل
من صيغة الغيبة الى المتكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده
حتى ابلغ ۔ مجمع البحرين ۔ هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس
بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق ۔ او امضي حقباً ۔ اسير زماناً طويلاً اتيقن معه فوات
المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عم لما ظهر على مصر مع بني اسرا
ئيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة
بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم
يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عم وكان في ايام
افريدون قبل موسى عم وكان على مقدم ذي القرنين الاكبر وبقي الى يوم موسى وقيل ان موسى عم سأل ربه اي
عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا
يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك
فاخذ حوتاً فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان ۔ فلما بلغا ۔ الفاء
فصيحة لما اشير اليه ۔ مجمع بينهما ۔ اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعاً او بمعنى الوصل
نسيا حوتهما ۔ الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل
نسي يوشع ان يقدمه وموسى عم ان يأمره فيه بشيء وروي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين
الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتاً الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء
وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع عم وقيل توضأ يوشع عم من تلك العين فا
نتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء ۔ فاتخذ سبيله سربا في البحر ۔ مسلكا كالسرب وهو النفق وقيل
امسك الله تعالى عز وعلا جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام
وانتصب سرباً على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ

سرباً

فلما

فلما جاوزا ۔ اي مجمع البحرين الذي جعل موعداً للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر
والقي على موسى عم الجوع فعند ذلك ۔ قال لفتاه آتنا غداءنا ۔ اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ
عنه الجواب ۔ لقد لقينا من سفرنا هذا ۔ اشارة الى ما ساراه بعد مجاوزة الموعد ۔ نصباً ۔ تعباً واعياء
قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب
انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثنائه من التغدي من استراحة ما ۔ قال
اي فتاه عليهما السلام ۔ ارأيت اذ اوينا الى الصخرة ۔ اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع
ان المذكور فيما سبق مرتب على بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق
المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان
عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عم مما اعتراه
هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا الاسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني
يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول
محذوف اعتماداً على ما يدل عليه من قوله عز وجل ۔ فاني نسيت الحوت ۔ وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لا
ستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور بايتائه للتنبيه من اول
الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة
بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره و
ما شاهدت منه من الامور العجيبة ۔ وما انسانيه الا الشيطان ۔ بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى
ان اذكره ۔ بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ۔ ان اذكره ۔ لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولاً و
بذكره له ثانياً على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضاً ليس نفس
الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند
وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عم والفها
قل اهتمامه بالمحافظة عليها ۔ واتخذ سبيله في البحر عجباً ۔ بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر
منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ
سبيله فيه سبيلاً عجباً فعجباً ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني
وعجباً صفة مصدر محذوف اي اتخاذاً عجباً وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف
اي التعجب منه عجباً وقد قيل انه من كلام موسى عم وليس بذاك ۔ قال ۔ اي موسى عم ذلك الذي ذكرت من
امر الحوت ۔ ما كنا نبغ ۔ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اي نطلبه
لكونه امارة للفوز بالمرام ۔ فارتدا ۔ اي رجعا ۔ على آثارهما ۔ طريقهما الذي جاءا منه ۔ قصصاً ۔
يقصان قصصاً اي يتبعان آثارهما اتباعاً او مقتصين حتى اتيا الصخرة ۔ فوجدا عبداً من عبادنا

التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس
عليهم السلام. آتيناه رحمة من عندنا. هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب
الكبرياء. وعلمناه من لدنا علما. خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب. قال له موسى هل اتبعك
مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى عم هل اتبعك على
ان تعلمني. استيذان منه في اتباعه له على وجه التعلم. مما علمت رشدا. اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد
اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى
مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان
يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في ادب الكلام غاية
التواضع معه عم. قال. اي الخضر. انك لن تستطيع معي صبرا. نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه
التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي اذا انا باتيته بامور
واخفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عنه من تعهد
نزاه وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تع علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله
علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك. قال موسى عم. ستجدني ان شاء الله صابرا. معك غير معترض
عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر
ولا اعصي لك امرا. عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة
ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما
عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء ح وفيه دليل على ان الافعال العباد بمشية الله سبحانه. قال فان
اتبعتني. اذن له في الاتباع بعد التلبية والتاكيد والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عم للصبر
والطاعة. فلا تسئلني عن شيء. تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المنا
قشة والاعتراض. حتى احدث لك منه ذكرا. اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله
حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسئلني با
لنون المثقلة. فانطلقا. اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع عم
فقد رده موسى عم الى بني اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول
حتى اذا ركبا في السفينة. استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز
وجل لتركبوها وزينة على ما تقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تع وقال اركبوا فيها الا انما قيل
من ان في ركوبها معنى الدخول. خرقها. قيل خرقها بعد ما لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين
مما يلي الماء فعند ذلك. قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها. من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق
وليغرق اهلها من الثلاثي. لقد جئت. اتيت وفعلت. شيئا. امرا. اي عظيما هائلا من امر الامر
اذا عظم قيل الاصل امر مخفف. قال. اي الخضر. الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا. تذكير لما قاله من

قبل

قصة موسى عم مع الخضر عليه السلام

قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده. قال لا تؤاخذني بما نسيت. بنسياني او
بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسئله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب
قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى
نسيانا او اخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار و
هو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة. ولا ترهقني. اي تغشني ولا تحملني. من امري. وهو اتباعه اياه. عسرا.
اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين. فانطلقا. الفاء
فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا. حتى اذا لقيا غلاما فقتله. قيل كان الغلام يلعب بالغلمان
فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين. قال. اي موسى عم. اقتلت نفسا زكية.
طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية. بغير نفس. بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين
سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل
تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عم ههنا من جملة الشرطية وابراز ما صدر عن موسى عم في موضع الجزاء
المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عم من الخوارق البديعة لاستراق النفس
الى ورود خبرها لقلة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة
في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عم خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى
ترقب احوال موسى عم هل يحافظ مراعاة شرط الموجب وعهده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع
الى المناقشة كما مر في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عم ففعل ما فعل ولله در شان التنزيل
واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع
الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة و
صول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات
كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك. لقد جئت شيئا نكرا. قيل معناه انكر من الاول اذ
لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون
من اغراق اهل السفينة. قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا. زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب
على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في
النكير في المرة الثانية. قال. اي موسى عم. ان سالتك عن شيء بعدها. اي بعد هذه المرة. فلا تصاحبني و
قرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك. قد بلغت من لدني عذرا. اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث
خالفتك ثلث مرات عن النبي صلى الله عم رحم الله اخي موسى عم استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد. فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية. هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن

البني صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه
وقوله تعالى • استطعما اهلها • في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة
للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع
روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم • فابوا ان يضيفوهما • بالتشديد و
قرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له
وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار • فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض • اي يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض
الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب
لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من
انقاضت السن اذا انشقت طولا • فاقامه • قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه
بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع • قال • لو شئت لاتخذت عليه اجرا • تحريضا له على اخذ الجعل
لينفقا به او تعريضا بانه فضول لما في لومة النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا
يعنيه لم يتمالك الصبر والاتخاذ افتعل من الاخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ
لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء • قال • اي الخضر عليه السلام • هذا فراق بيني وبينك • على اضافة
المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت
الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيننا او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود
• سانبئك • السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة • بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا • التاويل رجع الشيء
الى ماله والمراد به ههنا المال والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد
العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي
جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما
رايت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب • اما السفينة • التي خرقتها • فكانت لمساكين • لضعفاء
لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة • يعملون في البحر • و
اسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين • فاردت ان اعيبها • اي اجعلها ذات عيب • وكان وراءهم ملك • اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم
وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منوله بن جلندى الازدي • ياخذ كل سفينة •
اي صالحة وقد قرئ كذلك • غصبا • من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ
ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدار كلا
الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو
الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا و

لنتوشابه

وبينك ح

لان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب • واما الغلام الذي
قتلته • فكان ابواه مؤمنين • لم يصرح بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره • فخشينا
ان يرهقهما • فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين • طغيانا • عليهما • وكفرا • لنعمتهما بعقوقه وسوء
صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله تعالى اعلمه
بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر
فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك • فاردنا
ان يبدلهما ربهما خيرا منه • بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة
اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما • زكوة • طهارة من الذنوب والاخلاق الر
ديئة • واقرب رحما • اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله
تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما
بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة • واما الجدار • المعهود
فكان لغلامين يتيمين في المدينة • هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار
نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول
جيسون • وكان تحته كنز لهما • من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب
مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم • وكان ابوهما صالحا • تنبيه على ان سعيه في
ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء • فاراد ربك • اي مالكك و
مدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والا
ستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة • ان يبلغا
اشدهما • اي حلمهما وكمال رايهما • ويستخرجا كنزهما • من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج
الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية • رحمة من ربك • مصدر في موقع
الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق
بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب
دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا • وما فعلته عن امري • اي عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك • ذلك
اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة • تاويل ما لم تسطع • اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف • عليه صبرا • من الامور التي رايتها اي ماله وعاقبته

عجيب كتب في لوح

فيكون اتى ذا التبيين الموعود بها والى البناء نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو في ذلك لما
تقدم في جعل الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب ❊ تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر فقيل
انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل
واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة
يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارا
يتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر
حيا لما عاش بعد مائة عام روى انه موسى عم لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم
لتحدث به واطلبه لتعمل به ❊ ويسئلونك عن ذي القرنين ❊ هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله
قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين
الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحاق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن
نوح عم وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن
عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه
مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان بن الذي قتل
الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين
هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر
به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق و
المغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي
المنار ❊ وذي نواس ❊ وذي النون ❊ وذي عين ❊ وذي يزن ❊ وذي جدن قال الامام الرازي والاول
هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر
اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد
ملوك العرب وقهرهم ثم امضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه
ثم دخل الى الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب
الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب
حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام
ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض
بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد
وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف
وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من
حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال

مطلب اختلافهم في الخضر حي ام لا

للعمل به

مطلب ذي القرنين م

ابن

ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين
سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما
ستذكر قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه
مما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان
نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى
وآتيناه من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان
ملكا لما روى ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر اما رضيتم
ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا
وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه
كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على
مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي
ابراهيم عم فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عم بقدومه تلقاه
ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند
ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره و
جميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا
فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله تعالى فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الا
سباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه
ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه
كانت له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل
فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه رأى في
منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور
والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا و
اما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن
رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نونة بن شرحون بن رومية بن ثونط بن نوفيل بن رومي بن
الاصفر بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم عم كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري
باني الاسكندرية الذي تؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي الا
سكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان
هذا قبل المسيح عم بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل
دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال ابن كثير وانما بينا هذا لان كثيرا من

وجه تسمية ذي القرنين م

قصة اسكندر الثاني

الناس

يعتقد انهما واحد وان المذكور فى القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك فى خطاء كبير وفساد
كبير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا ملكا عادلا ووزيره الخضر عم وقد قيل انه كان نبيا
واما الثانى فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفى
سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدونى نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربى دار السلطنة
السنية قسطنطينية المحمية لازالت محفوفة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر
يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر
وهى اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكى كمال عظمها فى عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها
وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازى السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب
الآثار ما فيه عبرة لاولى الابصار • قل • لهم • فى الجواب • سأتلو عليكم • اى ساذكر لكم • منه •
اى من ذى القرنين • ذكرا • اى نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحى المتلو حكاية عن جهة
الله عز وجل قيل سأتلو اى سأتلو من جهته تع فى شأنه ذكرا اى قرآنا والسين للتأكيد والدلالة
على التحقق المناسب لمقام تأييده عم وتصديقه بانجاز وعده اى لا اترك التلاوة البتة كما
فى قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت منيتى • ايادى لم تمنن وان هى جلت • لا للدلالة على
ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل تمام القصة بل موصولة
بما بعدها ريثما سألوه عم عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عم ائتونى غدا اخبركم
فابطأ عليه الوحى خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف • وقوله عز وجل • انا مكنا له فى الارض •
شروع فى تلاوة الذكر المعهود • حسبما هو الموعود • والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب
يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثانى جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما
فى الوجود وتقاربهما فى المعنى يستعمل كل منهما فى محل الآخر كما فى قوله عز وعلا مكناهم فى الارض
ما لم نمكن لكم اى جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم
نجعله لكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اى
ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا
من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه فى سورة يوسف عم والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة
على التصرف فى الارض من حيث التدبير والراى والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له فى الاسباب
وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذللت له طرقها
وآتيناه من كل شئ • اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه • سببا • اى طريقا يوصل
اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة • فاتبع • بالقطع • سببا • اى فاراد بلوغ المغرب
فاتبع • سببا • يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية • وقرئ
فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثانى • حتى اذا بلغ مغرب

الشمس • اى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط
الغربى الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبدأ الاطوال على احد القولين
وجدها • اى الشمس • تغرب فى عين حمئة • اى ذات حمأة وهى الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها
وقرئ حامية اى حارة روى ان معاوية رضى الله تع عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين • ثم وجه • الى كعب الا
حبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين وروى فى ثأط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما
وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء فى الثانية منقلبة
من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضى الله تع عنهما بما سمع من كعب مع
ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية فى مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ
ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس فى مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تع وجدها تغرب • ووجد
عندها • عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا
فخيره الله جعل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تع • قلنا يا
ذا القرنين اما ان تعذب • بالقتل من اول الامر • واما ان تتخذ فيهم حسنا • اى امرا ذا حسن على حذف
المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد
الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اى اما تعذ
يبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال فى الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته
قال كان الخطاب بواسطة نبى فى ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا
لشريعة ذلك النبى • قال • اى ذو القرنين لذلك النبى او لمن عنده من خواصه بعدما تلقى امره تع مختارا
للشق الاخير • اما من ظلم • اى نفسه ولم يقبل دعوتى واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذى
هو الشرك • فسوف نعذبه • بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر فى القدور ومن امن اعطاه
وكساه • ثم يرد الى ربه • فى الآخرة • فيعذبه • فيها • عذابا نكرا • اى منكرا فظيعا وهو عذاب النار
وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحى اليه وان مقاولته كانت مع النبى او مع من
عنده من اهل مشورته • واما من آمن • بموجب دعوتى • وعمل • عملا • صالحا • حسبما يقتضيه الا
يمان • فله • فى الدارين • جزاء الحسنى • اى فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على
انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اى نجزى بها جزاء والجملة
حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اى مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا
غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر
الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير
بينهما وهم كفرة فقال اما الكافر فيراعى فى حقه الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز

ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي
على حاله والثاني لمن تاب • وسنقول له من امرنا • اي مما نأمر به • يسرا • اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره
ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين • ثم اتبع سببا • اي طريقا راجعا من مغرب الشمس
موصلا الى مشرقها • حتى اذا بلغ مطلع الشمس • يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الا
رض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة و
قيل في اقل من ذلك بناء على ما مر ذكره من انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب • وجدها تطلع على قوم لم نجعل
لهم من دونها سترا • من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى
جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش
اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن
كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء
اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون
السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من
جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره
في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على
قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال
وغير ذلك • وقد احطنا بما لديه • من الاسباب والعدد • خبرا • يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به
الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه
وما صدر عنه وما لاقاه فتامل • ثم اتبع سببا • اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من
الجنوب الى الشمال • حتى اذا بلغ بين السدين • بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض
الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو
مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف
التي تستعمل اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك
وجد من دونهما • اي من ورائهما مجاوزا عنهما • قوما • اي امة من الناس • لا يكادون يفقهون قولا •
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا
في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت
فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد
ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين
قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام • وحام • ويافث • فسام ابو العرب • والعجم • والروم •

وحام

صفة يأجوج ومأجوج

وحام ابو الحبشة • والزنج • والنوبة • ويافث • ابو الترك • والخزر • والصقالبة • ويأجوج
ومأجوج • قالوا • اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام
كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب • يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج • قد ذكرنا
انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف في صفاتهم
فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول
القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب و
اضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع و
اصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث • مفسدون في
الارض • اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا
يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا • فهل نجعل لك
خرجا • اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على ما • في الارض • وقرئ خراجا وكلاهما واحد
كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل
رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه • على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا • وقرئ بالضم • قال ما مكني • بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني • فيه ربي • وجعلني
فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب • خير • اي مما تبذلون الي من الخرج فلا
حاجة لي اليه • فاعينوني بقوة • بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء
والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى بالطبع او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب الا
مر • بينكم وبينهم • تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار
كمال العناية بمصالحهم كما ادعوه في قولهم بيننا وبينهم • ردما • اي حاجزا حصينا وبرزخا
متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم
فوق ما يرجونه • آتوني زبر الحديد • جمع زبرة كغرفة في غرف وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد
خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني
بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج
على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة
اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر و
النحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة
فرسخ وذلك قوله عز وعلا • حتى اذا ساوى بين الصدفين • اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا
حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه
مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول • قال • للعملة

سد اسكندر ويأجوج ومأجوج

انفخوا • اى بالكيران فى الحديد المبنى ففعلوا • حتى اذا جعله • اى المنفوخ فيه • نارا • اى كالنار فى الحرارة
والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذى القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة فى ذلك وهم
بمنزلة الالة • قال • للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها • اتونى افرغ عليه قطرا •
اى اتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ بالوصل
اى جيئونى كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذى وقفت
عليه انفا وكذا الكلام فى قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل • فما اسطاعوا • بحذف تاء الافتعال
تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ
بقلب السين صادا والفاء فصيحة اى فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغ عليه فاختلط
والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما
اسطاعوا ان يظهروه • اى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته • فما استطاعوا له نقبا • لصلابته
وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان
يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف
تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير
وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها بحيث
لم يبق هناك فرجة اصلا • قال • اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم • هذا •
اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذى ظهر على يدى وحصل بمباشرتى
من السد الذى شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال • رحمة • اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة
من ربى • على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة
الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتى والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى
الرحمة • فاذا جاء وعد ربى • مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج يأجوج ومأجوج كما
قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجئ مباديه من خروجهم وخروج
الدجال ونزول عيسى عم ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التى تحكى تقع
بعد مجيئه حتما • جعله • اى السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس فى توجيه الا
شارة الى التمكين المذكور • دكا • اى ارضا مستوية وقرئ • دكاء • اى مدكوكا مسوى بالارض وكل
ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجئ الوعد
بمجئ بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته • وكان وعد ربى • اى وعده
المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا • حقا • ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه
الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو اخر ما حكى من قصته
صلوات الله عليه • وتركنا بعضهم • كلاما مسوقا من جنابه تعالى معطوفا على قوله تعالى جعله دكا ومحققا

ومن لا يقول بنبوته يجعله ذلك معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وذكر العصم

وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا صح

اى جعلنا بعض الخلائق • يومئذ • اى يوم اذ جاء الوعد بمجئ بعض مباديه • يموج فى بعض • اخر منهم
يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل
النفخة الاولى او تركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج فى بعض اخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين فى
البلاد روى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن
منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا فى اقفا
ئهم فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطرا
يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عم وقتل
الدجال • ونفخ فى الصور • هى النفخة الثانية بقضية الفاء فى قوله تعالى • فجمعناهم • ولعل عدم التعرض
لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع منها
فى النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها فى النشأة الاخرة اى جمعنا الخلائق بعدما
تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم فى صعيد واحد للحساب والجزاء • جمعا • اى جمعا عجيبا لا يكتنه
كنهه • وعرضنا جهنم • اظهرناها وابرزناها • يومئذ • اى يوم اذ جمعنا الخلائق كافة • للكافرين •
منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا • عرضا • فظيعا هائلا لا يقادر قدره و
تخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة • الذين كانت اعينهم •
وهم فى الدنيا • فى غطاء • كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب • عن ذكرى • عن الايات
المؤدية لاولى الابصار المتدبرين فيها الى ذكرى بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم فى غطاء عن ذكرى
على وجه يليق بشأنى او عن القرآن الكريم • وكانوا • مع ذلك • لا يستطيعون • لفرط تصامهم عن الحق
وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم • سمعا • استماعا لذكرى وكلامى الحق الذى لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن
الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جئ به لذمهم بما فى حيز
الصلة وللاشعار بعلية لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم
فيما عرض لهم فى الدنيا من الايات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به فى الاخرة •
افحسب الذين كفروا • اى كفروا بى كما يعرب عنه قوله تعالى عبادى والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن و
الهمزة للانكار والتوبيخ على معنى الواقع واستقباحه كما فى قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما فى
قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطو
فين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اى الا تسمعون فلا تعقلون لا الى
المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اى اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بى مع جلالة شأنى فحسبوا
ان يتخذوا عبادى من دونى • من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطانى وملكوتى او
لياء معبودين ينصرونهم من بأسى وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت اعينهم وكانوا دلالة على

ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار ذما على ذلك وقطعا له عن المعطوف
عليها لفظا لا معنى للايذان باستقلاله المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي و
التصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة بحسبا
نهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فان تعديهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل
وتخصيص الانكار لحسبانهم المتأخر عن ذلك يقتضيه لا محالة وما في حيز صلته ان سادة مسد مفعولي حسب كما في
قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ
في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل
مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ و
اعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ان يتخذوهم على الابتداء والخبر او
الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع
انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد
بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل الضيف
مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد
واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة
وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هو انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك
فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في
صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب
على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في
انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار
اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال اي ضاع
وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد
بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد رضوان الله عليهم اجمعين ويدخل في الاعمال
ح ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهبانية الذين يحبسون انفسهم في الصوامع
ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين
او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب على ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الآية يأباه ان صدره ليس
منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه
ساكت عن ابنائه عما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على
ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة وهم

يحسبون

يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم
لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها
وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم في
ذلك وينتفعون بآثاره او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم
والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس
سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف
الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير
داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع حسبانهم المزبور الذين كفروا
بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم
في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم
المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم
القيمة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة
وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية
الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين
ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما
الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان لمآل كفرهم
وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم
جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم
وهم جزاؤهم وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ
عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي هزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل
بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد
ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات
من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم
بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم
جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال
الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة
وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه
ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى

فاسئلوه الفردوس فانه فوق عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة • نزلا • خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف
على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى
ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في
الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصا
لحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل
بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر • خالدين فيها • نصب على الحالية • لا يبغون عنها حولا • مصدر كالعوج والصغر
ايضا لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شئ اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او
من ضمير فيه فيكون حالا متداخلة • قل لو كان البحر • اي جنس البحر • مدادا • وهو ما تمد به الدواة من الحبر
لكلمات ربي • لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الا
شراك • لنفد البحر • مع كثرته ولم يبق منه شئ لتناهيه • قبل ان تنفد • وقرئ بالياء والمعنى من غير ان
ينفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى
اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى
واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير • ولو جئنا • كلام من جهته تعالى غير داخل في
الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة
على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد
كلماته تعالى لو لم نجئ • بمثله مددا • ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين
متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجرام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على
تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا • قل • لهم بعد ما بينت لهم
شان كلماته تعالى • انما انا بشر مثلكم • لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة • يوحى الي • من تلك الكلمات • انما
الهكم اله واحد • لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك • فمن كان
يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على
المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء
كرامته تعالى • فليعمل • لتحصيل تلك الطلبة العزيزة • عملا صالحا • في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولا يشرك بعبادة ربه احدا • اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآ
يات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع
المضمر في الموضعين لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب
الامتثال فعلا وتركا • ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله
تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزل تصديقا له وروي انه عليه الصلوة

في سبب نزولها ان اليهود قالوا
في كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم
من العلم الا قليلا

يوم يجيء بمثله مددا
ولو جئنا بقدرتنا
الباهرة

مطلب الاهم من الاهم

والسلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر
قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ عند
مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الآية كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

سورة مريم ثمان وتسعون آية وهي كلها مكية الا آية السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم • كهيعص • بامالة الهاء والياء واظهار الدال
وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما
يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على
الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه
مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام
الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحلها الرفع
اما على انه خبر لمبتداء محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم
جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى
فلان او على انه مبتداء خبره • ذكر رحمة ربك • اي المسمى به ذكر رحمة فان ذكرها لما كان مطلع السورة
الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للمو
ضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار
بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر خبر لمبتداء
محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة
ذكر رحمة الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة
الخ وقيل هو مبتداء قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من
التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى • عبده •
مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على
الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وعلا • زكريا •
بدل منه او عطف بيان له • اذ نادى ربه نداء خفيا • ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله
اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ
انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص و
ابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد بتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في

جريا

اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عم لضعف الهرم قالوا
سنة ح ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر
في تفسير آل عمران • قال • جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب • رب انى وهن العظم منى • اسناد الوهن
الى العظم لما انه عماد البدن ودعائم الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه
صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن
لكل فرد من افراده ومنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد
الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها • واشتعل الرأس شيبا • شبه عم الشيب في البياض والانارة
بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند
الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون
البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسى فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر
لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته
ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيم بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين
ولم اكن بدعائك رب شقيا • اى لم اكن بدعائى اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما
دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسى شيبا
وهذا توسل منه عم بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويجلب الرأفة
من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعدما عوّد عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما
عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح
المربوب مع الاضافة الى ضميره عم لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في
التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته • و
انى خفت الموالى • عطف على قوله تعالى انى وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من
مبادى خوفه عم من يلى امره بعد موته ومواليه بنو اعمه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
في امته ويبدلوا عليهم دينهم • وقوله من ورائى • اى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى
فعل الموالى من بعدى او جور الموالى وقد قرئ كذلك او بما في الموالى من معنى الولاية اى خفت الذين
يلون الامر من ورائى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالى من
ورائى اى قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدى او خفت الموالى القادرون على اقامة مراسم
الملة ومصالح الامة من خف القوم اى ارتحلوا مسرعين اى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوّ و
اعتضاد فالظرف متعلق بخفت • وكانت امرأتى عاقرا • اى لا تلد من حين شبابها • فهب لى
من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا
وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الا

ظرف

ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران
اى اعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية • و
ليا • اى ولدا من صلبى وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكونه من عنده تعالى على ذلك الوجه البديع
مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن
عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف
والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عم من كبر السن وضعف
القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عم عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على
الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته
عم للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره هنا للتعويل
على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكرها هنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن
عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية • وقوله تعالى • يرثنى • صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم
جوابا للدعاء اى يرثنى من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء لا يورثون ما تركنا صدقة وقيل يرثنى الحبورة
وكان عم السلام حبرا • ويرث من آل يعقوب • يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين
يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى ويرث منهم
الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبى ومقاتل هو يعقوب بن ماثان
اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عم وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبى كان بنو
ماثان رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من
بنى ماثان ملكهم وقرئ ويرثنى وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب
بالتصغير ففيه ايماء الى وراثته عم لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل
يرثنى على طريقة التجريد اى يرثنى به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عم انبياء ولا علماء
واجعله رب رضيا • مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولى الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن
ما يستدعيه • يا زكريا • على ارادة القول اى قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان خاطبه
عم بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكى له عم هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل
يا عبادى الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عم ووعد باجابة
دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى بل بعضا حسبما تقتضيه المشية الالهية
المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابى الدعوة لكنهم ليسوا كذلك
في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عم في حق ابيه والى دعوة النبى صلى الله عم حيث قال وسألته ان
لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهب يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب
دعاؤه في الاول دون الثانى حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقى بعده برهة فلا

المثال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث

فلا اشكال ح وفي تعيين اسمه عم تاكيد للوعد وتشريف له عم وفي تخصيصه بجميا يعرب عنه قوله تعالى • لم
نجعل له من قبل سميا • اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عم فان التسمية
بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال
كما في قوله تع هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عم
مثل في انه لم يعص الله تع ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا
فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تع مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين
والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي دين الله
تع بدعوته • قال • استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال عم حينئذ فقيل قال • رب • ناداه تعالى
بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه
تع والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تع بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان
علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات • انى يكون لي غلام • كلمة انى بمعنى كيف
او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما
قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من
غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق
بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى • وكانت امرأتي عاقرا • حال من الضمير
المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى • وقد بلغت من الكبر عتيا • حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت
امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جاوزه و
نحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتوو كقعود
فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت
الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ
بضمها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضا
عيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء
ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله
عم مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة
في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تع وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك با
ظهار انه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة
لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون
وقيل كان ذلك منه عم استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان
بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد • قال • استيناف كما مر مبني

على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى • كذلك قال ربك • مقحمة كما في مثلك لا يبخل ومحلها اما
النصب على انها مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السا
بق لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى
هو علي هين • جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال
الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خا
صة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة ح حال من ربك والياء عبا
رة عن ضميره كما استشعر فوا اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج
الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروع كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك
مكان انا ارسم ثم اسند الى الرب المضاف الى ضميره عم تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جر
يان احكام ربوبيته تعالى عليه عم من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا
الى ان يبلغ كماله اللائق به يقلع اساس استبعاده عم لحصول الموعود ويورثه عم الاطمينان بانجازه
لا محالة ثم التفت من ضميره الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه
هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عم خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله
تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا
يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى
قال ربك الخ استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال
من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام
في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عم اي
قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تع
قال ربك الخ استيناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين
والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بافادة المعنى لان
حاله تقرير صعوبته حال سهولته عليه سبحانه مع ان المقصود بيان سهولته عليه تعالى مع صعوبته في نفسه
وقوله تعالى • وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا • جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر
اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عم
انما لم ينسب ذلك الى آدم عم وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من
قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عم لتاكيد الاحتجاج وتو
ضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عم من العدم اذ لم تكن فطرته
البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا

علي

لجريان آثارهما على الكل فان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداع للكل واخراج من فروعه كذلك ولما كان خلقه
عليه السلام على هذا النمط الساري الى افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم
من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم ذكره ثانيا اظهر
عنه واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به بنسبة الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق
والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكأنه
قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم عليه السلام ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا
صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام و
قرئ خلقناك • قال رب اجعل لي آية • اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن
هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل زمان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما
كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه
فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا
معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعدما مضى بعد البشارة
برهة من الزمان لما يروون ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين ولا ريب
في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت
عشر سنين او بنت ثلث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها
وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ
عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ • قال آيتك الا
تكلم الناس • اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح • ثلث ليال
مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران • سويا • حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم
بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح
ما بك شائبة بكم ولا خرس • فخرج على قومه من المحراب • اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء
المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا
ما لك • فاوحى اليهم • اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى • ان
سبحوا • اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا • بكرة وعشيا • هما ظرفا ز
مان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله
كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك • يا يحيى • استيناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الا
نباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى • خذ الكتاب • اي التورية • بقوة • اي بجد واستظهار بالتوفيق و
وآتيناه الحكم صبيا • قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبأه ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة و

فهم

خلقناه

فهم التورية والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا • وحنانا من
لدنا • عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من
جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما • وزكوة • اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدق
بها على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس • وكان تقيا • مطيعا متجنبا عن المعاصي • وبرا
بوالديه • عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما • ولم يكن جبارا عصيا • متكبرا عاقا
لهما او عاصيا لربه • وسلام عليه • من الله عز وجل • يوم ولد • من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم • ويوم
يموت • من عذاب القبر • ويوم يبعث حيا • من هول القيمة وعذاب النار • واذكر في الكتاب • كلام مستأنف
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة • مريم • اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب
السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذ
كورين فيها اي واذكر للناس فيها مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى • اذ انتبذت • ظرف
لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبائها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده
بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان
الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في
قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله • من اهلها • متعلق بانتبذت
وقوله • مكانا شرقيا • مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل
معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تأخيره عنه اي واعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا
من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط
او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى • فاتخذت من دونهم حجابا • وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب
امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى • فارسلنا اليها روحنا • اي جبرائيل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية
للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان • فتمثل لها بشرا سويا • سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان
نعوت الآدمية شيئا وقيل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى
منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل
من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعا
دة يكذبه قوله تعالى • قالت اني اعوذ بالرحمن منك • فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما
اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن
الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره

تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها
وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي قال انما انا رسول ربك يريد
عم اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما
اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تع ويؤيده القراءة بالياء
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من
احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على
الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر
اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم
اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المس عبارة عن المباشرة بالنكاح
اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في
الياء وكسرت العين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغوة كما يقال فلان نهو عن المنكر
وانما لم تلحقها التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها قال
اي الملك تقريرا للمقالة وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف
مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر
اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله
تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون
به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية
الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة
كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما
قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا
بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبرائيل عم في درعها فدخلت النفخة في جوفها
قيل انه عم رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل
ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها ح ثلث عشرة
سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في
قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به
مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل
فاجاءها المخاض اي فالجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى في اعطى

وقرئ

وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع
النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعله تعالى الهمها ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة
لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخاف يخاف وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت
الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبرائيل عم من الوعد الكريم استحياء
من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن
الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا
ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها من شأنه
ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض
اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا
صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت
للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا لها بالسين فناداها اي جبرائيل عم من تحتها قيل انه كان يقبل
الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عم و
قرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم الا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها
مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري
جرى وان امرته بالامساك امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي
الله عنهما ان جبرائيل عم ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عم و
قيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حسبما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تع لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا
وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل
سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عم فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن
المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل
وتكميل التسلية وهزي هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا
ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تع اليك اي الى جهتك والباء في قوله عز وجل بجذع
النخلة صلة للتأكيد كما في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وخذ الخطام وخذ
بالخطام او للالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز بجذعها او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف
وقع حالا من مفعول الهز اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك
اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتساقط باظهار التا

ئين

وتساقط بطرح التاء الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط
على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى • رطبا • على القراآت الثلث الاول مفعول و
على الست البواقي تمييز وقوله تعالى • جنيا • صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اى رطبا
مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع • فكلي واشربي
اى من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره • وقري عينا • وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك و
اهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسا
ئط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك
وقرئ بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر
الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب
والمكروه • فاما ترين من البشر احدا • اى آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج
لما بين الهمزة والياء من التآخي • فقولي • له ان استنطقك • اني نذرت للرحمن صوما • اى صمتا
وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت • فلن اكلم اليوم انسيا • اى بعد ان اخبرتكم بنذ
ري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب
تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة
الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص
قاطع في قطع الطعن • فاتت به قومها • اى جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها • تحمله
اى حاملة له • قالوا • مؤنبة لها • يا مريم لقد جئت • اى فعلت • شيئا فريا • اى عظيما بديعا منكرا من
فري الجلد اى قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب • يا اخت هرون • استئناف لتجديد
التعيير وتاكيد التوبيخ عنوا به هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت
من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اى كنت عندنا
مثله في الصلاح او شتموها به • ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا • تقرير لكون ما جاءت به فريا
منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش • فاشارت اليه • اى الى عيسى عليه السلام ان كلموه
والظاهر انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به
بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به • قالوا • منكرين لجوابها • كيف نكلم من
كان في المهد صبيا • ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض
مبهم صالح للقريب والبعيد وهو هنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة
من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما • قال • استئناف
مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام • اني عبد الله
انطقه الله عز وجل بذلك اثر ذي اثير تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى عليه السلام

زكريا عليه السلام وعن السدي رضي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي
انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال
ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • آتاني الكتاب • اى الانجيل • و
جعلني نبيا وجعلني • مع ذلك • مباركا • نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما
باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمل الله عقله
واستنباه طفلا • اينما كنت • اى حيثما كنت • واوصاني بالصلوة • اى امرني بها امرا مؤكدا • والز
كوة • زكوة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذائل • ما دمت حيا • في الدنيا • وبرا بوالدتي
عطف على مباركا اى جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بفعل
دل عليه اوصاني اى وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير
للتفخيم • ولم يجعلني جبارا شقيا • عند الله تعالى لفرط تكبره • والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا • كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على
اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من
اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى • ذلك • اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة
وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله
منزلة المشاهد المحسوس • عيسى ابن مريم • لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه
الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه • قول الحق • بالنصب على انه مصدر
مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف اى هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام
القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول
والقول والقال في معنى واحد • الذي فيه يمترون • اى يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصا
رى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب • ما كان لله • اى ما صح وما استقام له تعالى • ان يتخذ من ولد •
سبحانه • تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى • اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا شانه
كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى • وان الله ربي وربكم فاعبدوه
من تمام كلام عيسى عليه السلام قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح
الهمزة على حذف اللام اى ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا وقيل معطوف على الصلوة • هذا • اى الذي ذكرته من التوحيد • صراط مستقيم • لا يضل سالكه والفاء
في قوله تعالى • فاختلف الاحزاب من بينهم • لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب
الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله

قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله و
قالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى الله من ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية
هو عبد الله ونبيه • فويل للذين كفروا • وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا
بعلة الحكم • من مشهد يوم عظيم • اى من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة
او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم
الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وسائر اركانهم بالكفر و
الفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى حق عيسى عم وامه • اسمع بهم
وابصر • تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم • يوم ياتوننا • للحساب
والجزاء اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الاول فى موقع الرفع وعلى الثانى فى حيز النصب • لكن الظالمون اليوم • اى فى الدنيا • فى
ضلال مبين • لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير
للايذان بانهم فى ذلك ظالمون لانفسهم • وانذرهم يوم الحسرة • يتحسر الناس قاطبة اما المسئ فعلى
اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه • اذ قضى الامر • اى فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة
والنار وروى ان النبى صلى الله عم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح و
الفريقان ينظرون فينادى المنادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد
اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف
باللام يعمل فى المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف • وهم فى غفلة • اى عما يفعل بهم فى الاخرة • وهم
لا يؤمنون • وهما جملتان حاليتان من الضمير المستكن فى قوله تعالى فى ضلال مبين اى مستقرون فى
ذلك وهم فى تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤ
منين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل • انا نحن نرث الارض ومن عليها • لا يبقى لاحد غيرنا عليها
ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه • والينا يرجعون
اى يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا • واذكر • عطف على انذرهم • فى الكتاب • اى فى السورة
او فى القرآن • ابراهيم • اى اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم
فانهم ينتمون اليه عم فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح • انه كان صديقا • ملازما
للصدق فى كل ما ياتى ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله
والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عم بذلك من دواعى ذكره • نبيا • خبر آخر
لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الاية اى كان جامعا بين
الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة فى الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة

فان كل نبى صديق • اذ قال • بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا و
تعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اى كان جامعا بين الاثر
بين حين قال • لابيه • آزر متلطفا فى الدعوة مستميلا له • يا ابت • اى يا ابى فان التاء عوض من ياء الا
ضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء • لم تعبد ما لا يسمع • ثناءك عليه عند
عبادتك له وجوارك اليه • ولا يبصر • خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات و
المبصرات فيدخل فى ذلك ما ذكر دخولا اوليا • ولا يغنى • اى لا يقدر على ان يغنى • عنك شيئا • فى جلب نفع او دفع ضر ولقد
سلك عم فى دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن
المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل
عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا
تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب ونبه على ان
العاقل يجب ان يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع و
الضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق
لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له
من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الا
لهى مستقلا بالنظر السوى مصدرا للدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال • يا ابت انى قد جاءنى
من العلم ما لم ياتك • ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان فى اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان
كذلك بل ابرز نفسه فى صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال • فا
تبعنى اهدك صراطا سويا • اى مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدى الى مهاوى الردى
والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة
مستجلب لضرر عظيم فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الامر به فقال • يا ابت لا تعبد الشيطان • فان
عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذى يسولها لك ويغريك عليها وقوله • ان الشيطان كان للرحمن عصيا
تعليل لموجب النهى وتاكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذى انعم عليك بفنون النعم ولا ريب فى ان المطيع
للعاصى عاص وكل من هو عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة
التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لادم عم وذريته
فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه
وقوله • يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن • تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان
وهو ابتلاؤه بما ابتلى به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما
افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع
حلول العذاب كما فى قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم • فتكون للشيطان وليا • اى قرينا له فى اللعن المخلد

وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بأمره. قال. استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه
قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده. اراغب انت
عن آلهتي يا ابراهيم. اي معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن
الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير فيها. وقوله تعالى. لئن لم تنته لأرجمنك.
تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأر
جمنك بالحجارة وقيل باللسان. واهجرني. اي فاحذرني واتركني. مليا. اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب
مطيقا به. قال. استئناف كما سلف. سلام عليك. توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة
بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن. سأستغفر لك ربي. اي استدعيه ان
يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان
من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه واما المحظور
استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على
الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا
الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لأستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان قبل
انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما بيناه في تفسير
سورة التوبة والاستثناء عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك لا لقبح في جوازه لكن لا
لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شأن الاستغفار
بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره
بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم
فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك
انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه كليا وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء
وذلك مما لا يرتاب فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا
ويوجه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي
الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي واما جعل
الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى. انه
كان بي حفيا. اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله. واعتزلكم. اي اتباعد عنك وعن
قومك. وما تدعون من دون الله. بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي. وادعوا ربي. اعبده وحده
وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب
هب لي من الصالحين حسبما يعرب عنه السباق والسياق. عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا. خائبا ضايع

السعي وفيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الا
دب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب
وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى. فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله.
بالمهاجرة الى الشام. ووهبنا له اسحق ويعقوب. بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة
فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصا
لحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من
اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد
كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق
يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر. وكلا. اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى
جعلنا نبيا. قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا
لا بعضهم دون بعض. ووهبنا لهم من رحمتنا. هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من
باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة
لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين. وجعلنا لهم لسان صدق عليا. يفتخر
بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم
احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل و
النحل. واذكر في الكتاب موسى. قدم ذكره على ذكر اسمعيل عليه السلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلام. انه كان مخلصا.
موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا
على ان الله تعالى اخلصه. وكان رسولا نبيا. ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع كونه اخص واعلى. وناديناه من جانب الطور الايمن. الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة
للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه
منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة. وقربناه نجيا. تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك
لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل
مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم. ووهبنا له من رحمتنا. اي من اجل رحمتنا
ورأفتنا له او بعض رحمتنا. اخاه. اي معاضدة اخيه ومؤازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من
اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى
هرون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه. واذكر في الكتاب اسمعيل. فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال
الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى. انه كان صادق الوعد. تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف
لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى. وكان رسولا نبيا.

فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم السلام كانوا على شريعته
وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة • اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى
تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام اباء الامم • و
كان عند ربه مرضيا • لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة • واذكر في الكتاب
ادريس • وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام
اشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة در
استه روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب • انه كان
صديقا • ملازما للصدق في جميع احواله • نبيا • خبر اخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا • و
رفعناه مكانا عليا • هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا
كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة • روى عن كعب وغيره في سبب
رفع ادريس عم انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد
اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما
اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني
ان اخفف عنه حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له فرفعه الى السماء • اولئك
اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وهو مبتدأ وقوله تعالى • الذين انعم الله عليهم • صفته اى انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية
حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى • من النبيين • بيان للموصول وقوله تعالى • من ذرية آدم • بدل منه باعادة الجار
ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية • وممن حملنا مع
نوح • اى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عم فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح
ومن ذرية ابراهيم • وهم الباقون • واسرائيل • عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عم وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية • وممن هدينا واجتبينا
اى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى • اذا تتلى عليهم آيات الر
حمن خروا سجدا وبكيا • خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان
خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس
والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اى ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوى فاجتمع الواو
والياء فاسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر
المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع

قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق باية فيها فهنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهد
يين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخا
شعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان
اكون من المستكبرين عن امرك • فخلف من بعدهم خلف • يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر
خلف بالسكون اى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء • اضاعوا الصلوة • وقرئ الصلوات اى
تركوها او اخروها عن وقتها • واتبعوا الشهوات • من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب و
الانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور • فسوف
يلقون غيا • اى شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة
وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى • الا من تاب وآمن وعمل صالحا • يدل على ان الآية
في حق الكفرة • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للمتر
مرارا اى • فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح • يدخلون الجنة • بموجب الوعد المحتوم
وقرئ يدخلون على البناء للمفعول • ولا يظلمون شيئا • اى لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او ينقصون
شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم • جنات عدن • بدل من الجنة
بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اى هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم للمعنى
المعنى وهو الاقامة كما انه علم للمعاني الفينة وهي الت... التي انت
فيها والتحم والامس يجري لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما
اضيف اليه من الجنة بلا وصف وعند غير البصريين وصفه بقوله تعالى • التي وعد الرحمن عباده • وجعله
بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف و
التعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى • بالغيب
متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب
اى غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اى وعد
ها اياهم بسبب ايمانهم • انه كان وعده • موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا و
لما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل • مأتيا • اى يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى
فاعل وقيل مأتيا اى مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اى فعله • لا يسمعون فيها لغوا • اى فضول كلام
لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه
في هذه الدار ما امكن • الا سلاما • استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على
بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا

قالوا

استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على
ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودرو
ره والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان
ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا
من كان تقيا اي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما يبقى على الوارث مال مورثه ويمتع به والوراثة
اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا يعقبها فسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل
يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ
نورّث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه
اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان
ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع للتنزيل
وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت
الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا و
ما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون
زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به
لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ
الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما نتنزل
الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العا
ملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان
عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته الغفلة
والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته
لترتيب ما بعدها من موجب الامر على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى
غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده
آه فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال
العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة
فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء

وبلطف بك

كما في

كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من حملاته هل تعلم له سميا السمي هو الشريك في الاسم
والظاهر ان يراد به هاهنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما
بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء
من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم
وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين
مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الآلهة والمراد بالتسمية فتقرير
الجملة لوجوب العبادة ح باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الا
نسان المراد به اما الجنس بأسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف
فانه اخذ عظاما بالية ففتتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق
الانكار والاستبعاد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه
اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت
الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر او لا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة
التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شئون التكوين المنجية بالقلع عن القول
المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان من لطفه وفضله وقوله تعالى وما
كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب
عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات
والارض وما بينهما فكيف يتصور ان يحوم حول ساحته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل
من ربك والفاء في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامر على ما قبلها من كونه
تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى
فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده آه فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا
ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر
على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة
وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة
فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من حملاته
هل تعلم له سميا السمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به هاهنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى

بذلك هو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه
واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العلية لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها
تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل
المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا
وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى باستحقاق
الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في
الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس
باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ
عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعدما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق
الانكار والاستبعاد ائذا مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه
اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما
خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة
واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موضع الاضمار
لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية
بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار
التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه
من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ
شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان
نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما
يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسم باسمه عزت اسماؤه مضافا
الى ضميره عم تحقيقا للامر بالاشعار بعليته وتفخيما لشأنه عم ورفعا لمنزلته لنحشرنهم اي لنجمعن
القائلين بالسوق الى المحشر بعدما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق
البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما
بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي
ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة و
وهذا وان كان مختصا بهم لكن نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده

ثم

الى هنا تكرار

روي عن ابن مسعود رض انه عم قال ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفيه بيان الى ان الاعمال امارات لا موجبات وليست بموجبات فان المعول [illegible] في النهاية الى ما جرى به القدر في البداية

ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم
بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين
فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء و
سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها
وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم
من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل
الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون الى شاطئ جهنم جثاة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعترا
هم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شايعت دينا من الاديان ايهم اشد على
الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض
من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصا
هم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة
واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن وكذلك قرئ منصوبا ومرفوعا
عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين
يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع
على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا
وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كانه سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل
وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها او صليهم او
لى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وبالاشد عتيا رؤساؤهم الشيع فان عذابهم مضاعف
لضلالهم واضلالهم والصلى كالعتى صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان منكم التفات
لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكورين ويؤيد
الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الناس الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤ
منون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم
لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك
عنها مبعدون فالمراد الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان
اي ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه
لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو

على الركب على الوجه الذي سلف فيه قرن الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول و
قرئ ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك ننجيهم • ونذر الظالمين • بالكفر والمعاصي • فيها جثيا • منهارا بهم
كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم
حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم • وقوله تعالى • واذا تتلى عليهم • الاية الخ حكاية لما قالوا عند سماع
الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي واذا تتلى على المشركين • آياتنا • التي
من جملتها ما تليت من الآيات القاطعة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى • بينات • اي مر
تلات الالفاظ بينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة
من آياتنا • قال الذين كفروا • اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا
ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين كفروا منهم (مردوا) على الكفر ومرنوا على العتو والعناد
وهم النضر بن الحرث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى • للذين آمنوا • للتبليغ كما في مثل قوله تعالى و
قال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله
تعالى • اي الفريقين • اي المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا • خير • نحن او انتم • مقاما • اي مكانا
وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزلة • واحسن نديا • اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون
شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون
بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم
عنده اذ هو المعيار عندهم على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورة هوان المؤمنين عليه
تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله • وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم احسن اثاثا ورئيا • اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية
كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم
علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك
فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ
من قرن الدابة وهو مقدمها وهو قوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز
النسبة وهو متاع البيت وقيل ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى
كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه و
وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف وزيا بالزاء المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا • لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع
بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ

ببيان

ببيان امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين بها
على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم
اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اي يمد له
ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك
مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس
واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل و
التعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى • حتى اذا رأوا ما يوعدون
غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار التكرار لو
قوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار
لفظها وقوله تعالى • اما العذاب واما الساعة • تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب
الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من
الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى
فسيعلمون • جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي
او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ • من هو شر مكانا • من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا
يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما • واضعف جندا • اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما
كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان
منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون
بذلك في الاندية والمحافل • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى • كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين
اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة
يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية
بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن
منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى • والباقيات الصالحات خير • على تقديري
الاستيناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام
الملقن لقوله تعالى • عند ربك • اي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من
الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم • ثوابا • اي عائدة مما يتمتع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب
الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى • وخير مردا • اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد

بعلة

عكس

لهما في التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم • افرأيت الذي كفر بآياتنا • اي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فاوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين الم تر وارأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظر فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من شاهدها • وقال • مستهزئا بها مصدرا الكلام باليمين الفاجرة والله • لاوتين • في الآخرة • مالا وولدا • اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارأيت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الآية وانت خبير بان المشهور استعمال ارأيت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى • اطلع الغيب • رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اي قد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا واقسم عليه • ام اتخذ عند الرحمن عهدا • بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى • كلا • ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه • سنكتب ما يقول • اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي يتبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤوس الاشهاد باحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا • ونمد له من العذاب مدا • مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه

على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب • ونرثه • بموته • ما يقول • اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما آتيناه • ويأتينا • يوم القيامة • فردا • لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والياء بمعنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالمحال • واتخذوا من دون الله آلهة • حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى • ليكونوا لهم عزا • اي ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده • كلا • ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة • سيكفرون بعبادتهم • اي ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين يشاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى • ويكونون عليهم ضدا • على الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ • الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين • تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكيت عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاح الحق وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه

قوله تعالى • تؤزهم ازّاً • فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام
كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم ح فقيل تؤزهم اى تغريهم وتهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الازّ والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج • فلا
تعجل عليهم • اى بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهى عنه محوجة الى النهى كما فى قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى • انما نعد لهم عدّاً • تعليل لموجب النهى ببيان اقتراب هلاكهم اى لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدّاً • يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهى العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اى نجمعهم • الى الرحمن الى ربهم الذى يغمرهم برحمته الواسعة • وفداً • وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم • ونسوق المجرمين • كما تساق البهائم • الى جهنم ورداً • عطاشاً فان من يرد الماء لا يورده الا العطش او كالدواب التى ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفى ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم اى اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى • لا يملكون الشفاعة • والذى يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبنى للفاعل وعلى الثالث ينبغى ان يكون مصدرا من المبنى للمفعول وقوله تعالى • الا من اتخذ عند الرحمن عهداً • على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلى بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس فى تحصيل الايمان والتقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة وعلى الثانى استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا فى الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما • وقالوا اتخذ الرحمن ولداً • حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى • لقد جئتم شيئاً اداً • رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة

والشدة وادّنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم علىّ اى فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء وانى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى • تكاد السموات • الخ صفة لاداً او استئناف لبيان عظم شأنه فى الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير • يتفطرن منه • يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعّل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق الارض • اى وتكاد تنشق الارض • وتخر الجبال • اى تسقط وتتهدم وقوله تعالى • هدّاً • مصدر مؤكد لمحذوف وهو حال من الجبال اى تهد هدّاً او مصدر من المبنى للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اى مهدودة او مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه اداً والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها فى استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولداً • منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اى تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدّاً وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور فى منه كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف اى الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدّاً اى هدها دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعى له ولدا ومن دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادّعى الى فلان اى انتسب اليه وقوله تعالى • وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولداً • حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته فى نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز وعلا • ان كل من فى السموات والارض • اى ما منهم احد من الملائكة والثقلين • الا آتى الرحمن عبداً • الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الاصل • لقد احصاهم • اى حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته • وعدّهم عدّاً • اى عدّ اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شئ عنده بمقدار • وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً • اى كل واحد منهم آتٍ اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس فى صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات • لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين • سيجعل لهم الرحمن وداً • اى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان

الموعود من آثارها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم • اذا احب الله عبدا يقول لجبرائيل عليه السلام • احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل عليه السلام • ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض • والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامة السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتلاعن • فانما يسرناه • اي القرآن • بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين • لتبشر به المتقين • اي بعدوا لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللدجمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى • وكم اهلكنا قبلهم من قرن • وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى • هل تحس منهم من احد • استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى • او تسمع لهم ركزا • اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • طه • فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر • وحفص • ويعقوب • على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي تصدر بها السورة الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا واما الاستشهاد بقول ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ ها بصيغة الامر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما تأباه التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه

وتنزيد بعدها الالف

اما على ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في لمثل هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفي بشطر الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران انما يذكران من حيث انهما مسميان لاسميهما المعبر عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفي بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للكلمتين وان يراد باسمهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الكلمتين فالمعنى اكتفي في التلفظ بشطر الكلمتين اي الكلمتين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين يعني طأ على التقدير كونه امرا وكونه حرف نداء وها على التقدير بين كونها كناية الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسمهما فتبين البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من التقادير ليسا كلمتين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما عرفت فالحق كما سلف من انهما من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا لما بعدها من قوله تعالى • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى • فانه استئناف مسوق لتسلية صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى انه كان يقوم بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبرائيل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تشقى حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا او اسما للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتأتى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا يأباه لا ان ما بطريق الاتحاد يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة

التعب

كما اذا اريد بمعنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور
في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصور
نفيه منه اما باعتبار ذاته فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ماله ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل
عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها جزءا منه مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى • الا تذكرة • نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل
بالشقاء لما علمت بل على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتاديب الا
اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذ
كور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا لزجر الغير فان التاديب في الاول مسبب عن الاشفاق
والتاذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجوز ان يراد به
التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور
ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا لتكثير ثوابك فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى
كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لانتفاء المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه
معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انز
لنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة • لمن يخشى • وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفا
عل الفعل المعلل اي لمن من شانه ان يخشى الله عز وعلا ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن
علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها
وقوله تعالى • تنزيلا • مصدر مؤكد لمضمر مستانف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الا
ستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من الالتفات
او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله
تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق
ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائرها كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل
الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من
القرآن ولا مساغ له الا بان يكون قيدا لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف
وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى • ممن خلق الارض والسموات العلى • متعلقة
بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل
الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال
والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص
خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الآية

لاص

لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونها اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات
بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى
له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة
وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية
الى التذكر والايمان • الرحمن • رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع
مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ
ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء
الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية
السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما
بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام
رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة
الى الموصول والخبر قوله تعالى • على العرش استوى • وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم
الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة
باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر
وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن
يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير
اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى • له ما في السموات
وما في الارض • سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما • وما بينهما • من الموجودات الكائنة
في الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ذلك
ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما • وما تحت الثرى • اي ما وراء التراب وذكره مع
دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان
الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة • وان تجهر بالقول • بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء
اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى
غني عن جهرك • فانه يعلم السر واخفى • اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطر
ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سياتي و
تنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر
من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته
فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى • الله •
خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوف بها ذلك المعبود

بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى • لا اله الا هو • تحقيق
للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع
الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى • له
الاسماء الحسنى • بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسمائه وصفاته من غير
تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من
المذكر كما في مآرب اخرى وآياتنا الكبرى • وهل اتيك حديث موسى • استيناف مسوق لتقرير امر التوحيد
الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به
موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة و
الصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن
اقتحام المشاق وقوله تعالى • اذ رأى نارا • ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى نارا كان كيت
وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عليه السلام استأذن شعيبا عليهما السلام
في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى
وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق
وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو كذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من
جانب الطور • فقال لاهله امكثوا • اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه
من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة
والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان
شئت حرمت النساء سواكم • اني آنست نارا • اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس
خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر او المأمور به • لعلي آتيكم منها • اي اجيئكم من النار • بقبس •
اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المراد بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس • او اجد على
النار هدى • هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف
اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان
افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر
لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة
الآية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل
النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون
عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة

لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح
بما يوحشهم واما حال من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس
الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون • فلما اتاها • اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنه رأى شجرة خضراء
الحفت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها و
شدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف
يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا • وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب
وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع
له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا
احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل
كانت سمرة • نودي يا موسى • اي نودي فقيل يا موسى • اني انا ربك • او عومل النداء معاملة القول
لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي
انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع
كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى • باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت
وذلك لانه سماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى و
تقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس
المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة • فاخلع نعليك • امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل
في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي
بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء
لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى • انك بالوادي
المقدس • تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقد
روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي • طوى • بضم الطاء غير منون وقرئ منونا بالكسر
وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي
نداءين او قدس مرة بعد اخرى • وانا اخترتك • اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك
بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى • فاستمع • لترتيب الامر او المأمور به على ما قبلها فان اختياره
عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى • لما يوحى • متعلقة باستمع وما موصولة او
مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لما قيل من انه من باب التنازع و
اعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى • انني انا الله لا اله الا انا •
بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى • فاعبدني •

مطلب تقضي الامر بالمكث والاخبار بايناس النار

مطلب النار اربعة

لترتيب المأمور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به
عز وجل • واقم الصلوة • خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة
لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك
قوله تعالى • لذكرى • اى لتذكرني فان ذكرى كما ينبغى لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني
فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وابتغاء وجهى لا ترائى
بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لى غير ناس وقيل لذكرى اياها وامرى بها في الكتب او
لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلوتى لما روى
انه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى
بالف التأنيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى • ان الساعة آتية • تعليل لوجوب
العبادة واقامة الصلوة اى كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في
معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين • اكاد اخفيها • اى لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان
في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا ازال
خفاءه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفى من الاضداد يجئ بمعنى
الاظهار والستر وقوله تعالى • لتجزى كل نفس بما تسعى • متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها
على المعنى الاخير وما مصدرية اى لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه في
معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه
بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما
العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور به في قوة الوجوب والساعة
في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها
من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصى وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذى خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة
المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط وقد علق
بالآخرين لما ذكر من ان المقصد الاصلى من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائق انما هو ظهور
كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة والمعانى اللائقة يوجب العمل بموجبه
بحيث لا يحيد احد عن سنن المحسنين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما
التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوى
الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل
يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ حقا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل
فلا يصدنك عنها • اى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى

وان كان بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى • من لا يؤمن بها • لما مر مرارا من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن
عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان
كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عم عن الساعة لكنه في الحقيقة نهى له عم عن الانصداد عنها
على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال
للسببية من اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم الآية فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عم كان النهى
عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهى عن المسبب وارادة النهى عن
السبب على ان يراد نهيه عم عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عم كما في قوله لا ارينك
ههنا فان المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته • واتبع هواه • اى ما يهواه نفسه من اللذات
الحسية الفانية • فتردى • اى فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجى عن اهوالها مستتبع للهلاك
لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهى او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى فانت تردى • وما
تلك بيمينك يا موسى • شروع في حكاية ما كلفه عم من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون
الى خاصة نفسه فما استفهامية في محل الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق
بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اى وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في
قوله عز وجل وهذا بعلى شيخا وقيل تلك موصولة اى ما التى هى بيمينك وايا ما كان فالاستفهام ايقاظ
وتنبيه له عم على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه • قال هى عصاى •
نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عم وقرئ عصى على لغة هذيل
اتوكأ عليها • اعتمد عليها عند الاعياء والوقوف على رأس القطيع • واهش بها • اى اخبط بها الورق واسقطه
على غنمى وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة
وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اى ازجرها منحيا ومقبلا عليها • ولى
فيها مآرب اخرى • اى حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روى انه عم كان اذا سار القاها على عاتقه
فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين
على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل
بها قيل من جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا اراد كسره
لواه بالشعبتين وكأنه عم فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء
حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال
على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه من سؤال
العليم الخبير • قال • استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال

القها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه فالقاها على الارض
فاذا هي حية تسعى روى انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك
شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الا
مر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة
وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال
استئناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر
والشجر فلما راه كذلك خاف ونفر ولما كان ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار
وفي الكلام عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط و
قوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوق لتعليل الامتثال بالامر والنهي فاذا اعا
دتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان
بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد
الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان
يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع
الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او
على تقدير فعلها وايقاعه حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها
الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت
عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر
وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف اي هو حال من الضمير
في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه
روى انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر آية اخرى
اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى و
اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار
والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ ودونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق
بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى
على ان الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف
هو حال من ذلك المفعول واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه
بما دل عليه آية اي دللنا بها اه او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل
من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود

عن البرص

من

من تمهيد المقدمات اي الفه فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في
التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق
اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز
وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر
عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون
الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات
ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب
الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد
لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد
اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به و
احلل عقدة من لساني روى انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله
ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق
بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون
في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف
في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح
مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة
تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى
يفقهوا قولي جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام وعن الثاني بان
ذكر ما يدل على بقائها في الجملة اما قوله تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه
على ان افصحيته منه عليهما السلام لا تستدعي بقاء شيء منها اصلا بل تستدعي عدم البقاء لما ان الافصحية توجب
ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمعنى
باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها
لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس
بقطعي بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق
الحل به يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم
برأيه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير و
الجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو

بشأن الوزارة ولى صلة للجعل او متعلق بمحذوف وهو حال من وزيرا وهو صفة له ح

قوله تعالى هرون اخى ف‍ الاصل وبى اهلى اما صفة لوزير او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلى كما مر من الوجهين واخى فى الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل هما وزيرا من اهلى ولى تبيين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزير مبتداء ويخبر عنه بما بعده • واشدد به ازرى واشركه فى امرى • كلاهما على صيغة الدعاء اى احكم به قوتى واجعله شريكى فى امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغى وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك فى الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا • غاية للادعية الثلثة الاخيرة فان كل واحد منها من التسبيح والتذكر مع كونه مكثرا الفعل الاخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له فى نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل يكون منهما فى تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب فى اختلاف حاله فى حالتى التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الاخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا فى الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اى ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه الباغية من ادعاء الشركة فى الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كى نصلى لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك فلا يساعده المقام • انك كنت بنا بصيرا • اى عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الرده فى اداء ما امرت به والباء متعلق ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل • قال قد اوتيت سؤلك • اى اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك الخطاب وحصولها له البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك • وقوله تعالى • يا موسى • تشريف له بشرف الخطاب اثر تشريف بشرف قبول الدعاء • وقوله تعالى ولقد مننا عليك • كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اى وبالله لقد انعمنا • مرة اخرى • اى فى وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة فى الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع فى كل فرد واحد من افراد

مجردة

مجردة فصار علما فى ذلك حتى جعل معيارا لما فى معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذى وقع فيه ما سيأتى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة • وقوله تعالى • اذ اوحينا الى امك ما يوحى • ظرف لمننا والمراد بالايحاء على ان تبى فوقها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الاية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما الالهام كما فى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة فى المنام والمراد بما يوحى ما سيأتى من الامر بقذفه فى التابوت وقذفه فى البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغى ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحى وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحى اذ لا تفخيم لشأنه فى ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة فى المنام و ان فى قوله تعالى • ان اقذفيه فى التابوت • مفسرة لان الوحى من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اى بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع واما فى قوله تعالى • فاقذفيه فى اليم • فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم لا القذف بلا تابوت • فليلقه اليم بالساحل • لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف فى البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له فى ذلك • يأخذه عدو لى وعدو له • جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدى الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه فى البحر ووقوعه فى يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صورى وقيل الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطى بل ما يقابل الوسط وهو ما يلى الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه الى نهر فرعون لما روى انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا ثمه مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا صبى اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى • والقيت عليك محبة منى • كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما فى تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى محبة عظيمة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هى متعلقة بالقيت اى احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة • وقوله تعالى • ولتصنع على عينى • متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اى ليعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتى وحفظى او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداة اى ولتصنع على عينى فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اى وليكون عملك على عينى لئلا تخالف به عن امرى • اذ تمشى اختك • ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون

وما ترتب عليه من القبول والرجوع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع
على عينى اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ او
حينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سياتى من قوله فنجيناك من الغم فان
جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشىء منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت فمما لا يجوز قطعا
يوجه ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب فى ان معظم اثار القائها ظهر عند فتح التابوت
فتقول اى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعة تقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة
المضارع فى الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اى يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما
يكون بقبول ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما فى النيل لا يرتضع ثدى
امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا
فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء فى قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف
عليه ما بعدها اى فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن اى
لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان
التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هى نفس القبطى الذى استغاثه
الاسرائيلى عليه فنجيناك من الغم اى غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون
بالانجاء عنه بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه
جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز فى حجزة وبدور فى بدرة اى خلصناك مرة بعد اخرى
وهو اجمال ما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى راجلا وفقد الزاد
وقد روى ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضى الله عنهم فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد فى عام كان يقتل فيه الولد فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل
قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذى يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون
ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء فى قوله تعالى فلبثت سنين فى
اهل مدين ولا ريب فى ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه
عليه السلام فيهم دون وصوله عليه السلام اليهم الى جميع ما قاساه فى تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد
والمكاره التى كل واحد منها فتنة واى فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمانى مراحل من مصر ثم جئت
اى الى المكان الذى اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفى كلمة التراخى ايذان بان مجيئه عليه السلام
كان بعد اللتيا والتى من ضلال الطريق وتفرق الغنم فى الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر
اى تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك فى وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم
ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو راس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى

نبياء ع

تقدم

تشريف

تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التى هى تفصيل المرة الاخرى التى وقعت قبل المرة المحكية
اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسى تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون
مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تاكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة
وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه
وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة فى قوله تعالى وفتناك ونظائره
السابقة تمهيد لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل فى تحقيق معنى الاصطناع و
الاستخلاص اى اصطفيتك برسالاتى وبكلامى وقوله تعالى اذهب انت واخوك اى وليذهب
اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتى اى بمعجزاتى
التى اريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن فى كل منهما آيات شتى كما فى قوله تعالى فيه
آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية
اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده فى فمه فلا
يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها فى نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها
الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآ
يات متمسكين بها فى اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا
تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع فى ذكرى بما يليق بى من الصفات
الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالاتى والدعاء الى وقيل المعنى لا تنيا فى تبليغ رسالاتى فان
الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسيانى حيثما تقلبتما واستمدا به العون
والتاييد واعلما ان امرا من الامور لا يتاتى ولا يتسنى الا بذكرى اذهبا الى فرعون جمعهما فى
صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال فى صيغة النهى روى انه اوحى الى هرون
وهو بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر
والفاء فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر
سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تعنفا فى قولكما وقيل
القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة
ويرده ما سيجىء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس
وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا
يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكرى ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى
عقابى ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اى فقولا له لينا راجيين ان يتذكر او يخشى
وكلمة او لمنع الخلو اى باشرا الامر مباشرة من يرجوا ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد
بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة قالا

ربنا • اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول
وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكى
ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب
قد حكى لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم
في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب • اننا نخاف ان يفرط علينا • اى يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق
الخيل وقرئ يفرط من افرط اذا حمله على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على
الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب • او ان يطغى • اى يزداد طغيانا الى ان يقول في شأ
نك ما لا ينبغي لكمال جرائته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونها
لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما • قال • استئناف مبني على سؤال
ناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مقام
الى مقام آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأ
تي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله آية وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل • قال لا تخافا • اى مما توهمتما من الامرين
وقوله تعالى • انني معكما • تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة
كما ينبئ عنه قوله تعالى • اسمع وارى • اى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق
بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحا
فظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها • فأتياه • امر باتيانه الذي هو عبارة
عن الوصول اليه بعدما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما
بعده • فقولا انا رسولا ربك • امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما
ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى • فارسل معنا بني اسرائيل • لتر
تيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلا
قهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا الى الشام كما ينبئ
عنه قوله تعالى • ولا تعذبهم • اى بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة
القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور
الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال
بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين
الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه بفنون التكاليف الشرعية كما هو حكم
الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير

معهما

ذلك عنه يتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من
الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا • قد جئناك بآية من ربك • تقرير لما تضمنه الكلام السابق
من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما و
يقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب
لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان
تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت
من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات • والسلام • المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى
والملائكة وغيرهم من المسلمين • على من اتبع الهدى • بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق و
فيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى • انا قد اوحي الينا • من جهة ربنا • ان العذاب
الدنيوي والاخروي • على من كذب • اى بآياته تعالى • وتولى • اى اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف
في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه • قال • اى فرعون • بعدما اتياه وبلغاه
ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم
وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به • فمن ربكما يا موسى • لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق
حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه
اليهما لما ان المرسل لابد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول
رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار هاهنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو
المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربه اى اذا كنتما رسولي ربكما فاخبراني من
ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة و
هرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهد منه
عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعا
رة كما مر • قال • اى موسى عليه السلام مجيبا له • ربنا • مبتدأ • وقوله تعالى • الذي اعطى كل شيء خلقه • او هو
خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين
بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اى هو ربنا الذي اعطى كل
شيء من الاشياء خلقه اى صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل
شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في
الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا منها بخلاف
جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني
اما للاقتصار على الاول اى كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار مع كونه منويا
مدلولا عليه بقرينة الحال اى اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه • ثم هدى • اى الى طريق الانتفاع

في الخبث والدعارة كما

والارتفاق بما اعطاه وعرف كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما
في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء و
تسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام و
سط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم
قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى
اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى انه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل و
سائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة. قال فما بال القرون الاولى. لما شاهد اللعين ما
نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقا
لاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي
لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك
الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى
عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسا
لة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي
منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى. قال علمها عند ربي. فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها
الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول
عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب
حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين. في كتاب. اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله و
يجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح
به قوله تعالى. لا يضل ربي ولا ينسى. اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما
محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء و
اظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما تقتضي
عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة
الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق
الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات. الذي جعل لكم الارض مهدا. على ان الموصول
اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات
مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل
موضع منها مهدا لكل واحد منكم. وسلك لكم فيها سبلا. اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال
والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها
وانزل من السماء ماء. هو المطر. فاخرجنا به. اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت

الاجسام ٥

الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان
بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى ألم تر ان
الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا
فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه
يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم. ازواجا. اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران
بعضها ببعض. من نبات. بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى. شتى. اي متفرقة جمع شتيت
ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في
الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها
للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل
عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى. كلوا وارعوا انعامكم. حال من ضمير فاخرجنا
على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لا
نتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك. ان في ذلك. اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى. لآيات. للتفخيم كما
وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة
موسى وهارون عليهما السلام. لاولي النهى. جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل و
ارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الا
باطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع
انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها. منها خلقناكم. اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام
منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه
عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها
على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من
الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان
الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة. وفيها نعيدكم. بالاماتة
وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها. ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا
الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثا
نية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات
المتجددة كما مر في المرة. ولقد اريناه. حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية

ماذكره عم بجلائل نعمائه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديره بالقسم لابراز كمال العناية
بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى عم نظرا الى الظاهر لتهويل امر
الايات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اى وبالله لقد بصرنا
فرعون او عرفناه • اياتنا • حين قال لموسى عم ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين
باعتبار ما في تضاعيفهما من بدايع الامور التى كل منها اية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله
تع اذهب انت واخوك باياتى وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه
روى انه عم لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون ياموسى انشدك بالذى ارسلك الا اخذته فاخذه
فعاد عصا وروى انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون و
جعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون انشدك اه ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء
نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس تجمع عليه النظارة تعجبا من امرها
في تضاعيف كل من الايتين ايات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تع • كلها • كانه
قيل اريناه اياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر
والاشاع لعد بقية الايات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عم ما غلب السحرة على مهل فى نحو من
عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان
يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكهم من الايات
الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذى فر بثوبه او الذى انفجرت منه
العيون وكذا ان ما يعد منها الايات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عم اياها
لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عم اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على
ان ما سياتى من حمل ما اظهره عم على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل يابا اباه بينا وينطق بان
المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عم من افعاله تع الدالة على اختصاصه بالربوبية
واحكامها من جملة الايات • فكذب • موسى عم من غير تردد وتاخر مع ماشاهد في يده من الشواهد
الناطقة بصدقه جحودا وعنادا • وابى • الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات
جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تع • قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا
موسى • استيناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال
والمجئ اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدى له اى اجئتنا من مكانك الذى كنت فيه بعد
ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل

بياضا

لكونه

لكونه من محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عم بابراز ان مراده عم ليس مجرد
انجاء بنى اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى
لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عم من المعجزة الباهرة سحرا
لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عم فقال • فلنأتينك بسحر مثله • الفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك
فاجعل • بيننا وبينك موعدا • اى وعدا لما ينبئ عنه وصفه بقوله تعا • لا نخلفه • فان المناسب
لا المكان والزمان اى لا نخلف ذلك • نحن ولا انت • وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عم للاحتراز
عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعا
رضة وترتيب الالات المقابلة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عم وتوسيط كلمة
النفى بينهما للايذان بمسارعته الى عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عم ولذلك اكد النفى بتكرير حرف
وانتصاب • مكانا سوى • بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير
مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون مطابقة الجواب في قوله تعا • قال موعدكم يوم الزينة • من حيث المعنى فان
يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان
يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد
به المصدر ومعنى سوى منتصفا مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ
وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام و
انما خصه عم بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم
وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الا
شهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد • وان يحشر الناس ضحى • عطف على يوم او الزينة وقرئ
على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم
فتولى فرعون • اى انصرف عن المجلس • فجمع كيده • اى ما يكاد به من السحرة وادواتهم • ثم اتى
اى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لاى وتلعثم
وقوله تع • قال لهم موسى • اه بطريق الاستيناف المبنى على السؤال يقضى بان المترقب من احوالهم
ح والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عم من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غنى عن
التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق
النصيحة • ويلكم لا تفتروا على الله كذبا • بان تدعوا اياته التى ستظهر على يدى سحرا كما فعل فرعون
فيسحتكم • اى يستأصلكم بسببه • بعذاب • هائل لا يقادر قدره وقرئ يسحتكم من الثلاثى على لغة اهل
الحجاز والاسحات لغة بنى تميم ونجد • وقد خاب من افترى • اى على الله كائنا من كان باى وجه كان فيدخل
الافتراء المنهى عنه دخولا اوليا اه وقد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض

عدم الاخلاف وان عدم
اخلافهم

مقرر لمضمون ما قبلها • فتنازعوا • اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كأن ذلك غاظهم فتنازعوا
امرهم • الذي اريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا • بينهم • في كيفية المعارضة وتجا
ذبوا اهداب القول في ذلك • واسروا النجوى • اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما
نطق به قوله تعالى • قالوا • اي بطريق التناجي والاسرار • ان هذان لساحران • الخ فانه تفسير له و
نتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد
اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان
الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان ساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
جملة من مبتداء وخبر وفيها ان اللام لا تدخل خبر المبتداء وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة
واضحة • يريدان ان يخرجاكم من ارضكم • اي ارض مصر بالاستيلاء عليها • بسحرهما • الذي اظهراه من قبل
ويذهبا بطريقتكم المثلى • اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء
دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارا
دوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما
بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل
بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب
تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام في المناصبة
فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من
بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزيد فيه وقوله تعالى • فاجمعوا كيدكم
تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان ان
بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد
منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات
سحركم ورتبوها كما ينبغي • ثم ائتوا صفا • اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين
وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا
عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل و
قيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل
بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من
اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى

لاجتماع

لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود
واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا • قد افلح اليوم من استعلى
اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم
فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبه غلب انفسهم جميعا
على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغا
لبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة
موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قو
لهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه وجعل
قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن
ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير
قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرا لهم بالاجماع والازماع
واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم • قالوا
استيناف مبني على سؤال ناش من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا
فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا • يا موسى • وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعا
را بظهور امرهما وغناهما عن البيان • اما ان تلقي • اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره
او تفعل الالقاء اولا على اجراء الفعل مجرى اللازم • واما ان نكون اول من القى • اي ما نلقيه او
اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عليه السلام مخايل الخير ورزانة
الرأي واظهارا للجلادة بارائة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بخبرية مبتداء محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا • قال
استيناف كما سلف ناش عن حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال • بل القوا • انتم اولا مقا
بلة للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم وما
عرض لا وجموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا اقصى
وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم انما سيظهر بيده
سيلقف ما يصنعون من مكائد السحر • فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى • الفاء
فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا
فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها
لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت ان
يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطر
بت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه

بدل اشتمال وقرئ تخيل باسناده اليه وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل • فاوجس في
نفسه خيفة موسى • اى اضمر فيها بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات
والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك
كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل • قلنا لا تخف • اى ما توهمت • انك انت الاعلى •
تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه كما يعرب عنه الاستيناف و
حرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل
• والق ما في يمينك • اى عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها
وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر
افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع
آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره
وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر تبنى على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصي ما فعلت و
هي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان • وقوله تعالى • تلقف ما صنعوا • بالجزم جوابا للامر من لقفه
اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اى تبتلعه اى تبتلع ما صنعوه من الحبال
والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير
وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف
والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عم وعلوه فان
ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى
صريح في ان خوفه عم لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عم والا لعلل بما يزيله
من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عم • وقوله تعالى • انما صنعوا • الخ تعليل لقوله تعالى تلقف
ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اى ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه • كيد ساحر • بالرفع
على انه خبر لان اى كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب
على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او
على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى • ولا يفلح الساحر • اى هذا الجنس • حيث اتى • اى حيث كان واين
اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية لما في ذلك من تقوية التعليل للايذا
ن بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا للدلالة على سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليه النظم
الكريم غنية عن التصريح به لعدم احتمال تردد موسى عم في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف
الموعود اى فالقاه عم فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر
وانما هي آية من آيات الله عز وجل وروي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا

فلوكان

فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العليم
وبظهور ذلك على يد موسى عم على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا
بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة
لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطا
يانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم • قالوا • استيناف كما مر
غير مرة • آمنا برب • هرون وموسى • تاخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان
يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عم واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من
جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عم في صغره فلو قدموا موسى عم لربما توهم اللعين و
قومه من اول الامر ان مرادهم فرعون • قال • اى فرعون للسحرة • آمنتم له • اى لموسى عم واللام لتضمين
الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي • قبل ان آذن لكم • اى من غير ان آذن لكم في الايمان
له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن لهم في ذلك واقع بعد او متوقع • انه • يعني
موسى عم • لكبيركم • اى في فنكم واعلمكم به واستاذكم • الذي علمكم السحر • فتواطأتم على ما فعلتم او
فعلكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الا
يمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عم فلا عبرة بما اظهره
كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل
عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال • فلاقطعن • اى فوالله لاقطعن • ايديكم وارجلكم من خلاف •
اى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية لان القطع ابتداء من مخالفة العضو المبتدأ من
المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اى لاقطعنها مختلفات
وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر اى القطع وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة
في باب السياسة لانها افظع من غيرها • ولاصلبنكم في جذوع النخل • اى عليها وايثار كلمة في للدلالة
على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه
قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئتا بالتخفيف • ولتعلمن اينا • يريد به نفسه
وموسى عم لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى هذا اما
لقصد توضيع موسى عم والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة
المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عم حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم
فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى • اشد عذابا
وابقى • اى ادوم • قالوا • غير مكترثين بوعيده • لن نؤثرك • لن نختارك بالايمان والاتباع • على ما
جاءنا • من الله تعالى على يد موسى عم • من البينات • من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عم من العصا كان
مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها • والذي فطرنا

اى خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما فى ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه
آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلية الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون
فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون
بقوله آمنتم له قبل ان اذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اى وحق الذى فطرنا
لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن
الا على شذوذ وقوله تعالى • فاقض ما انت قاض • جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اى فاصنع ما
انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى • انما تقضى هذه الحيوة الدنيا • مع ما بعده تعليل لعدم
المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اى انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه فى هذه الحيوة
الدنيا فحسب وما لنا من رغبة فى عذبها ولا رهبة من عذابها • انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا • التى
اقترفناها من الكفر والمعاصى ولا يؤاخذنا بها فى الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى
نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى • وما اكرهتنا عليه من السحر • عطف على خطايانا
اى وليغفر لنا السحر الذى عملناه فى معارضة موسى عم باكراهك وحشرك ايانا من المداين القاصية
خصوه بالذكر مع اندراجه فى خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم فى مغفرته وذكر الاكراه
للايذان بانه مما يوجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب
المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعليم السحر حيث روى ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم
من القبط والبقية من بنى اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعليم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث
روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر
اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه
قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون • والله خير • اى فى حد
ذاته وهو ناظر الى قولهم والذى فطرنا • وابقى • اى جزاء ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا
وقوله تعالى • انه • الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما
ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه
ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم
له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا
اى وقوله تعالى • من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصى • فان له جهنم لا يموت فيها • فينتهى عذابه
وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى • ولا يحيى • حيوة ينتفع بها • ومن يأته • مؤمنا به تعالى وبما جاء من
عنده من المعجزات التى من جملتها ما شاهدناه • قد عمل الصالحات • الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم
ولذلك لا يذكر غالبا مع الموصوف وهى كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل • فاولئك
• اشارة الى من والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما

فيه

فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات
لهم • بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة • الدرجات العلى • اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم
اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح فى استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة
هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهذا التشاجر لا فيه • جنات عدن • بدل من الدرجات
العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى • تجرى من تحتها الانهار • حال من
الجنات وقوله تعالى • خالدين فيها • حال من الضمير فى لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك
اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم • جزاء من تزكى •
اى تطهر من دنس الكفر والمعاصى بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه
تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله
اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا
ليس فى القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت فى الاخبار • ولقد اوحينا الى
موسى • حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى فى البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات
المفصلات الظاهرة على يد موسى عم بعد ما غلب السحرة فى نحو من عشرين سنة حسبما فصل فى الاعراف وتصدير
ها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان فى قوله تعالى • ان اسر بعبادى • اما مفسرة لان الوحى فيه معنى
القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عبادا له تعالى لاظهار الرحمة والاعتناء
بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون
الظلم ما فعل اى وبالله لقد اوحينا اليه عم ان اسر بعبادى الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فر
عون اى سر بهم من مصر ليلا • فاضرب لهم • اى فاجعل او فاتخذ لهم • طريقا فى البحر يبسا • اى يابسا
على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف هو كصعب
او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط • لا تخاف دركا • حال
من المامور اى امنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعايد محذوف وقرئ لا تخف جوابا
للامر • ولا تخشى • عطف على لا تخاف داخل فى حكمه اى ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استيناف
اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم
نفى الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون • فاتبعهم
فرعون بجنوده • اى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اى تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم و
يؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى
وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اى ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن
مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عم الى الامتثال بالامر اى ففعل
ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روى ان موسى عم خرج

بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته
سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراأى الجمعان فعند ذلك ضرب عم بعصاه البحر فانفلق
على اثني عشر فرقا كل فرقة كالطود العظيم فعبر موسى عم بمن معه من الاسباط سالمين واتبعهم فر
عون بجنوده • فغشيهم من اليم ما غشيهم • اى علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذى
لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذلك فان مدار التهويل والتفخيم خرو
جه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اى غطاهم ما
غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذى ورطهم للتهلكة و
بابائه المظاهر فى قوله تع • واضل فرعون قومه • اى سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران
فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوى المتصل بالعذاب الخالد
الاخروى وقوله تع • وما هدى • اى ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب
الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه
نوع تهكم به فى قوله تع وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية من شخص مشعر بكونه ممن
يتصور منه الهداية فى الجملة وذلك انما يتصور فى حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية
على ما يختص بالدين يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك الدنيوى وجعلهما عبا
رة عن الاضلال فى البحر والانجاء منه مما لا يليق بالعقل السليم • يا بنى اسرائيل • حكاية لما خاطبهم
الله تع بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من
فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم فى عهد النبى
صلى الله عم على معنى انه تع قد من عليهم بما فعل بابائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتى من قوله
تع وما اعجلك الاية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على
اوحينا اى وقلنا يا بنى اسرائيل • قد انجيناكم من عدوكم • فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوا
ئل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم • وواعدنا
كم جانب الطور الايمن • بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اى واعدناكم بواسطة
نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اى اتيان موسى عم للمناجاة وانزال
التورية عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عم نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها
اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما فى قوله تع ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق
والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو ادم عم وقرئ وواعدتكم ووعدناكم
ونزلنا عليكم المن والسلوى • اى الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المن وهم فى التيه مثل
الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما
يكفيه كما مر مرارا • كلوا • جملة مستانفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم • من

طيبات

طيبات ما رزقناكم • اى من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفى البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية
ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى • ولا تطغوا فيه • اى فيما رزقناكم بالاخلال
بشكره والتعدى لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق • فيحل عليكم غضبى • جواب للنهى
اى فيلزمكم عقوبتى وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه • ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى •
اى تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اى نزل • وانى لغفار
لمن تاب • من الشرك والمعاصى التى من جملتها الطغيان فيما ذكر • وامن • بما يجب الايمان به
وعمل صالحا • اى عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع به الطغيان فيما ذكر
وحث على التوبة والايمان وقوله تع • ثم اهتدى • اى استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه
بمعزل من الغفران وثم للتراخى الرتبى • وما اعجلك عن قومك يا موسى • حكاية لما جرى بينه تع وبين موسى
عم من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة اى وقلنا له اى شئ اعجلك منفردا
عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه عن النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما فى ذلك
بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه
لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عم لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولى العزم ولذلك
اجاب عم بنفى الانفراد المنافى للاستصحاب والمعية قال • هم اولاء على اثرى • يعنى انهم معى وانما
سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب فان ذلك مما لا
يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عم ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضى حيث
قال • وعجلت اليك رب لترضى • عنى بمسارعتى الى الامتثال بامرك واعتنائى بالوفاء بعهدك
وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة فى قبول العذر • قال • استئناف مبنى على سؤال
نشأ من حكاية اعتذاره هو السر فى وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة
لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه
حينئذ فقيل قال • فانا قد فتنا قومك • من بعدك اى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من
بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عم وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر
الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عم بعجلته لكن لا لان الاخبار
بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الاخر
من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روى انهم اقاموا على ما وصى به موسى عم عشرين
ولا اثر • واضلهم السامرى • حيث كان هو المدبر فى الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عم ميعا
دكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تع بوقوع هذه
الفتنة عند قدومه اما باعتبار تحققها فى علمه تع ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالوا
قع كما فى قوله تع ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامرى كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند

ليلة بعد ذهابه فحسبوا ايامها اربعين
وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عم
عين صح

ذهاب بهم وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم
السامري على صيغة التفضيل اى اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني
اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر • فرجع موسى الى قومه • عند رجوعه المعهود
اى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها
انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى • غضبان اسفا • لا باعتبار نفسه وان كان داخلا عليه
حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة
كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان
المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار
نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين • قال • استيناف مبني على سؤال ناشئ من
حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال • يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا • بان
يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ
وجه واكده اى وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله • افطال عليكم العهد • اى الزمان
للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اى اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه • ام اردتم ان يحل • اى يجب • عليكم غضب • شديد لا يقادر قدره كائن
من ربكم • اى من مالك امركم على الاطلاق • فاخلفتم موعدي • اى وعدكم اياي بالثبات على ما
امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان
اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم
والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول
العهد فاخلفتموه خطاء ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى
فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اى فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما
لا يساعده السباق ولا السياق اصلا • قالوا ما اخلفنا موعدك • اى وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به
وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا • بملكنا • اى بان ملكنا امورنا
يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفنا
وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشئ • ولكنا حملنا اوزارا من زينة
القوم • استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطاء وقرئ حملنا بالتخفيف اى
حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعا
روها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن

الغنائم تحل لهم • فقذفناها • اى في النار رجاء للخلاص عن ذنبها • فكذلك • اى ومثل ذلك القذف
القى السامري • اى ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على
زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم
لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا • فاخرج • اى السامري
لهم • للقائلين • عجلا • من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر
مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم فان قوله تعالى • جسدا • اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح • له • بدل منه وقوله
تعالى • خوار • اى صوت عجل نعت له • فقالوا • اى السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى
فنسي اى غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى
قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل
على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل لا للبعض فقط خلاف الظاهر
مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج و
الخطاب لهم مما يهون مخالفة للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من
ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل قولهم بنوا
فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه بل
تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على قرعهم
عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى
افلا يرون • الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا
عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه آلها والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى الا يتفكرون فلا يعلمون • الا يرجع اليهم قولا • اى انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد
عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا
تقع بعد افعال اليقين اى الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار
بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اى افلا يرون انه لا يقدر على
ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه و
لقد قال لهم هرون من قبل • جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم
على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر
من قبل رجوع موسى اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه اول
ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم • يا قوم انما فتنتم به • اى

او وقعهم في الفتنة بالعجل او اضلالهم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس
الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا
الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على
انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء با
ستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق
للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون
الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا
عبادة ما عرفتم شانه قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على العجل عبادته عاكفين
مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على
طريق الوعد بتركها عند رجوعه بل بطريق التعليل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع
بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روى انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا
وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين
كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام لهرون حين سمع جوابهم
له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته وراسه يا هرون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء
ان لا تتبعن اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في اذا اي اي شيء منعك حين
رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني
فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفا
رقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح هرون عليه السلام حيث لم يزجرهم فمفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار
بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن
ذلك بمعزل عن حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام افعصيت
امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما
حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للا
نكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري
قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه
لام فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي روى انه عليه السلام اخذ
شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم
يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الخ استئناف سيق لتعليل موجب

النهى

النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت
بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برايك مع كونهم ابناء واحد
كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق
الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي واصلح اي اني رايت
ان الاصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيتك لتكون انت المتدارك
للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار
القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي
من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شانهم فما خطبك يا سامري
اي ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به
وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا
له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على
الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رايت ما لم
يروه وهو الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم
ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب
ما يتفق وقد كان راى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق
اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت
قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك
ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار
الالهية تاكيدا لما صدر عنه من مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذ والقبضة المرة من القبض اطلقت على
المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد
المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي
المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ وقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف و
التقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف
مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين
البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا شيئا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض
اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند
ذلك قال له موسى فاذهب اي من بين الناس وقوله تعالى فان لك في الحياة الخ تعليل لموجب الامر وفي معلقه

بالاستقرار فى ذلك اى ثابت لك فى الحيوة او بالمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف
المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى لا بقوله تعالى . ان تقول لا مساس . لمكان ان اى ثابت لك
كائنا فى الحيوة اى مدة حيوتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب
الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حما
من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته
ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش
من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم و
قرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة
التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملا
بسته سببا للحمى التى هى من اسباب موت الاحياء . وان لك موعدا . اى فى الاخرة . لن تخلفه . اى لن
يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من
اخلفت الوعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى . وانظر الى الهك الذى ظلت
عليه عاكفا . اى ظللت مقيما على عبادته فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة
اللام اليها . لنحرقنه . جواب قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة . لنحرقنه . من الاحراق وقيل بالمبرد
على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه . ثم لننسفنه . اى لنذرينه وقرئ بضم
السين . فى اليم . رمادا او مبرودا كانه هباء . نسفا . بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك
كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره وعن المؤكد باليمين . انما الهكم
الله . استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى
انما معبودكم المستحق للعبادة الله . الذى لا اله . فى الوجود لشىء من الاشياء . الا هو . وحده من غير
ان يشاركه شىء من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو
الرحمن رب العرش وقوله تعالى . وسع كل شىء علما . اى وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة
كانه قيل انما الهكم الذى وسع كل شىء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ
وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة و
بنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شىء وبه
تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى . كذلك نقص عليك
كلام مستأنف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم
السابقة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته و
بعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك . من انباء
ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم

للقصر

للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن فى قوله تعالى من انباء فى حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار
مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك اى جمع دون
ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او شيئا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه فى
تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آه وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر اى مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصصا غيره تبصرة
لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك . وقد آتيناك من لدنا ذكرا . اى كتابا
منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآ
تيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة فى الجملة كون المؤتى
من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع
ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم . من اعرض عنه .
عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية
او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا . فانه . اى المعرض عنه . يحمل يوم القيمة وزرا . اى عقوبة
ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الا
نسب بما سيأتى من تسميتها حملا وقوله تعالى . خالدين فيه . اى فى الوزر او فى احتماله المستمر حال من المستكن
فى يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود فى النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق
من الضماير الثلثة بالنظر الى لفظها . وساء لهم يوم القيمة حملا . اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره
حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما فى هيت لك كانه لما قيل ساء
قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر . يوم ينفخ فى الصور
بدل من يوم القيامة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة
عن حصره وبيانه حسبما مر فى تفسير قوله تعالى يوم يجمع الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
وقد قرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز و
جل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته . ونحشر المجرمين يومئذ . اى يوم ينفخ فى الصور وذكر
صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون . زرقا . حال كونهم زرق
العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين
كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو الكبير اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او
عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى . يتخافتون بينهم . اى يخفضون اصواتهم ويخفونها لما
يملأ صدورهم من الرعب والهول استيناف ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من
المجرمين اى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة . ان لبثتم . فى الدنيا . الا عشرا . اى عشر ليال

استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا
الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في
القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه
من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا
قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والانجاء لهم اخفظ من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام
النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها . نحن اعلم بما يقولون . وهو مدة لبثهم . اذ يقول
امثلهم طريقة . اي اعدلهم رأيا او عملا . ان لبثتم الا يوما . ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاع
منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول . ويسألونك عن الجبال . اي
عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريقة الاستهزاء . فقل ينسفها ربي نسفا
اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين . فيذرها
الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها اي فيذر ما انبسط
منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها
بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل . قاعا صفصفا . لان الجبال اذا
سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل
وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض
المستوية الملساء كان اجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب
او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى
لا ترى فيها . اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل . عوجا . بكسر العين اي اعوجاجا ما
كانه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا يدرك ان تأملت بالمقاييس الهندسية . ولا امتا . اي نتوا
يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل
احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم . يومئذ . اي يوم
اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى . يتبعون الداعي . وقيل بدل
من يوم القيامة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس
عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم
المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه . لا عوج له . لا يعوج له مدعو ولا يعدل
عنه . وخشعت الاصوات للرحمن . اي خفضت لمهابته . فلا تسمع الا همسا . اي صوتا خفيا ومنه
الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر . يومئذ . اي
يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة . لا تنفع الشفاعة . من الشفعاء احدا . الا من اذن له الرحمن . ان

يشفع

يشفع له . ورضي له قولا . اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من
عداه فلا يكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا
تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا يميل اليه لما ان حكم الشفاعة
ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم
امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة
فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها . يعلم ما بين ايديهم . اي ما تقدمهم من الاحوال
وقيل من امر الدنيا . وما خلفهم . وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة . ولا يحيطون به علما . اي لا يحيط
علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه . وعنت الوجوه للحي القيوم
اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى . وقد خاب من حمل ظلما . قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من
اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا او
قيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من
حمل منهم ظلما فقوله تعالى . ومن يعمل من الصالحات . الخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى
وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات
على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق . وهو مؤمن . فان الايمان شرط في صحة
الطاعات وقبول الحسنات . فلا يخاف ظلما . اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد . ولا هضما . ولا كسرا
منه بنقص اولا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف
على النهي . وكذلك . عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة
للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اي مثل ذلك الانزال . انزلناه . اي القرآن
كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان
قرآنا عربيا . ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من
عند خلاق القوى والقدر . وصرفنا فيه من الوعيد . اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد
حسبما اشير اليه آنفا . لعلهم يتقون . اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل . او يحدث لهم ذكرا .
اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء . فتعالى الله . استعظام له تعالى وللشؤون التي يصرف
عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلو
قين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله . الملك . النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى

وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان
يقضى اليك اى يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبرائيل عليهما السلام الوحى
يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق
الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة
عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اى في نفسك رب زدني
علما اى اسأل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهى عن
تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في
صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في
القرآن وبيان ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في
قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه
اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اى واقسم او
بالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل هذا الزمان فنسى اى العهد ولم يعتن
به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسى عنه وقرئ فنسى اى نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأى وثبات
قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره
من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبى صلى الله عليه وسلم لو
زنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه
اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمى فله عزما مفعولاه قدم الثانى على الا
ول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول
وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما
وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان
عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم اى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق
الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت
مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهانى و
لان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجو
داتها الغيبية اى اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا
الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الا
خبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى والتكبر ومفعول ابى اما محذوف اى ابى السجود
كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوى رأسا بتنزيله منزلة اللازم اى فعل الاباء

واظهره

واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذى رأيت ما فعل عدو لك ولزو
جك فلا يخرجنكما اى لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب
الشيطان الى اخراجهما من الجنة بالطريق البرهانى كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب
النهى على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهى واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق
الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل
وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادى المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهى فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما
يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادى البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدى الى الخروج عنها
والعدول عن التصريح بان له فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس
البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفى نقائضها التى هى
الجوع والعطش والعرى والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التى
حذره عنها ليبالغ في التحامى عن السبب المؤدى اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع
بجميع ما فيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها
رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن
للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والرى و
الكسوة والكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر
كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه
افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظماء عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة
وكذا حال العرى والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفى كل واحد من تلك الا
مور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظماء لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع
بين العرى والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفى كل من الامور المذكورة مقصود
بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفى بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفى بعض آخر كما عسى يتوهم
لو جمع بين من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع
الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها
خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفى التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط
التحقيق فيما في حيزهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل
واحد من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها
ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابى او السلبى فان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول
كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما

للمكسورة لتحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول
المفتوحة حتى لم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجز ان يقال ان ان زيدا قائم
حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الا
جتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل
وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق
لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري و
عدم الظماء خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عدم الظماء والضحو مطلقا كما فعل مثله في
المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض
ان المفيد له كانه قيل ان لك فيها عدم ظماءك على التحقيق • فوسوس اليه الشيطان • اى انهى اليه و
سوسته او اسرها اليه • قال • اما بدل من وسوس او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء منه كانه قيل فماذا
قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اى شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء
كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين • وملك لا يبلى
اى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه • فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما • قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا
عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما • وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
قد مر تفسيره في سورة الاعراف • وعصى آدم ربه • بما ذكر من اكل الشجرة • فغوى • اى ضل عن مطلوبه
الذي هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل
اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عم بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولا
ده عن امثالها • ثم اجتباه ربه • اى اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى
الشيء بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعه او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت واصل الكلمة الجمع.
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف له عم • فتاب عليه • اى قبل توبته
حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وافراده عم بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه • وهدى • اى الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب
العصمة • قال • استيناف مبني على سؤال نشاء من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا
امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته • اهبطا منها جميعا • اى انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى • بعضكم لبعض
عدو • حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشاء الاولاد اى متعا
دين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب • فاما يأتينكم مني هدى • من كتاب ورسول • فمن اتبع
هداي • وضع الظاهر موضع الضمير مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب
اتباعه • فلا يضل • في الدنيا • ولا يشقى في الآخرة • ومن اعرض عن ذكري • اى عن الهدى الذاكر لي
والداعي الي • فان له في الدنيا معيشة ضنكا • ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر و

المؤنث

المؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو
متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى
بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل
القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب آمنوا الى قوله تعالى
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر • ونحشره
وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط
يوم القيمة اعمى • فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
لا اعمى عن الحجة كما قيل • قال • استيناف كما مر • رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا • وقرئ
اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف • قال
كذلك • اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسره بقوله تعالى • اتتك آياتنا • واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد
فنسيتها • اى عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا • وكذلك • اى ومثل ذلك النسيان الذي
كنت فعلته في الدنيا • اليوم تنسى • تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء
الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب و
كذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا • وكذلك • اى مثل ذلك الجزاء
الموافق للجناية • نجزي من اسرف • بالانهماك في الشهوات • ولم يؤمن بآيات ربه • بل كذبها واعرض عنها
ولعذاب الآخرة • على الاطلاق او عذاب النار • اشد وابقى • اى من ضنك العيش او منه ومن الحشر
على العمى • افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون • كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى و
كذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واسناد الهداية
باللام اما لتنزيله منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما
كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز
وعلا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز
وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او
مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى
لهم الهداية • ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى
يمشون في مساكنهم • حال من القرون او من مفعول اهلكنا هم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم
او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم اهلكنا للقرون الماضية من اصحاب
الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لا
ثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك

قيل بطريق الالتفات
ثم كم اهلكنا الخ بيانا
لتلك الهداية ح

المشي

وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي. ان في ذلك. تعليل للانكار وتقرير للهداية
مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا آه وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه. لآيات. كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على
الحق فاذا هو هاد واي هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم. لاولي النهى. لذوي العقول النا
هية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من
فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى. ولولا كلمة سبقت
من ربك. كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم
مثل ما اصاب القرون المهلكة اي لولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى
الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه. لكان. عقاب جناياتهم. لزاما. اي لازما لهؤلاء الكفرة
بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه عم كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة او فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط
لزومه كما يقال لزاز خصم. واجل مسمى. عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار
باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
وكان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود
واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل. فاصبر على ما يقولون. اي اذا كان الامر
على ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من
كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر. وسبح. ملتبسا. بحمد ربك
اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه عما ينسبونه اليه مما لا
يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر
المناسب لقوله تعالى. قبل طلوع الشمس. آه فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر. و
قبل غروبها. يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى
قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر. ومن آناء الليل. اي من ساعاته جمع اني بالكسر والقصر
وآناء بالفتح والمد. فسبح. اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصا
صهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق
ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا. واطراف النهار. تكرير لصلوتي
الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس كقول من قال
ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية

اللزاز
الالجاء والاضطرار

تنزيلا للفصل بالخبر
منزلة التاكيد اي لكان
الاخذ العاجل واجل مسمى
لازمين لهم

بالتطوع

النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار. لعلك ترضى
متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة
البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك. ولا تمدن عينيك. اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة و
الميل. الى ما متعنا به. من زخارف الدنيا وقوله تعالى. ازواجا منهم. اي اصنافا من الكفرة
مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي الذي
متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف المو
صوف كما مر مرارا. زهرة الحيوة الدنيا. منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او بتضمين
معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة
وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد. لنفتنهم فيه. متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه
ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او
لنعذبهم في الآخرة بسببه. ورزق ربك. اي ما ادخر لك في الآخرة او رزقك في الدنيا والآخرة من النبوة
والهدى. خير. مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون
الغائلة بخلاف ما منحوه. وابقى. فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا. و
أمر اهلك بالصلوة. امر عليه السلام بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر هو
بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب
الثروة. واصطبر عليها. وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش. لا نسألك رزقا. اي لا نكلفك ان
ترزق نفسك ولا اهلك. نحن نرزقك واياهم. ففرغ بالك لامر الآخرة. والعاقبة. الحميدة
للتقوى. اي لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر
هو التقوى روي انه عم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية. وقالوا
لولا يأتينا بآية من ربه. حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عم بالصبر عليها اي هلا يأتينا بآية
تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها بالغوا في المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شا
هدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء
وقوله تعالى. اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى. اي التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من
جهته عز وجل لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن
الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي
النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو
اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امي لم يمارس
شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع وجوده

الاخرة

اي اهل

وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية
اى شاهدا بحقية ما فيها من العقايد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبحقية
ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما لا
يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه
ماتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم ياتهم الآيات ولم تاتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى
تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر
الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم ياتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا
قوله تعالى • ولو انا اهلكناهم بعذاب • الى آخر الآية جملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها
من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم
في الدنيا بعذاب مستاصل • من قبله • متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اى بعذاب
كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم • لقالوا • اى يوم القيمة • ربنا لولا ارسلت الينا
في الدنيا • رسولا • مع كتاب • فنتبع آياتك • التي جاءنا بها من قبل ان نذل • بالعذاب في الدنيا
ونخزى • بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء • قل • لاولئك الكفرة المتمردين • كل • اى كل
منا ومنكم • متربص • منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم • فتربصوا • وقرئ فتمتعوا • فستعلمون
عن قريب • من اصحاب الصراط السوي • اى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد وقرئ
السوء والسوى والسوي تصغير السوء • ومن اهتدى • من الضلالة ومن في الموضعين
استفهامية محلها الرفع بالابتدائية خبرهما ما بعدهما سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله
ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فيكون معطوفا على محل الجملة
الاستفهامية المعلق عليها العلم على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط
وقيل العايد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من
القرآن الا سورة طه ويس • بسم الله الرحمن الرحيم • اقترب للناس حسابهم • مناسبة
هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله
عنه المراد بالناس المشركون وهو الذي يقتضيه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقتراب الساعة
واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال
الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة
بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروع فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر

مما

مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب لما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين
مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف
فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام
بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم
السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس
بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره
بشيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده
عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار
بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب
فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه
نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين
اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت
حتما وانما اعتبر في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظايره من الادلة في على الحدوث واما الثالث
فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر • وهم في غفلة • اى في غفلة تامة منه ساهون
عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان
الاعمال لا بد لها من الجزاء • معرضون • اى عن الآيات والنذر المنبهة لهم من سنة الغفلة وكلاهما خبران
للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الا
عراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون • ما ياتيهم من ذكر
من طايفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن
في قوله تعالى • من ربهم • لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان
ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع
محدث • بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اى محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى
الا استمعوه • استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف
المشهور وقوله تعالى • وهم يلعبون • حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى • لاهية قلوبهم • اما حال
اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم
اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم
وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر
واسروا النجوى • كلام مستانف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى

لهم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي
بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى • الذين ظلموا • بدل من واو واسروا منبئ عن كونهم موصو
فين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا
النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى
• هل هذا الا بشر مثلكم • الخ في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه
قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من
النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى • افتأتون السحر • للانكار والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى • وانتم تبصرون • حال من فاعل تأتون مقررة للانكار
ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر تعلمون ذلك فتأتونه وتحضرو
نه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزا
ئغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذهلوا
عن ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون
وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات
المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون • قال ربي يعلم القول في
السماء والارض • حكاية من جهته تعالى لما قال عليه السلام بعد ما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم
وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالكل على النهج البرهاني
مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا
كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول
اي كائنا في السماء والارض • وهو السميع العليم • اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها
ما اسروه من النجوى فيجازيهم باحوالهم واقوالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن
للوعيد • بل قالوا اضغاث احلام • اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى
حكاية قول آخر مضطرب في مطارب البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا
الا بشر وفي حق ما ظهر على يديه من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه
فقالوا • بل افتراه • من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا • بل هو شاعر
وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد
بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث
من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام
مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والا
عنه ان بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كأنه قيل واسروا النجوى قالوا

هل

هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وانما صرح بقالوا لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
امثاله • فليأتنا بآية • جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا
من الله تعالى فليأتنا بآية • كما ارسل الاولون • اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا و
نظائرها حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف
منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الا
ولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال
ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه
لكن ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك
في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام • ما آمنت قبلهم من قرية • كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم
فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث
عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم
قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم الخالية على ان المقترحين اذا اعطوا ما
اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة
لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة
لتأكيد العموم وقوله تعالى • اهلكناها • اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات
صفة لقرية والهمزة في قوله • افهم يؤمنون • لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته
الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم
المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا و
اعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الا
عتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضا
ئها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل • وما ارسلنا قبلك الا رجالا • جواب لقولهم هل هذا
الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم
مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين وانما قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية و
لانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأ
تيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين فلما
في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والجواب انما اتخذوه سببا للتكذيب موجب
للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من
استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم

الملكية

للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا
من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى • نوحي اليهم • استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى ما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الا
رجالا مخصوصين من افراد الجنس متأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي
من الشرائع والاحكام وغيرها من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي
وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى
تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان
ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة
المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى • فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون • تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير
اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقائق
الانيقة واما الوقوف عليها بالاخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا ايها الجهلة
اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهتكم امروا بذلك
لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم و
يشاورونهم في امره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى
• وما جعلناهم جسدا • بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية
اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول
ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك
ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوضة وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار
مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير انتهى وقيل بتقدير
المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى • لا يأكلون الطعام • صفة له اي ما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل
والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه • وما كانوا خالدين • لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة
وفي ايثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم
الآية لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون
انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة
ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة
مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا

الرسول

الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى • ثم صدقناهم الوعد • عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار
التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي
باهلاك اعدائهم • فانجيناهم ومن نشاء • من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو
او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال • واهلكنا المسرفين • اي المجاوزين
للحدود في الكفر والمعاصي • لقد انزلنا اليكم • كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم
الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة
اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر
الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وقد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين
في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش • كتابا • عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى
• فيه ذكركم • صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار مستجلب لهم
منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم
ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق
النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى • افلا تعقلون • انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر
الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون
شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى • وكم قصمنا من قرية • نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا
المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب
على انه مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور
وازالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى • كانت ظالمة
في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل
قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم • وانشأنا بعدها • اي بعد اهلاك اهلها • قوما آخرين •
اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في
تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى • فلما احسوا بأسنا • اي ادركوا عذابنا
الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس • اذا هم منها يركضون • يهربون مسرعين راكضين دوابهم
او مشبهين بهم في فرط الاسراع • لا تركضوا • اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن
ثم من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا • وارجعوا الى ما اترفتم فيه • من التنعم والتلذذ
والاتراف ابطار النعمة • ومساكنكم • التي كنتم تفتخرون بها • لعلكم تسألون • تقصدون للسؤال والتشاور
والتدبير في المهمات والنوازل او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم
رئاء او بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب

او تعذبون او اذا رأيتم مساكنكم خالية وتسألون اين اصحابها او يسألكم الوافد الكم
على صح صح

يا ويلنا اي هلاكنا • انا كنا ظالمين • اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستيجابهم
للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك • فما زالت تلك دعواهم • اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة
وتسميتها دعوى اي دعوة لان المولول كانه يدعو الويل قائلا فهذا اوانك • حتى جعلناهم حصيدا
اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع • خامدين • اي ميتين من خمدت النار
اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا
او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد • وما خلقنا السماء والارض • اشارة
اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات
الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك
الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين باثارهم ذنوبا مثل ذنو
بهم اي ما خلقناهما • وما بينهما • من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها
واحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب
واللهو حيث قيل • لاعبين • لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب
احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق
به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى • لو اردنا ان نتخذ لهوا • استئناف
مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب • لاتخذناه • من لدنا
اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة
كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته
الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى • ان كنا فاعلين • جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا
فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا
لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو
الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده • بل نقذف بالحق على الباطل
اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته
الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما
سيأتي من الوعيد • فيدمغه • اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على
الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر
الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك

وقرئ

اللهو

لمنافاته

٦٠

وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم • فاذا هو زاهق • اي ذاهب بالكلية وفي
اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الا
صل • ولكم الويل مما تصفون • وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن
تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بالمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما
مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق
بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به • وله من في السموات
والارض • استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق
ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا
واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا • ومن عنده • وهم الملائكة عليهم
السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده
منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدا خبره • لا يستكبرون عن عبادته • اي لا يتعظمون
عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا • ولا يستحسرون • ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة
عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون
لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام
للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في
الجملة وقيل ومن عنده معطوف على من الاول وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض
للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال من الثانية • يسبحون الليل و
النهار • اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله
كانه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله
تعالى • لا يفترون • اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر • ام اتخذوا آلهة • حكاية لجناية
اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق وبيان انه
تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطا
عته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد و
معنى الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى • من الارض • متعلق باتخذوا
او بمحذوف هو صفة لآلهة واياما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى • هم ينشرون • اي يبعثون
الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع
لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها
وهي آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها
الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على

بكمال مباينة حالهم للآثار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى أفي الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزءون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز
ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة
بحيث ادعوا لهم الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين للاصل الانشار • لو كان فيهما آلهة
الا الله • ابطال لتعدد الآلهة باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار
اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انه صفة لآلهة
ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته على ان الفساد
لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير
موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل • لفسدتا • لبطلتا بما
فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على
الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا او تبديلا وايجادا او اعداما واحياء واماتة فبقاؤهما
على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما
بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه
اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد
الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا
وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى • فسبحان الله • لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها
ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط
لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
رب العرش • صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل • عما يصفون • متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما
يصفونه من ان يكون من دونه آلهة • لا يسأل عما يفعل • استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته و
عزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان
ان ليس له شريك في الالوهية • وهم • اي العباد • يسألون • عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون
له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة • ام اتخذوا من دونه آلهة • اضراب وانتقال من اظهار بطلان
كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار
واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الآلهة على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار
بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم
بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة

حطارت

باتخذوا

باتخذوا والمعنى بل اتخذوا من دونه آلهة مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية
آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية • قل • لهم بطريق التبكيت والقام الحجر
هاتوا برهانكم • على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية
لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب
من التهكم بهم وقوله تعالى • هذا ذكر من معي وذكر من قبلي • انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت
به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البر
هان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي
ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا الكتاب انزل
على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها وانظروا
هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم
وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف
كقبل وبعد وقوله تعالى • بل اكثرهم لا يعلمون • الحق • اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال
من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل
فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل • فهم • لاجل ذلك • معرضون • اي
مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان
كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية وقرئ الحق بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تاكيدا للسببية وقوله تعالى • وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما
نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا
للمفعول واياما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي • وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا • حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر
بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى
ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك
والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز
كمال شناعة مقالتهم الباطلة • سبحانه • اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر
من سبح اي بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح هو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله
تعالى • بل عباد • اضراب وابطال لما قالوه كأنه قيل ليس الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى
مكرمون • مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى
لا يسبقونه بالقول • صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولونه

شيئا حتى يقوله تعالى اويأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تع فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تع
تنزيلا لسبق قولهم تع منزلة سبقهم اياه تع لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان
السبق المعترض للذين يقولون ما لا يقوله الله تع وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام
عن الاضافة للاختصار والتجافى عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقه فسبقه اسبقه
وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله تع فقد تصدى لمغالبته تع فى السبق والعياذ
بالله تع وزيادة تنزيه لهم عما نفى عنهم لبيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدو
ره عنهم • وهم بامره يعملون • بيان لتبعيتهم له تع فى الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تع فى الاقوال فان
نفى سبقهم له تع بالقول عبارة عن تبعيتهم له تع فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا
بغيره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره • يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم • استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تع
بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل
بغير امره تع • ولا يشفعون الا لمن ارتضى • ان يشفع له مهابة منه تعالى • وهم • مع ذلك • من خشيته • عز وجل
مشفقون • مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الا
عتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر • ومن يقل منهم • اى من
الملائكة اذ الكلام فيهم وفى كونهم بمعزل مما قالوا فى حقهم • انى اله من دونه • متجاوزا اياه تع فذلك
الذى فرض قوله فرض محال • نجزيه جهنم • كسائر المجرمين عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية
وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم فى حقهم اولئك الكفرة
ما لا يخفى • كذلك نجزى الظالمين • مصدر تشبيهى مؤكد لمضمون ما قبله اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى
الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة
الى النقصان دون الزيادة اى لا جزاء انقص منه • اولم ير الذين كفروا • تجهيل لهم بتقصيرهم فى التدبر
فى الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تع بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اى اولم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات
والارض كانتا • اى جماعة السموات والارضين كما فى قوله تع ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
رتقا • الرتق الضم والالتئام والمعنى اما على حذف المضاف اى كانتا ذواتى رتق او ما هو رتق وقرئ
رتقا اى شيئا رتقا اى مرتوقا • ففتقناهما • قال ابن عباس رضى الله تع عنهما فى رواية عكرمة
والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تع بينهما ورفع
السماء الى حيث هى واقر الارض وقال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق
ريحا فتوسطها ففتقها وعن الحسن خلق الله تع الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها
دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط

منها

منها الارض وذلك قوله تع كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع
ارضين وقال ابن عباس رضى فى رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية
صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات
السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا فى الامطار وعلم الكفرة
الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعنى الاول فهم وان لم يعلموهما لكنهم متمكنون من
علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطا
لعة الكتب • وجعلنا من الماء كل شئ حى • اى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تع والله خلق كل دا
بة من ماء وذلك لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شئ حى من الماء اى بسبب
منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين فى الاصل مبتدأ وخبر وحق
الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او
مفعول ثان والظرف كما فى الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر • افلا
يؤمنون • انكار لعدم ايمانهم بالله تع وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والا
نفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقد
رته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اى ايعلمون ذلك فلا يؤمنون • وجعلنا
فى الارض رواسى • اى جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشئ اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع
المؤنث فى غير العقلاء مما لا ريب فى صحته كقوله تع اشهر معلومات واياما معدودات • ان تميد بهم • اى كراهة
ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالتباس • وجعلنا فيها • اى فى
الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او فى الرواسى لانها المحتا
جة الى الطرق • فجاجا • مسالك واسعة وانما قدم على قوله تع • سبلا • وهو وصف له ليصير حالا
فيفيد انه تع حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تع خلقها ووسعها للسابلة
مع ما فيه من التوكيد • لعلهم يهتدون • اى الى مصالحهم ومهماتهم • وجعلنا السماء سقفا محفوظا
من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع
بالشهب • وهم عن آياتها • الدالة على وحدانيته تع وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التى بعضها محسوس
وبعضها معلوم بالبحث عنه فى علمى الطبيعة والهيئة • معرضون • لا يتدبرون فيها فيبقون على ما
هم عليه من الكفر والضلال وقوله تع • هو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر • الذين هما آيتا
هما بيان لبعض تلك الآيات التى هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى
الكلام اى هو الذى خلقهن وحده • كل • اى كل واحد منها على ان التنوين عوض عن المضاف اليه • فى
فلك يسبحون • اى يجرون فى سطح الفلك كالسبح فى الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة

ولا يعزم

استقلاله

وهو بمعنى جماعة

والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم • وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد • اى في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية • افإن مت • بمقتضى حكمتنا • فهم الخالدون • نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عم فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل فان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وحوله • كل نفس ذائقة الموت • اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم • ونبلوكم • الخطاب اما للناس كافة بطريق التكوين او للكفرة بطريق الالتفات اى نعاملكم معاملة من يبلوكم • بالشر والخير • بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا • فتنة • مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه • والينا ترجعون • لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجزيكم حسبما ظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات • واذا راك الذين كفروا • اى المشركون • ان يتخذونك الا هزوا • اى ما يتخذونك الا مهزوءا به على معنى معاملتهم معك عم على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تع ان اتبع الا ما يوحى الى في سورة الانعام • اهذا الذي يذكر الهتكم • على ارادة القول اى ويقولون او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما في قوله تع سمعنا فتى يذكرهم آه وقوله تع • وهم بذكر الرحمن هم كافرون • في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عم ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتداء خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول • خلق الانسان من عجل • جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعد روى انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بالانسان آدم عم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تع في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عم ساريا الى اولاده

مبادرته

وقيل

وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له هاهنا وقوله تع • سأريكم اياتي • تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اى سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره • فلا تستعجلون • بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها • ويقولون متى هذا الوعد • اى وقت مجئ الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيينه وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك • ان كنتم صادقين • اى في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجئ الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تع فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين • لو يعلم الذين كفروا • استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تع • حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم • مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم • ولا هم ينصرون • من جهة الغير في دفعها آه لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوا وقوله تع حين آه استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون يعلمون حقيقة الحال • بل تأتيهم • عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة بغتة • فتبهتهم • اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله تع • فلا يستطيعون ردها • بتاويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية • ولا هم ينظرون • اى يمهلون اى ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا • ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عم في ضمن الاستهزاء وعن ضمنيه بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السابقة عليهم الصلوة

والسلام وتصديره بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو
صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • فحاق • اي احاط عقيب ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم
ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى • بالذين سخروا منهم
اي من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى • ما كانوا به يستهزءون
للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار
متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا
لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره
على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم
من حيث هو كل فقط اي فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملا
بسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال
الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن و
القبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية
الى آخرها • قل • خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول
لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت • من يكلؤكم • اي يحفظكم • بالليل والنهار من الرحمن
اي من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي
التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعدما امره عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه
المذكور حسبما تقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات
فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى • بل هم
عن ذكر ربهم معرضون • ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون
ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى
يسألون عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجا فحيوا النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار
وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته
وتدبيره تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى
ام لهم • آلهة تمنعهم من دوننا • منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله
من بيان ان جهلهم بحفظ الله تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية
الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم آلهة تقدر
على ذلك والمعنى بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من
عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة

بما ذكر

بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة
الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا • لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون
بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى • بل متعنا هؤلاء • وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه
ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا
كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل • افلا يرون
اي الا ينظرون فلا يرون • انا نأتي الارض • اي ارض الكفرة • ننقصها من اطرافها • فكيف يتوهمون
انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها
الى دار الاسلام • افهم الغالبون • على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغا
لبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين فيها كأنه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم اياه يتوهم
غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض
بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها • قل انما انذركم • بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما
يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم
الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما
انذركم ما تستعجلونه من الساعة • بالوحي • الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي
انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان
برهاني لا عياني وقوله تعالى • ولا يسمع الصم الدعاء • اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض
قد امر عليه السلام بان يقول لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخا
طبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصامم وتقييد نفي السماع
بقوله تعالى • اذا ما ينذرون • مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شقاوة الصم
ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات
عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية واما من جهته
تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لسماع
بنصب الصم والدعاء كأنه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل
هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى • ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك • بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي
وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس وما في النفحة من معنى القلة بجوهرها وبنائها
فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء • ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين • ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك

وراءها

ويتعرضن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموا
زين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي و
الجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر
وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت
لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا اي حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى
كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين و
ان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل
اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان
تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافة
الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه باعمالهم و
اتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا
ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا
رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصد
يره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذ
كرى اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء
به في ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره
المغتنمون لمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق
البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الا
لهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا
باية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم
اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح
بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة
حيث لا يتاثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي
خائفون بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد و
صفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما
اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن
الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة
المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة
ثانية لذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كانه قيل

ابعد

ابعد ان علمتم ان شانه كشان التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك
بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله
من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح
الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن من قبل اي من قبل ايتاء موسى و
هرون التورية وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل انبائه او قبل
بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات
مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لاتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب
عليه من افعاله واقواله وقيل معمول لمضمر مستانف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ما
هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها
بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سالهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة
او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبا
دتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى
تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على و
المعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا
لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم
بالعكوف لها كانه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ما يتشبثون به التجأوا
الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم واباؤكم اي الذين سنوا لكم هذه السنة
الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك
ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم
ولاباءهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز
فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله
عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام
انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه الملاعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية
الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها
اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير
هن للسموات والارض ووصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على
ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشاهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم واباؤكم
وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر

الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات • وانا على
ذلكم • الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان • من الشاهدين
اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على
ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كأنه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه • وتالله • وقرئ بالباء
وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب • لاكيدن اصنامكم • اي لاجتهدن
في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عم سرا وقيل سمعه رجل
واحد • بعد ان تولوا مدبرين • عن عبادته الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التائين و
يعضده قوله تع فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تع • فجعلهم • فصيحة اي فتولوا فجعلهم • جذاذا
اي قطاعا • فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي
لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وروي ان آزر خرج
به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم و
قالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما
مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل
بفأس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس في عنقه وذلك قوله تع • الا كبيرا لهم • اي للاصنام • لعلهم
اي الى ابراهيم عم • يرجعون • فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن
الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في المهمات وقيل يرجعون الى الله تع وتوحيده عند تحققهم
عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم • قالوا • اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما فعل
بها • من فعل هذا بآلهتنا • على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا
اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تع • انه لمن الظالمين • استيناف مقرر لما قبله
وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم
بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او للافراط في الكسر والحطم
وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة • قالوا • اي بعض منهم مجيبين للسائلين • سمعنا فتى
يذكرهم • اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تع يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة
لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عم بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس
انه عم يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح • يقال له ابراهيم • صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا
اي السائلون • فأتوا به على اعين الناس • اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد
يخفى على احد • لعلهم يشهدون • اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك
فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود • قالوا • استيناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا • ءانت فعلت هذا

بالهتنا

بالهتنا يا ابراهيم • اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عم للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك
امر محقق غني عن البيان • قال بل فعله كبيرهم • هذا اشير الى الذي لم يكسره عم سلك مسلكا تعريضيا يؤدي به الى
الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم
مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في
ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك
الاصنام غاظته عم حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر
واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يعود
الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان
يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عم قال فعله كبيرهم هذا غضبا ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر
منها فيكون تمثيلا اراد به عم تنبيههم على غضب الله تع عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قيل
من انه عم لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب
تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط
رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة
لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال
المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه
على ان صدورها من غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عم من اسناد الكسر الى الصنم
ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما
مراده عم توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تع • فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عم ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك
ادخل وقد حصل ذلك اولا حيثما نطق به قوله تع • فرجعوا الى انفسهم • اي راجعوا عقولهم وتذ
كروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان
يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا • فقالوا • اي قال
بعضهم لبعض فيما بينهم • انكم انتم الظالمون • اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع
على المؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها
لا من كسرها • ثم نكسوا على رؤسهم • اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل
بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم • لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون • على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف
تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع في امثالها

افتعبدون اى اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اى متجاوزين عبادته تع ما لا ينفعكم شيئا من
النفع ولا يضركم فان العلم بحالة المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف
لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عم من اصرارهم على الباطل البين واظهار الكلام الجليل فى موضع
الضمير لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا
تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة
وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة
وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان
كنتم فاعلين اى للنصر او لشىء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن
حام بن نوح وقيل رجل من اكرام فارس اسمه هيون وقيل هدير فخسفت به الارض روى انهم لما اجمعوا
على احراقه عم بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تع قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى
الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم
حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهى فى اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا
كيف يلقونه عم فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله
تع به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عم فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له
جبرئيل عم هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله
تع ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم اى كونى ذات برد وسلام
اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تع مأمورة مطاوعة واقامة كونى ذات برد مقام
ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى
ان الملائكة اخذوا بضبعى ابراهيم عم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس و
لم تحرق النار منه الا وثاقه وروى انه عم مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا
منى اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تع ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف
عليه فرآه جالسا فى روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئات والنار محيطة به فناداه
يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشى فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه
وقال من الرجل الذى رايته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربى ليؤنسنى فقال انى مقرب الى الهك قربانا
لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا
استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عم وكان اذ ذاك
ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا
من قدرة الله تع لكن وقوع ذلك على هذه الهيئات مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها
لكنه تع دفع عنه عم اذاها كما تراه فى السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تع على ابراهيم عم واراد وابه كيدا مكرا عظيما

فى الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اى اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم فى اطفاء نور الحق برهانا قاطعا
على انه عم على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى
الارض التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم و
الخصب الغالب روى انه عم نزل بفلسطين ولوط عم بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا
له اسحاق ويعقوب نافلة اى عطية فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحاق
فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اى كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون
بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح فى الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة
يقتدى بهم فى امور الدين اجابة لدعائه عم بقوله ومن ذريتى يهدون اى الامة الى الحق بامرنا
لهم بذلك وارسلنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم
بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تع واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من
احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم
غير عبادتنا ولوطا منصوب بمضمر يفسره قوله تع آتيناه اى وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما
اى حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغى علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من
القرية التى كانت تعمل الخبائث اى اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف
واقامته مقامه كما يؤذن به قوله تع انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه فى
رحمتنا اى فى اهل رحمتنا او فى جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اى اذكر
نوحا اى خبره وقوله تع اذ نادى اى دعا الله تع على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اى اذكر نبأه
الواقع وقت دعائه من قبل اى من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اى دعاءه الذى من جملته قوله
انى مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب
الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا
باياتنا وحمله على فانتصر بآباه ما ذكر من دعائه عم فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تع مع ما
فيه من تهويل الامر وقوله تع انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تع
فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك فى الشر والفساد مما يوجب الاهلاك
قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير
المضاف وقوله تع اذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية
لاستحضار صورتها اى اذكر خبرهما وقت حكمهما فى الحرث اى فى حق الزرع او الكرم المتدلى عناقيده
قيل كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تع اذ نفشت اى تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا

والحاكمين

راع فزعته واغدته ظرف للحكم • وكنا لحكمهم • اى لحكم الحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص
المنتظم لاختصاص القيام والوقوع وقرئ لحكمهما • شاهدين • اى حاضرين علما والجملة اعتراض
مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه • ففهمناها سليمان • عطف على يحكمان فانه فى حكم الماضى وقرئ
فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روى انه دخل على داود عم رجلان فقال احدهما ان غنم هذا
دخلت فى حرثى ليلاً فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عم فاخبراه بذلك فقال غير
هذا ارفق بالفريقين فسمع داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتنى بالذى ارفق بالفر
يقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم
ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذى عندى
ان حكمهما عليهما السلام بالاجتهاد فان قول سليمان عم غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان
تدفع صريح فى انه ليس بطريق الوحى والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عم لاظهار ما عنده بل
وجب عليه ان يظهره بداءً وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة
نقض حكم النص بالاجتهاد دليل اقول والله تعالى اعلم ان رأى سليمان عم استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق
بالفريقين ورأى داود عم قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابى حنيفة رحمه الله
الى المجنى عليه او يفديه ويبيعه فى ذلك او يفديه عند الشافعى وقد روى انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة
الغنم تفاوت واما سليمان عم فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث
من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل فى الحرث الى ان يزول الضرر الذى
اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب
منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفى قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان
قوله ورجوع داود عم اليه مع ان الحكم المبنى على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لان
ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد فى الاخبار ان داود عم لم يكن بت الحكم فى ذلك حتى سمع من سليمان
كما مع واما حكم المسئلة فى شريعتنا فعند ابى حنيفة لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعى
يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى • وكلا آتينا حكما وعلما • لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عم من عدم
كون حكم داود عم حكما شرعيا اى وكل واحد منهما آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما
يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فى كونه مجتهدا وقيل يدل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى
ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه فى صغره فانه عم كان ابن احدى عشر سنة • وسخرنا مع داود
الجبال • شروع فى بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما • يسبحن • اى يقدسن
الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من
الجبال او استيناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد • والطير • عطف
على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والطير مسخرات وقيل على العطف

على الضمير

على الضمير فى يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل • وكنا فاعلين • اى من شأننا ان نفعل امثاله
فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم • وعلمناه صنعة لبوس • اى عمل الدرع وهو فى الاصل
اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها • لكم
متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس • لتحصنكم • اى اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على
ان الضمير لداود عم او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص
والمنفعة المستفادة من لام لكم • من باسكم • قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم
فهل انتم شاكرون • امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او للتقريع • ولسليمان الريح • اى وسخرنا
له الريح وايراده باللام دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عم
من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلى له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته و
اما تسخير الجبال والطير لداود عم فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عم والاقتداء به فى عبادة
الله تعالى • عاصفة • حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اى وسخرنا له الريح حال كونها شديدة
الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة من الزمان كما قال الله تعالى غدوها شهر ورواحها
شهر وكانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عم وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو
الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدأ فى الخبر والعامل فيها ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا
ورفعا • تجرى بامره • بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها • الى الارض التى باركنا فيها وهى
الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبى كان سليمان عم وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث
شاء ثم يعود الى منزله • وكنا بكل شئ عالمين • فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة • ومن الشياطين • اى وسخرنا
له من الشياطين • من يغوصون له • فى البحار ويستخرجون له من نفائسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما
قبله والاول هو الاظهر • ويعملون عملا دون ذلك • اى غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع
الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها
لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما روعى جانب لفظها بقوله
تعالى من الشياطين روى ان المسخر له عم كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى • وكنا لهم
حافظين • اى من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة
وجمعا من مؤمنى الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل
ما عملوه بالنهار • وايوب • الكلام فيه كما مر فى قوله تعالى وداود وسليمان اى واذكر خبر ايوب • اذ
نادى ربه انى • اى بانى • مسنى الضر • وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر
شايع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس من مرض وهزال ونحوهما • وانت ارحم الراحمين • وصف
تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا فى السؤال وكان عم روميا
ولد عيص بن اسحاق ع استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم

ذهاب

اموال والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع
ساعات روى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو
دعوت الله تع فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله تع ان ادعوه وما
بلغت مدة بلائي وروى ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك
ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي
رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة
لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال لها كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة
سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم
حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع
راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه
دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه
داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تع • فاستجبنا له فكشفنا ما
به من ضر • فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تع و
ذلك قوله تع • وآتيناه اهله ومثلهم معهم • وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته
قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما
رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب
الحلة ان تاتيه وتسأله عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد
ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رأيته قا
لت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته • رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا
العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم • واسمعيل وادريس
وذا الكفل • اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل ذكريا سمي به لانه كان ذا حظ
من الله تع او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفل له و
الضعف • كل • اي كل واحد من هؤلاء • من الصابرين • اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب
والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم • وادخلناهم في رحمتنا • اي في النبوة او في
نعمة الآخرة • انهم من الصالحين • اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد
وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد • وذا النون • اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عم
اذ ذهب مغاضبا • اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوتهم اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم
مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن

مدة رخائه

انهم كذبوه فكذلك وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب
عنده وقرئ مغضبا • فظن ان لن نقدر عليه • اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من
القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر
عليه اي نعامل معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تع
يحسب ان ماله اخلده اي يعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت
ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففة ومشددا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول • فنادى • الفاء فصيحة اي
فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى • في الظلمات • اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي
البحر والليل • ان لا اله الا انت • اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف او
اي اي لا اله الا انت على انها مفسرة • سبحانك • انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون
ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي • اني كنت من الظالمين • لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت
الى المهاجرة • فاستجبنا له • اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه
عن رسول الله صلى الله عم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له • ونجيناه من الغم • بان قذفه
الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل
الخطيئة • وكذلك • اي مثل ذلك الانجاء الكامل • ننجي المؤمنين • من غموم دعوا الله تع فيها بالا
خلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم
وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء
فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى
الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول
اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر مع المفعول المذكور والماضي
لا يسكن آخره • وزكريا • اي اذكر خبره • اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا • اي وحيدا بلا ولد
يرثني • وانت خير الوارثين • فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا • فاستجبنا له • اي دعاءه • ووهبنا له
يحيى • وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم • واصلحنا له زوجه • اي اصلحناها للولادة
بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة • وقوله تع • انهم كانوا يسارعون في
الخيرات • تعليل لما فصل من فنون احسانه تع المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه
الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف
المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
ويدعوننا رغبا ورهبا • ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة
وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب • وكانوا لنا خاشعين • اي مخبتين متضرعين

انهم

او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة
والتي احصنت فرجها • اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالمو
صول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموه في حقها اثر ذي اثير • فنفخنا فيها • اي احيينا عيسى في جوفها
من روحنا • اي من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبرائيل عم • و
جعلناها وابنها • اي قصتهما او حالهما • آية للعالمين • فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته
عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد با
الآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها • ان هذه • اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على
كمال ظهور امرها في الصحة والسداد • امتكم • اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقو
قها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس كافة • امة واحدة • نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة
فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال للتبديل والتغيير كفروع
الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من هذه وامة واحدة
بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران • وانا ربكم • لا اله لكم غيري • فاعبدون • خاصة لا غير
وقوله تعالى • وتقطعوا امرهم بينهم • التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين
وجعل امره قطعا موزعة وينهي قبائح افعالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤ
لاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء • كل • اي كل واحد من الفرق المتقطعة او كل واحد من
آحاد كل واحدة من تلك الفرق • الينا راجعون • بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم
وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى • فمن يعمل من الصالحات • اي تفصيل للجزاء اي
فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات • وهو مؤمن • بالله ورسله • فلا كفران لسعيه • اي
لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى
عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة
عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به • وانا له • اي لسعيه
كاتبون • اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا • وحرام على قرية • اي ممتنع على اهلها
غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال • اهلكناها • اي قدرنا اهلاكها او حكمنا به لغاية
طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى • انهم لا يرجعون • في حيز الرفع لانه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد
مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في
النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق
ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به
قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم

الى

الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر
مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان
والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل
المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى • حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج آه • هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل
يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا آه
وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها حين
لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت
القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة
اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدهما على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد • وهم • اي ياجوج وماجوج وقيل الناس • من كل حدب • اي نشز من
الارض وقرئ جدث وهو القبر • ينسلون • اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم
السين • واقترب الوعد الحق • عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب
والجزاء لا النفخة الاولى • فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا • جواب الشرط واذا للمفاجأة
تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء
بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده • يا ويلنا • على تقدير قول وقع حالا من الموصول
اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط • قد كنا في غفلة • تامة • من
هذا • الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق • بل كنا ظالمين • اضراب عما قبله
من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظا
لمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم • خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما
سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم
لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية قال له
ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة
رد عليه بقوله عم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارض ما روي انه عم رده
بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا
خاصة ام لكل من عبد من دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منهما نصا
في عموم كلمة ما لما ان الاول نص في خصوصها وكذا حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي
في ذلك شموله بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى [illegible]

من مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة وبين عدم دخولهم فيه
بطريق الدلالة ايضا تأكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبو
دين لهم كما هو زعمهم فان اخراجهم بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة و
المعبودية مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في
شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون
الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية
من دونه تعالى دون المذكورين وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما
للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى آه بيانا للتجوز او التخصيص
فمما لا يساعده السياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا
رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة • انتم لها واردون • استئناف او
بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب
لهم ولما يعبدون تغليبا • لو كان هؤلاء • اى اصنامهم آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد
بما يعبدون هي الاصنام لما ان المراد نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون آلهية الاصنام لا آلهية الشيا
طين حتى يحتج بورودهم النار على عدم آلهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة
بانجرار الكلام اليه عند بيان نهيق النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر
المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبو
دون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم الداخلون في حكم النص الكريم بطريق الدلالة
لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين • وكل • اى من العبدة والمعبودين • فيها خالدون
لا خلاص لهم عنها • لهم فيها زفير • اى انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى
الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى • وهم فيها لا يسمعون
اى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام • ان
الذين سبقت لهم • منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل
من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اى سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى
التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى على الطا
عة وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين
فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له
كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون آه تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام آه • اولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد

ورودهم

منزلتهم في الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر في النعت الجليل • عنها • اى عن جهنم
مبعدون • لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى ان عليا رضي الله عنه خطب يوما
فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها • اى ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس
اى لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية
الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق
للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى • وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون • بيان لفوزهم بالمطالب
اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اى دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام
به وقوله تعالى • لا يحزنهم الفزع الاكبر • بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار
لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رحمه الله انه الانصراف الى
النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة
الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من
استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الا
كثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل • وتتلقاهم الملائكة • اى
تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اى قائلين هذا اليوم يومكم • الذي كنتم تو
عدون • في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعة وهذا كما ترى صريح في
ان المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من
ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل • يوم نطوي السماء • بنون العظمة منصوب
باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف
في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ بطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول • كطي
السجل • وهي الصحيفة اى طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو بالكسر والسجل على وزن
العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى • للكتب • متعلق بمحذوف هو حال من السجل او صفة له
على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى كطي السجل كائنا للكتب والكائن للكتب فان
الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ
للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اى كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام
كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم • كما بدأنا اول خلق نعيده • اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونها
ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ

لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السوية وما كافة او مصدرية
واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده
اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف • وعدا
مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة • علينا • اي علينا انجازه
انا كنا فاعلين • لما ذكر لا محالة • ولقد كتبنا في الزبور • هو كتاب داود عم وقيل هو اسم لجنس
ما انزل على الانبياء عليهم السلام • من بعد الذكر • اي التورية وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد
كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا في
اللوح المحفوظ • ان الارض يرثها عبادي الصالحون • اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار
وهذا وعد منه تع باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رض ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه
قوله تع وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل
الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عم • ان في هذا • اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار
والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة
لبلاغا • اي كفاية او سبب بلوغ الى البغية • لقوم عابدين • اي لقوم همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرايع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط سعادة الدا
رين • الا رحمة للعالمين • هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما
ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الا
حوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في
النشأتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما فرط في نفسه وضيع حقه لا انه تع حرمه مما يسعده وقيل كونه
رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله تع وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم • قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد • اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه
المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك
انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة
القيام • فهل انتم مسلمون • اي مخلصون العبادة لله تع مخصصون لها به تع والفاء للدلالة
على ان ما قبلها موجب لما بعدها فان ما يوحى دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع • فان
تولوا • عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي • فقل • لهم • اذنتكم • اي اعلمتكم ما امرت به او
حربي لكم • على سواء • كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في
العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة
رأي بالبرهان النير • وان ادري • اي ما ادري • اقريب ام بعيد ما توعدون • من غلبة المسلمين وظهور
الدين او الحشر مع كونه اتيا لا محالة • انه يعلم الجهر من القول • اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام

البغية سه

اني سه

وتكذيبه

وتكذيب الايات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود • ويعلم ما تكتمون • من الاحن والاحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا • وان ادري لعله فتنة لكم • اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استد
راج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون • ومتاع الى حين • اي وتمتيع لكم الى
اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليهم • قال رب احكم بالحق
حكاية لدعائه عم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي
لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عم حيث عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم
بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام • وربنا الرحمن • مبتدأ و
خبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تع • المستعان • اي المطلوب منه المعونة خبر اخر للمبتدأ و
اضافة الرب فيما سبق الى ضميره عم خاصة لما ان الدعاء من الوظايف الخاصة به عم كما ان الا
ضافة ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظايف العامة لهم • على ما
تصفون • من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان
المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله
عم فخيب امالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم السلام فاصاب يوم بدر ما اصابهم والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عم من
قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الناس اتقوا ربكم • خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول
ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم
القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع
سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على
نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذي
هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الاخر جميعا وما ورد به الشرع
اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخا
طبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك امو
ركم ومربيكم • وقوله تع • ان زلزلة الساعة شيء عظيم • تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته
الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال
التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة
والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها
ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كأنها
هي التي تزلزل الاشياء او اضافة الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في

كما في قوله تع بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تع اذا زلزلت الارض زلزالها وعن الحسن انها
تكون يوم القيمة وعن ابن عباس زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من
مغربها فاضافتها الى الساعة لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن
ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تع • يوم ترونها • منتصب بما بعده
قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها • تذهل
كل مرضعة • اي مباشرة للارضاع • عما ارضعت • اي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه
من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه
ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والا
ول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل
مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة • وتضع كل ذات حمل حملها • اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المر
ضعة تذهل عن ولدها بغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس
رضه فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل
ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ار
ضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر
• وترى الناس • بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية
والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا
بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير
الزلزلة في المرئي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس
سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء
الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد • سكارى • اي كانهم • وما هم بسكارى • حقيقة • ولكن
عذاب الله شديد • فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ
ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطبين من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم
سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى
بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى و
جوعى اجراء للسكر مجرى العلل • ومن الناس • كلام مبتدا جئ به اثر بيان عظم شان الساعة
المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او
بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او بعض كائن من الناس • من يجادل في الله •
اي في شانه ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تع • بغير علم • حال من ضمير يجادل موضحة
لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا

يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه من العتاة
المتمردين • ويتبع • اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها
ذلك • كل شيطان مريد • عات متمرد متجرد للفساد واصله العري المبني عن التمحض له كانه تمحض وتعلق
ماخوذ من تجرد المصادر عن عنق المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤ
ساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تع • كتب عليه • اي على الشيطان
صفة اخرى له وقوله • انه • فاعل كتب والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان • من تولا
ه • اي اتخذه وليا وتبعه • فانه يضله • بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة
جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه
فشانه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه
وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او
جواب لها وقرئ انه بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل و
الاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه • ويهديه • اي من يراه • ويهديه الى عذاب السعير • لحمله
على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات • يا ايها الناس • اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم وكيفية الى يؤول
اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على ما تحقيق جادلوا فيه من البعث • ان كنتم في ريب من البعث • من امكانه
وكونه مقدورا له تع او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب
مع التنكير المبني على القلة مع انهم جازمون بكمال النه والدالة على الشك مع تعذر حالهم في ذلك والايثار عليه
النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تع وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
• فانا خلقناكم • اي فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم • من
تراب • في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان من خليقته من افراد البشر له حظ من خلقه عم اذ لم تكن
فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا
مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عم من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا • ثم من
نطفة • اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب • ثم من علقة • اي
قطعة من الدم جامدة متكونة من المني • ثم من مضغة • اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي
في الاصل مقدار ما يمضغ • مخلقة • بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة • وغير مخلقة • اي لم يستبن خلقها
وصورها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم
ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة
اي يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير
المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا لخلق
ما بعدها من المراتب كما في قوله تع ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم

مخلقة ٥

قدرته تعالى وكسر سورة استبعادهم • لنبين لكم • متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كماً وكيفاً اي
خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحويه العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث
فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملاً حقيقياً جزم جزماً ضرورياً بان من قدر على خلق البشر
اولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشأه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار
الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على
اعادته بل هو اهون في القياس نظراً الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى • ونقر في
الارحام ما نشاء • استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في
سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونه من متماته ومن مبادي التبيين ايضاً لما ان دلالة الاول على كمال
قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام
بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها • الى اجل مسمى • هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان و
قيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط
والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا تصريح بان
المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصاً او معيباً وان ما فصل الى ههنا هي الاطوار المتواردة على المولود
قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته • ثم نخرجكم • اي من
بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى • طفلاً • اي حال كونكم اطفالاً والافراد باعتبار كل
واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى • ثم لتبلغوا اشدكم
علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا
كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ واما قيل انه معطوف على نبين
مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على
تبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احديهما ان نبين شأننا
والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغاراً ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان
حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا
مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي
الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسنداً الى المخاطبين على التبليغ مسنداً اليه تعالى كالا
فعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبادئ الآثار والافعال
والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكانها حيث كانت شدة
في غير شيء بنيت على لفظ الجمع • ومنكم من يتوفى • اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنياً للفاعل
اي يتوفاه الله تعالى • ومنكم من يرد الى ارذل العمر • وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم
وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل • لكيلا

يعلم من بعد علم • اي علم كثير • شيئاً • اي شيئاً من الاشياء او شيئاً من العلم مبالغة في انتقاص علمه
وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة
الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى • وترى
الارض هامدة • اي حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار
اذا صارت رماداً • فاذا انزلنا عليها الماء • اي المطر • اهتزت • تحركت بالنبات • وربت
اي انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت • وانبتت من كل زوج • اي صنف • بهيج
اي حسن رائق يسر ناظره • ذلك بان الله هو الحق • كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق حقية البعث
واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ما ذكر من آثار الوهيته تعالى واحكام
شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرونه وجوده بل امكانه من اتيان الساعة و
البعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها
عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما
لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمراد
بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقاً وذلك اشارة الى ما ذكر من
خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع
حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء • و
انه يحيي الموتى • اي شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءاً واعادة والا لما احيى
النطفة والارض الميتة مراراً بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة
ومتعلقها لا باعتبار نفسها • وانه على كل شيء قدير • اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات
الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء
فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمما تنبو عنه العقول عما سيق
له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها
وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع
في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به • وان الساعة آتية • اي فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل
على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير
من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من الغفول وقوله • لا ريب فيها • اما خبر ثان لان او
حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية و
التنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف

على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وأن الله
يبعث من في القبور لكن لا من حيث أن إتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفاعيله
تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث إن كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد المبنية على
الحكم البالغة إلى ما ذكر من خلقهم ومن إحياء الأرض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على إمكا
نهما كيما تأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين و
ينالوا به السعادة الأبدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى
من أحكام حكمته تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ما قبله من أحكام حقيته تعالى في
صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل إتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف
الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب أنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه
حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد وأنت خبير بأن ما آل الاستدلال
بحكمته تعالى على إتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل إنما هو في سببيهما لما مر من خلق الإ
نسان وإحياء الأرض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى إن الساعة آتية لا ريب فيها معطوف
على المجرور بالباء ولا داخل في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والأ
مر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الأولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأن الله هو الحق

ومن الناس من يجادل في الله هو أبو جهل ابن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو
من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم كائنا من كان كما أن الأول من يقلدهم على أن الشيطان عبارة
عن المضل المغوي على الإطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أي كائنا
بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر
الصحيح الهادي إلى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة
ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا و
ما ليس لهم به علم وأما ما قيل من أن المراد به المجادل الأول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان
أنه لا سند له من استدلال أو وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وإن وصفه باتباع كل شيطان
موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال أخرى من فاعل
يجادل أي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فإن ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين
أي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فإن غرضه الإضلال عنه وإن لم يعترف بأنه
إضلال والمراد به إما الإخراج من الهدى إلى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس
جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم وإما التثبيت على الضلال أو الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة
خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث إن المراد به الضلال المبين الذي لا هداية
له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة

اى

أي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق أي النار المحرقة ذلك أي ما ذكر من العذاب الدنيوي والأخروي وما فيه من معنى
البعد للإيذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت
يداك أي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وإسناده إلى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالأيدي
والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل أن في قوله عز وعلا وأن الله ليس بظلام للعبيد
الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن
ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها و
أما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الأنفال ومن الناس
من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين إثر بيان حال المجاهرين أي ومنهم من يعبده
تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف إلى طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر فإن أصابه
خير أي دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به أي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤ
منين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وإن أصابته فتنة أي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه
في نفسه أو أهله أو ماله انقلب على وجهه روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا
صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني
هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن يهوديا
أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال عليه السلام إن الإسلام لا يقال
فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا على خسرانه أو على خبر مبتدأ محذوف ذلك أي ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للإيذان
بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا إذ لا خسران مثله يدعو من دون الله
استئناف مبين لعظم الخسران أي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره إذا لم يعبده وما لا ينفعه
إن عبده أي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال
البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره
أقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع إزاحة ما عسى يتوهم من
نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب أيضا فالدعاء بمعنى القول واللام
داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول و
قوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون
معبوده جمادا وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه

اى يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثانى اعادة للاول تاكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء عبادته بقوله تع ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تع بعد ذكر عبادته لما يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اى يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به ايضا والجملة القسمية مستانفة • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات • استيناف جئ به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تع وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقى المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تع • تجرى من تحتها الانهار • صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى اوائل سورة البقرة وقوله تع • ان الله يفعل ما يريد • تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عم ولما كان هذا من آثار نصرته تع له عم عقب بقوله عز وعلا • من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة • تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تع ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تع بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه • فليمدد بسبب الى السماء • فليمدد حبلا الى سقف بيته • ثم ليقطع • اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تع • فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ • تقدير النظر وتصويره اى فليصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو اقصى ما انتهت اليه قدرته فى باب المضارة والمضادة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره صلعم ويأباه ان مساق النظم الكريم لبيان ان الامور المعروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض

وقوع

وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عم ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تع لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تع غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا • وكذلك • اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكمة البالغة • انزلناه • اى القرآن الكريم كله وقوله تع • آيات بينات • اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك • وان الله يهدى • به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه • من يريد • هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله يهدى من يريد هدايته • ان الذين آمنوا • اى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تع او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا • والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس • قيل هم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة • والذين اشركوا • هم عبدة الاصنام وقوله تع • ان الله يفصل بينهم يوم القيمة • فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتاكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تع • ان الله على كل شئ شهيد • تعليل لما قبله من الفصل اى عالم بكل شئ من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تع • الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض • الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من احوال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تع شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها اقوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل واحد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تع بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التمكن والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فقوله تع • والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب • افراد لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تع • وكثير من الناس • فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضية التقاء ذلك

عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول
هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين
هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى • وكثير • معطوفا على كثير الاول
للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم بتحقق العذاب كانه قيل وكثير من الناس • حق عليه العذاب •
اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليه العذاب حقا • ومن يهن الله • بان كتب عليه
الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر • فما له من مكرم • يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه
مصدر ميمي • ان الله يفعل ما يشاء • من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة • هذان • تعيين لطرفي
الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحد من الفرق الست وبين البواقي وتحقيق
لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس • خصمان • اي فريقان مختصمان وانما
قيل • اختصموا في ربهم • حملا على المعنى اي اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته
وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه
وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن
احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت
• فالذين كفروا • تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة • قطعت لهم • اي قدرت على مقادير
جثتهم وقرئ بالتخفيف • ثياب من نار • اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بملابسها • يصب من
فوق رؤسهم الحميم • اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو قطرت قطرة منه
على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم • يصهر به •
اي يذاب • ما في بطونهم • من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد • والجلود • عطف على ما
وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن اقدم من
تاثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم • ولهم • للكفرة اي لتعذيبهم و
اجلهم • مقامع من حديد • جمع مقمعة وهي آلة القمع • كلما ارادوا ان يخرجوا منها • اي اشرفوا على الخر
وج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا
بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا • من غم • شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار
والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج • اعيدوا فيها • اي في قعرها بان ردوا من اعاليها
الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها • وذوقوا • على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا
عذاب الحريق • اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصا
لحات جنات تجري من تحتها الانهار • بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب
فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة

واظهار

واظهار المزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام • يحلون فيها • على البناء للمفعول
بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الحلي بمعنى الالباس اي يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون
من حليت المراة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى • من اساور • اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسور
جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف
ليحلون فانه بمعنى يلبسون • من ذهب • بيان للاساور • ولؤلؤا • عطف على محل من اساور او على المفعول
المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ
لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبها واوا وليليا بقلبهما ياء • ولباسهم
فيها حرير • غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
او للمحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان
اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست
من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان
التحلية على بيان حال اللباس • وهدوا الى الطيب من القول • وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة الآية • وهدوا الى صراط الحميد • اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تاخير
هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها
لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام و
وجه التاخير ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود • ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله • ليس المراد حالا ولا
استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة
عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله
باشد من ذلك احق واولى • والمسجد الحرام • عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى
الذي جعلناه للناس • اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وافاقي • سواء العاكف فيه والباد • اي
المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف لغو
فائدته وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعا
كف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس • ومن يرد فيه • مما ترك
مفعوله ليتناول كل كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما • بالحاد • بعدول عن القصد • بظلم • بغير حق وهما حالان
مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام
نذقه من عذاب اليم • جواب لمن • واذ بوأنا • يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزم جعل الثاني مباءة
للاول قيل • لابراهيم مكان البيت • وعليه مبنى قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا
مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود

لا تذكيرها وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الا
ستعمال اى انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم
الله تع ابراهيم عم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وكان
الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احدها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان
والثانية بناء ابراهيم عم والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عم هذا البناء و
الرابعة ابناء ابن الزبير رضى الله عنه والخامس بناء الحجاج وقد اوردناها في هذا الشان من الاقاويل
في تفسير قوله تع واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تع • ان لا تشرك بي شيئا • مفسرة لبوانا من
حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهى وقد مر تحقيقه في اوائل
سورة هود اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا • وطهر بيتى للطائفين والقائمين و
الركع السجود • اى تطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلوة
باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس اى ناد فيهم وقرئ آذن • بالحج • بدعوة الحج والامر به روى انه عم صعد ابا قبيس فقال
يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمع الله تع من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق
والمغرب ممن سبق في علمه تع ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عم امر بذلك في حجة الوداع
ويأباه كون السورة مكية • يأتوك • جواب للامر • رجالا • اى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ
بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى • وعلى كل ضامر • عطف على رجالا اراد هزالها
يأتين • صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استيناف
فيكون الضمير للناس • من كل فج • طريق واسع • عميق • بعيد وقرئ معيق يقال بعيدة العمق
وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ • ليشهدوا • متعلق بيأتوك لا باذن اى ليحضروا • منافع
عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في
قوله تع • لهم • متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اى منافع كائنة لهم • ويذكروا اسم الله • عند
اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره
وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه • في ايام معلومات • هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله
تع • على ما رزقهم من بهيمة الانعام • فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد
علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر • فكلوا منها • التفات
الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى
التصريح به كما في قوله تع فانفجرت اى فاذكروا اسم الله تع على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للا
باحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء و
مساواتهم • واطعموا البائس • اى الذى اصابه بؤس وشدة • الفقير • المحتاج وهذا الامر

للوجوب

للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا • ثم ليقضوا تفثهم • اى ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها
بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال • وليوفوا نذورهم • ما ينذرون من البر
في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء • وليطوفوا • طواف الركن الذى به تمام التحلل
فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع • بالبيت العتيق • اى القديم فانه اول بيت وضع
للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل واما الحجاج
الثقفى فانما قصد اخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه • ذلك • اى الامر ذلك وهذا
وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهى كلام واحد • ومن يعظم حرمات الله • اى احكا
مه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام • فهو خير له • اى فالتعظيم خير له ثوابا • عند ربه •
اى في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة الحكم • و
احلت لكم الانعام • وهى الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى • الا ما يتلى عليكم • اى الا ما اهل
به لغير الله تع والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان
الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما
ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض
قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تع • فاجتنبوا الرجس من الاوثان • فانه مترتب على
ما يفيده قوله تع ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان
حل الانعام من دواعى التعاطى لا من مبادى الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر
بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من
الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم
الامور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تع • واجتنبوا قول الزور • تعميم بعد تخصيص فان عبادة الا
وثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر
والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تع بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عم قال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف
كالافك الماخوذ من الافك الذى هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
هو قول الجاهلية في تلبيتهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك • حنفاء لله • مائلين عن كل دين
زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تع • غير مشركين به • اى شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا
اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا • ومن يشرك بالله • جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب
من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك • فكانما خر من السماء • لانه سقط من اوج
الايمان الى حضيض الكفر • فتخطفه الطير • فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء

ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان عبارة
عما حرم لعارض كالميتة و

وتعففه

وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر الكاف مع كسرهما واصلها تختطفه . او تهوي به الريح
اي تسقط وتقذفه . في مكان سحيق . بعيد فان الشيطان قد طرح به في الضلالة او للتخيير كما في او
كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت
نفسه هلاكا تشبيها بهلاك احد الهالكين . ذلك . اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك . ومن يعظم شعائر
الله . اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تع كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا
غالية الاثمان روي انه صلى الله عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان
عمر رضي الله اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار . فانها . اي فان تعظيمها . من تقوى القلوب .
اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ
من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في
ساير الاعضاء . لكم فيها . اي في الهدايا . منافع . هي درها ونسلها وصوفها وظهرها . الى اجل مسمى
هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه . ثم محلها . اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية
الى البيت . العتيق . اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع
دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها في النفع محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب
نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى
لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء
ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف
الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة . ولكل امة . اي لكل
اهل دين . جعلنا منسكا . اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين
اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا
لبعض منهم دون بعض . ليذكروا اسم الله . خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم
علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود . على ما رزقهم من بهيمة الا
نعام . عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تع . فالهكم اله
واحد . للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تع لكل امة من الامم منسكا
مما يدل على وحدانيته تع وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تع واحد في ذاته
كما انه واحد في الالهية للكل والفاء في قوله . فله اسلموا . لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على
وحدانيته تع وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له
التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك . وبشر المخبتين . تجريد للخطاب
الى رسول الله صلى الله عم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظايف الخاصة

بهم . الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . منه تع لاشراق اشعة جلاله عليها . والصابرين على
ما اصابهم . من مشاق التكاليف ومؤنات النوايب . والمقيمي الصلوة . في اوقاتها وقرئ
بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل . ومما رزقناهم ينفقون . في
وجوه الخيرات . والبدن . بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الاصل
ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الا
بل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقر في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عم
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره . جعلناها
لكم . وقرئ بالرفع على انه مبتدا والجملة خبره وقوله تع . من شعائر الله . اي من اعلام دينه التي شرع
ها الله تع مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تع . لكم فيها خير . اي منافع دينية
ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها . فاذكروا اسم الله عليها . بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا
اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك . صواف . اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقوف وقرئ صوافي
اي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله تعالى ارى
باق على الحدثان . فاذا وجبت جنوبها . سقطت على الارض وهي كناية عن الموت . فكلوا منها واطعموا
القانع . اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا
اذا خضع له في السؤال . والمعتر . اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره و
اعتراه . كذلك . اي مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تع صواف . سخرناها لكم . مع كمال عظمها
ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم
تطعنون في لباتها . لعلكم تشكرون . لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص . لن ينال الله . اي
لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول . لحومها . المتصدق بها . ولا دماؤها . المهراقة من حيث انها
لحوم ودماء . ولكن يناله التقوى منكم . ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تع و
تعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها تقربا فهم به
المسلمون فنزلت . كذلك سخرها لكم . تكرير للتذكير والتعليل بقوله تع . لتكبروا الله . اي لتعرفوا عظمته
باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح . على ما هداكم
اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على
ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر . وبشر المحسنين . اي المخلصين في كل ما ياتونه و
ما يذرون في امور دينهم . ان الله يدافع عن الذين آمنوا . كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب
المؤمنين ببيان ان الله ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه و

وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او
للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة
اي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب
فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما او
قدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى • ان الله لا يحب كل خوان
كفور • تعليل لما في ضمن الوعد الكريم [من الوعيد] للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي و
نفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانة الله تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الا
مانات التي هي معظمها كفور لنعمه وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية
الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا • اذن • اي
رخص وقرئ على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى • للذين يقاتلون • اي يقاتلهم المشركون والما
ذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة
نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سياتي ويحرصون عليه فدلا
لته على المحذوف اظهر • بانهم ظلموا • اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله
عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه [رسول الله صلعم] عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول
عليه السلام لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي
عنه في نيف وسبعين آية • وان الله على نصرهم لقدير • وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر من العدة
الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم
عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق
مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى • الذين اخرجوا من ديارهم • في حيز الجر على انه صفة
للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او الرفع باضمار مبتدا والجملة
مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة • بغير حق • متعلق باخرجوا اي بغير ما يوجب اخراجهم
وقوله تعالى • الا ان يقولوا ربنا الله • بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون
موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة و
لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع • ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض • بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع • لهدمت
لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف • صوامع • للرهبانية • وبيع
للنصارى • وصلوات • اي كنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا
بالعبرانية فعربت • ومساجد • للمسلمين • يذكر فيها اسم الله كثيرا • اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة
للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز

وجل

وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام و
لينصرن الله من ينصره • اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله
عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم و
قياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم • ان الله لقوي • على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها
نصرهم • عزيز • لا يمانعه شيء ولا يدافعه • الذين ان مكناهم في الارض واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر • وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما
سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة
كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم
قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ
الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله
عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره • ولله • خاصة • عاقبة الامور • فان
مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته • وان يكذبوك فقد
كذبت قبلهم قوم نوح • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من
الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة
الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلام
عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باو
حدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح • وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب
مدين • اي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر وانما حذفت لكمال ظهور المراد لان المراد نفس الفعل اي فعلت
التكذيب قوم نوح آه • وكذب موسى • غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنوا
اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى
لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له لانه في غاية الشناعة
لكون آياته في كمال الوضوح وقوله • فامليت للكافرين • اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم
والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل
على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذ
بي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا • ثم اخذتهم • اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء
مدة املائه وامهاله • فكيف كان نكير • اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون
من الهول والفظاعة وقوله تعالى • فكاين من قرية • منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • اهلكناها
اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على

الابتداء واهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت
ثم اخذتهم فكيف كان نكير ❊ وهي ظالمة ❊ جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى ❊ فهي خاوية ❊
عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول لا محل
لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني فمحل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من
خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها ❊ على عروشها ❊ اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت
سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان
منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي
خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي
خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت
الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان
لما مر آنفا ❊ وبئر معطلة ❊ عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها
وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله ❊ وقصر مشيد ❊ مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه
وهذا ايضا يكون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل
بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كان لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه
اهلكهم الله تعالى وعطلهما ❊ افلم يسيروا في الارض ❊ حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين
فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا ❊ فتكون لهم
بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار ❊ قلوب يعقلون بها ❊ ما يجب ان يعقل من
التوحيد ❊ او آذان يسمعون بها ❊ ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من
الناس فانهم اعرف منهم بحالهم ❊ فانها لا تعمى الابصار ❊ الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ❊ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ❊ اي ليس الخلل
في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفي
توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله
تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون
في الآخرة اعمى فنزلت ❊ ويستعجلونك بالعذاب ❊ كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار
وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة
والاستنكار فقوله تعالى ❊ ولن يخلف الله وعده ❊ اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه
في ضمن استعجالهم به واظهار خطئهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال
انه لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله

تعالى ❊ وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ❊ جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها
ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطئهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره و
اظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به
قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجتر
ؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار
وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون او اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في
القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الاظهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة
لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه
على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم
الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد انكارهم ببيان عاقبة
من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة الطويلة وجعل اليوم عبارة عن يوم
المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده
سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان
الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله ❊ وكاين
من قرية ❊ اه فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل
الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب و
رجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل ❊ امليت لها ❊ كما امليت لهؤلاء كما انكروا مجيئه و
عدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء ❊ وهي ظالمة ❊ جملة حالية مفيدة
لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة
لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ❊ ثم اخذتها ❊ بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى
❊ والي المصير ❊ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر
المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا
شركة فافعل بهم ما افعل بامثالهم باعمالهم ❊ قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ❊ انذركم انذارا مبينا
بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به
والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من مساق الحديث للمشركين وعقابهم
وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم ❊ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ❊ لما اذنبوا منهم
من الذنوب ❊ ورزق كريم ❊ هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته ❊ والذين سعوا في آياتنا

معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من
عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين
اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة
اصحاب الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعوا الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة
سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته
بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل
فكم الرسل منهم فقال ثلث مائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي
غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا
تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانه
ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته
عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون
الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة
التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام اياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من
شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطاء حكيم في كل ما يفعل والاظهار
ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت
وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه
سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى
ان قال وتلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في
آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عم فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآ
ية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قراء
كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم
بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عم وقد رد ايضا بانه يخل بالوثوق
بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمل وفي الآية دلا
لة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبي
عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عم خاصة كما ينبي عنه سياق
النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي
وفيه دلالة على ان الملقى امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق
كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي الفريقين

المذكورين

المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقسوة
لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معرو
ضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القرآن
الحق من ربك اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن
للحكمة البالغة والغاية الجليلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عم فحينئذ لا حاجة الى تخصيص
التمكين فيما سبق من الالقاء في حقه عم لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقرآن اي يثبتوا على الايمان
به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من
الاوامر والنواهي ورجع الضميرين كليهما الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله
لهادي الذين آمنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى
صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين
كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عم والاول هو الاظهر
لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى
وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس مما يتو
هم تستمر الى الامر المذكور بل انما هي مريتهم في شان القرآن ولا يجري حمل من على السببية دون الا
بتدائية لما ان مريتهم هي المستمرة كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة
منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيمة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة
اي فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي
يوم بعينه لان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او
يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما
عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بو
صفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له
لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص
الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب
الآخر وبين يقتضي بان المراد به يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه الملك اي السلطان القاهر
والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون
فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان
للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل
ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث توسط بين طرفي الجملة يجب

ان يكون مدار الحكم اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في
ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما في
اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام
الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة
او عذابها لله تعالى وقوله تعالى • يحكم بينهم • جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون
الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة
وقوله تعالى • فالذين آمنوا • الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا
وعملوا الصالحات • امتثالا بما امر فيه • في جنات النعيم • اي مستقرون فيها • والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا • اي اصروا على ذلك واستمروا • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى • لهم عذاب • جملة اسمية من مبتدأ وخبر
مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور
لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب
الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق
التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى • مهين • صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى • والذين هاجروا في سبيل الله • اي في الجهاد حسبما يلوح
به قوله تعالى • ثم قتلوا او ماتوا • اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى
• ليرزقنهم الله • جواب لقسم محذوف والجملة خبره وقوله تعالى • رزقا حسنا • اما مفعول ثان على انه من
باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى
بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين
حسب تفاوت الارزاق الحسنة روي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء
الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان
متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
• وان الله لهو خير الرازقين • فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى • ليدخلنهم مدخلا يرضونه • بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر
لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال
ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فيرضونه • وان الله لعليم • باحوالهم واحوال معاديهم • حليم • لا يعاجلهم بالعقوبة
• ذلك • خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف • ومن

عاقب

عاقب بمثل ما عوقب به • اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية
للمشاكلة او لكونه سببا له • ثم بغي عليه • بالمعاودة الى العقوبة • لينصرنه الله • على من بغى عليه لا محالة
• ان الله لعفو غفور • اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح
الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة
لمن عزم الامور فتدبر فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره
اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده • ذلك •
اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى
• بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تقليب بعض
مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان
يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها • وان
الله سميع • بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب • بصير • بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله
• ذلك • اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله
تعالى • بان الله هو الحق • الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية فلا
يصلح لها الا من كان عالما قادرا • وان ما يدعون من دونه • الآلهة وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو
لما فانه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين • هو الباطل • اي المعدوم في حد ذاته او
الباطل الوهيته • وان الله هو العلي • على جميع الاشياء • الكبير • من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه
شأنا واكبر سلطانا • ألم تر ان الله انزل من السماء ماء • استفهام تقرير لما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى
• فتصبح الارض مخضرة • بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره
وللتصوير صورة الاخضرار • ان الله لطيف • يصل لطفه او علمه الى كل جليل ودقيق • خبير • بما
يليق من التدابير الحسنة ظاهرا او باطنا • له ما في السموات وما في الارض • خلقا وملكا وتصرفا • وان
الله لهو الغني عن كل شيء الحميد • المستوجب للحمد بصفاته وافعاله • ألم تر ان الله سخر لكم ما في الارض •
اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد
من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر
مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر • والفلك • عطف على ما او على اسم
ان وقرئ بالرفع على الابتداء • تجري في البحر بامره • حال من الفلك على الاول وخبر على الاخيرين
• ويمسك السماء ان تقع على الارض • اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية
الى الاستمساك • الا باذنه • اي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في
الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها • ان الله بالناس لرؤوف رحيم • حيث

لمن عزم الامور

في الاخر

هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية
بينية والتنزيلية • وهو الذي احياكم • بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة
الكريمة • ثم يميتكم • عند مجيء آجالكم • ثم يحييكم • عند البعث • ان الانسان لكفور • اي لجحود للنعم مع
ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده • لكل امة • كلام مستأنف جيء لزجر معاصريه
عم من اهل الاديان السماوية عن منازعته عم ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم
في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية • جعلنا • اي وضعنا وعينا • منسكا • اي شريعة
خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها
المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تع • هم ناسكوه • صفة لمنسكا مؤكدة
للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة
المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى عم الى مبعث عيسى عليهما
السلام منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى عم الى
مبعث النبي صلى الله عم منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند
بعث النبي صلى الله عم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة منسكهم الفرقان ليس الا
كلمة في تقرير قوله تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى • فلا ينازعنك في الامر
لترتيب النهي او موجبه على ما قبلها فان تعيينه تع لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة
مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجبة لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله
عم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عينت لآبائهم الاولين من التورية
والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن
المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عم عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم
المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عم عن منازعتهم فلا يأباه المقام وقرئ فلا ينزعنك على
تهييجه عم والمبالغة في تثبيته واياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة
عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله تع مما لا
سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة
المناسك التي جعلها الله تع لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل • وادع • اي وادعهم
او ادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا • الى ربك • الى توحيده وعبادته حسبما
بين لهم في منسكهم وشريعتهم • انك لعلى هدى مستقيم • اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد
به اما الدين والشريعة او ادلتها • وان جادلوك • بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم
الحجة عليهم • فقل لهم على سبيل الوعيد • الله اعلم بما تعملون • من الاباطيل التي من جملتها المجا
دلة • الله يحكم بينكم • يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين • يوم القيامة • بالثواب والعقاب

كما فصل

كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات • فيما كنتم فيه تختلفون • من امر الدين • الم تعلم • استيناف مقرر
لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت • ان الله يعلم ما في السماء والارض • فلا يخفى عليه شيء
من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه • ان ذلك • اي ما في السماء والارض • في كتاب
هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له • ان ذلك • اي ما ذكر من العلم
والاحاطة به واثباته في اللوح والحكم بينهم • على الله يسير • فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه
شيء ولا يعسر عليه شيء مقدور • ويعبدون من دون الله • حكاية لبعض اباطيل المشركين و
احوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم هي بناء امر دينهم على غير مبني من
دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدة بنائه اعراض
اي يعبدون متجاوزين عبادة الله • ما لم ينزل به • اي بجواز عبادته • سلطانا • اي حجة • وما ليس لهم
به • اي بجواز عبادته • علم • بل من ضرورة العقل او استدلال • وما للظالمين • اي الذين ارتكبوا مثل
هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول • من نصير • يدفع بنصرته عنهم
وتقرير رأيهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم • واذا تتلى عليهم آياتنا • عطف على
يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي • بينات • اي حال
كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من
عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل • تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر • اي الانكار
كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخائله من الا
وضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تع • يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا • اي
يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم و
اظلم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل و
يظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا و
ضع الذين كفروا موضع الضمير • قل • ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين
افأنبئكم • اي اخاطبكم فاخبركم • بشر من ذلكم • الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او
مما تبتغون بهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم • النار • اي هو النار على
انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تع وعدها الله الذين كفروا وقرئ
النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول
او حالا من النار باضمار قد • وبئس المصير • اي النار • يا ايها الناس ضرب مثل • اي بين لكم حال مستغربة
او قصة بديعة رائقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل في
استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام • فاستمعوا له • اي للمثل نفسه
استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تع • ان الذين تدعون من دون الله • الآية بيان

للمثل وتقرير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف. لن يخلقوا ذبابا. اى لن يقدروا على خلقه مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة بين المنفي والمنفي عنه. ولو اجتمعوا له. اى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما م تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا. بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ان يأخذ الذباب منهم شيئا. لا يستنقذوه منه. كافة الموجودات تماثيل هي اجل الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل ويعجز عن ذبه واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله. ضعف الطالب والمطلوب. اى عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال. ما قدروا الله حق قدره. اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة. ان الله لقوي. على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها. عزيز. غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تع. الله يصطفي من الملائكة رسلا. يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي. ومن الناس. وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق فيدعونهم اليه تع بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كانه تع لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بجانبهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل. ان الله سميع بصير. عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال. يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم. والى الله ترجع الامور. لا الى احد غيره كان اشتراكا ولا استقلالا. يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا. اى في صلوتكم امرهم بهما لما انهم كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا الله تع وخروا له سجدا. واعبدوا ربكم. بسائر

ما تعبدكم به. وافعلوا الخير. وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق. لعلكم تفلحون. اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهرها فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها. وجاهدوا في الله. اى لله تع ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر. حق جهاده. اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تع من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله. هو اجتباكم. اى هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه. وما جعل عليكم في الدين من حرج. اى الضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد. ملة ابيكم ابراهيم. نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عم فغلبوا على غيرهم. هو سماكم المسلمين من قبل. في الكتب المتقدمة. وفي هذا. اى في القرآن والضمير لله تع ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين. ليكون الرسول. يوم القيامة متعلق بسماكم. شهيدا عليكم. بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى. وتكونوا شهداء على الناس. بتبليغ الرسل اليهم. فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة. اى فتقربوا الى الله تع بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما. واعتصموا بالله. اى ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه. هو مولاكم. ناصركم ومتولي اموركم. فنعم المولى ونعم النصير. اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي.

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم. قد افلح المؤمنون. الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد

يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد هنا لافادة
ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار بضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين
ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل شر حسبما كان
ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من الاعمال الصالحة من دواعي الفلاح
بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق
الا في الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت
وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام و
التفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال فلو
ان الاطبا كان حولي والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى
الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى • الذين هم في صلوتهم
خاشعون • وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة
الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني
مع الايمان اجمالا وتفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خائفون من
الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان اذا صلى رفع بصره الى
السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا
لخشعت جوارحه • والذين هم عن اللغو • اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال • معرضون • اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال
اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيهم من الحالة الداعية الى الاعراض
عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم انه لا يكون في اللغو نفسه
ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء
الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه
والذين هم للزكوة فاعلون • وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على
انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر
ما يوجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة
والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل قد مر
تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف
والذين هم لفروجهم حافظون • ممسكون لها في كل الاشياء في قوله تعالى • الا على ازواجهم
من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان

بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق
كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي
حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون
اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف
يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل
الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين
الا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف • او ما ملكت ايمانهم • اي سراريهم عبر عنهن
بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى • فانهم
غير ملومين • تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين على عدم
حفظها منهن • فمن ابتغى وراء ذلك • الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحرائر وما شاء من
الاماء • فاولئك هم العادون • الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على
تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست
زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف
ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة
واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونه واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد
وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه • والذين هم
لاماناتهم وعهدهم • لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق • راعون • اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ • لامانتهم • والذين هم على صلواتهم • المفروضة عليهم • يحافظون • يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد
والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفصلها
للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا بالذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة • اولئك • اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة المذكورة • هم الوارثون • اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن
ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها • الذين يرثون الفردوس • بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة
بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس
باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار • هم فيها • اي في الفردوس والتأنيث

لانه اسم للجنس او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روى انه تع بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك فذلك وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان • خالدون • اى لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها • ولقد خلقنا الانسان • شروع في بيان مبداء خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عم خلقا اجماليا حسبما تحققه في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالة جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد • من سلالة • السلالة ما سل من الشىء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تع من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهى ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عم فانه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق • ثم جعلناه • اى الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عم • نطفة • بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء • في قرار • اى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة وقوله تع • مكين • وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هى واحرزت • ثم خلقنا النطفة علقة • اى دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء • فخلقنا العلقة مضغة • اى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها • فخلقنا المضغة • اى غالبها ومعظمها او كلها • عظاما • بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة • فكسونا العظام • المعهودة • لحما • من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اى كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات [وجعل] وجمع العظام لاختلافها وجرى على التوحيد فيما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثانى فحسب • ثم انشأناه خلقا آخر • هى صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رح على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر • فتبارك الله • فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان

يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشئونه تع • احسن الخالقين • بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة لفظية وقيل خبر مبتدا محذوف اى هو احسن الخالقين خلقا اى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تع اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اى احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عم ان الله جميل يحب الجمال اى جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى ان عبد الله بن سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عم الوحى فلما انتهى عم الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عم فقال عم اكتب هكذا انزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عم هكذا انزل يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربى في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تع عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رض وشقاوة ابن ابى سرح حسبما قال الله تع يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السورة على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله • ثم انكم بعد ذلك • اى بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية • لميتون • لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون • ثم انكم يوم القيامة • اى عند النفخة الثانية • تبعثون • من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب • ولقد خلقنا فوقكم • بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اى خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم • سبع طرائق • هى السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها • وما كنا عن الخلق • عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها او عن الناس • غافلين • مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تع • وانزلنا من السماء ماء • هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تع من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال و

اجرائه في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا
وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول
عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو • بقدر
بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فاسكناه في الارض • اي جعلناه ثابتا قارا فيها • وانا على ذهاب به • اي ازالته بالافساد او التصعيد
او التعميق بحيث يتعذر استنباطه • لقادرون • كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى
كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى • قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن
يأتيكم بماء معين • فانشأنا لكم به • اي بذلك الماء • جنات من نخيل واعناب لكم فيها • في الجنات
فواكه كثيرة • تتفكهون بها • ومنها • من الجنات • تأكلون • تغذيا او ترزقون وتحصلون معا
يشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرا
تهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام
تأكلونه • وشجرة • بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله
اي ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة
قيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى • تخرج من طور سيناء • هو جبل موسى عم بين مصر وايلة
وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف
اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة او
التأنيث على تأويل البقعة لا للالف فيقال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر
وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء فانه
فيقال كلين او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والجملة صفة لشجرة وتخصيص
بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى
تنبت بالدهن • صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به
ويجوز كونها صلة معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة
لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت
ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتنبت بالدهان • وصبغ
للآكلين • معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشئ على الآخر اي تنبت
بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس للا
يتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ • وان لكم في الانعام لعبرة • بيان للنعم الفائضة عليهم
من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها
ملتبسة به

نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لابد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة
الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر
مما في النبات وقوله تعالى • نسقيكم مما في بطونها • تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة
اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية
والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام • ولكم فيها منافع كثيرة • غير ما ذكر
من اصوافها واشعارها • ومنها تأكلون • فتنتفعون بما يحصل منها • وعليها • اي على الانعام فان الحمل عليها
لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة
لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت
خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى • وعلى الفلك تحملون • اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين
الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من
المنافع الى صلة منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه •
شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم
تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح
عم على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايراده اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع
ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء
بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله
في سورة هود • فقال • متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق • يا قوم اعبدوا الله • اي اعبدوه
وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد للايذان بانها هي العبادة
فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شئ رأسا وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • استئناف
مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله
الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في
الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه • افلا تتقون • اي افلا تتقون انفسكم
عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون
قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا
ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلا
حظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة في الكمية وفي الاول في الكيفية • فقال
الملأ • اي الاشراف • الذين كفروا من قومه • وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال

عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم • ما هذا الا بشر مثلكم • اي في الجنس والوصف من
غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة
يريد ان يتفضل عليكم • اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه
مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام
وقوله تعالى • ولو شاء الله لانزل ملائكة • بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد
بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي ولو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل
لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس
مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظايره • ما سمعنا بهذا • اي بمثل هذا الكلام الذي هو
الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة • في اباءنا
الاولين • اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوا اما لكونهم واباءهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في
التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر
عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فا
المراد بابائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم
في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم • ان هو • اي ما هو في اوا
امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم • الا رجل به جنة • اي جنون او جن
يخبلونه ولذلك يقول ما يقول • فتربصوا به • اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا • حتى حين •
لعله يفيق مما فيه محمول على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به
من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وار
زنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون • قال •
استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه
الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى
يئس عن ايمانهم بالكلية وقد اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن • رب انصرني • باهلا
كهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ • بما كذبون • اي
بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم • فاوحينا اليه • عند ذلك • ان اصنع الفلك • ان مفسرة
لما في الوحي من معنى القول • باعيننا • ملتبسا بحفظنا وكلائتنا كان معه عليه السلام منه عز وعلا حفا
ظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة • ووحينا • وامرنا وتعليمنا لكيفية
صنعها والفاء في قوله تعالى • فاذا جاء امرنا • لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد
بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه
او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى • وفار التنور • عطف بيان لمجيء الامر

روى

روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام
فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضع منه عن
يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة
هود عليه السلام • فاسلك فيها • اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه
قوله تعالى ما سلككم في سقر • من كل • اي من كل امة • زوجين • اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه
قوله تعالى • اثنين • فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول
اثنين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك و
هذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا
احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على ان حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي
نيط به الامر التعليقي اعتناء بشان المامور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان
الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث
عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • واهلك •
منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القرائتين لادائه
الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من اد
خال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة
من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الا
ستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم • الا من سبق عليه القول منهم •
اي القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا • ولا تخاطبني في الذين ظلموا • بالدعاء لانجائهم • انهم مغرقون •
تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالا
شراك وسائر المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلا
كهم بقوله تعالى • فاذا استويت انت ومن معك • اي من اهلك واتباعك • على الفلك فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين • على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وقل رب انزلني • في السفينة او منها • منزلا مباركا • اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا
وقرئ منزلا اي موضع نزول • وانت خير المنزلين • امره عليه السلام بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل
توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والا
شعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه • ان في ذلك • الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه • لآيات •
جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار • وان كنا لمبتلين • ان مخففة من ان
واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح عليه السلام

ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تع ولقد
تركناها آية فهل من مدكر • ثم انشأنا من بعدهم • اى من بعد اهلاكهم • قرنا آخرين • هم عاد حسبما
روى عن ابن عباس رضه وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى ساير السور الكريمة
من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود • فارسلنا فيهم • جعلوا موضعا للارسال
كما فى قوله تع كذلك ارسلناك فى امة ونحوه لا غاية له كما فى مثل قوله تع لقد ارسلنا نوحا الى قومه
للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم
كما ينبئ عنه قوله تع • رسولا منهم • اى من جملتهم [illegible] عليهما السلام كانتهم وان قوله تع
ان اعبدوا الله • مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله
تع وقوله • ما لكم من اله غيره • تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به
افلا تتقون • اى عذابه الذى يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى
مر فى قصة نوح عم • وقال الملأ من قومه • حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى
نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عم اجمالا
لا حكاية ما جرى بينه عم وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستيناف المبنى
على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتى من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه • الذين كفروا •
فى محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخيره من قومه
لعطف قوله تع • وكذبوا بلقاء الآخرة • وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء ما
فيها من الحساب والثواب او بلقاء معادهم الى الحيوة الثانية بالبعث • واترفناهم • ونعمناهم • فى الحيوة
الدنيا • بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم • ما هذا الا بشر مثلكم • فى الصفات
والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين امره عم وتوهين [illegible] • يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون • تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف
مع الجار لدلالة ما قبله عليه • ولئن اطعتم بشرا مثلكم • اى فيما ذكر من الاحوال والصفات
اى لئن امتثلتم باوامره • انكم اذا • اى على تقدير الاتباع • لخاسرون • عقولكم ومغبونون
فى آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين
خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا واقع
بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة
باللام الموطئة اى والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون • ايعدكم • استيناف مسوق
لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عم بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده • انكم
اذا متم • بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت • وكنتم ترابا وعظاما • اى نخرة
مجردة عن اللحوم والاعصاب اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم

التراب

التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخر
وكم عظاما وقوله تع • انكم • تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تع • مخر
جون • اى من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتداء واذا متم خبره على معنى اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع
اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ
ايعدكم اذا متم آه • هيهات هيهات • تكرير لتأكيد البعد اى بعد الوقوع او الصحة • لما توعدون
وقيل اللام لبيان المستبعد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتداء خبره لما تو
عدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء • ان هى الا حيوتنا الدنيا • اصله ان
الحيوة الا حيوتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا
باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شئت وحيث كان الضمير
بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تع • نموت ونحيى •
جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هى الحيوة الدنيا اى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض
العصر • وما نحن بمبعوثين • بعد الموت • ان هو • اى ما هو • الا رجل افترى على الله كذبا •
فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تع يبعثنا • وما نحن له بمؤمنين • بمصدقين فيما يقوله • قال •
اى هود عم عند يأسه عن ايمانهم بعد ما سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل • رب
انصرنى • عليهم وانتقم لى منهم • بما كذبون • اى بسبب تكذيبهم اياى واصرارهم عليه قال تع اجابة
لدعائه وعدة بالقبول • عما قليل • اى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة
كما زيدت فى قوله تع فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اى عن شئ قليل • ليصبحن نادمين • على ما
فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب • فاخذتهم الصيحة • لعلهم حين اصابتهم الريح
العقيم اصيبوا فى تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار
اليها باهله فلما دنى منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت
وقيل هى العذاب المصطلم • قال • قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان
بالحق • متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذى لا دفاع له او بالعدل من الله تع او بالوعد
الصدق • فجعلناهم غثاء • اى كغثاء السيل وهو حميله • فبعدا للقوم الظالمين • اخبار
او دعاء وبعدا من المصادر التى لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اى هلكوا واللام
لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل • ثم انشأنا من بعدهم • اى بعد هلا
كهم • قرونا آخرين • هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم • ما تسبق من امة اجلها •
اى ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجئ اجلها

ما يوعدكم كانى هيهات لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد وقيل لماذا هذا الاستبعاد

وما يستأخرون • ذلك الاجل ساعة وقوله تع • ثم ارسلنا رسلنا • عطف على انشأنا لكن لا
على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول
متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد
ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة
بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي • تترى •
اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقور والالف
للتأنيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله
تع • كلما جاء امة رسولها كذبوه • استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة
والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة
واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء
امته الى صة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل
واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم • فاتبعنا
بعضهم بعضا • في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي
وجعلناهم احاديث • لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع
احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث
يتحدث بها تلهيا وتعجبا • فبعدا لقوم لا يؤمنون • اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما
اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد
في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم • ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا • هي الآيات التسع
من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد
فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها • وسلطان مبين • اى حجة واضحة
ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آياته عليه السلام واولاها
وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة
طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة
وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد فغير مشهود فرعون و
قومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وتمامه ابن الهمام اه
عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة
التغاير الذاتي • الى فرعون وملائه • اى اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني
اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم • فاستكبروا • عن الانقياد وتمردوا • وكانوا
قوما عالين • متكبرين متمردين • فقالوا • عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر

والطوفان صح

للاستكبار

للاستكبار اى كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة • انؤمن
لبشرين مثلنا • ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تع بشرا سويا كما يطلق على الجمع
كما في قوله تع فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على
جهلهم بتفاصيل شؤن الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي
النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوى
القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون
من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق
وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا • وقومهما
يعنون بني اسرائيل • لنا عابدون • اى خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا
بذلك التعريض بشأنهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر
غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من
فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة
الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه
كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر
من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا • فكذبوهما • اى فتموا على
تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا • فكانوا من المهلكين • بالغرق في بحر قلزم • ولقد
آتينا • اى بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم • موسى الكتاب • اى التورية وحيث
كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها
فقيل • لعلهم يهتدون • اى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل
اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تع على خوف من فرعون
وملائهم اى من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور
ان التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تع ولقد
آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد
بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم
هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص • وجعلنا ابن مريم وامه آية •
واى آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما
او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من غير

مسيس تخوف الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وجعلا كونهم آيتها
وكونها امته ام للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبة ام اليها مع ان النسب الى الاباء دالة على
ان لا اب له اى جعلنا ابن مريم وحدهما من غير ان يكون له اب وامه التى ولدته خاصة من غير مس
ذكر الاب آية وتقديمه عم لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه فى قوله تع وجعلناها وابنها
آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها مع الاحصان والنفخ • وآويناهما الى ربوة • اى ارض مرتفعة
قيل هى ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان
قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم • ذات قرار • مستقر من ارض منبسطة
سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها • ومعين • اى
ماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى المشى او من الماعون وهو النفع
لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدركه بالعيون وصف ماؤها بذلك
للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقى ما ينبغى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه
بمنظره الموثق • يا ايها الرسل كلوا من الطيبات • حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال
لما خوطب به كل رسول فى عصره جىء بها اثر حكاية ايواء عيسى عم وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب
مبادى التنعم لم يكن من خصايصه عم بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام
ووصوا به اى وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة
بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض
الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عم وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول
ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكلبى رحمهم
الله انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب فى مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه
ابانة لفضله وقيامه مقام الكل فى حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأ
كل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه • واعملوا صالحا • اى عملا صالحا
فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم • انى بما تعملون • من الاعمال الظاهرة والباطنة • عليم
فاجازيكم عليه • وان هذه • استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور
مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه
للتنبيه على كمال ظهور امرها فى الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة
امتكم • اى ملتكم وشريعتكم ايها الرسل • امة واحدة • اى ملة وشريعة متحدة فى اصول الشرا
يع التى لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة • وانا ربكم • من غير ان يكون لى

شريكك

شريك فى الربوبية وضمير المخاطب فيه وفى قوله تع • فاتقون • اى فى شق العصا والمخالفة بالا
خلال بمواجبه ما ذكر من اختصاص الربوبية بى للرسل والامم جميعا على ان الامر فى حق الرسل
للتهييج والالهاب وفى حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثا
ل به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تع واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ بفتح
الهمزة على حذف اللام اى ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون اى ان تتقوا فاتقون كما مر
فى قوله تع واياى فارهبون وقيل على العطف على ما اى انى عليم بان امتكم امة الخ وقيل على حذف عامل
فيه اى واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان • فتقطعوا امرهم •
حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من ار
بابها او لها على التغليب والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اى قطعوا
امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة • بينهم زبرا • اى قطعا جمع زبور
بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الفاء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او
مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على
تقدير المضاف اى مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل • كل حزب • من اولئك المتحزبين
بما لديهم • من الدين الذى اختاروه • فرحون • معجبون • معتقدون انه الحق • فذرهم فى غمرتهم
شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لد
يهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اى اتركهم
على حالهم • حتى حين • هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم
بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن الاستعجال بعذابهم و
الجزع من تأخيره وفى التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل • ايحسبون انما نمدهم به • اى نعطيهم
اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تع • من مال وبنين • بيان لها وتقديم المال على
البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه فى سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تع • نسارع
لهم فى الخيرات • على ان الراجع الى الاسم اى ايحسبون ان الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به
لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تع • بل لا يشعرون
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ اصلا كالبهائم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم
وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل
ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول • ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون • استيناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال

يؤمنون بها

حسباتهم الكاذب اى من خوف عذابه حذرون • والذين هم بآيات ربهم • المنصوبة و
المنزلة يصدقون بتصديق مدلولها • والذين هم بربهم لا يشركون • شركا جليا ولا خفيا ولذلك
اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية فى المواقع الثلثة للاشعار بعليتها للا
شفاق والايمان وعدم الاشراك • والذين يؤتون ما آتوا • اى يعطون ما اعطوه من الصد
قات وقرئ يأتون ما أتوا اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضى فى
الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الاولى للدلالة على الاستمرار و
قلوبهم وجلة • حال من فاعل يؤتون او يأتون اى يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات
ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف • انهم الى ربهم راجعون • اى من ان رجوعهم
اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤا
خذوا به حين لا يجد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة
عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة
منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون و
بآيات ربهم يؤمنون آه وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة
باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها • اولئك • اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم اى اولئك المنعوتون بما
فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم • يسارعون فى الخيرات • اى فى نيل الخيرات التى
من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما فى قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم
ما نفى عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم فى الخيرات بل اسند المسارعة اليهم
ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات لمحاسن اعمالهم وايثار كلمة فى على كلمة الى للايذان بانهم
متقلبون فى فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما فى قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة • وهم لها سابقون • اى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما
فى قوله تعالى هم لها عاملون اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطا
عات والمعنى يرغبون فى الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى • ولا نكلف نفسا الا وسعها • جملة مستأنفة سيقت للتحريض
على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج
عن حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على ان
المراد استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال
اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب

خلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل
قاعدا ومن لم يستطع القعود فليومئ ايماء وقوله تعالى • ولدينا كتاب • آه تتمة لما قبله ببيان احوال ما
كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف
الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى • ينطق بالحق • كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هى عليه او
اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه
قطع معذرتهم ايضا وقوله تعالى بالحق متعلق بينطق اى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه
ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم
ودقائقها ويترتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى • وهم لا يظلمون • بيان لفضله
تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب
او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز
ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون بتكليف ما ليس فى وسعهم ولا
بعدم كتب بعض اعمالهم التى من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال
السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا
منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة
منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد
التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع وكتب الاعمال ليس مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركها
ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه و
قوله تعالى • بل قلوبهم فى غمرة من هذا • اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اى بل قلوب
الكفرة فى غفلة غامرة لها من هذا الذى بين فى القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم
اعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم
آه وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة • ولهم اعمال • سيئة كثيرة • من دون
ذلك • الذى ذكر من كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها
ما سيأتى من طعنهم فى القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما
وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية فى وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطى
للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره • هم لها
عاملون • مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها • حتى اذا اخذنا مترفيهم • اى متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة
مبتداء لما بعدها من مضمون الشرطية اى لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم • بالعذاب

قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعى عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب
والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار
فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم
يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك • اذا هم يجأرون • اي فاجأوا
الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر
من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس
امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنقة والحشم حين
لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة خلا ان تلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم • لا تجأروا
اليوم • على اضمار القول مسوق لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الا
غاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز
كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان
يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى • انكم منا لا تنصرون • تعليل للنهي عن الجؤار ببيان
عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا
ولا يلائم سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا
سيما قوله تعالى • قد كانت اياتي تتلى عليكم • الخ فانه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى
بسبب كفرهم بالايات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة او بعزة الله تعالى وقوته اي قد
كانت اياتي تتلى عليكم في الدنيا • فكنتم على اعقابكم تنكصون • اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا
عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى • مستكبرين به • اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار
قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه باياتي على تضمين
الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المؤمنين قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله
تعالى • سامرا • اي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت
عامة ذكرهم القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ
الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى • تهجرون • من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان
او الترك اي تهذون في شان القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة
تهجرون من اهجر في منطقه اذا فحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى
افلم يدبروا القول • الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام

اى

اي افعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المد
لول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبائح وام في
قوله تعالى • ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين • منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن
التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت اباءهم الاولين حتى
استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى
الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد تستنكر وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل
ام جاءهم من الامن من عذاب الله تعالى ما لم يأت اباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان
ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به
تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه • ام لم يعرفوا رسولهم • اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التو
بيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق
وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام
فهم له منكرون • اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشانه عليه السلام ومن ضرورة
انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تاكيد لما قبله • ام يقولون به جنة • انتقال
الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس
عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها بالقرآن
متعلقان والباقيان به عليه السلام الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع
كون القول غير معترض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم
به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير
وكلا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه كلهم اي ليس
الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام • بل جاءهم عليه السلام بالحق • اي الصدق الثابت الذي لا محيد
عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه • واكثرهم للحق • من حيث هو حق اي حق كان
لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار • كارهون • لما في جبلتهم من الزيغ والا
نحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم
بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق
المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لانه منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته
وعدم تفكره لا كراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على
الكفر به مما لا يليق بالمقام اصلا • ولو اتبع الحق اهواءهم • استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم
الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي
من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة • لفسدت السموات والارض ومن فيهن • وخرجت

عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على
سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به عم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تع
بالقيمة ولما اهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلايم فرض مجيئه عم به وكذا ما قيل لو كان فى الواقع الهان
لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم يخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا . بل اتيناهم
بذكرهم . انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذى به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه
كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذى هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تع
وانه لذكر لك ولقومك اى بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال . فهم
بما فعلوا من النكوص . عن ذكرهم . اى فخرهم وشرفهم خاصة . معرضون . لا عن غير ذلك مما لا يوجب
الاقبال عليه والاعتناء به وفى وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما
بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان
المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفى اسناد الايتان بالذكر
الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عم تنويه لشان النبى صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفى
ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عم بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تع بعنوان الذكر من النكتة السرية
والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذى يقتضيه مقام حكاية ما
قاله المبطلون فى شانه واما التشريف فانما يليق به تع كليما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل
المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك فانه قرئ بذكراهم
والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس فى مثابة اعراضهم او عن ذكرهم الذى يتمنو
نه فى الشناعة والقباحة . ام تسألهم . انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى التو
بيخ بوجه آخر كانه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة . خرجا . اى جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون
بك وقوله تع . فخراج ربك خير . اى رزقه فى الدنيا وثوابه فى الآخرة تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار
اى لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تع فى الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفى التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم من تعليل الحكم وتشريفه عم ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل
ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك
وقيل الخرج اخص من الخراج ففى النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخرا
ج . وهو خير الرازقين . تقرير لخيرية خراجه تع . وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم . تشهد العقول
السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله
عز وجل وازاح عللهم فى هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها
ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة . وصفوا بذلك تشنيعا
لهم بما هم عليه من الانهماك فى الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم

فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهى من اقوى الدواعى الى طلب الحق وسلوك سبيله . عن
الصراط . اى عن جنس الصراط . لناكبون . لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم
الذى تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كونهم ذهبوا
اليهما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا . ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر . اى قحط وجدب
للجوا . لتمادوا . فى طغيانهم . افراطهم فى الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤ
منين . يعمهون . اى عامهين عن الهدى روى انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع
الميرة من اهل مكة واخذهم الله تع بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت
الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال بر
حمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط فى الكفر والاستكبار ولذهب عنهم
هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تع . ولقد اخذناهم بالعذاب . استيناف مسوق للا
ستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من
فنون العذاب التى من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اى وبالله لقد اخذناهم با
لعذاب . فما استكانوا لربهم . بذلك اى لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه استفعال من الكون
لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح فى منتزح بل اقاموا
على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تع . وما يتضرعون . اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
اى وليس من عادتهم التضرع اليه تع . حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد . هو عذاب الآخرة
كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد . اذا هم فيه مبلسون . اى
متحيرون آيسون من كل خير اى محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روى منهم
لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تع والتضرع اليه
فى شئ وانما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم
مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد
من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم
فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اطم واتم فابلسوا الساعة و
خضعت رقابهم وجاءك اعتاهم واشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك والوجه هو الاول
وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار . لتشهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية . والافئدة
لتتفكروا بها ما تشاهدونها وتعتبروا اعتبارا لائقا . قليلا ما تشكرون . اى شكرا قليلا غير معتد به
تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة فى الشكر صرف تلك القوى التى هى فى انفسها نعم باهرة الى
ما خلقت هى له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما . وهو الذى ذرأكم فى الارض . اى خلقكم وبثكم فيها

بالتناسل. والیه تحشرون. ای تجمعون یوم القیمة بعد تفرقکم لا الی غیره فما لکم لا تؤمنون به ولا تشکرونه
وهو الذی یحیی ویمیت. من غیر ان یشارکه فی ذلک شیء من الاشیاء. وله خاصة. اختلاف اللیل
والنهار. ای هو المؤثر فی اختلافهما ای تعاقبهما او اختلافهما ازدیادا وانتقاصا او لامره وقضائه
اختلافهما. افلا تعقلون. ای الا تتفکرون فلا تعقلون او اتتفکرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل
ان الکل منا وان قدرتنا تعم جمیع الممکنات التی من جملتها البعث وقرئ یعقلون علی ان الالتفات الی الغیبة
لحکایة سوء حال المخاطبین لغیرهم وقیل علی ان الخطاب الاول لتغلیب المؤمنین ولیس بذاک. بل
قالوا. عطف علی مضمر یقتضیه المقام ای فلم یعقلوا بل قالوا. مثل ما قال الاولون. ای اباؤهم ومن
دان بدینهم. قالوا اءذا متنا وکنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون. تفسیر لما قبله من المبهم وتفصیل
لما فیه من الاجمال وقدم الکلام فیه. لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا. ای البعث. من قبل. متعلق
بالفعل من حیث اسناده الی ابائهم لا الیهم ای ووعد اباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من
اباؤنا ای کائنین من قبل. ان هذا. ای ما هذا. الا اساطیر الاولین. ای الا اکاذیبهم التی سطروها
جمع اسطورة کاحدوثة واعجوبة وقیل جمع اسطار جمع سطر. قل لمن الارض ومن فیها. من المخلوقات
تغلیبا للعقلاء علی غیرهم. ان کنتم تعلمون. جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام علیه ای ان کنتم تعلمون
شیئا ما فاخبرونی به فان ذلک کاف فی الجواب وفیه من المبالغة فی وضوح الامر وفی تجهیلهم ما لا
یخفی او ان کنتم تعلمون ذلک فاخبرونی وفیه استهانة بهم وتقریر لجهلهم ولذلک اخبر بجوابهم قبل
ان یجیبوا حیث قیل. سیقولون لله. لان بدیهة العقل تضطرهم الی الاعتراف بانه تعالی خالقها
قل. عند اعترافهم بذلک تبکیتا لهم. افلا تذکرون. ای اتعلمون ذلک او تقولون ذلک فلا
تتذکرون ان من فطر الارض وما فیها ابتداء قادر علی اعادتها ثانیا فان البداء لیس اهون من الاعادة
بل الامر بالعکس فی قیاس العقول وقرئ تتذکرون علی الاصل. قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظیم. اعید الرب تنویها لشأن العرش ورفعا لمحله من ان یکون تبعا للسموات و
جودا وذکرا ولقد روعی فی الامر بالسؤال الترقی من الادنی الی الاعلی. سیقولون لله. باللام
نظرا الی معنی السؤال فان قولک من ربه ولمن هو فی معنی واحد وقرئ هو وما بعده بغیر لام نظرا
الی لفظ السؤال. قل. افحاما لهم وتوبیخا. افلا تتقون. ای اتعلمون ذلک ولا تتقون انفسکم
عقابه بعدم العمل بموجب العلم حیث تکفرون به وتنکرون البعث وتثبتون له شریکا فی الر
بوبیة. قل من بیده ملکوت کل شیء. مما ذکر ومالم یذکر ای ملکه التام القاهر وقیل خزائنه
وهو یجیر. ای یغیث غیره اذا شاء. ولا یجار علیه. ای ولا یغیث احد علیه ای لا یمنع احد منه با
لنصر علیه. ان کنتم تعلمون. ای شیئا ما او ذلک فاجیبونی علی ما سبق. سیقولون لله. ای لله ملکوت
کل شیء وهو الذی یجیر ولا یجار علیه. قل فانی تسحرون. ای فمن این تخدعون وتصرفون عن
الرشد مع علمکم به الی ما انتم علیه من الغی فان من لا یکون مسحورا مختل العقل لا یکون کذلک. بل

آتیناهم

آتیناهم بالحق. الذی لا محید عنه من التوحید والوعد بالبعث. وانهم لکاذبون. فیما قالوا من الشرک
وانکار البعث. ما اتخذ الله من ولد. کما یقوله النصاری والقائلون ان الملائکة بنات الله تعالی عن ذلک
علوا کبیرا. وما کان معه من اله. یشارکه فی الالوهیة کما یقوله عبدة الاوثان وغیرهم. اذا لذهب
کل اله بما خلق. جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله علیه ای لو کان معه آلهة کما
یزعمون لذهب کل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملکه عن ملک الآخرین ووقع بینهم
التغالب والتحارب کما هو الجاری فیما بین الملوک. ولعلا بعضهم. علی بعض. فلم یکن بیده
وحده ملکوت کل شیء وهو باطل لا یقول به عاقل قط مع قیام البرهان علی استناد جمیع الممکنات
الی واجب الوجود واحد بالذات. سبحان الله عما یصفون. ای یصفونه من ان یکون له انداد و
اولاد. عالم الغیب والشهادة. بالجر علی انه بدل من الجلالة وقیل صفة لها وقرئ بالرفع علی
انه خبر مبتدأ محذوف وایا ما کان فهو دلیل آخر علی انتفاء الشریک بناء علی توافقهم فی تفرده
تعالی بذلک ولذلک رتب علیه بالفاء قوله تعالی. فتعالی عما یشرکون. فان تفرده تعالی بذلک موجب لتعالیه
عن ان یکون له شریک. قل رب اما ترینی. ای ان کان لابد من ان ترینی. ما یوعدون. من العذاب
الدنیوی المستاصل واما العذاب الاخروی فلا یناسبه المقام. رب فلا تجعلنی فی القوم الظالمین
ای قرینا لهم فیما هم فیه من العذاب وفیه ایذان بکمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وکونه بحیث
یجب ان یستعیذ منه من لا یکاد یمکن ان یحیق به ورد لانکارهم ایاه واستعجالهم به علی طریقة الاستهزاء
به وقیل امر به علیه السلام هضما لنفسه وقیل لان شؤم الکفرة قد یحیق عن ورائهم کقوله تعالی واتقوا فتنة
لا تصیبن الذین ظلموا منکم خاصة وروی انه تعالی اخبر نبیه علیه السلام بان له نقمة فی امته ولم یطلعه علی وقتها
فامره بهذا الدعاء وتکریر النداء وتصدیر کل من الشرط والجزاء به لابراز کمال الضراعة والا
بتهال. وانا علی ان نریک ما نعدهم لقادرون. ولکنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض
اعقابهم سیؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فیهم وقیل قد اراه ذلک وهو ما اصابهم یوم
بدر او فتح مکة ولا یخفی بعده فان المتبادر ان یکون ما یستحقونه من العذاب الموعود عذابا ها
ئلا مستاصلا لا یظهر علی یدیه علیه السلام للحکمة الداعیة الیه. ادفع بالتی هی احسن السیئة. وهو
الصفح عنها والاحسان فی مقابلتها لکن لا بحیث یؤدی الی وهن فی الدین وقیل هی کلمة
التوحید والسیئة الشرک وقیل هو الامر بالمعروف والسیئة المنکر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة
السیئة لما فیه من التنصیص علی التفضیل وتقدیم الجار والمجرور علی المفعول فی الموضعین للاهتمام
نحن اعلم بما یصفون. ای بما یصفونک به او بوصفهم ایاک علی خلاف ما انت علیه وفیه وعید لهم
بالجزاء والعقوبة وتسلیة لرسول الله صلی الله علیه وسلم وارشاد له علیه السلام الی تفویض امره الیه تعالی. وقل رب
اعوذ بک من همزات الشیاطین. ای وساوسهم المغریة علی خلاف ما امرت به من المحاسن التی من
جملتها دفع السیئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس علی المعاصی

بهمزة التانيث الدواب على الاسماع او الوشيب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد
المضاف اليه • واعوذ بك رب ان يحضرون • امر عم بان يعوذ به تع من حضورهم بعد ما امر
بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لا
ظهار كمال الاعتناء بالمامور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اى اعوذ بك من ان يحضر
وني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما وحال حلول الاجل كما روى عن عكرمة رحمه الله لانها احرى الاحوال بالا
ستعاذة منها • حتى اذا جاء احدهم الموت • حتى التى يبتداء بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة
به تع من الشياطين ان يزلوه عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه
لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول المحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا و
معنى اى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اى احدهم كان الموت الذى لا مرد له وظهرت
له احوال الآخرة • قال • تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة • رب ارجعون • اى ردنى الى
الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجع كما قيل في قفا نبك ونظايره • لعلى
اعمل صالحا فيما تركت • اى في الايمان الذى تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كساير الاعمال الصالحة
بان يقول لعلى او من فاعمل آه للاشعار بانه امر محقق الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا
عن كونه مرجوا الوقوع اى لعلى اعمل في الايمان الذى اتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركت من
المال او من الدنيا وعنه عم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعون • كلا • ردع عن
طلب الرجعة واستبعاد لها • انها • اى قوله رب ارجعون آه • كلمة هو قائلها • لا محالة لتسلط
الحسرة عليه • ومن ورائهم • اى امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم
كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ • برزخ • اى حائل بينهم وبين الرجعة • الى
يوم يبعثون • اى يوم القيمة وهو اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى
الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية • فاذا نفخ في الصور • لقيام الساعة وهى النفخة الثانية
التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجسام ارواحها على ان الصور جمع الصورة
لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد • فلا انساب بينهم • تنفعهم لزوال التراحم
والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او
لا انساب يفتخرون بها • يومئذ • كما هى بينهم اليوم • ولا يتساءلون • اى لا يسأل بعضهم بعضا لا
شتغال كل منهم بنفسه ولا ينافضه قوله تع فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء
النفخة الثانية وذاك بعد ذلك • فمن ثقلت موازينه • موزونات حسناته من العقايد والاعمال اى فمن

كانت

كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تع • فاولئك هم المفلحون • الفا
ئزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب • ومن خفت موازينه • ومن لم يكن له من العقايد
والاعمال ماله وزن وقدر عنده تع وهم الكفار لقوله تع ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد
تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف • فاولئك الذين خسروا انفسهم • ضيعوها
بتضييع الزمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن
الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه • في جهنم خالدون •
بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك • تلفح وجوههم النار • تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصى المؤدية الى النار
وهو السر في تقديمها على الفاعل • وهم فيها كالحون • من شدة الاحراق والكلوح تقلص الشفتين
من الاسنان وقرئ كلحون • الم تكن آياتى تتلى عليكم • على اضمار القول اى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا
وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتى تتلى عليكم في الدنيا • فكنتم بها تكذبون • حين
قالوا ربنا غلبت علينا • اى ملكتنا • شقوتنا • التى اقترفناه بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها
الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر • وكنا • بسبب ذلك • قوما ضالين •
عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم
بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه
لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تع انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم
تابع للمعلوم يرده قوله تع • ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون • اى اخرجنا من النار وارجعنا
الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان
اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان و
الطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة
الى الدنيا الثبات عليهما الا احداثهما • قال اخسئوا فيها • اى اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا و
انزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اى انزجر • ولا تكلمون • اى
باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل
الآتى وقيل لا تكلمون راسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير
والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطاب بالآية قطعا وقوله تع • انه •
تعليل لما قيل من الزجر عن الدعاء اى ان الشان وقرئ بالفتح اى لان الشان كما ان انه تعليل
لما قبله من الزجر عن الدعاء اى • كان فريق من عبادى • وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة
وقيل اهل الصفة رضوان الله تع عليهم اجمعين • يقولون • في الدنيا • ربنا آمنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا • اى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا آه لانكم كنتم تستهز

ان الشان وقرئ بالفتح اى لان الشان

ون

بالداعين بقولهم ربنا آمنا آه وتشاغلون باستهزائهم • حتى انسوكم • اى الاستهزاء بهم • ذكرى
من فرط اشتغالكم باستهزائهم • وكنتم منهم تضحكون • وذلك غاية الاستهزاء وقوله تع • انى جزيتهم اليوم
استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم • بما صبروا • بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله
تع • انهم هم الفائزون • ثانى مفعولى الجزاء اى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به و
قرئ بالكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن • قال • اى الله عز
وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته
بقوله اخسئوا فيها آه وقرئ قل على الامر للملك • كم لبثتم فى الارض • التى تدعون ان ترجعوا اليها
عدد سنين • تمييز لكم • قالوا لبثنا يوما او بعض يوم • استقصارا لمدة لبثهم فيها • فاسأل العادين
اى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لا
عمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى المعتدين فانهم ايضا يقولون ما نقول
كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اى القدماء
المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم • قال • اى الله تع او الملك وقرئ قل كما سبق • ان
لبثتم الا قليلا • تصديقا لهم فى ذلك • لو انكم كنتم تعلمون • اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل
العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم و
لعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها • افحسبتم انما خلقناكم عبثا • اى الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم
بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اى عابثين او مفعول له اى انما
خلقناكم للعبث • وانكم الينا لا ترجعون • عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث
وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع • فتعالى
الله • استعظام له تعالى ولشئونه التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة و
العقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته
واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة • الملك الحق • الذى
يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه
مملوك له مقهور تحت ملكوته • لا اله الا هو • فان كل ما عداه عبيده • رب العرش الكريم •
فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحى
الذى منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم
بالرفع على انه صفة الرب كما فى قوله تع ذو العرش المجيد • ومن يدع مع الله الها آخر • يعبده
افرادا او اشراكا • لا برهان له به • صفة لازمة لالها كقوله تع يطير بجناحيه جئ بها للتأكيد
وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول
بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله

مثيبه • فانما حسابه عند ربه • فهو مجازله على قدر ما يستحقه • انه لا يفلح الكافرون • اى ان الشان
آه وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح
هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم
انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل • وقل رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين • ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر فكيف بمن عداه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح و
الريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عم انه قال لقد انزلت على عشر آيات من
اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز
الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم • سورة • خبر مبتدأ محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع
عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تع • انزلنا
ها • مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة
من حيث الصفات واما كونها مبتدأ الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلنا
ها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان فى جملة ما اوحى الى النبى عم سورة
شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على
تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له من الاعراب او
على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلنا النصب على الوصفية
• وفرضناها • اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة
الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض
عليهم من السلف والخلف • وانزلنا فيها • اى فى تضاعيف السورة • آيات بينات • ان
اريد بها الآيات التى نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها فى السورة ظاهر ومعنى
كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآ
يات فى ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان
اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان
جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص
انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تع نجينا
هودا والذين آمنوا معه برحمة منا • لعلكم تذكرون • بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية
فى الذال اى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه

ايذان بان حقها ان يكون على ما ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها اتخذوها • الزانية
والزاني • شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطا
وعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل
في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة • والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول
والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف
اي فيما انزل لنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان
هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام
قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم
ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها
بكتاب الله تعالى ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة وهي
الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي
الله عنه • ولا تأخذكم بهما رأفة • وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة
في دين الله تعالى • في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر • من باب التهييج والا
لهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر
لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل • وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين •
اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة
يمكن ان يكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر • الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك • حكم مؤسس على الغالب المعتاد
جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المها
جرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب
الا في نكاح احديهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في
سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصر
الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن او لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر و
التنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركين للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا
لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة • وحرم

ذلك

ذلك • اي نكاح الزواني • على المؤمنين • لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب
لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الا
داني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى
النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا
الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان • والذين يرمون
المحصنات • بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان هنا
مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه
بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة
تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرا
دهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة
فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء
على ان فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد
بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبه المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به
من الزنا • ثم لم يأتوا باربعة شهداء • يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز
تأخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان
اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي
والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء • فا
جلدوهم ثمانين جلدة • لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى
فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر
ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص
الواقعة وشيوع الرمي فيهن • ولا تقبلوا لهم شهادة • عطف على اجلدوا داخل في حكمه
تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه
فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت
عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة
عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة
والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية ~~بل من اهلية~~ حدثت له بعد الاسلام فلا يتناولها الرد
فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبؤون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر
من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص

ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا
اى مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شها
دتهم اى فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله. واولئك هم الفاسقون. كلام مستانف مقرر لما
قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
فى الشر والفساد اى اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود
الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة. وقوله تعالى. الا الذين
تابوا. استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب
وقوله تعالى. من بعد ذلك. لتهويل المتوب عنه اى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل
واصلحوا. اى اصلحوا اعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام
للحد والاستحلال من المقذوف. فان الله غفور رحيم. تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن الموا
خذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين
لانه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فمحل المستثنى الجر
على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة فتقبل شها
دته. بعدها. والذين يرمون ازواجهم. بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهم
لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت
بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخى النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة
تراخى نزولها كما سيأتى فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه ان
دليل النسخ غير معلل. ولم يكن لهم شهداء. يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل
الا انفسهم. بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول
الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم
فى قوله تعالى. فشهادة احدهم. اى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى. اربع شهادات. خبر
اى فشهادتهم المشروعة اربع شهادات. بالله. متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها
وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انها خبر لمبتدأ محذوف اى فالواجب
شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اى فشهادة احدهم واجبة. انه لمن الصادقين. اى فيما
رماها به من الزنا واصله على انه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد والخامسة
اى الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اى الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن
مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها فى افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر
واظهار الصدق وهى مبتدأ خبره. ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين. فيما رماها به من الزنا
فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى يعترف فترجم او تلاعن. ويدرأ عنها العذاب. اى العذاب

الدنيوى وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذى هو اشد العذاب. ان تشهد اربع شهادات
بالله انه. اى الزوج. لمن الكاذبين. اى فيما رماها به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على
اربع شهادات. ان غضب الله عليها. اى الزوج. من الصادقين. اى فيما رماها به من
الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ بالتخفيف فى الموضعين ورفع اللعنة والغضب
وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان
النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى
روى ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى
رضه فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق
وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ الى ان يجىء باربعة شهداء فقد قضى الرجل
حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال وما وراءك قال شر و
جدت على امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالى ما اسرع ما
ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما و
الفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند ابى حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا
تتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابى يوسف وزفر و
الحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله تعالى هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتما
ع بعد ذلك ابدا. ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم. التفات الى خطاب الرامين والمر
ميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق
العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع
افعاله واحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان
ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف
بحال زوجته وانه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شها
داته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر
له ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم
بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما فى تضاعيف
شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درئ عنه واطم وفى ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل
والرحمة ما لا يخفى واما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه فى الدنيا ودرء
الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه وتعالى ما اعظم شانه واو
سع رحمته وادق حكمته. ان الذين جاؤا بالافك. اى بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل
هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد بها

افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند
انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع
بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة
غزاها قيل غزوة بني المصطلق فخرجت سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب
فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت
ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقدي من جزع
ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا
هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا با
لبعير ووجدت عقدي بعدما استمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي
وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان
صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي
بجلبابي فوالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ
على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم
نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض
الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى • عصبة منكم • خبر اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين
وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى • لا تحسبوه شرا لكم • استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك • بل هو خير لكم • لاكتسا
بكم به الثواب العظيم فظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم
وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا • لكل امرئ منهم • اي من اولئك
العصبة • ما اكتسب من الاثم • بقدر ما خاض فيه • والذي تولى كبره • اي معظمه وقرئ بضم
الكاف وهي لغة فيه • منهم • من العصبة وهو ابن ابي فانه بداء به واذاعه بين الناس عداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو حسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول
حينئذ باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما • له عذاب عظيم • اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم
جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل
اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه
بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى • لولا اذ سمعتموه • تلوين للخطاب وصرف له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية
من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى • ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا • لتاكيد

التوبيخ

التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة
بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم
عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن
اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجبه ذلك الوصف اقبح واشنع
والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضين ثم ان كان المراد بالا
يمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتخاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما
يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فا
لتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التخصيص باول زمان سماعهم
وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان لا يقبلوا عدم
الاتيان به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤ
منات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤ
منين خيرا • وقالوا • في ذلك الآن • هذا افك مبين • اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصد
يقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم • لولا جاءوا عليه باربعة شهداء
اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب
ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء
يشهدون على ما قالوا • فاذ لم ياتوا بالشهداء • وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير • فاولئك • اشارة
الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون
• عند الله • اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة • هم الكاذبون • الكاملون
في الكذب المشهود عليهم المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة
واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا
• ولولا فضل الله عليكم • خطاب للسامعين والمسمعين جميعا • ورحمته في الدنيا • من فنون النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة • والآخرة • من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التو
بة • لمسكم • عاجلا • فيما افضتم فيه • بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره
والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى • عذاب عظيم • يستحقر دونه
التوبيخ والجلد • اذ تلقونه • بحذف احدى التاءين ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت
تلقيكم اياه من المخترعين • بالسنتكم • والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الا
ول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة
وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حروف المضارعة وتلقونه من

القاء بعضهم على بعض وتلقونه وبالقونه من الولق وهو الكذب و تثقفونه من ثقفته اذا طلبته وو
جرته وتنقفونه اى تتبعونه • وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم • اى تقولون قولا مختصا بالافواه
من غير ان يكون له مصداق ومنشأ فى القلوب لانه ليس بتعبير عن علم فى قلوبكم كقوله تع يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم • وتحسبونه هينا • سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة • وهو عند الله
والحال انه عنده عز وجل • عظيم • لا يقادر قدره فى الوزر واستجرار العذاب • ولولا اذ سمعتموه
من المخترعين او الماشعين لهم • قلتم • تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه • ما يكون لنا • ما يمكننا
ان نتكلم بهذا • وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفى وجود التكلم به لا نفى وجوده على
وجه الصحة او الاستقامة والابتغاء وهذا اشارة الى سمعتموه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم
لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور
عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على ترك القول نفسه لكن فيما لا يتوهم
وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغى ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب
عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوه بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما
قيل من ان ظروف الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما
لا يتسع فى غيرها فهى ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل
مفعولا صريحا لفعل مذكور كما فى قوله تع واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصو
بة باضمار اذكر واما فيما نحن فيه فلا حاجة اليها اصلا لما تحقق ان مناط التقديم توجه التحضيض اليه وذلك
يتحقق فى جميع متعلقات الفعل كما فى قوله تع فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها • سبحانك • تعجب من
تفوه به اصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنايعه تع تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم
كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او تنزيه له تع من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل
بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تع • هذا بهتان عظيم • لعظمة المبهوت
عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها • يعظكم الله • اى
ينصحكم • ان تعودوا لمثله • اى كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او فى ان تعودوا
من قولك وعظته فكذا فتركه • ابدا • اى مدة حياتكم • ان كنتم مؤمنين • فان الايمان وازع عنه لا
محالة وفيه تهييج وتقريع • ويبين الله لكم الآيات • الدال على الشرايع ومحاسن الاداب دلالة
واضحة لتتعظوا وتتادبوا بها ان يبين لها كذلك اى مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه
يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى خلقهما صغيرا
وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتفخيم شأن
البيان • والله عليم • باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم فى جميع تدبيراته وافعاله فانى
يمكن صدق ما قيل فى حق حرمة من اصطفاه لرسالته وتبليغه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق و

يشركهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلى والا
شعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة • ان الذين يحبون • اى يريدون ويقصدون • ان تشيع
الفاحشة • اى تنتشر الخصلة المفرطة فى القبح وهى الفرية والرمى بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها
شيوع خبرها اى يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها
مستتبعة له لا محالة • فى الذين آمنوا • متعلق بتشيع اى تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين
لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اى يحبون ان
تشيع الفاحشة كائنة فى حق المؤمنين وفى شأنهم • لهم • بسبب ما ذكر • عذاب اليم • فى الدنيا
من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى
وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره • والآخرة • من
عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل • والله يعلم • جميع الامور التى من جملتها ما فى
الضماير من المحبة المذكورة • وانتم لا تعلمون • ما يعلمه الله بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال و
الافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا فى الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال
الظاهرة والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب فى الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل
العذاب العظيم فى الدنيا عبارة عن حد القذف او منتظما له كما هو الطبق عليه الجمهور اما اذا ابقى على
اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدى للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم
فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون
الاعتراض التذييلى اعنى قوله تع والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له
ولولا فضل الله عليكم ورحمته • تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة
وان الله رؤف رحيم • عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار با
ستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد
بيان اتصافه تع فى ذاته بالرأفة التى هى كمال الرحمة وبالرحمة التى هى المبالغة فيها على الدوام والا
ستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف
لدلالة ما قبله عليه • يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان • وضع الظاهران موضع
ضميريهما حيث لم يقل ولا تتبعوها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة فى التنفير و
التحذير • فانه يأمر بالفحشاء والمنكر • علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء
والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط
قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان وقيل للشأن على راى من لا يوجب عود
الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يأمره وقيل هو عائد الى من اى فان ذلك
المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد

اى لا تسلكوا مسالكه فى كل ما تأتون
وما تذرون من الافاعيل التى من جملتها سلوكوا القاء
اشاعة الفاحشة وجهاد فرد خطواته
وبغضها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان
ح

الى رتبة الاضلال والافساد • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بما من جملته ما تيكم البيانات والتو
فيق للتوبة الماحضة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها • ما زكى • اى ما طهر من دنسها وقرئ
ما زكى بالتشديد اى ما طهر الله تع ومن فى قوله تع • منكم • بيانية وفى قوله تع • من احد • زائدة
واحد فى حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفى محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية
ابدا • لا الى نهاية • ولكن الله يزكى • يطهر • من يشاء • من عباده بافاضة اثار فضله ورحمته عليه
وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم • والله سميع • مبالغ فى سمع الاقوال التى من جملتها ما
اظهروه من التوبة • عليم • بجميع المعلومات التى من جملتها بنياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص فى
التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال
الاعتراض التذييلى • ولا يأتل • اى لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول
هو الاظهر لنزوله فى شان الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق
عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين وبعضده قراءة من قرأ ولا يتال • اولو الفضل منكم
فى الدين وكفى به دليلاً على فضل الصديق رضى الله عنه • والسعة • فى المال • ان يؤتوا • اى على ان لا
يأتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات • اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله • صفات واحد
جئ بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت
هى مقامها وحذف المفعول الثانى لغاية ظهوره اى على ان لا يؤتيهم شيئا • وليعفوا • ما فرط
منهم • وليصفحوا • بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله تع • الا تحبون
ان يغفر الله لكم • اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم • والله غفور رحيم • مبالغ
فى المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب
عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى
انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابى بكر رضى الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته
وقال لا انزعها ابدا • ان الذين يرمون المحصنات • اى العفائف مما رمين به من الفاحشة • الغافلات
عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شئ منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على
كمال النزاهة ما ليس فى المحصنات اوالسليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء • المؤمنات • اى
المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا
تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد
بها المعنى الوضعى المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمى المصحح لاطلاق الاسم فى الجملة كما هو المتبادر على
تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمى لسائر امهات
المؤمنين لاشتراك الكل فى العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تع
كذبت قوم نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولاً اوليًا واما ما قيل

الموصوفة

والله

من ان

من ان المراد هى الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة
فيأباه ان العقوبات المرتبة على رمى هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب فى ان رمى
غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من
بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم
حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضى الله عنهما جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الايات فقال
من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى امر عائشة رضى الله عنها وهل هو منه رضى
الله عنه الا تهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ • لعنوا • بما قالوا فى حقهن • فى الدنيا و
الاخرة • حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة ابد الاباد • ولهم • مع ما ذكر من اللعن
الابدى • عذاب عظيم • هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تع • يوم تشهد
عليهم • الى آخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله
ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة
خارقة للعادات فيوم ظرف لما فى الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اغضينا
عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على
انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من
الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم • السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون • يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذ
كور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة
الجوارح المذكورة بها انه تع ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا
ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف
عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها

ان كلا منها كافة لا عن احدها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد
عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار
الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على
استمرارهم عليها فى الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه
من التشويق الى المؤخر لما مر مرارا وقوله تع • يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق • اى يوم اذ تشهد
جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذى يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا
كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه
الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول
لفعل مضمر اى اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل • ويعلمون • عند معاينتهم الا
هوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم • ان الله هو الحق • الثابت الذى يحق ان يثبت لا محالة
فى ذاته وصفاته وافعاله التى من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤن التى يشاهدونها منطبقة

عليها. المبين. المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه الحق وتفسيره بظهور الوهية تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام لما ان تفسير الحق بذي الحق البين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في الفرقان المجيد من ايات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لاتجد شيئا منها فوق ما تلك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله تعالى عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى. الخبيثات. الخ كلام مستانف مؤسس على قاعدة السنة الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء. للخبيثين. من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص. والخبيثون. ايضا. للخبيثات. لان المجانسة من دواعي الانضمام. والطيبات منهن. للطيبين. منهم. والطيبون. ايضا. للطيبات. منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والاخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى. اولئك مبرؤن مما يقولون. على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال لهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم. لهم مغفرة. عظيمة. لما لا يخلوا عنه البشر من الذنب ورزق كريم. هو الجنة. يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا. بيوتا غير بيوتكم. اثر ما فصل الزاجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الادب الجميلة المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن و

قرئ

قرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء. حتى تستانسوا. اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس. وتسلموا على اهلها. عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع. ذلكم. اي الاستيذان مع التسليم. خير لكم. من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة قال لا قال عليه السلام فاستاذن. لعلكم تذكرون. متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه. فان لم تجدوا فيها احدا. اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى. فلا تدخلوها. واصبروا. حتى يؤذن لكم. اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن لكم او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى. وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا. اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروة اي قدح. هو. اي الرجوع. ازكى لكم. اي اطهر مما لا يخلوا عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة. والله بما تعملون عليم. فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه. ليس عليكم جناح ان تدخلوا. اي بغير استيذان. بيوتا غير مسكونة موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذ سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى. فيها متاع لكم. فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى

في حقهم

والا فاجلد

اي بغير

امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتبرزي الحمامات ونحوهم وروي
ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف
في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع
التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المراد فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين
شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذن عند دخولهم البيوت
اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الا
وامر والنواهي الى رايه عليه السلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون
الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا
على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا على ما يحل و
يحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية
دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة الستر ذلك اي ما ذكر من
الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى
عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس و
تحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤ
منات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن
بالستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين
زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى الا
ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان
في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيو
بهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء
على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لو
سعتها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي
بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة
عنه باعتبار الناظر بعدما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او
آبائهن او آباء بعولتهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين

من

من النفرة عن مماسة الاقارب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر
الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم او
نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من
الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت
به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما
هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعا
مهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من
الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين اي ما يخفينه من الرؤية من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض
ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم
النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها
ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطر
يق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون
سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب
التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل
فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في
الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير
الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال
حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم
بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا
بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا
زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتأ
يمي وان كنت افتى منكم اتأيم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم
وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادة واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له
منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد
له منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار

والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم
فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقا
بلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه • ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله • ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اى
لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه
غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى
في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
والله واسع غني • ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك • عليم • يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة • وليستعفف • ارشاد للعاجزين عن مبادي
النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اى ليجتهد في العفة
وقمع الشهوة • الذين لا يجدون نكاحا • اى اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال • حتى يغنيهم
الله من فضله • عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم و
ايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء • والذين يبتغون الكتاب • بعدما امر بانكاح
صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اى الذين
يطلبون المكاتبة • مما ملكت ايمانكم • عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على
كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه
كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت علي العتق عنه والتحقيق ان المكاتبة اسم
للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا
ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد
شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر
عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق
الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام
البدل كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه من جانب
المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشاء فكما ان قول البائع بعت انشاء لعقد
البيع على المعنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على
رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اى ايقاع
لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا
ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره • فكاتبوهم • والفاء
لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن

الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا
منجما وقد فصل في موضعه • ان علمتم فيهم خيرا • اى امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله
من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان • وآتوهم من مال الله الذي
آتاكم • امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول
وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنه الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي
للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما و
ايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد
معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا
عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر
بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من
جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء
سهمهم من الصدقات فاللام للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو ندب لعامة
المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما
نطق به قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية • ولا تكرهوا فتياتكم • اى امائكم
فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عم ليقل احدكم فتاي
وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع
ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن
ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى • ان اردن تحصنا • ليس لتخصيص النهي
بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا
لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في
الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف
عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة
عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب
فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا
يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن
به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه
لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون
ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة
في مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف

اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع والتعليل بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشذوذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها اباء ظاهرا وقوله تع • لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا • قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جئ به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه • ومن يكرههن • آه جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء • فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم • اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود رض وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تع عنهم وكما ينبئ عنه قوله تع من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب • ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات • كلام مستأنف جئ به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة من معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول • ومثلا من الذين خلوا من قبلكم • عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فلينظر قصة عائشة رضي الله عنها

المحاكية

المحاكية لقصة يوسف عم وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات • وموعظة • تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تع لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما قيل • للمتقين • مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تع انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله • الله نور السموات والارض • آه حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تع ليس بمقصور على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل للكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تع على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تع ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما ان ابن عباس رضي الله تع عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وهذا اما حمل التنوير على اخراجه تع للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تع لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعد حسن النظام مثل نوره اي نوره الفائض منه تع على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تع وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رض والحسن وزيد بن اسلم رحمه جعله عبارة عن الحق وان شاع استعارة كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأنه

الكريم حـ

الآيات و وصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور و
الاظهار كما هو شأن القرآن واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار و
المراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة كمشكوة اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة
والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة
المشتعلة المصباح في زجاجة اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاء وكسرها في
الموصفين الزجاجة كانها كوكب دري متلالئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب
عظامها المشهورة وقرئ دري بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء
وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان
وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار
عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شأنهما
ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار
المبني عن القصد الاصلي دون الوصف المبني على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى
الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كانه قيل
فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري يوقد من شجرة اي يبتداء ايقاد المصباح من شجرة مباركة اي
كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله
تع فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ
توقد بالتاء على ان الضمير القايم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي
من التفعل اي ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى
الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على
قلة او على صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رض وسعيد بن جبير
وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي يصيبها الشمس
عند طلوعها وعند غروبها فيكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوء وقيل لا
نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود ما يكون وقيل لا في مضحى
تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة و
لا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء والانارة
بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء
شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه

لوجود

لوجود المانع كما في قوله تع اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في ما نحن فيه
الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه مع ثبوته او انتفائه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر
من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال
المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في
الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق
الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولا يعطي
لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل
الموجب او المنفي اي يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه
نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة نور خبر مبتداء محذوف وقوله تع على نور متعلق بمحذوف هو صفة
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي
عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا
على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور
متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه
اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوء له واجمع
لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه و
ينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما لا
يزيد نوره اشراقا ويمده باضائة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق
بشأن التنزيل الجليل يهدي الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف
العظيم الشأن واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافية الناشئة
من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته
وكونه من عند الله تع من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط
هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تع وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب
ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الا
رشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره
المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال المسند
اليه تع من الهداية الى صحة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى
لمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم مفعولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته

ان يتعلق مشيئة بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لما تقتضيه الحكمة التي عليها مبنى التكوين
والتشريع وان يكون هداية العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف
حال المحكوم به ذاتا وتعلقا. في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه. لما ذكر ان القرآن الكريم في
بيانه للشرائع والاحكام وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشار الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح
والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشار الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما
يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم
المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان
بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر
البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري
وايا ما كان في التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود
الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستأذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره
تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى. يسبح له. وقوله تعالى. فيها. تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة
وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس
ويستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة
كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى. بالغدو والآصال. اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو جمع
غداة كقني في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع
اصيل وهو العشي وهو ما بين الزوال الى الغروب والمراد بالغداة صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التسبيح
على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوة وقاتها لزيادة شرفها وانافتها على سائر افراده او عما
يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين
وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
وقوله تعالى. رجال. فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد
الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد
ضارع كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتاء التانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا
للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها
مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا

الخصوصية

قرأة

قرأة ابي جعفر ليجزى قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس ههنا مفعول صريح
لا تلهيهم تجارة. صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم كانهما كان
وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة
ولا بيع. اي ولا فرد من البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان
بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي
وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه
الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه. عن ذكر الله. بالتسبيح والتمجيد. واقام الصلوة. اي اقامتها
لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الا
ضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر. وايتاء الزكوة. اي المال الذي
فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا
تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع
في المساجد وكذلك قوله تعالى. يخافون. الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم و
ايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى. يوما. مفعول ليخافون لا للظرف له وقوله
تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص
كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان
كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى
كتابهم. ليجزيهم الله. متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من
المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى. احسن
ما عملوا. اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبع مائة ضعف
ويزيدهم من فضله. اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم تخطر ببالهم
كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى. والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه
تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما
عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا او عدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فينافيه نظمها في سلك الغاية
والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم
للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق
من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى
ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح (١٥٤) الخ

كان مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان ه

الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي
هو المعني بالنور وبه تم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في
بيوت آه من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف اي هو صفة لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح
وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله
تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق
بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي
الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون
بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز
والذين كفروا. عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين
كفروا. اعمالهم. اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج
وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب
كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية. كسراب. وهو ما يرى في الفلوات من
لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري. بقيعة. متعلق بمحذوف هو صفة لسراب
اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة وقيل هو جمع قاع كجيرة جمع جار و[illegible] بتاء ممدودة
كديمات اما على انها جمع قيعة او على الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين منها الف. يحسبه الظمآن
ماء. صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والم[illegible]
بان لتكميل التشبيه لشركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطمع والمنقطع المؤيس. حتى اذا جاءه. اي
اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه. لم يجده. اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه. شيئا. اصلا لا
محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق
التمثيل وقوله تعالى. ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب. بيان لبقية احوالهم العارضة
لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان
الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة
معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم
المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف وان
الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في
الدنيا نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل
فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم
لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين
الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا

افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية
ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر. او كظلمات. عطف على كسراب وكلمة او للتنويع
اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من
حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون
بظلمات كائنة في بحر لجي. اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة و
هي ايضا معظمه. يغشاه. صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية. موج. وقوله تعالى. من فوقه موج
جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج وقيل المرفوع وحده هو الجار والمجرور وموج فاعل له لاعتماده على
الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض
وقوله تعالى. من فوقه سحاب. صفة للموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج
سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت
السحاب. ظلمات. خبر مبتدأ محذوف اي هي ظلمات. بعضها فوق بعض. اي متكاثفة متراكمة وهذا
بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه
وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها
اذا اخرج. اي من [illegible] بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة. يده. وجعلها بمرأى
منه قريبة من عينه لينظر اليها. لم يكد يراها. وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها. ومن لم يجعل
الله له نورا آه. اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق
ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم
وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية
خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به. فما له من نور. اي فما له من هداية ما من احد
اصلا وقوله تعالى ألم تر استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه اعلى مراتب النور
واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا
شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح. ان الله يسبح له.
اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الجليل من نقص او خلل
من في السموات والارض. اي ما فيهما اما بطريق الاستقلال فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان
او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة
مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف
بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشان من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة
وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها
تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان في كل

فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادح بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه
مع دلالة ما فيها على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم
بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اياه الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل
التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم
حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من
الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي تشاركهم فيها غير العقلاء
ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير بينا انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية
والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية • والطير • بالرفع عطفا على من وتخصيصها
بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء
رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها
حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى • صافات • اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه
تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة
وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون
دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى • كل قد علم صلوته وتسبيحه • بيان
لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه
من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة
الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه
بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل عن استحقاق
الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء و
بقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته
ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد
عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا
المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز
ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير او
افرادها وبالصلوة والتسبيح ما الهم كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على
ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا بارتفاعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل
للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص
بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها
حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمها

الله

الله عز وجل اياها ليبين كمال رسوخها فيهما وان صدورهما عنها ليس بطريق الاتفاق بلا روية
بل عن علم واتقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلو
قات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان
القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل
الى جحره حسبما يروى انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالر
ياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان
يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها
اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى • والله عليم بما يفعلون • اي ما يفعلونه اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء
وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها و
عن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير
العقلاء لما مر والاعتراض مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل
ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه لكل اي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد
مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون
ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة
عنه وهما داخلتان فيها دخولا اوليا • ولله ملك السموات والارض • لا لغيره لانه الخالق لهما
ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما ابداء واعادة وقوله تعالى
والى الله • اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره • المصير • اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص
الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتر
بية المهابة والاشعار بعلية الحكم • الم تر ان الله يزجي سحابا • الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة
غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى
قدرته تعالى مما لا يعتد به • ثم يؤلف بينه • اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة • ثم
يجعله ركاما • اي متراكما بعضه فوق بعض • فترى الودق • اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله
تعالى • يخرج • من خلاله • اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور
برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب
وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله • وينزل من السماء • من الغمام فان كل ما علاك سماء • من جبال • اي
من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة • فيها • وقوله تعالى • من برد • مفعول ينزل على ان من تبعيضية
والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدأ منها

يقتني

السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اى ينزل مبتدأ من السماء
من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح بعضية المنزل
وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اى ينزل من السماء بعض جبال كائنة
فيها من برد اى مشبهة بالجبال فى الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرة من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان فى الا
رض جبال من حجر وليس فى العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحلل
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد
تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد
الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارا
دة الله تعالى ومشيته المبنية على الحكم والمصالح. فيصيب به. اى بما ينزل من البرد. من يشاء. ان يصيبه
فيناله ما يناله من ضرر فى نفسه وماله. ويصرفه عمن يشاء. ان يصرفه عنه فينجو من غائلته. يكاد سنا برقه
اى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه
قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة
والعلو وبادغام الدال فى السين وبرقه على انه جمع برقة وهى مقدار من البرق كالغرفة وبضمها
للاتباع بضمة الباء. يذهب بالابصار. اى يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفى
اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الا
غماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب
من الاذهاب على زيادة الباء. يقلب الله الليل والنهار. بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وز
يادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التى من جملتها ما ذكر من
ازجاء السحاب وما ترتب عليه. ان فى ذلك. اشارة الى ما فصل آنفا وفيه من معنى البعد مع قرب المشار
اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته. لعبرة. لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته و
كمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلى. لاولى الا
بصار. لكل من له بصر. والله خلق كل دابة. اى كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل
دابة بالاضافة. من ماء. هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغا
لب منزلة الكل لان من الحيوان ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست
صلة لخلق. فمنهم من يمشى على بطنه. كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة
او المشاكلة. ومنهم من يمشى على رجلين. كالانس والطير. ومنهم من يمشى على اربع. كالنعم
والوحش وعدم التعرض لما يمشى على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد
بها وتذكير الضمير فى منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل

التفصيل لتقديم ما هو اعرف فى القدرة. يخلق الله ما يشاء. مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على
ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر
واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية. ان
الله على كل شئ قدير. فيفعل ما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستيناف التعليلى. لقد
انزلنا آيات مبينات. اى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية. والله يهدى من
يشاء. ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل فى مطاويها. الى صراط مستقيم. موصل الى
حقيقة الحق والفوز بالجنة. ويقولون آمنا بالله وبالرسول. شروع فى بيان احوال بعض من لم يشأ الله
هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسترون
الكفر وقيل نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودى يدعوه الى النبى
صلى الله عليه وسلم وقيل فى المغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى ارض وماء فابى ان يحاكم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه فى تلك
المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم. واطعنا. اى اطعناهما فى الامر والنهى
ثم يتولى عن قبول الحكم. فريق منهم من بعد ذلك. اى بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله
وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما فى ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة
وما اولئك. اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفى الايمان عنهم
نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتضى لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الكفر والفساد اى وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة
ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم فى العقد والعمل. بالمؤمنين. اى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام
اى ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص فى الايمان والثبات عليه. واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
اى الرسول. بينهم. لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام
والايذان بجلالة محله عنده تعالى. اذا فريق منهم معرضون. اى فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه
عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه. وان يكن لهم
الحق لا عليهم. يأتوا اليه مذعنين. منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان
والمجئ يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما فى قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون
والتقديم للاختصاص. افى قلوبهم. مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد
استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس
ما وليته الهمزة وام من الامور الثلثة بل هو منشئيتها له كانه قيل اذلك اى اعراضهم المذكور لانهم
مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم. ام. لانهم. ارتابوا. فى امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها. ام. لانهم
يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله. ثم اضرب عن الكل وابطل منشئيته وحكم بان المنشأ شئ

آخر من شنائعهم حيث قيل. بل اولئك هم الظالمون. اى ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولين فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم ح ايضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خصص الارتياب بما له منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي ح نفس الارتياب ومنشئيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل. انما كان قول المؤمنين. بالنصب على انه خبر لكان يقتضيه لكن وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى بالاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اعترف عنه الاضافة لكن قراءة الرفع ابلغ بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وهو في ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك هنهنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما يفيد الاضافة بالنسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم. اى الرسول عليه السلام. بينهم. اى بين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم. ان يقولوا سمعنا واطعنا. اى خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اى انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابرازها هو بخلافها في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا اى ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم واولئك. اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل. هم المفلحون. اى الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذوف. ومن يطع الله ورسوله. استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اى ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام. ويخش الله ويتقه. بسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء

ويلكان الراء اى ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل. فاولئك. الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء. هم الفائزون. بالنعيم المقيم لا من عداهم. واقسموا بالله. حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدا بالايمان الفاجرة وقوله تعالى. جهد ايمانهم. نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اى اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اى جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اى اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين. لئن امرتهم. اى بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم وقيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى. ليخرجن. جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام بردها حيث قيل. قل. اى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها. لا تقسموا. اى على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى. طاعة معروفة. خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي اى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او لتكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام. ان الله خبير بما تعملون. من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ومجازاتكم بها من نفاقهم. قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول. كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى. فان تولوا. خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته عليه السلام وتصديره لهم حكم الامتثال

ه بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي

اخسئوا فيها ولا تكلمون

بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها. فانما عليه. اي فاعلموا انما عليه السلام. ما حمل. اي امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول. وعليكم ما حملتم. اي ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكون مؤنته باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة. وان تطيعوه. اي فيما امركم به من الطاعة. تهتدوا. اي الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى. وما على الرسول الا البلاغ المبين. اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما حملتم وقوله تعالى. وعد الله الذين آمنوا منكم. استئناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية. وعملوا الصالحات. عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما انتظم في سلك الوعد الكريم المشار اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الآثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلوة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي عليه السلام وللامة عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل او بعده عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل. ليستخلفنهم في الارض. جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة. كما استخلف الذين من قبلهم. هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد حقق في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي فلم يبق الا مسحت الخ. وليمكنن لهم دينهم. عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون ويذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى. الذي ارتضى لهم. وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه. وليبدلنهم. بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال. من بعد خوفهم. اي من الاعداء. امنا. حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة. يعبدونني. حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد. لا يشركون بي شيئا. حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا. ومن كفر. اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام. بعد ذلك. الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء

عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال. هم الفاسقون. الكاملون في الفسق والخروج عن
حدود الكفر والطغيان. واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة. عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام
فان خطابه تع للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تع فان تولوا آه وترغيبه
تع اياهم في الطاعة بقوله تع وان تطيعوه تهتدوا آه ووعده تع اياهم على الايمان والعمل الصالح بما
فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان
والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا الخ فلا تكفروا واقيموا او
عطف على اطيعوا الله وما بينهما كلام بجر الى النظم الكريم. واطيعوا الرسول. امرهم الله سبحانه بالزام
بما امرهم به بواسطة الرسول عم من طاعته التي هي طاعة تع في الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه
على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا واطيعوه في كل ما يأ
مركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد
بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به آه وقوله تع. لعلكم ترحمون. متعلق على
الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة و
الايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا. لا تحسبن الذين كفروا. لما بين حال من اطاعه عم و
اشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عم ومآل
امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل
احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عم على منهاج قوله تع فلا تكونن من المشركين ونظا
ئره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن
ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تع. معجزين. ثانيهما وقوله تع في
الارض. ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى
البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم
واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء
التحتية على ان الفاعل كل واحد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو
الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين
في الارض واما جعل معجزين مفعولا اولا وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة
ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تع اني
جاعل في الارض خليفة وقوله تع. ومأويهم النار. معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان
المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأويهم آه او
جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون
ومأويهم آه وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر. ولبئس المصير. جواب القسم المقدر والمخصوص

بالذم

بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار
بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه
فلله در شأن التنزيل. يا ايها الذين آمنوا. رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب
الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق
التغليب روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله عم
مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رض فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر رض لوددت ان الله تع نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه السا
عات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية. ليستأذنكم الذين
ملكت ايمانكم. من العبيد والجواري. والذين لم يبلغوا الحلم. اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ
المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله. منكم. اي من الاحرار. ثلث مرات. اي ثلثة اوقات في
اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور
المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها. من قبل صلوة الفجر. لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح
ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اي احدها من قبل آه. وحين تضعون ثيابكم. اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة
وقوله تع. من الظهيرة. وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع
الثياب في النهار دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنه ايراد
الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها في النهار الذي هو مظنة لكثرة الورود والصدور ومظنة
لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق
التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به. ومن بعد صلوة العشاء. ضرورة انه وقت التجرد
عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت
الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تع وان كنت بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي ذلك الو
قت الممتد المتصلين بالمذكورتين اتصالا عاديا وقوله تع. ثلث عورات. خبر مبتدأ محذوف
وقوله تع لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة
وجوب الاستيذان اي هن ثلثة اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل
الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ
ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات. ليس عليكم ولا عليهم. اي على المماليك والصبيان. جناح. اي
اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات. بعدهن. اي بعد
كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية

مع ان كل واحدة من تلك الاوقات قيل عورة من العورات لكمالها بعد اخرى منهن لتوقيه حق التكليف
والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه اذا الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف
والجملة على القرائتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراة الاولى كونها
فى محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراة الثانية فهى مستأنفة لا غير اذ لو جعلت
صفة لثلث عورات وهى بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء فى ثلث عورات لا اثم فى
ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه
فى معرض الصفة بخلاف قراة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى • طوا
فون عليكم • استيناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستيذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المدا
خلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عو
رات • بعضكم على بعض • اى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض • كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان
ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اى مثل ذلك التبيين • يبين الله لكم الآيات •
الدالة على الاحكام اى ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك و
الكاف مقحمة وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام
وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر هنا • والله عليم • مبالغ فى العلم بجميع المعلومات
فيعلم احوالكم • حكيم • فى جميع افعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا • واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم • لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال فى انه لا جناح عليهم فى ترك الاستيذان
فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب
ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول عليكم اى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب • فليستا
ذنوا • اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى • كما استأذن الذين من قبلهم • فى حيز النصب على
انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلو
غهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك
الا بالتشبيه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب فى ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر
ببال احد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما المعهود الموصوف ذكرهم قبل ذكرهم اى فليستأذنوا
استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا فى جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم
ارجعوا حسبما فصل فيما سلف • كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم • الكلام فيه كالذى سبق
والتكرير للتأكيد والمبالغة فى الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها • و

منه دعلى الظاهر

القواعد من النساء • اى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل • اللاتى لا يرجون نكاحا • اى لا
يطمعن فيه لكبرهن • فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن • اى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه
والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او للوصف بها • غير متبرجات بزينة • غير مظهرات لزينة
مما امر باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة
بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف
المرأة زينتها ومحاسنها للرجال • وان يستعففن • بترك الوضع • خير لهن • من الوضع لبعده من
التهمة • والله سميع • مبالغ فى سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة • عليم •
فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى • ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا
على المريض حرج • كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين
الاكيل وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح فى مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه ويضيق على جليسه والمر
يض لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده
ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل فى الكريمة فكانوا
يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا
يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء
فى بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن
طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل فى بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف
المعدودة • ولا على انفسكم • اى عليكم وعلى من يماثلكم فى الاحوال من المؤمنين • حرج ان تأكلوا •
اى تأكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما
لغير اولئك الطوائف حتما • من بيوتكم • اى البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عم انت ومالك لابيك وقوله عم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه
وان ولده من كسبه • او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم • وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى
وفتح الثانية • او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او
بيوت خالاتكم • او ما ملكتم مفاتحه • من البيوت التى تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه
الذى مر بيانه وقيل هى بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه
او صديقكم • او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به
كثير من الاقرباء روى عن ابن عباس رضه ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع
على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابها هذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح

ا وبينهم قرابة ح

الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله
تع ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما
بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان يأكلوا طعا
مهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من
يؤاكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الر
واح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم
يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه
الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا
يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان يأكلوا كيف شاؤا وقيل كا
نوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تع ان ذلك ليس بوا
جب وقوله تع جميعا حال من فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شتّ على
انه صفة كالحق يقال امر شتّ اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس
عليكم ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الآداب التي يجب رعا
يتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم
اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية
من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صفة للتحية فانها طلب الحيوة التي
هي من عند الله وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة لزيادة الخير والثواب ودوا
مها طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس رض قال عم لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك
يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي لكي تفقهوا
عنها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل
هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استيناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا
لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله
في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده
وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تع واذا كانوا معه على
امر جامع الخ معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين
آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل
من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق وكذا اذا

كانوا

لما بينكم

كانوا معه عم على امر جامع يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور
الداعية الى الاجتماع اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم
يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة و
لقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستأذنوه عم في الذهاب لا عيان النفس الا
ستيذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برأيه عم والاقتصار على ذكره لانه الذي
يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كا
لمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار والتفيط ما في الذهاب
بغير اذنه عم من الجناية للتنبيه على ذلك عقب بقوله تع ان الذين يستأذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان
الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان وفي اولئك من تفخيم
شان المستأذنين ما لا يخفى فاذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته عم في هذا الباب اثر
بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رأيه
عم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون فاذا
استأذنوك لبعض شأنهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فاذن لمن شئت منهم
لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر قوي لا يخ
عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم
مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار
لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الا
عتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عم اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا في حال
من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عم بغير استيذان فان
ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عم ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان
دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تع له
عليه عم مما يوجب امتثالهم باوامره عم ومتابعتهم له في الورود والصدور الكلا بيجاب و
اما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عم المؤدي الى ما يوجب هلاككم من دعائه
عم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عم كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من
وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتواضع
وحفظ الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تع قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الخ وعيد للمخا
لفي امره عم فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التد
ريج والخفية وقد للتحقيق كما ان ربّه للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين

لترتيب ح

لهم ح

اي لا تقيسوا دعاءه عم اياكم على دعاء بعضكم بعضا ح

يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية • لواذا • اى ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اى ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اى يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى • فليحذر الذين يخالفون عن امره • لترتيب الحذر اى الذين يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالف عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الامر حقيقة او للرسول عم لانه المقصود بالذكر • ان تصيبهم فتنة • اى محنة في الدنيا • او يصيبهم عذاب اليم • اى في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما • الا ان لله ما في السموات والارض • من الموجودات بكليته خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما مبدأ واعادة • قد يعلم ما انتم عليه • ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التى من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق • ويوم يرجعون اليه • عطف على ما انتم عليه اى يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشئ مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل • فينبئهم بما عملوا • من الاعمال السيئة التى من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليها ما يليق بها من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية • والله بكل شئ عليم • لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبى من قرئ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم • تبارك الذى نزل الفرقان • البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التى من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز

ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اى فصل بينهما سمى به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه وبين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله • على عبده • محمد عم وايراده عم بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عم في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى • ليكون • غاية للتنزيل اى نزله عليه ليكون هو عم او الفرقان للعالمين • من الثقلين • نذيرا • اى منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التى حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائها مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه • الذى له ملك السموات والارض • اى له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزم للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر المبتداء محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبى لانه تمام صلة ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات والارض السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او بالنصب • ولم يتخذ ولدا • كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله • ولم يكن له شريك في الملك • اى ملك السماوات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول • وخلق كل شئ • اى احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام • فقدره • اى هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس

والفاء ... او للاعلام على ما قبلها من عدم علمه ... (marginal note, partly illegible)

خلاصه

نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه تعالى احداثه تعالى خلقا لا
تعالى لايحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الا
حداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل من المرام قطعا وقيل المراد بالتقدير
الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة
معها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي انتظام كلها سواه
كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه
ولدا له سبحانه او شريكا في ملكه • واتخذوا من دونه الهة • بعد ما بين حقيقة الحق في مطلع السورة
الكريمة بذكر منزله تعالى للفرقان العظيم على رسوله الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال
وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل
عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي
الشريك عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص
ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير
الهة • لا يخلقون شيئا • اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا • وهم يخلقون • كسائر
المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير
وقوله تعالى • ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا • لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم
فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء
لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون
شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدم منه و
التنصيص على قوله تعالى • ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا • اي لا يقدرون على التصرف في
شيء منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور
من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله
يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين
بانتفاء ما نفي عن الهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك • وقال الذين كفروا ان
هذا الا افك • شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول
اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله ابن امية ونوفل
بن خويلد ومن اضرابهم وروي عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة
الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والا
يذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن
وجهه • افتراه • يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم • واعانه عليه • اي على اختلاقه • قوم

بجوابه

آخرون

آخرون • يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الماضية وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل
فقد جاؤوا ظلما • منصوب بجاؤوا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع
الخافض اي بظلم قال الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره
حيث جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر
وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته لعجزوا
عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية
والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر • وزورا •
اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر ويحصل بسببه بل على ان الثاني
هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان
ما جاؤوه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم اظهر منه بطلانه رتب
عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره • وقالوا اساطير الاولين • بعد ما جعلوا
الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاسا
طير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهو ما سطره المتقدمون من الخرافات • اكتتبها • اي كتبها
لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه صلى الله عليه وسلم امي واصله اكتتبها له
كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق
الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه • فهي تملى عليه • اي تلقى عليه تلك الا
ساطير الا بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على
ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها استكتبها ورجع الضمير المجرور اليه
صلى الله عليه وسلم كاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه صلى الله عليه وسلم • بكرة واصيلا • اي دائما او خفية قبل انتشار
الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون
• قل • لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق • انزله الذي يعلم السر في السموات والارض • وصفه تعالى
باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطوائه على اسرار مطوية عن عقول البشر
مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك
مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر
سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على
وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة
وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى

ثم اراد اكتتبها

من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى • انه كان
غفورا رحيما • تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اى انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة
والرحمة المستتبعين للتاخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم ايا
ها وغاية قدرته تعالى عليها • وقالوا ما لهذا الرسول • شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص
صية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها
من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عم وتسميته عم رسولا بطريق الاستهزاء به عم كما قال
فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم وقوله تعالى • ياكل الطعام • حال من الرسول والعامل فيها
ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اى اى شئ واى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال
كونه ياكل الطعام كما ناكل • ويمشى في الاسواق • لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار
والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا
يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر
محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجوب سبب نقيضه كذلك كل واحد من الاكل والمشى
امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب و
انكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشى بطريق
التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون
بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه
ان صح ما تدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور
انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو
بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد لو
لا انزل اليه ملك • اى على صورته وهيئته • فيكون معه نذيرا • تنزل منهم عن اقتراح ان يكون
ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الا
نذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى • او يلقى اليه كنز • تنزل من تلك المر
تبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون
دليلا على صدقه وقوله تعالى • او تكون له جنة ياكل منها • تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو
ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ ناكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم • وقال
الظالمون • هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم
وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه ضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عم الى
المسحورية اى قالوا للمؤمنين ان تتبعون اى ما تتبعون • الا رجلا مسحورا • قد سحر فغلب
على عقله وقيل ذا سحر وهى الرئة اى بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول

هو الانسب بحالهم • انظر كيف ضربوا لك الامثال • استعظام للاباطيل التى اجترءوا على
التفوه بها وتعجيب منها اى انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول
الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من
الوقوع • فضلوا • اى عن طريق المحاجة حيث لم ياتوا بشئ يمكن صدوره عمن له ادنى عقل و
تمييز فبقوا متحيرين • فلا يستطيعون سبيلا • الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون
عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه
فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدى الى استعمال المقدمات الحقة
تبارك الذى • اى تكاثر وتزايد خير الذى • ان شاء جعل لك • في الدنيا عاجلا شيئا • خيرا • لك
من ذلك • الذى اقترحوه من ان يكون لك جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة و
قوله تعالى • جنات تجرى من تحتها الانهار • بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا
عن قيد التعدد وجريان الانهار • ويجعل لك قصورا • عطف على محل الجزاء الذى هو جعل
وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول
القائل وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غائب مالى ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون
له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها
بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما
عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية و
انما الذى له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء
عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما • بل كذبوا بالساعة • اضراب عن توبيخهم
بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم
في الاخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى • واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • اى اعتدنا
لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول
موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة
موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتداد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة
لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا
ما لهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا
لكل من كذب بها سعيرا فان جراتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع
العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبنى على التحقيق المبنى
عن الوعد بالجنات في الاخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدى نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة
قول من قال عوجوا بنعم فحيوا منه الدار ماذا تحيوا من نؤى واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون

بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بمثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى
بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال
وجعلوا ذلك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى • اذا رأتهم • الخ صفة للسعير اي اذا كانت منهم
بمرأى الناظر في البعد كقوله عم لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من
الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ
والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى • من مكان
بعيد • اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد
في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة مائة سنة سمعوا
لها • تغيظا وزفيرا • اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره و
هو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق
الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف
المضاف • واذا القوا منها مكانا • نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له
ضيقا لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في
وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رض تضيق جهنم عليهم
كما تضيق الزج على الرمح وسئل النبي عم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون
في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم
الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء • مقرنين • حال من مفعول القوا اي
اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل
مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي ارجلهم الاصفاد • دعوا هنالك
اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة • ثبورا • اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه
تعال فهذا حينك واوانك • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا • على تقدير قول اما منصوب على انه حال
من فاعل دعوا اي دعوا مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذا
بهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا
لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوا حال كونهم
احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا
يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا عما علقوا به اطماعهم من الهلاك و
تنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا
على دعاء ثبور واحد • وادعوا ثبورا كثيرا • اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب
كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة

ضيقا

صار

صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوا دعاء واحدا وادعوا
ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء
في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدده وتجدده لتعدد العذاب بتعدد
انواعه والوانه ولتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس
ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظا
عته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما
يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحا
لته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل و
التفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة • قل • تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على
ما فاتهم • اذلك • اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة و
ما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم اذلك الذي
ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن اهلها ذيت وذيت
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون • اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز
عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية والثالثة
منها فقط • كانت • تلك الجنة • لهم • في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعد الله تعالى فهو كائن
لا محالة فحكي تحققه ووقوعه • جزاء • على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم • ومصيرا • ينقلبون
اليه • لهم فيها ما يشاؤن • اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعم
كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له من درجات النعم و
لا يمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب
اهل الجنان • خالدين • حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وقيل
من فاعل يشاؤن • كان • اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله وعد المتقون • على
ربك وعدا مسؤلا • اي موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او
مسؤلا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك والملائكة بقولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى
ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تشريفه والاشعار بانه هو القائل آثار ذلك
الخير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى • ويوم يحشرهم • نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف
على قوله تعالى قل اذلك الخ اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير مع ان المقصود تذكيرها وقع فيه
من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله و

اي يوم يحشرهم الله وتعليق التذكير باليوم صح صح صح

ماضيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اى يوم يحشرهم يكون الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه
المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا • وما يعبدون
من دون الله • اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا
رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب
الاصنام على غيرهم تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها
او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم
بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول اى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل
تقريعا لعبدتها وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون
لنون على طريق الالتفات الى الغيبة • أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء • بان دعوتموهم الى عبادتكم
كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • ام هم ضلوا السبيل • اى عن
السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل
الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين
على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه • قالوا • استئناف مبني على
سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا • سبحانك • تعجبا مما
قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء واشعارا بانهم الموسومون
بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد • ما كان ينبغي لنا •
اى ما صح وما استقام لنا • ان نتخذ من دونك • متجاوزين اياك • من اولياء • نعبدهم لما بنا من الحالة
المنافية فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان نتخذ نحن وليا او ان نتخذ من دونك
اولياء اى اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والا
سفل ومنه اولياء الشيطان اى اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى المفعو
لين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اى ان
نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم
الجن والاصنام • ولكن متعتهم واباءهم • استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم
عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اى ما
اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات
وانهمكوا فيها • حتى نسوا الذكر • اى غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في الائك والتدبر في آياتك
فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية • وكانوا • اى في قضائك المبني على
علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة • قوما بورا • هالكين
على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ

فدكذبكم

في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى • فقد كذبوكم • حكاية لاحتجاجه تعالى
على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبا
لغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اى فقال الله تعالى عند ذلك المعبودون ايها
الكفرة بما تقولون اى في قولكم انهم آلهة او قيل في قولكم هؤلاء اضلونا والباء ان تكذيبهم في
هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذ
يبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم واما ما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على
ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك الآية
فما تستطيعون • اى ما تملكون • صرفا • اى دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه
التنكير اى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اى يحتال فيها او
قيل توبة • ولا نصرا • اى فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب
عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة
بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم
وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اى ما يستطيعون آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا
لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه • ومن يظلم منكم • ايها المكلفون كدأب
هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل
حد معتاد • نذقه • في الآخرة • عذابا كبيرا • لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان
الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لما يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في
اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط
بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا • وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون
في الاسواق • جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا
صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا
له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير
الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمشيهم حوائجهم او الناس • وجعلنا
بعضكم • تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض
كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى
لبعض • رسلهم لكن على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اى ابتلاء ومحنة لمجموع البعض
الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني لا
على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل
من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من

الآخرين ببعض منهم من الاولين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من
الرسل كأنه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها
وانما لم يصرح بذلك تعويلاً على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين
على العموم والابهام على معنى انا جعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى اتصبرون
فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس مغيا بالصبر بل
بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال
المفتونين المتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به
تسليته عم فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناجزتهم لهم العدا
وة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان
ربك بصيرا وعد كريم للرسول عم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عم بالالتفات
الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية
بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة
على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول آه ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة
على ان ما يحكى عنهم في الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل واللقاء التي
عبارة عن مصادفته من غير ان يمنعها مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه
تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم
اياه عدم توقعهم له لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم
سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث و
الحساب رأسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب
الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا علينا لنخبرونا بصدق محمد عم
وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا
القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم
اي في شأنها حتى اجتروا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في
الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالٰ
هية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القا
هرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد
تترنو اليها احداق الامم ولا يمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من
الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة

استيناف

استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عم بعد استعظامه
وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملائكة
ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر
غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى
لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون
البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك
بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما
ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى
لهم على ابلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب
على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل
مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك
مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع
ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن
الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة
في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة
ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه بيانا انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة
يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى
ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه
لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملا
ئكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا
وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتأكيد
كما قالوا ذيل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محجورا عليكم الغفران
او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن
على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال
اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم
فانحى عليها بالافساد والتمزيق ومزقها كل ممزق بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء
يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار
ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث

اي بحيث لم يبق لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها واظهرنا بطلانها بالكلية صح

لايمكن نظرا او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تع • كونوا قردة خاسئين اصحاب
الجنة • هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تع قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون آه
يومئذ • اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا
خير مستقرا • المستقر المكان يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث • واحسن مقيلا • المقيل
المكان الذي يؤوي اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به
يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز
الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم
في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او
الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تع قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد
باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة
ويوم تشقق السماء • اي تنفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام
التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تع هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني
اسرائيل • ونزل الملائكة تنزيلا • اي تنزيلا عجيبا غير معهود وقيل تنشق سماء سماء وينزل
الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزل على صيغة المتكلم
مع الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزول الملائكة ونزل الملائكة على حذف الواو الذي هو فاء
الفعل من نزل • الملك يومئذ الحق للرحمن • اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت
صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتداء والحق
صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتداء وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تع
خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل مبتداء
والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول
للملك وقيل الخبر يومئذ الحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكروا اياما كان فالجملة بمعناها عاملة في
الظرف اي ينفرد الله تع بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استيناف مسوق
لبيان احواله واهواله وايراده تع بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تع بغاية الرحمة لا يهون الخطب
على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي
يومئذ للرحمن • وكان ذلك اليوم • مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده • يوما على الكافرين
عسيرا • شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل
الله تع وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمنين حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة

الزيادة

لا للقصر لانه معلوم على تقدير التأخير ايضا منه سلمه الله

صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله • ويوم يعض الظالم على يديه • عض اليدين
والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد
بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي عم فدعا النبي عم يوما الى ضيافته
فابى عم ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت
فقال لا ولكن لانه ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان
تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عم لا القاك خارجا
من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رض فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت
الانصاري وطعن عم ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه
دخولا اوليا وقوله تع يقول آه حال من فاعل يعض وقوله تع • يا ليتني • آه محكي به ويا اما لمجرد التنبيه
من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادي محذوف اي يا هؤلاء ليتني • اتخذت مع الرسول سبيلا •
اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت
في صحبته عم طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتي بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري
وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالي واحضري فهذا اوانك ليتني • لم اتخذ فلانا خليلا • يريد
من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن
علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء
الا في الضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله خزاحة ثاني عن فل فلان وليس فل مرخما
من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم
عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين
الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل و
اعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تع • لقد اضلني عن الذكر • تعليل لتمنيه المذكور وتو
ضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته والله لقد
اضلني عن ذكر الله تع او عن القرآن او عن موعظة الرسول عم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني و
تمكنت منه وقوله تع • وكان الشيطان للانسان خذولا • اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى
يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تع او من تمام كلام الظالم
على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على
انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالطة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عم بوسوسته
واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الآخرة وهو اوفق
لحال الابليس • وقال الرسول • عطف على قوله تع وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض
مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عم بعنوا

الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكى عنهم قد جاء في رسالته عم اى قال كيت و
كيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا
رب ان قومي يعنى الذين حكى عنهم ما يحكى من الشنائع • اتخذوا هذا القرآن • الذى من جملته هذه
الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة • مهجورا • اى
متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن
ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه عم من تعلم القرآن
وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا
اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اى جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم
الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه و
جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير
والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى الله تع قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تع و
كذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله عم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء
عليهم السلام اى كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الا
باطيل جعلنا لكل نبى من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم
فاصبروا كما صبروا وقوله تع • وكفى بربك هاديا ونصيرا • وعد كريم له عم بالهداية اى كافة مطالبه والنصر على اعدا
ئه اى كفاك مالكك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب
اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك • وقال الذين كفروا
حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عم والقائلون هم القائلون
اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم • لولا نزل عليه القرآن • التنزيل ههنا مجرد
عن معنى التدريج كما في قوله تع يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد
به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اى هلا انزل كله • جملة واحدة • كالكتب الثلثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء
مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تع اعجازها
واما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تع نظمه المعجز الباقى على الدهور المتحقق في كل جزء
من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو
المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة
قد اشير الى بعض منها بقوله تع • كذلك لنثبت به فؤادك • فانه استيناف وارد من جهته تع لرد مقالتهم
الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجى ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل
بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اى مثل ذلك التنزيل المفرق الذى قدحوا فيه و
اقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ

قاصر

جملة واحدة

وفهم المعانى وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعى فيها من الحكم والمصالح المبنية على
المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين
وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والا
فاعيل ومن قضية تجدد ما يتعلق بها كالاحداث الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطا
لها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا
بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت
فكيف لو تحدوا بكله وقوله تع • ورتلناه ترتيلا • عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اى كذلك نز
لناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعى والحسن و
قتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدى فصلناه تفصيلا
وقال مجاهد جعلناه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تع ورتل القرآن ترتيلا وقيل
قرأناه عليك بلسان جبرائيل عم شيئا فشيئا في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل • و
لا يأتونك بمثل • من الامثال التى من جملتها ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة
العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اى لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح
في حقك وحق القرآن • الا جئناك • في مقابلته • بالحق • اى بالجواب الحق الثابت الذى ينحى عليه بالابطا
ل ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها
بالكلية وقوله تع • واحسن تفسيرا • عطف على الحق اى جئناك باحسن تفسير او على محل بالحق اى
آتيناك الحق واحسن تفسيرا اى بيانا وتفصيلا على انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان
ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اى لا يأتونك
بمثل في حال الا حال اتياننا اياك الحق الذى لا محيد عنه وفيه الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به
وتثبيت فؤاده عم ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسئلة وبصحة جميع الاجوبة
وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج
لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده من تلك الحيثية هذا وقد جوز
ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التى كانوا يقترحون كونه عم عليها من مقارنة الملك و
الاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على
معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن
من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته وهو الذى انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر
منه ان يكون ما اعطاه الله تع من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دفعا لها ولا ريب في ان
ما اتاه الله تع من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكى عنهم

كالباحث على حتفه بظلفه امروا بالاتيان
بمثل نوبة من نوب التنزيل

نعضه

قائلين

بيضاوى
وزمخشرى

من الاقتراحات لاجل دفعها وابطالها. الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم. اى يحشرون
كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرّون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم
وارجلهم الى فوق روى عنه عم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب و
ثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات
متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان حصول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات
او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله تع
اولئك بدل منه او بيان له وقوله. شر مكانا واضل سبيلا. خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان و
شر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازى للمبالغة و
المفضل عليه الرسول عم على منهاج قوله تع قل اانبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عم وتضليل سبيله ولا
يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تع اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن. مقيلا. ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتاكيد ما مر من التسلية
والوعد بالهداية والنصر في قوله تع وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم
السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اى والله
لقد آتيناموسى التورية اى انزلناها عليه بالآخرة. وجعلنا معه. الظرف متعلق بجعلنا و
قوله تع. اخاه. مفعول اول له وقوله تع. هرون. بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما
وقع في سورة طه وقوله تع. وزيرا. مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير اى جعلناه في اول
الامر وزيرا له فقلنا لهما. اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا. هم فرعون وقومه والا
يات هى المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عم ولم يوصف القوم لهما عند ارسا
لهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تاخر تكذيب الايات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما عن الامر به
بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله عم بيانا لعلة استحقاقهم لما حكى بعده من التد
مير اى فذهبا اليهم فارياهم اياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا. فدمرناهم. اثر ذلك التكذ
يب المستمر. تدميرا عجيبا. هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء
بما هو المقصود وحمل قوله تع فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا
وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بالتدمير قد وقع والتعرض في مطلع القصة لايتاء
الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الايات للايذان من اول
الامر ببلوغه عم غاية الكمال ونيله نهاية الامال التى هى انجاء بنى اسرائيل من ملكة فرعون
وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على
الوجه الذى مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقد مراهم على التاكيد بالنون الثقيلة. وقوم نوح. منصوب

وقد مر انهم

بمضمر

بمضمر يدل عليه قوله تع فدمرناهم اى ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم و
ليس من ضرورة ترتيب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين بسببه بقوله
تع لما كذبوا الرسل اى نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام
وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تع اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف ز
مان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه جواب لها وجواب لما لا يعمل فيما قبله
مع انه مخل بعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما
تقدم وقوله تع اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم. وجعلناهم. اى جعلنا اغراقهم
او قصتهم. للناس آية. اى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهى مفعول ثان لجعلنا
وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها. واعتد
نا للظالمين. اى لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب
عذابا اليما. هو عذاب الاخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتداد العذاب الذى قد اخبر بوقوعه
من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زم
رتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوى. وعادا. عطف على قوم نوح وقيل على
المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما
بعيد وثمود. الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تأويل الحى او على انه اسم
للاب الاكبر. واصحاب الرس. هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا عم فكذبوه
فبينما هم حول الرس وهى البئر التى لم تطو بعد اذا انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس
قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود
وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى عم ابتلاهم
الله تع بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى
يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد وكذلك سميت مغربا فدعا عليها
حنظلة عم فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عم فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسو
لهم ورسوه اى دسوه في بئر. وقرونا. اى اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون
سنة وقيل مائة وعشرون. بين ذلك. اى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر
اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على
ذلك المذكور وذلك المحسوب. كثيرا. لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك
القرون بهذا البيان الاجمالى لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم
المذكورة. وكلا. منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير و
المحذوف الذى عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التى لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل

فانما حكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا لعموم التأثير من الامثال المضروبة
اى ذكرناه وانذرنا كل واحد من المذكورين . ضربنا له الامثال . اى بينا له القصص العجيبة
الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل . وكلا . اى كل واحد منهم لا بعضهم دون
بعض . تبرنا تتبيرا . عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا اليه رأسا وتمادوا على ما هم
عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه
التبر لفتات الذهب والفضة . ولقد أتوا . جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك
بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اى وبالله لقد اتى
قريش في متاجرهم الى الشام . على القرية التي امطرت . اى اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط
وكانت خمس قرى ما نجا منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها
الله تعالى بالحجارة وهو المراد بقوله تعالى . مطر السوء . وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد
كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اى امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او
اوليت مطر السوء . أفلم يكونوا يرونها . توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه و
الهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها
لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه
المقام اى الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها
في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر و
عدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى . بل كانوا لا يرجون
نشورا . اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان
لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها فلا بد
الا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية
من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اى عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون
النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله
للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم
الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما
يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه
من عدم توقع النشور . واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا . اى ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوءا به على
معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا
قد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى . أهذا الذي بعث الله رسولا .
محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اى يستهزؤن بك قائلين أهذا الذي آه والاشارة للاستحقار

وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته مع كونهم في غاية
النكير لبعثته عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي زعم
انه بعثه الله رسولا . ان كاد . ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اى انه كاد . ليضلنا عن
آلهتنا . اى ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى
الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي . لولا ان صبرنا عليها . ثبتنا عليها واستمسكنا
بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير
اليه في قوله تعالى ولقد همت به آه وهذا اعتراف منهم بانه عليه السلام قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى
الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم
وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل . وسوف يعلمون . جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم و
رد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اى سوف يعلمون البتة وان تراخى . حين
يرون العذاب . الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم . من اضل سبيلا . وفيه ما لا يخفى من الوعيد
والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم . أرأيت من اتخذ الهه هواه . تعجيب لرسول الله عليه السلام من
شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال والتنبيه على ما لهم من المصير والمآل و
تنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول
للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف
فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اى أرأيت من جعل هواه
الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية
على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى . أفأنت تكون عليه وكيلا . انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا
عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار
على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع
الهدى تقسره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى . أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون . اضراب
وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم سمعا او عقلا حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام
في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع
اى بل أتحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها
من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في ايمانهم و
ضمير اكثرهم لمن وجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظه وضمير الفعلين
للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى . ان هم الا كالانعام . آه جملة مستأنفة مسوقة لتقرير
النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اى ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع
الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة

وعلى في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها و
يتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشا
ربها وتأوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون
احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي
هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم
تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفر
عوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى
الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد
وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل
صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون
لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس مستحقون بذلك اعظم العقاب و
اشد النكال • الم تر الى ربك • بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين
عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله عم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته
تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى • كيف مد الظل • اي كيف انشأه ظلا اي ظل كان من جبل
او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف
النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح يكون نعمة بانشائه تعالى واحداثه يأباه
سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه
اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر
البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود ففيه بعد سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه
الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما
يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة
لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكروا وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه
ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير
رؤيته عم لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عم غير مقصور على ما يطالع من الآثار والصنا
ئع بل مطمح انظاره معرفة شئون الصانع المجيد وقوله تعالى • ولو شاء لجعله ساكنا • جملة
اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب
العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة

من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا
على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله
حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله
انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التقليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع وا
حد فمدار العقول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة
وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن
رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا لذكر قدرته تعالى
على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الد
لالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بان
يراد في معرض البيان وقوله تعالى • ثم جعلنا الشمس عليه دليلا • عطف على مد داخل في حكمه اي
جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير
قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذ
كور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية
من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى • ثم
قبضناه • عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد
مترتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للترا
خي الرتبي اي ازلناه بعدما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس
موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه
لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى • الينا • للتنصيص على كون
مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل • قبضا يسيرا • اي على مهل قليلا قليلا حسب
ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان
الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض
لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس
وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في
الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا
غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل
فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله
تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع • وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا • بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق

وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه
للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل
الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه هو الذي جعل لكم الليل كاللباس
يستركم بظلامه كما يستركم اللباس • والنوم سباتا • اى وجعل النوم الذى يقع فى الليل
غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما
بينهما من المشابهة التامة فى انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم با
لليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها • وجعل النهار نشورا •
اى زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عم يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر • وهو الذى ارسل الرياح • وقرئ
بالتوحيد على ان المراد هو الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور جمع مبشرين وقرئ بشرى
وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اى ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على
انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى • بين يدى رحمته • استعارة بديعة اى قدام المطر وا
لتفات الى نون العظمة فى قوله تعالى • وانزلنا من السماء ماء طهورا • لابراز كمال العناية بالا
نزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اى انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة
الفوق ماء بليغا فى الطهارة وما قيل من انه ما يكون طاهرا فى نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلا
غته فى الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور
فى العربية الماضية كما فى قوله عم التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك
تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عم لا صلوة الا بطهور ووصف الماء
به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما
يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك
واولى • لنحيى به • اى بما انزلنا من الماء الطهور • بلدة ميتا • بانبات النبات والتذكير لان
البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد والمراد به
المراد به القطعة من الارض عامرة كانت او عامرة • ونسقيه • اى ذلك الماء الطهور عند
جريانه فى الاودية او اجتماعه فى الحياض والمناقع والآبار • ومما خلقنا انعاما واناسى
كثيرا • اى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم
بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام
غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان
مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام

الطيبا بالعم المط

منتهى بجور يرو

جيد

حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما
قدم عليها احياء الارض فانها سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان
وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت
نونه ياء وقرئ اناسى بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم • ولقد صرفناه • اى وبالله لقد كررنا
هذا القول الذى ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة فى القرآن وغيره من الكتب
السماوية • بينهم • اى بين الناس من المتقدمين والمتأخرين • ليذكروا • ليتفكروا
ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته فى ذلك وليقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير
للمطر وتصريفه بينهم انزاله فى بعض البلاد دون غيرها او فى بعض الاوقات دون بعض او
جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة والاول هو الاظهر • فابى اكثر
الناس • ممن سلف وخلف • الا كفورا • اى لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او
جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من
الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى • ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا • نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء
النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل • فلا تطع الكافرين • اى فقابل ذلك با
لثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهى لرسول الله عم عن المدا
راة معهم والتلطف فى الدعوة لما انه عم كان يود ان يدخلوا فى الاسلام ويجتهد فى ذلك بتأليف
قلوبهم اشد الاجتهاد • وجاهدهم به • اى بالقرآن بتلاوة ما فى تضاعيفه من القوارع الزواجر
والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة • جهادا كبيرا • فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور
جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم بلا دعوة اصلا
وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى
وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم بالشدة
والعنف لا بالملايمة والمداراة كما فى قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه عم نذيرا
كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عم وجاهدهم
بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة ولا يخفى ان بيانه عم بسبب كبر
المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب
كبرها وعظمها فى الكيفية • وهو الذى مرج البحرين • اى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا
يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها • هذا عذب فرات • قامع للعطش لغاية عذوبته

فهو كافر بخلاف من يرى انها من خلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى صح

المفهوم من النهى عن الطاعة وانه خبير بانه مجرد ترك الطاعة صح

وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما
برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مبالغا
كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر
وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح
البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة
مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاحق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من
الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس و
يستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزو
جين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان خلق من مادة
واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من
نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم
ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى
اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا
يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد
به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم عليه اي
على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم
اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثني منه قلعا
كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم
عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل و
توكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق
بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم
وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام
بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها
بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة
اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة

الى

الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام
العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات
معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا يقف على تفاصيلها العقو
ل احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن
وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه
تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما
صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزم
حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من
متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل
الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن
في استوى فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ
بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى
الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل ومن ظاهر ان نفس
الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا
على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر فاسأل
معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على
جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا
وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب
ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره وقرئ فسل
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او
لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك
ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه
قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في
السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كا
لمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى و
جعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا
اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمراء اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على
المضاف اليه ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه بردى يصفق
بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة • اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه
فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تع واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كا
لركبة والجلسة من ركب وجلس • لمن اراد ان يذكر • اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه
فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد • او اراد شكورا • اي ان يشكر الله تع على ما
فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر
بمعنى تذكر • وعباد الرحمن • كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية
والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره
ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة
وقرئ عُبّاد الرحمن اي عباده المقبولون • الذين يمشون على الارض هونا • اي بسكينة وتواضع وهونا
مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون مشيا هينين
لينين الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تع • واذا خاطبهم الجاهلون • اي السفهاء كما في
قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا • قالوا سلاما • بيان لحالهم في المعاملة
مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسليما منكم ومتاركة لا خير بيننا
وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع
الكفرة حتى يقال نسخها آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تع • والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما • بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او
بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا او قائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل • والذين
يقولون • اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم • ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذا
بها كان غراما • اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع
الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تع في صرفه عنهم غير محتفلين
باعمالهم كقوله تع والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون • انها ساءت
مستقرا ومقاما • تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها
وقد جوز ان يكون تعليلا للاول وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم
ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حالا او تمييز
وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تع • و
الذين اذا انفقوا لم يسرفوا • لم يجاوزوا حد الكرم • ولم يقتروا • ولم يضيقوا تضييق الشحيح
وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجب والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح

الليل

الياء

الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء • وكان بين ذلك • اي بين ما ذكر من الاسراف والتقتير
قواما • وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما
يقام به الحاجة لا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون
اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن
نفسه • والذين لا يدعون مع الله الها آخر • شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم
بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور
ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه
وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تع الها آخر • ولا يقتلون النفس
التي حرم الله • اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم • الا
بالحق • اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا
ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق • ولا
يزنون • اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعتهن الكفرة حيث كانوا مع
اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون
عنه اصلا • ومن يفعل ذلك • اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين • يلق • في الآخرة وقرئ
يلقى وقرئ يلقّ بالتشديد مجزوما • اثاما • وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل
هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقدير يفيد التفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو
ايام لليوم العصيب • يضاعف له العذاب يوم القيمة • بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية و
كذا ما عطف عليه وقرئ يضعّف ونضعّف له العذاب بالنون ونصب العذاب • ويخلد فيه • في
ذلك العذاب المضاعف • مهانا • ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ
يخلّد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة
الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تع • الا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا • وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص
على مغايرته للاعمال السابقة • فاولئك • اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد
في الافعال الثلثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح • يبدل
الله سيئاتهم حسنات • بان يمحوا سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم
او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل
بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا
وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا • وكان الله غفورا رحيما • اعتراض تذييلي

مقرر بما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اى عن المعاصى بتركها بالكلية والندم عليها وعمل
صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله
اى يرجع اليه تعالى متابا اى متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او
يتوب متابا الى الله سبحانه وتعالى الذى يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او
الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق
الاتفاق باللغو اى بما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم
عن الوقوف والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما
يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا
عليها صما وعميانا اى اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين فيها بعيون راعية وانما
عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصى المد
لول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم
للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله فى طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها
يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له فى مناهج الدين وتوقع لحوقهم به فى
الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير
الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب فى قلتها بالنظر
الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اى اجعلنا بحيث يقتدون بنا فى اقامة مراسم الدين بافاضة
العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا
او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم
كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه ممتنع لا
ستحالة اجتماعهم فى عصر واحد فما ظنك باجتماعهم فى مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة
واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره فى استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر
ان صدوره عنهم الدعاء بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلنى للمتقين اماما خلا
انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع
صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول فى المواقع السبعة مع كفاية ذكر
الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر فى حيز صلة المو
صولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل و
لا يجعل شئ من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنوانى

منزلة

منزلة الاختلاف الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم او
لئك اشارة الى المتصفين بما فصل فى حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه
دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستأنفة
لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم فى الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم فى الدنيا من الا
عمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اى يثابون اعلى منازل الجنة
وهى اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى اسم من اسماء الجنة بما صبروا
بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها
من جهة الملائكة تحية وسلاما اى يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة عن
الآفات او يعطون التبقية والتخلية مع السلامة من كل آفة وقيل يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه
وقرئ يلقون من لقى خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام
فيه كالذى مر فى مقابله قل امر لرسول صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة
التى يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اى قل
لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم اى
اى عبأ يعبأ بكم اى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الا
نسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اى وزن يكون
لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه آلهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله
بيان لحال المؤمنين منهم اى فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك
المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد
كذب الكافرون اى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدة الايذان بان مناط فوز احد
هما وخسران الآخر مع الاتحاد والجنس المصحح للاشتراك فى الفوز ليس الا اختلافهما فى الاعمال فسوف
يكون لزاما اى يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما يعرب عنه الفاء
الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه
على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه
لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وبالامالة واظهار النون وبادغامها فى الميم
وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة

فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف و
هو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عم او النصب بتقدير فعل
لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك في قوله تعالى • تلك آيات الكتاب المبين • اشارة الى السورة
سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما تم تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده وعلى
تقدير كون طسم مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر
اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل
والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفا بما اشتهر به الكل
من النعوت الفاضلة • لعلك باخع نفسك • اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق
على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك • الا يكونوا مؤمنين • اي لعدم ايمانهم بذلك
الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى • ان نشأ • الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم
من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئته تعالى فلا وجه للطمع
فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى • ننزل عليهم من السماء
آية • اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الا
هتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر • فظلت اعناقهم لها خاضعين • اي منقادين واصله
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله
وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى
رأيتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج
منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى • وما يأتيهم من
ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين • بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه
من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله عم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجا
ئه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف
هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة
لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع
قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ
القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس
الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا
عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وهو استثناء مفرغ من

اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور
اي ما يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه • فقد كذبوا • اي كذبوا بالذكر
الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى
اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى • فسيأتيهم • لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون
الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا • انباء ما كانوا به يستهزؤن • على ما يقتضيه
ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع
في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف
يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها
بذلك لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما
يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على
خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا به يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا
في احواله ويقفوا عليها • او لم يروا • الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا
الى الارض • اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الا
يمان به وقوله تعالى • كم انبتنا فيها من كل زوج كريم • استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة
عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل
لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن • كل زوج • اي صنف • كريم • والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده
اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص النبات بالذكر دون ما عداه من الاصناف
لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد جميع اصناف النباتات نافعها وضارها
ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله
تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان
غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون • ان في ذلك • اشارة الى مصدر
انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في
الفضل • لآية • اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة
رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر • وما كان اكثرهم • اي اكثر قومه عم • مؤمنين • قيل اي في
علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف
الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم
مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الا
يمان من جهته تعالى والمناسبة كونهم في علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين في تجنب

الظ لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء المتقنين كانه قيل ان في ذلك لآية
باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهما
كهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن • وان ربك لهو العزيز
الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء • الرحيم • المبالغ في الرحمة
ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من
الكفرة ما لا يخفى • واذ نادى ربك موسى عم • كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يا
تيهم من الايات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الايات التكو
ينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم اي واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت
ندائه تع اياه عم وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من
التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم
لا يؤمنون بما ياتيهم من الايات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بمشاهدة اصرا
رهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله
تع ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان
المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا • ان ائت • اي ائت على ان
ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار • القوم الظالمين • اي بالكفر والمعاصي و
استعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في
سورة طه من قوله تع اني انا ربك الى قوله تع لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة
من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله
قال انظرني • قوم فرعون • بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كان
معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول
داخل في الحكم • الا يتقون • استئناف جيء به اثر ارساله عم اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في
الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المبني على زيادة الغضب
عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى
الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد
الحث على التقوى لمن تدبر وتامل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز ان
يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عم فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل رب • اني اخاف ان
يكذبون • من اول الامر • ويضيق صدري ولا ينطلق لساني • معطوفان على اخاف • فارسل •

اى

الى جبريل عم

اي جبرائيل عم • الى هرون • ليكون معي واتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاءه ذلك على
الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازديادها كان فيه عم من حبسة اللسان بانقباض
الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه و
ينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل و
التوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ و
يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما لا يخاف منه • ولهم علي ذنب •
اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا
بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع • فاخاف •
اي ان اتيتهم وحدي • ان يقتلون • بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما
هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تع • قال كلا فاذهبا باياتنا • حكاية لاجابته تع
الى الطلبتين الرفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق
التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت و
من استدعيته وفي قوله تع باياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه • وقوله تع • انا معكم مستمعون •
تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تع انني معكما
اسمع وارى وحيث كان الموعود بحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل اجرا مجرى الجماعة
وباياه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله
تع بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم
مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم
بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف والفاء في قوله تع • فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين • لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا تجديدا للتا
كيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الر
سول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تع
ان ارسل معنا بني اسرائيل • مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسا
لهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما الى الشام • قال • اي فرعون لموسى عم بعدما اتياه وقالا
له ما امر به روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا
انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فاديا اليه الرسالة فعرف
موسى عم فقال عند ذلك • الم نربك فينا • في حجرنا ومنازلنا • وليدا • اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب
عهده بالولادة • ولبثت فينا من عمرك سنين • قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام
به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز

الى

القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم • وفعلت فعلتك التي فعلت • يعني
قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ونجه بما جرى عليه من قتل خبازه
وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل • وانت من الكافرين •
اى بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت ح ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عم او جهل
امره عم حيث كان يعاشرهم بالتقية والا فاين هو عم من مشاركتهم في الدين فالجملة ح حال من
احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن يكفرون في دينهم
حيث كانت لهم آلهة يعبدونها او من الكافرين بالنعم المعتادين بغمطها ومن اعتاد ذلك لا
يكون مثل هذه الجناية بدعا منه • قال مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا في نسبة اليه من الكفر
فعلتها اذا • وانا من الضالين • اى من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعم افتراء
اى من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه او
الذاهلين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تع ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى • ففر
رت منكم • الى ربي • لما خفتكم • ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب
فوهب لي ربي حكما • اى حكمة او نبوة • وجعلني من المرسلين • ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في
نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه
على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال • وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل • اى تلك التربية
نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه
السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او تلك نعمة تمنها
علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من نعمة
او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله
لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عم تلك المقالة المتينة
وشاهد تصلبه في امره وعدم تاثيره لما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه
عم فبدا بالاستفسار عن المرسل فقال • وما رب العالمين • حكاية لما وقع في عبارته عم اى اى شيء
رب العالمين الذي تدعي انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله
انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري ونظيره وعيده عند تمام اجوبته عم • قال موسى
عم مجيبا له • رب السموات والارض وما بينهما • بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة
التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته
ان كنتم موقنين • اى ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين
بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله • قال • اى فرعون عند سماع

جوابه عم خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم له • لمن حوله • من اشراف قومه قال ابن عباس رضي
كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة • الا تستمعون • مغريا لهم الى ما سمعوه من
جوابه عم مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه
وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عم تصريحا بما كان مند
رجا تحت جوابه السابق • ربكم ورب آبائكم الاولين • وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربو
بية • قال • اى فرعون لما واجهه موسى عم بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تاثر قومه منه فاراد ان ما قاله عم مما لا
يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التاكيد • ان رسو
لكم الذي ارسل اليكم لمجنون • ليغيظهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الا
ستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه • قال • عم • رب المشرق و
المغرب وما بينهما • قال عم تكميلا لجوابه الاول وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقا
له فان بيان ربوبيته تع للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تع للخافقين
وما بينهما لكنه لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها
وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تع ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تع لما ذكر فان
ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع تربت
عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات
السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف • ان كنتم
تعقلون • اى ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته
فيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة
العقل وانهم المتصفون بما رموه عم به من الجنون • قال • لما سمع اللعين منه عم تلك المقالات المبنية
على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجاري في حلبة المحا
ورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف وناء بجانبه الى عروة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما
كان يضمره عن السؤال والجواب • لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين • لم يقتنع منه
عم بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه ان يتخذ الها غيره لغاية عتوه وغلوه فيما يدعيه من
الالوهية وهذا صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عم الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عم
الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته
له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقالته واللام في المسجونين للعهد
اى لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك
لم يقل لاسجننك • قال • اولو جئتك بشيء مبين • اى اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اى موضح
دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق

دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق
دعوى من ظهرت على يديه والتعبير عنها بالشئ للتهويل قالوا الواو في او لو جئتك للحال دخلت عليها
همزة الاستفهام اى جائيا بشئ مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشئ
في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام الس
ابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها
منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الا
ولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الا
حوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها
عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان
فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر
بتحققه معها تحققه مع ما عداها من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء
بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطي حال كونه
غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحا
ل وتصدير المجئ بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى
أتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشئ مبين وحال مجيئي به. قال فأت به ان كنت من الصادقين. اى
فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشئ مبين موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة و
جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين. اى ظاهر ثعبانيته لا
انه شئ يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال
في سورة الاعراف وسورة طه. ونزع يده. من جيبه. فاذا هي بيضاء للناظرين. قيل لما رأى
فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال فرعون ما هذه فقال يدك فما فيها فادخلها في ابطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق. قال للملأ حوله. اى مستقرين حوله
فهو ظرف وقع موقع الحال. ان هذا لساحر عليم. فائق في فن السحر. يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تأمرون. بهره سلطان المعجزة وحيرته حتى حط عن ذروة ادعاء
الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم بعد ما كان
مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائهم على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم
لتنفيرهم عن موسى عليه السلام. قالوا ارجه واخاه. اخر امرهما وقيل احبسهما. وابعث في المدائن حاشرين
اى شرطا يحشرون السحرة. يأتوك. اى الحاشرون. بكل سحار عليم. فائق في فن السحر وقرئ
بكل ساحر. فجمع السحرة لميقات يوم معلوم. هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر

البهر والبهارة الغلبة

الناس

الناس ضحى. وقيل للناس هل انتم مجتمعون. قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم
على المبادرة اليه. لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين. اى نتبعهم في دينهم ان كانوا هم
الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى
عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة. فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا. اى اجرا عظيما. ان كنا نحن الغالبين. لا موسى عليه السلام. قال نعم. لكم ذلك
وانكم. مع ذلك. اذا لمن المقربين. عندي وقيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج
عني وقرئ نعم بكسر العين وهي لغتان. قال لهم موسى عليه السلام. اى بعدما قال له السحرة اما ان تلقي واما
ان نكون اول من القى. القوا ما انتم ملقون. ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم
ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل. فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
اى وقد قالوا عند الالقاء. بعزة فرعون انا لنحن الغالبون. قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر. فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف. اى تبتلع
بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف. ما يأفكون. اى ما يقلبونه من وجهه وصورته
بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به
مبالغة. فالقي السحرة ساجدين. اى انهم خروا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن
ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه
وفيه دليل على ان قصارى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له
قالوا آمنا برب العالمين. بدل اشتمال من القى او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهارون بدل من
رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان
الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة. قال. اى فرعون للسحرة. آمنتم له قبل
ان آذن لكم. اى بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او
متوقع. انه لكبيركم الذي علمكم السحر. فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم
اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم لكم
بين. فلسوف تعلمون. اى وبال ما فعلتم وقوله. لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين. بيان لما اوعدهم. قالوا. اى السحرة. لا ضير. لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى. انا الى ربنا منقلبون
تعليل لعدم الضير اى لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من
تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى
ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى. انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
ان كنا. اى لان كنا. اول المؤمنين. اى من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير
اى لا ضير علينا في قتلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط

خارج

لتهض النفس وعدم التعين بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل لمستأجره آخر اجرتي ان
كنت عملت لك فوفني حقي • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى • وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف
بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآية وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان
سر من السير • انكم متبعون • تعليل للامر بالاسراء اى يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بمن معك حتى
لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبق عليهم فاغرقهم • فارسل فرعون • حين
اخبر بسيرهم • في المدائن حاشرين • جامعين للعساكر ليتبعوهم • ان هؤلاء • يريد بني اسرائيل
لشرذمة قليلون • استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روى انه ارسل
في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة
الف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى
الاناث • وانهم لنا لغائظون • اى فاعلون ما يغيظنا • وانا لجميع حاذرون • يريد انهم
لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدو
رنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج
سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من
قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدى
في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اى اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد
كسبهم ذلك حرارة في اجسامهم • فاخرجناهم • بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب
فحملتهم عليه • من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم • كانت لهم جملة هذه • كذلك • اما مصدر تشبيهي
لاخرجنا اى مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اى من مقام كريم كائن كذلك
او خبر لمبتدأ محذوف اى الامر كذلك • واورثناها بني اسرائيل • اى ملكناها اياهم على طريقة تمليك
مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها • فا
تبعوهم • اى فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم • مشرقين • داخلين في وقت شروق الشمس اى طلوعها
فلما تراءى الجمعان • تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان • قال اصحاب موسى
انا لمدركون • جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق و
تنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون في الهلاك
على ايديهم • قال كلا • ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم • ان معي ربي • بالنصرة والهداية
سيهدين • البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روى ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد
غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما
كان وروى ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدى موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد

غشيك

غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى • فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر • القلزم او النيل • فانفلق • الفاء فصيحة اى فضرب فانفلق فصار
اثنى عشر مسلكا بعدد الاسباط • فكان كل فرق • حاصل بالانفلاق • كالطود العظيم • كالجبل
المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها • وازلفنا • اى قربنا • ثم الآخرين
اى فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم • وانجينا موسى ومن معه اجمعين • بحفظ البحر على
تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر • ثم اغرقنا الآخرين • باطباقه عليهم • ان في ذلك • اى في جميع ما
فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة وفيما فعل فرعون وقومه من الا
قوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر
المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى • لآية • اى آية آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة
لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال
اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا
بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل بالقصة من حيث حكا
يته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي
الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام • وما كان اكثرهم • اى اكثر هؤلاء الذين
سمعوا قصتهم منه عليه السلام • مؤمنين • لا بان يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال انفسهم
بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع
كل من الطريقين مما يؤدى الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو
رأى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من
المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الا
يمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فا
لمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون
الاخبار بعد الصيرورة بمثل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية
وان ربك لهو العزيز • الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين
الرحيم • المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية
العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع
السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من
ان ضمير اكثرهم لاهل مصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين
حيث لم يؤمن منهم الا آسية وخزقيل ومريم ابنة ناموسى التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل

بعدما نجوا اسرائيل وابقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل
من التحقيق كيف لا وما من قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عم انما
هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير
القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الآيات العظام ما يوجب الايمان ويزجر
عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تع لذلك بالعقوبة الدنيوية
وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم كلمة بعد الاخبار باهلاكهم
وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من
الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر • واتل عليهم • عطف على المضمر المقدر
عاملا لاذ نادى اي واتل على المشركين • نبأ ابراهيم • اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك لتقف
على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات باحدى الطريقتين • اذ قال • منصوب اما على الظر
فية للنبأ اي نبأه وقت قوله • لابيه وقومه • او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل
عليهم وقت قوله لهم • ما تعبدون • على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عم عن ذلك
لينبئ على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية • قالوا نعبد اصناما •
فنظل لها عاكفين • لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تع ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو وقوله تع ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل
وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والا
فتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكو
ف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها
او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من
تفصيل جوابهم • هل يسمعونكم • اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تد
عون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تع • اذ تدعون • عليه وقرئ هل
يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون
على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم
استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط • او ينفعو
نكم بسبب عبادتكم لها • او يضرون • اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها
على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر • قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون •
اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم
سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اي مثل
عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم • قال افرأيتم ما كنتم تعبدون • اي انظرتم فابصرتم او تأملتم فعلمتم ما

كنتم

كنتم تعبدون • انتم وآباؤكم الاقدمون • حق الابصار او حق العلم وقوله تع • فانهم عدو لي •
بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم
كحب الله تع لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان المغري بهم
على عبادتهم والحامل لهم عليها هو الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عم صور الامر في
نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى
الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تع وهم لكم عدو شبها با
لمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل • الا رب العالمين • استثناء منقطع اي
لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب
عنه ما وصفه تع به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان
من آبائهم من عبد الله تع وقوله تع • الذي خلقني • صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير
حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تع بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تع للعا
لمين تصريحا بالنعم الخاصة به عم وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تع وقصر
الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تع • فهو يهدين •
اي هو يهديني وحده لا غيره الى ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق و
نفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تع يهدي كل ما خلقه لما خلق
له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه و
دفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث
منشأها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم • والذي هو يطعمني ويسقين • عطف على الصفة
الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الثلث على
صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تع مستقل في استيجاب
الحكم حقيق بان يجري عليه تع حيالها ولا يجعل من روادف غيرها • واذا مرضت فهو يشفين • عطف
على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات
الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تع مع انهما منه تع لمراعاة حسن الادب كما قال
عم الخضر فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تع
كالاحياء بدأ واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد
في قوله تع • والذي يميتني ثم يحيين • على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عم للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون
غير مطبوع عنده عم • والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين • ذكره عم هضما لنفسه وتعليما للامة
ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عم من الصغائر
وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان

فان حاله عم مع كونه في طاعة الله تع وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك
بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلث لا يستقيم
بل فعله كبيرهم وقوله سارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى
الاستغفار انما صدرت عنه عم بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مها
جرته عم الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقا
لة فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان
في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر. رب هب لي حكما. لما ذكر عم لهم فنون الالطاف الفائضة
عليه من الله عز وجل من مبدا خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تع ودعائه لربط العتيد وجلب
المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق. و
الحقني بالصالحين. ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين
في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تع حيث قال و
انه في الآخرة لمن الصالحين. واجعل لي لسان صدق في الآخرين. اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى
اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل
ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عم ولذلك قال عم انا دعوة ابي
ابراهيم عم. واجعلني. في الآخرة. من ورثة جنة النعيم. وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم. واغفر لابي.
بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تع انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد
مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه. ولا تخزني. بمعاتبتي على ما فرطت او
بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او كان ذلك مبنيا على هضم
النفس منه عم او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى
الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء. يوم يبعثون. اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة
الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم. يوم لا ينفع مال ولا بنون. بدل من
يوم يبعثون جيء به تاكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع
مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة
عنه احدا. الا من اتى الله بقلب سليم. اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالا
يمان وفيه تاييد لكون استغفاره عم لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه
عم بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او
بنو من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار
كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب
كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من

الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه بسلامة
قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه. وازلفت الجنة للمتقين. عطف على لا ينفع
وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع و
تقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه
مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها. وبرزت الجحيم للغاوين. الضالين
عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من
انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا. وقيل لهم اينما كنتم
في الدنيا. تعبدون من دون الله. اي اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا المو
قف. هل ينصرونكم. بدفع العذاب. عنكم. او ينتصرون. بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال توبيخ
وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل. فكبكبوا فيها. اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى
الى ان يستقروا في قعرها. هم. اي الهتهم. والغاوون. الذين كانوا يعبدونهم وفي تاخير ذكرهم عن ذكر الهتهم
رمزا الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالهم فيزدادوا غما الى غم. وجنود ابليس.
اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر
فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين
والاول هو الوجه. اجمعون. تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تع. قالوا. الى آخره استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة. وهم
فيها يختصمون. اي قالوا معترفين بخطائهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين متعيرين لانفسهم
والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تع يجعل
الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق. تالله ان كنا لفي ضلال مبين. ان
مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان
كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم
خطائهم في رايهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله
تع. اذ نسويكم برب العالمين. ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل
للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف
لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا
اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم
وقولهم. وما اضلنا الا المجرمون. بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى
قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا

في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم
والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تع ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فا
ضلونا السبيلا وعن السدي هم الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض
للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القابل لانه اول من سن
القتل وانواع المعاصي • فما لنا من شافعين • كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة
والسلام • ولا صديق حميم • كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين
كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تع
والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تع الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين او فما لنا شفاعة مهلكة لا نخلص منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم
اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على
الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصدر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تع • فلو ان لنا كرة • للتمني كليت
لما ان بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل
هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وياء
باه قوله تع • فنكون من المؤمنين • ليتم كونه جوابا للتمني مقيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة
بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو
على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على
استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما • ان في ذلك • اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عم المشتمل على
بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤل اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترا
فهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا
من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم
من الوان العذاب وانواع العقاب • لآية • اي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام
كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عم ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه
من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان في ذكر نبائه
وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمع من احد لآية عظيمة دالة على ان ما تتلوه عليهم وحي صادق
نازل من جهة الله تع موجبة للايمان به قطعا • وما كان اكثرهم مؤمنين • اي اكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ
مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عم كما توهم
فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما زادوا وا لما سمعوا منه عم الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك
العظيمة التي فعلوا به عم فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهم الله عز وجل الى الشام
وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عم • وان ربك لهو العزيز الرحيم • اي هو القادر على تعجيل العقوبة

لقومك

لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم • كذبت قوم نوح المرسلين •
القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع
الكل على التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالـ
جمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ في قوله تع • اذ قال
لهم • ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان
تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عم الى انتهائها • اخوهم • اي نسيبهم • نوح
الا تتقون • الله حيث تعبدون غيره • اني لكم رسول • من جهته تع • امين • مشهور بالامانة فيما بينكم
فاتقوا الله واطيعون • فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تع • وما اسئلكم عليه • اي على ما انا متصد
له من الدعاء والنصح • من اجر • اصلا • ان اجري • فيما اتولاه • الا على رب العالمين • والفاء
في قوله تع • فاتقوا الله واطيعون • لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عم من الطمع كما ان نظير
تها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب
التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء • قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون • اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم
كالاكبر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكالب وكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد
او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي
وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم
على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها
لا تزن عند الله تع جناح بعوضة وان النعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه • قال وما
علمي بما كانوا يعملون • جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما وظيفتي
الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم • ان
حسابهم • اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة • الا على ربي • فانه المطلع
على السرائر والضمائر • لو تشعرون • اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم
لستم كذلك فتقولون ما تقولون • وما انا بطارد المؤمنين • جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء
طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تع • ان انا الا نذير مبين • كالعلة
له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الا
عزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح
وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين • قالوا لئن لم تنته يا نوح • عما تقول • لتكونن من
المرجومين • من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوا قاتلهم الله في اواخر الامر ومعنى قوله تع
قال رب ان قومي كذبون • تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعدما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة

يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله . فافتح بيني وبينهم فتحا . اى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح . ونجني ومن معي من المؤمنين . اى من قصدهم او من شؤم اعمالهم . فانجيناه ومن معه . حسب دعائه . في الفلك المشحون . اى المملوء بما لا بد لهم منه . ثم اغرقنا بعد . اى بعد انجائهم الباقين . اى من قومه . ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم . الكلام فيه كالذى مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية بالكلية . اتبنون بكل ريع . اى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها . اية . علما للمارة . تعبثون . ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها . وتتخذون مصانع . اى مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا . لعلكم تخلدون . اى راجين ان تخلدوا في الدنيا اى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها . واذا بطشتم . بسوط او سيف . بطشتم جبارين . مسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة . فاتقوا الله . واتركوا هذه الافعال . واطيعون . فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم . واتقوا الذي امدكم بما تعلمون . من الوان النعماء واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله . امدكم بانعام وبنين . باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك . وجنات وعيون اني اخاف عليكم . ان لم تقوموا بشكر هذه النعم . عذاب يوم عظيم . في الدنيا والآخرة فان كفران النعم مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد . قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين . فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشريه اصلا . ان هذا . ما هذا الذي جئتنا به . الا خلق الاولين . اى عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اى اختلاق الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب . وما نحن بمعذبين . على ما نحن عليه من الاعمال . فكذبوه . اى اصروا على ذلك . فاهلكناهم . بسببه بريح صرصر . ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون . الله تعالى . اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين . انكار ونفي لان يتركوا فيما هم عليه فيه من النعمة او تذكير للنعمة في

تخيلة

عليه الله تعالى ايامهم لما باب تنعم آمنين وقوله تعالى . في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم . تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ . فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين . استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى الامر مجازا . الذين يفسدون في الارض . وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون . على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح . قالوا انما انت من المسحرين . اى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او ممن ذوي السحر اى الرئة اى من الانس فيكون قوله . ما انت الا بشر مثلنا . تأكيدا له . فأت باية ان كنت من الصادقين . اى في دعواك . قال هذه ناقة الله . اى بعدما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه كما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود . لها شرب . اى نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم . ولكم شرب يوم معلوم . فاقنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها . ولا تمسوها بسوء . كضرب وعقر . فيأخذكم عذاب يوم عظيم . وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب . فعقروها . اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب . فاصبحوا نادمين . خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة . فاخذهم العذاب . اى العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم . قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا الموضع ايماء الى انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان قريشا المشهورون بعدم ايمان اكثرهم . كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين . اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس . وتذرون ما خلق لكم ربكم . لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى . من ازواجكم . للبيان ان اريد به جنس الاناث وهو الظاهر او للتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا . بل انتم قوم عادون . متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات . قالوا لئن لم تنته يا لوط . اى عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعريض لنا . لتكونن من المخرجين . اى من المنفيين من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال . قال اني لعملكم من القالين . اى من

المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفواد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال انى لعملكم قال لدلا
لته على انه عم من زمرة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله عم اراد اظهار الكراهة من مسا
كنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تع قائلا • رب
نجنى واهلى مما يعملون • اى من شوم عملهم وغائلته • فنجيناه واهله اجمعين • اى اهل بيته ومن اتبعه
فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم • الا عجوزا • هى امرأة لوط استثنيت من
اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج • فى الغابرين • اى مقدرا كونها
من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر فى الطريق فا
هلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط عم • ثم
دمرنا الاخرين • اهلكنا هم اشد اهلاك وافظعه • وامطرنا عليهم مطرا • اى مطرا غير معهود و
قيل امطر الله تع على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم • فساء مطر المنذرين • اللام فيه للجنس وبه
يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم • ان فى ذلك لاية و
ما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين • الايكة الغيضة
التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عم
كان اجنبيا منهم ولذلك قيل • اذ قال لهم شعيب الا تتقون • ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر
الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت
كذلك مفتوحة على انها ايكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الالف اتباعا للفظ اللافظ
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين • اى الموفو
ولا تكونوا من المخسرين • اى حقوق الناس بالتطفيف • وزنوا • اى الموزونات • بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال و
قرئ بضم القاف • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • اى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق كان وهذا
تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها • ولا تعثوا فى الارض مفسدين • بالقتل
والغارة وقطع الطريق • واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين • اى وذوى الجبلة الاولين و
هم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة • قالوا انما انت من
المسحرين وما انت الا بشر مثلنا • ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحر والبشرية
مناف للرسالة مبالغة فى التكذيب • وان نظنك لمن الكاذبين • اى فيما تدعيه من النبوة • فاسقط
علينا كسفا من السماء • اى قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة
كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى
من التهديد • ان كنت من الصادقين • فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود و
التكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوا • قال ربى اعلم بما تعملون • من الكفر والمعاصى

اوفوا الكيل

والريعة

وبما

وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزل عليكم فى وقته المقدر له لا محالة • فكذبوه • اى فتموا على تكذيبه
واصروا عليه • فاخذهم عذاب يوم الظلة • حسبما اقترحوا ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر
واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها
ايذان بان لهم يومئذ عذابا اخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها
واخذهم بانفاسهم ولا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة
وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى ان شعيبا عم
بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة
بعذاب يوم الظلة • انه كان عذاب يوم عظيم • اى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة و
الداهية التامة • ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • هذا آخر
القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عم عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه
ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى مطلع السورة الكريمة من قوله تع وما ياتيهم من ذكر من
الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحد من هذه القصص ذكر مستقل متجدد
النزول قد اتاهم من جهته تع بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل
قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر
عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا فى شان الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع
علمهم بانه عم لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان
لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عم • وانه • اى ما ذكر من الآيات
الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القرآن الذى هو من جملته • لتنزيل رب العالمين • اى منزل من جهته
تع سمى به مبالغة ووصفه تع بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تع ورافته للكل
كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • نزل به • اى انزله • الروح الامين • اى جبريل عم فانه امين
حيه تع وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاء ونصب الروح والامين اى جعل
الله تع الروح الامين نازلا به • على قلبك • اى روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعانى
الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الد
ماغ فينتقش بها لوح المتخيلة • لتكون من المنذرين • متعلق بنزل به واثار ما عليه النظم الكريم للد
لالة على انتظامه عم فى سلك اولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب
المنذر • بلسان عربى مبين • واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل
به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام
مجرد انزاله عم لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان
غاية الانزال كونه عم من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عم ولا يخفى

ما ينزل اى انزله لتنذر بهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة

فده كيف لا وانها الطامة الكبرى في باب الانذار فانذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تأثيرا
في قلوب المشركين ما انذره ابرهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عليه السلام • وانه لفي زبر الاولين
اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل
الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من
المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس بواضح • اولم يكن لهم آية • الهمزة للانكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة
على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للا
هتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها • الذي هو قوله تعالى • ان يعلمه علماء بني اسرائيل •
لما تمر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم
ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع
النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز
ان يكون آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء • ولو نزلناه • كما هو بنظمه الرائق المعجز • على بعض الاعجمين • الذين
لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي
لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان • فقرأه عليهم • قراءة
صحيحة خارقة للعادة • ما كانوا به مؤمنين • مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم
وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كا
نوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام
بيان تماديهم في المكابرة والعناد • كذلك سلكناه • اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه
اي ادخلنا القرآن • في قلوب المجرمين • ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى
البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب
المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه من اوصافه فقوله تعالى • لا يؤمنون
به • جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل
يستمرون على ما هم عليه • حتى يروا العذاب الاليم • الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان • فيأ
تيهم بغتة • اي فجأة في الدنيا والآخرة • وهم لا يشعرون • باتيانه • فيقولوا هل نحن منظرون •
تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك
الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب وصفناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع
الايضاح والتلخيص له او في موقع الحال اي سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان
غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتآخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع

اعذارهم

اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين
ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهم الله ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين
افبعذابنا يستعجلون • بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فا
تنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم
فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه و
تقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون
المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل • افرأيت • لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الا
خبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارأيت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان و
الفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت
وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي
الجمهور اي فاخبرني • ان متعناهم سنين • متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش • ثم جا
ءهم ما كانوا يوعدون • من العذاب • ما اغنى عنهم • اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم • ما كانوا يمتعون •
اي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة
الدنيا على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق
لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شأنه الخطاب قد
كلف ان يخبر بان تمتعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من
ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع • وما اهلكنا من قرية • من القرى المهلكة • الا لها
منذرون • قد انذروا اهلها الزاما للحجة • ذكرى • اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر
لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون اي الا
لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة لمنذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى
لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها
بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد
او اكثر • وما كنا ظالمين • فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم
وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد • وما تنزلت به الشياطين • رد لما زعمه الكفرة
في حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل
به الروح الامين • وما ينبغي لهم • اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك • وما يستطيعون • ذلك اصلا

انهم عن السمع كلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في
صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية
والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول
ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقا
يق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عم فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من
المعذبين خوطب به النبي عم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عم تهييجا وحثا على ازدياد الا
خلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره
عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا
فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا
انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت
محمد عم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان يحط خفض جناحه
ومن للتبيين لان من اتبع ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اي مما
تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه
يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين
كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عم تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة
او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله
ذاته بعلمه بحاله عم التي بها يستاهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه
من وصف العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم
بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي تتنزل بحذف احدى التائين وهو استئناف
مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن و
دخول حرف الجر على من الاستفهام على حذفه من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك
اثيم قصر تنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيصه له
بهم بحيث يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله منزهة من ان يحوم حولها شائبة شي

تمام

من

من تلك الاوصاف فانه استحالة تنزلهم عليه عم يلقون اي الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون
منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق
اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث
الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد اكثر من مائة كذبة ويلقون السمع اي المسموع من الشيا
طين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية با
عتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون
وماله واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم
صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل
من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي
يلقون السمع اي المسموع من الملاء الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور
فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملاء
الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما حققناه اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة
التنزل للالقاء او استئناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاءهم السمع
الى الملاء الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما
المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين
ملقين اليهم ما سمعوه من الملاء الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم و
ماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد
لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم الملائكة قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون
يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشيا
طين والقاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما
ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا
مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل
يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول
استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس
والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون استئناف مسوق لا
بطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عم من الشعراء ببيان
حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة
من الاباطيل بما مر من بيان احواله المضادة لاحواله عم والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم

ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى • الم تر انهم في كل واد يهيمون • استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راءٍ دون راءٍ اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد • داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة • وآيات ظاهرة • مشحونة بفنون الحكم الباهرة • وصنوف المعارف الزاهرة • مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عم من ان يكون من الشعراء اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد عم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عم منهم بكون اتباعه عم غير غاوين مما لا يليق بشانه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد عم وقرئ والشعراءَ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا • استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك • وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • تهديد

ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى عم وصدق بمحمد عليهما الصلوة والسلام

سورة النمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس • بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك • تلك • اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره • آيات القرآن • والجملة مستأنفة مقررة لما افاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص • وكتاب • اي كتاب عظيم الشان • مبين • مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او سبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان وفي تفخيم شأن الجليل لما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو مبين للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هي باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم

برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تع • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • صفة
مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان
لسائر الاعمال الصالحة وقوله تع • وهم بالآخرة هم يوقنون • جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين
يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبا
دات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هي من تتمة الصلة الاولى وتغيير نظمها للدلالة على قوة
يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة • بيان لاحوال الكفرة بعد بيان الا
حوال المؤمنين اى لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات
حسبما ينطق به القرآن • زينا لهم اعمالهم • القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس
كما ينبئ عنه عم حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها مآلا واستتباعها الفنون
المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم • فهم يعمهون • يتحيرون ويترددون
على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال
والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على
السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور
اولئك • اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اى اولئك الموصوفون بالكفر والعمه
الذين لهم سوء العذاب • اى في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر • وهم في الآخرة هم الاخسرون • اى اشد
الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب • وانك لتلقى القرآن • كلام مستأنف قد سيق بعد بيان
بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية
بمضمونه اى لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين • من لدن حكيم عليم • اى اى حكيم واى عليم وفي تفخيمهما
تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عم في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق
فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع
دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القرآن من العلوم منها ما
هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تع • اذ قال موسى
لاهله • منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه
عم من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اى اذكر لهم وقت قوله عم لاهله في وادي طوى
وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا • اني آنست نارا •
سآتيكم منها بخبر • اى عن حال الطريق وكانوا قد ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة
وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عم الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في
التسلية • او آتيكم بشهاب قبس • بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس
اى شعلة نار مقبوسة اى مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود

الاولى والواو حالية او عاطفة على الصلة

الذى

الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر
وكلتا العدتين منه عم بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للا
يذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تع فانه تع لا يكاد يجمع
على عبده حرمانين • لعلكم تصطلون • رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة • فلما
جاءها نودي • من جانب الطور • ان بورك • معناه اى بورك على ان ان مفسرة لما في النداء
من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة
من الثقيلة ولا يخرج في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما انه دعاء يخالف غيره في كثير
من الاحكام • من في النار ومن حولها • اى من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تع
نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر
عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم
السلام وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله تع موسى عم وقيل المراد موسى والملا
ئكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام
وهو تكليمه تع اياه عم واستنباؤه له واظهار المعجزات على يديه عم • وسبحان الله رب العالمين • تعجيب
لموسى عم من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور
وعظائم الشؤون من احكام تربيته تع للعالمين • يا موسى انه انا الله • استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذ
كورة والضمير اما للشأن وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تع
العزيز الحكيم • صفتان لله تع ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اى انا القوي القادر على ما لا
يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير
رصين • والق عصاك • عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اى نودي ان بورك وان الق عصاك
حسبما نطق به قوله تع وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت
ان حج واعتمر والفاء في قوله تع • فلما رآها تهتز • فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلا
لة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تع فلما رأينه اكبرنه بعد قوله اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت
حية تسعى فابصرها فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تع • كأنها جان • اى حية خفيفة سريعة
الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ
جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين • ولى مدبرا • من الخوف • ولم يعقب • اى لم يرجع
على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه
قوله تع • يا موسى لا تخف • اى من غير ثقة بي او مطلقا لقوله تع • اني لا يخاف لدي المرسلون • فانه
يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغر
قون في مطالعة شؤون الله تع لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف

الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه • الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى
غفور رحيم • استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت
منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم وان صدر عنهم شئ من ذلك
فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عم من
وكزه القبطى والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عم رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى • وادخل يدك فى جيبك
لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع • تخرج بيضاء من غير سوء
اى آفة كبرص ونحوه فى تسع آيات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد
من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات على
انه استئناف بالارسال فيتعلق به • الى فرعون وقومه • وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا • انهم
كانوا قوما فاسقين • تعليل للارسال اى خارجين عن الحدود فى الكفر والعداوة • فلما جاءتهم آياتنا
وظهرت على يد موسى • مبصرة • بينة اسم فاعل اطلق على المفعولية اشعارا بانها لفرط وضوحها و
انارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا
عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا
سحر مبين واضح سحريته • وجحدوا بها • اى كذبوا بها • واستيقنتها انفسهم • الواو للحال اى وقد
استيقنتها اى علمتها انفسهم • علما يقينيا ظلما • اى للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد
ظلموا بها • اى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك • و
علوا • اى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما
اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها
على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر • ولقد آتينا داود وسليمان علما • كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما سبق من انه عم يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآ
ن الكريم تلقيه عم من لدنه تعالى كقصة موسى عم وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اى آتينا كل
واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة
لبوس ومنطق الطير او علما سنيا عزيزا • وقالا • اى قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم
الحمد لله الذى فضلنا • بما آتانا من العلم • على كثير من عباده المؤمنين • على ان عبارة كل منهما فضلنى
الا انه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء
كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز من الاول قوله تعالى يا
ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن

فغفرله ح

موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على الايتاء ما ادى نفع فقط وقيل
فى العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف
عليه التحميد كانه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فتامل
والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما وبانه بتبيين الكثير بالذكر رمز الى
ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم و
جعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على ان
يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل
عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليم ونعم ما قال امير المؤمنين عمر رضى الله عنه كل الناس افقه من عمر
وورث سليمان داود • اى النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه فى ذلك دون ساير بنيه وكانوا تسعة عشر
وقال • تشهيرا للنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة الباهرة التى اوتيها
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ • المنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى
الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت
الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذى علمه سليمان عم من منطق الطير هو ما يفهم
بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدر
ون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة
فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال
يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربى الاعلى وصاحت قمرى فاخبر انه يقول سبحان ربى الاعلى
فقال يقول سبحانه ملء سمائه وارضه وقال الحدأة يقول كل شئ هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم
والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا
ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى
القدوس واراد عم بقوله علمنا واوتينا بالنون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفة
من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له فى اوامره ونواه
يه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شئ كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ويراد
به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقال ابن عباس كل ما يهمه من امر الدنيا والآ
خرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح • ان هذا • اشارة الى
ما ذكر من التعليم والايتاء • لهو الفضل • والاحسان من الله تعالى • المبين • الواضح الذى لا يخفى على احد او
ان هذا الفضل الذى اوتيته لهو الفضل المبين على انه عم قال على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله
عم انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عم رتب على كلامه ذلك دعوة الناس

بالمؤمنين فان ظهورهم من العلم
بالمرة مما لا يمكن ودفى
تخصيصها الاكثر

الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شئ من الاشياء التي من جملتها الآت الحرب واسباب الغزو ومما ينبئ عن
ذلك خفي قوله تعالى • وحشر لسليمان جنوده • جمع له عساكره • من الجن والانس والطير • بمباشرة مخاطبيه فانهم
كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس
في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية و
قبيلة طاغية • ماردة بعيدة • من الحشر والتسخير • فهم يوزعون • اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي
يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز
ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص
حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم
غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو
روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وكان له
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف
كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة و
حولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح
الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره
فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا
القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه
فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها
الله تعالى خير مما اوتي آل داود • حتى اذا اتوا على واد النمل • حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع
ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي ههنا غاية
لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ وواد النمل واد بالشام
كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية
الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى
على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم لحطم الا
رض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى • قالت نملة • جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوا
دي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها في الفرار فشبه ذلك بمخا
طبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث
قيل • يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم • مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل
والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع

وقرئ

وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها
من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى • لا يحطمنكم سليمان وجنوده • نهي
في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له
فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها و
اصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى • وهم لا يشعرون • حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم
شعورهم بمكانكم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان و
سائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل وهو استئناف اي فهم سليمان
ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك • فتبسم ضاحكا من قولها • تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها
ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف
المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم
مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن
حتى دخلن مساكنهن • وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك • اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي و
اكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح الياء اوزعني • التي انعمت علي وعلى
والدي • ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر • وان اعمل صالحا
ترضاه • اتماما للشكر واستدامة للنعمة • وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين • في جملتهم الجنة التي هي
دار الصالحين • وتفقد الطير • اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها • فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين • كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب
عنه فاخذ يقول اهو غائب • لاعذبنه عذابا شديدا • قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه و
قيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه • او لاذبحنه • ليعتبر به ابناء جنسه
او ليأتيني بسلطان مبين • بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث
وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره
فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة
وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان
الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخو
نها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فراى
هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس
وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف فذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله

او انزع صح

فلم

تع • فمكث غير بعيد • اى زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان عم
فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد
الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله
الذى قواك واقدرك على الا رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال او ما استثنى
قالت بلى قال او ليأتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان عم ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له
فلما دنا منه اخذ عم برأسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تع فارتعد سليمان عم وعفا عنه
ثم سأله فقال احطت • بما لم تحط به • اى علمادا معرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام
الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ولا يخفى انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم
ودقائق المعارف التى يكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة على علم رصين
وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدى نبى الله سليمان عم تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة
قدره ونفيها عنه عم جناية على جناية فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عم
بذلك مع ما اوتى عم من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عم
فى علمه وتنبيها على ان فى ادنى خلقه تع واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه
علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التى لا تعد
الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوى فيه العقلاء
وغيرهم وقد علم انه عم لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عم و
ترغيبه فى الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبئ عن امر بديع اقبل
والى تلقيه بالقبول اميل ثم ايده بقوله تع • وجئتك من سبأ بنبأ يقين • حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عم
انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذى هو الخبر الخطير والشأن الكبير
ووصفه بما وصفه والافما صدر عنه عم مع ما حكى عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق
بالحكمة الالهية تنبيهه عم على تركه وسبأ منصرف على انه اسم لحى سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب
بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم
للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلثة ايام وعلى هذه القراءة يجوز ان
يكون ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحى لا غير وعدم وقوف سليمان
عم على نبأهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من كلمة داعية اليه البتة وان احتمل خلوه
عن فائدة من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عم وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما
بين نزوله عم هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون
الجن اقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تع • انى وجدت امرأة
تملكهم • استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهى بلقيس بنت شراحيل بن

مالك

مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها
فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على
رأيت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عم بابراز نفسه فى معرض من يتفقد احوالها
ويتعرفها كانها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عم وضمير تملكهم لسبأ على انه اسم للحى او
لاهلها المدلول عليهم بالذكر مدينتهم على انه اسم لها • واوتيت من كل شئ • اى من الاشياء التى
يحتاج اليها الملوك • ولها عرش عظيم • قيل كان ثلثين ذراعا فى ثلثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين
فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه
ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها كان بالنسبة الى ما هو من ملك سليمان عم او ما
بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عم مثله وايا ما كان
فوصفه بذلك بين يديه عم لما مر من ترغيبه عم فى الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عم نحو تسخيرها و
لذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
اى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تع • وزين لهم الشيطان اعمالهم • التى هى عبادة الشمس ونظائرها
من اصناف الكفر والمعاصى • فصدهم • بسبب ذلك • عن السبيل • اى سبيل الحق والصواب
فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق
الى العوج • فهم • بسبب ذلك • لا يهتدون • اليه وقوله تع • الا يسجدوا لله • مفعول له اما للصد
او للتزيين على حذف اللام منه اى فصدهم لئلا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما
اعتراض اى زين لهم ان لا يسجدوا وقيل هو فى موقع المفعول ليهتدون باسقاطا الخافض ولا مزيدة
كما فى قوله تع لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تع وقرئ الا يا سجدوا على التنبيه
والنداء والمنادى محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كما فى قوله الا يا اسلمى يا دارمى على البلى ونظائره
وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون و
يكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وايا ما كان فالسجود واجب وقرئ هلا
تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب • الذى يخرج الخبء فى السموات والارض • اى يظهر ما هو
مخبوء ومخفى فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تع باستحقاق السجود
له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه راسخ فى معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة اثاره
التى من جملتها ما اودعه الله تع فى نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض وان ربطوا قوله • ويعلم
ما تخفون وما تعلنون • على يخرج اى الذى يخرج ما فى العالم الانسانى من الخفايا كما يخرج ما فى العالم الكبير
من الخبايا لما ان المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة
العلم وللتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهى وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة
بلا التفات والاخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من افاقها بعد استتارها ورائها وانزال الا

الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذى هو اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع الذى هو اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها الفا وقرئ الا يسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم • هو الذى هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكى من الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التى اقتبسها من سليمان عم اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه فى الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عم نحو قبول كلامه وصرف عنانه عزيمته عم الى غزوهم وتسخير ولايتهم • قال • استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عم عند ذلك فقيل قال • سننظر اى فيما ذكرته من النظر بمعنى التامل والسين للتاكيد اى سنعرف بالتجربة البتة • اصدقت ام كنت من الكاذبين • كان مقتضى الظاهر كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه فى هذه المادة يستلزم انتظامه فى سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدى نبى عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ فى الكذب والافك وقوله تع • اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم • استيناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عم وقد قاله عم بعد ما كتب كتابه فى ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عم اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن والاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذرا اصلا • ثم تول عنهم • اى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه • فانظر • اى تامل وتعرف • ماذا يرجعون • اى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام • قالت • اى بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روى انه عم كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها • يا ايها الملاء انى القى الى كتاب كريم • وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد • انه من سليمان • استيناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وما ذا مضمونه فقالت انه من سليمان • وانه • اى مضمونه

او المكتوب فيه • بسم الله الرحمن الرحيم • وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة • الا تعلوا على • ان مفسرة ولا ناهية اى لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدا مضمر يليق بالمقام اى مضمونه الا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اى بان لا تعلوا على وقرئ الا تغلوا بالغين المعجمة اى لا تتجاوزوا حدكم • واتونى مسلمين • اى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشان النبى عم على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على واتونى مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسله دلالة بينة • قالت • كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما فى حيزه من قولها • يا ايها الملاء افتونى فى امرى • الذى حضرنى وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذى هو الجواب فى الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها • ما كنت قاطعة امرا • اى من الامور المتعلقة بالملك • حتى تشهدون • اى الا بمحضركم وبموجب ارائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها فى الراى والتدبير • قالوا • استيناف مبنى على سؤال نشا من حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا فى جوابها فقيل قالوا • نحن اولوا قوة • فى الاجساد والالات والعدد • واولوا باس شديد • اى نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء فى الحرب • والامر اليك • اى هو موكول اليك • فانظرى ماذا تامرين • ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نمتثل به ونتبع رايك اوارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراى والمشورة وانت ذات الراى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع فى الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت فى تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شان سليمان عم وذلك قوله تع • قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية • من القرى على منهاج المقاتلة والحرب • افسدوها • بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال • وجعلوا اعزة اهلها اذلة • بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال • وكذلك يفعلون • تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلى وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تع ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى • وانى مرسلة اليهم بهدية • تقرير لرايها بعد ما زيفت اراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اى انى مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة • فناظرة بم يرجع المرسلون • حتى اعمل بما يقتضيه الحال روى انها

بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان
وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي و
عقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو
نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن
الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير
فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا
فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا
بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين
الحقة وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة و
نفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة
فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان أي الرسول
قال أي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه
قرئ فلما جاؤوا والأول أولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده
الإفراد في قوله تعالى ارجع إليهم أتمدونن بمال وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه السلام بالمال مع
علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله أي مما
رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم أي من المال الذي من جملته
ما جئتم به فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للإنكار ولعله عليه السلام إنما قال لهم هذه
المقالة الخ بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحقة وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه السلام خاطبهم
بها أول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدوني بالإدغام وبنون واحدة
وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل أنتم بهديتكم تفرحون إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال
إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه
ما ذكر في حديث الحقة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على
أن إمداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعده مع أنه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون
أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف إليه المهدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حبا

وكان اسمه

نفوسهم ورموا ما معهم من الهدايا فنظر إليهم صح

لزيادة

101

لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع إفراد الضمير ههنا بعد
جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الإمداد ونحوه للكل أي ارجع أيها
الرسول إليهم أي إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم أي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم
بها أي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب
القسم منها من سبأ أذلة أي حال كونهم أذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة
تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون أي أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق
الأسر لا بطريق الإجلاء وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية
ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فليأتوا مسلمين وإلا فلنأتينهم الخ قال يا أيها الملأ
أيكم يأتيني بعرشها قال عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس إليه عليه السلام يروى أنه لما رجعت رسلها إليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام
قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان عليه السلام إني قادمة عليك بملوك قومي
حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل
تحت كل قيل ألوف وروي أنها أمرت فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور
سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من
عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع إطلاعها على
عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الإتيان به
بقوله تعالى قبل أن يأتوني مسلمين لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظم
قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها و
قيل لأنها إذا أتت مسلمة لم يحل له أخذها إلا برضاها قال عفريت أي مارد من الجن بيان له
إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا أنا آتيك به أي بعرشها
قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وآتيك إما صيغة المضارع
أو الفاعل وهو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة
الاسمية أي أنا آت به في تلك المدة البتة وإني عليه أي على الإتيان به لقوي لا يثقل علي
حمله أمين لا أختزل منه شيئا ولا أبدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للإيذان
بما بين القائلين ومقاليهما وكيفية قدرتيهما على الإتيان به من كمال التباين أو لإسقاط الأول
عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي
إذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه
بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم
غير معهود ومن ابتدائية أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك الطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر
إلى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن

يأتيني صح

نخ ح

بين هذا الوعد وانجازه مرة ما كلمة وعد العفريت استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للا
يذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجي بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة مقدرة دالة على تحققه
فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل
فلما راه مستقرا عنده • اي راى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رائنه اكبرنه للدلالة على
كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهوره المترتب عليه من رؤية سليمان عم اياه
واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فراه فلما راه آه فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان
بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عم اياه شيء ما اصلا وفي تقييد
رؤيته باستقراره عنده عم لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل
موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه • قال • اي سليمان عم
تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله عليهم السلام وخلص عباده
هذا • اي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات
كما قيل • من فضل ربي • اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي • ليبلوني أأشكر • بان اراه محض
فضله تع من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم بحقه • ام اكفر • بان اجد لنفسي مدخلا في البين او
اقصر في اقامة مواجبه كما هو شان سائر النعم الفائضة على العباد • ومن شكر فانما يشكر لنفسه • لانه
يرتبط به عتيدها • ويستجلب به مزيدها • ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران • ومن
كفر • اي لم يشكر • فان ربي غني • عن شكره • كريم • بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا
قال • اي سليمان عم كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عم تنبيها على ما بين السابق
واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تع والثاني امر لخدمه • نكروا لها عرشها • اي غيروا
هيئاته بوجه من الوجوه • ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف • اتهتدي • الى
معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تع ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من
مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب وياباه
تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير • ام تكون • اي بالنسبة
الى علمنا • من الذين لا يهتدون • اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس
الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عم وقومه امر حادث يظهر بالاختبار
فلما جاءت • شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عم اي فلما جاءت بلقيس سليمان وقد كان العرش
بين يديه • قيل • اي من جهة سليمان عم بالذات او بالواسطة • اهكذا عرشك • لم يقل اهذا عرشك
لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال
والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عم بسخافة عقلها • قالت كانه هو • فابانت عن كمال ر
جاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات

مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عم • واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين • من تتمة
كلامها كانها ظنت انه عم اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة
الله تع وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الايات الدالة على ذلك وكنا
مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رايها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تع • وصدها
ما كانت تعبد من دون الله • بيان من جهته تع لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اي صدها عن ذلك
عبادتها القديمة للشمس وقوله تع • انها كانت من قوم كافرين • تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي
انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت
تحت ملكة سليمان عم وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل
من ان قوله تع واوتينا العلم الى قوله تع من قوم كافرين من كلام سليمان عم وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه
هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشانها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تع وصحة النبوة بالآيات
من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا
على ذلك قولهم واوتينا العلم آه اي واوتينا نحن العلم بالله تع وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها و
لم نزل على دين الاسلام شكرا لله تع على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تع والاسلام قبلها • وصدها
عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف • قيل لها
ادخلي الصرح • الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عم امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من
زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس
عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا
على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان
يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان
في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف
ساقيها ورجلها • فلما رأته • وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله
خبرا • حسبته لجة وكشفت عن ساقيها • وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما
الا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عم وامر الجن
فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان
وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤوق
وكؤوس • قال • سليمان عم حين راى ما اعتراها من الدهشة والرعب • انه • اي ما توهمته ماء • صرح ممرد • اي مملس • من
قوارير • من الزجاج • قالت • حين عاينت تلك المعجزة ايضا • رب اني ظلمت نفسي • بما كنت عليه
الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننته انه يريد اغراقي في اللجة وهو بعيد • واسلمت مع
سليمان • تابعة له مقتدية به وما في قوله تع • لله رب العالمين • من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه

وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
صح

بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تع وتفرده باستحقاق العبادة وبربوبيته لجميع الموجودات التى من جملتها
ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس • ولقد ارسلنا • عطف على قوله تع ولقد آتينا داوود وسليمان علما من حيث
ما سيق هو له من تقرير انه عم تلقى القران من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القران
الكريم الذى لقيه عم واللام جواب قسم محذوف اى وبالله لقد ارسلنا • الى ثمود اخاهم صالحا • وان فى قوله
تع • ان اعبدوا الله • مفسرة لما فى الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون
اتباعا لها للباء • فاذا هم فريقان يختصمون • ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق
والواو لمجموع الفريقين • قال • عم للفريق الكافر منهم بعد ما شاهدوا منهم ما شاهدوا من نهاية العتو
والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عم يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • يا قوم لم
تستعجلون بالسيئة • اى بالعقوبة السيئة • قبل الحسنة • اى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من
جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه • لولا تستغفرون الله • هلا
تستغفرونه تع قبل نزولها • لعلكم ترحمون • بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول • قالوا اطيرنا بكم
اصله تطيرنا والتطير التشائم عبر عنه بذلك لانهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر
سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله
تع وقسمته او من عمل العبد اى تشاءمنا بك وبمن معك فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا
او لم نزل فى اختلاف وافتراق منذ اخترعتم دينكم • قال طائركم • اى سببكم الذى منه نالكم ما نالكم من الشر • عند
الله • وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تع • بل انتم قوم تفتنون • اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء
او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى
ذكر ما هو الداعى اليه • وكان فى المدينة • وهى الحجر • تسعة رهط • اى انفس وبهذا الاعتبار وقع تمييزا
للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة
الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع
بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين
سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم • يفسدون فى الارض • لا فى المدينة
فقط افسادا بحتا لا يخالطه شئ ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تع • ولا يصلحون • اى لا يفعلون شيئا
من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء • قالوا • استيناف ببيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال
بعضهم لبعض فى اثناء المشاورة فى امر صالح عم وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم
ثلثة ايام آه • تقاسموا بالله • اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله
تع • لنبيتنه واهله • اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض
وقرئ بياء الغيبة وضم اللام على ان تقاسموا فعل ماض • ثم لنقولن لوليه • اى لولى صالح وقرئ بالتاء
والياء كما قبله • ما شهدنا مهلك اهله • اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا

ان

ان تولينا اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا • وانا لصادقون • من تمام القول او حال اى
نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا ولانا ما شهدنا مهلكهم وحده
مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رايت ثمة رجلا بل رجلين • ومكروا مكرا • بهذه المواضعة • ومكرنا مكرا
اى اهلكناهم اهلاكا غير معهود • وهم لا يشعرون • اى جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون • فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم • شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب
بنزع الخافض اى فتفكر فى انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تع • انا دمرناهم • اما بدل من عاقبة مكرهم على
انه فاعل كان وهى تامة وكيف حال اى فانظر كيف حصل اى على اى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدإ
محذوف والجملة مبينة لما فى عاقبة مكرهم من الابهام اى هى تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم فى
مباشرة التبييت • اجمعين • بحيث لم يشذ منهم شاذ ولا تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم
من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اى لانا دمرناهم آه وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها
كيف كان فلا وجه لان يكون قوله تع انا دمرناهم آه تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم آه بالكسر على الاستيناف
روى انه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن
اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث
الله تع صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا
ما فعل بقومهم وعذب الله تع كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى
سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملاء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا
فتلك بيوتهم • جملة مقررة لما قبلها وقوله تع • خاوية • اى خالية او ساقطة متهدمة • بما ظلموا • اى
بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدإ محذوف
ان فى ذلك • اى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم • لآية • لعبرة عظيمة • لقوم يعلمون • اى من شانه ان يعلم
من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم • وانجينا الذين آمنوا • صالحا ومن معه من المؤمنين • وكانوا
يتقون • اى الكفر والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة • ولوطا • منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا
فى صدر قصة صالح داخل معه فى حيز القسم اى وارسلنا لوطا وقوله تع • اذ قال لقومه • ظرف للارسال
على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب
لوطا باضمار اذكر وبدل اذ منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اى وانجينا لوطا وهو بعيد • اتاتون الفاحشة
اى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تع • وانتم تبصرون • جملة حالية من فاعل تاتون مفيدة لتاكيد
الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اى تفعلونها
والحال انكم تعلمون علما يقينا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها • ائنكم لتاتون
الرجال شهوة • تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما ياتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة
بحرف التاكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان

الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان • من دون النساء
متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة • بل انتم قوم تجهلون • تفعلون فعل الجاهلين بقبحها او تجهلون
العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم
لكونهم في حيز الخطاب • فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضه انه استهزاء وقد مر
في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عم
بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره • فانجيناه واهله الا امراته قدرناها اي قدرنا انها
من الغابرين • اي الباقين في العذاب • وامطرنا عليهم مطرا • غير معهود • فساء مطر المنذرين • قد مر
بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة • قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى • امر بما قص الله
تع على رسوله عم قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تع وعظم
شانه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم
وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن
اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عم بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف
الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز
وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره صلى الله عم بان يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا
مطمح وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت
عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عم اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين و
قيل هو امر للوط عم بان يحمده تع على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش
والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده • آلله خير اما يشركون • اي الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما
ما يشركونه به تع من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تع وتسفيه آرائهم الركيكة
والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تع شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين
من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى
الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المامور
به يأباه قوله تع فانبتنا به الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على انه حكاية
منه عم لما امر به تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تع • امن خلق السموات والارض • منقطعة
وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا
على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام
كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك
احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما

يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن
مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان تشركون
ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل امن خلق قطري
العالم الجسماني ومبدأي منافع ما بينهما • وانزل لكم • التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الا
ولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم • من السماء ماء • اي نوعا منه هو المطر
فانبتنا به حدائق • اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط • ذات بهجة • اي ذات حسن ورونق يبتهج
به النظار • ما كان لكم • اي ما صح وما امكن لكم • ان تنبتوا شجرها • فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير
ام تشركون وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلة الانزال على مفعوله لما مر مرارا من
التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تع فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تع والايذان بان
انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال
مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده جيء بما نبي
عنه تقييدها بقوله تع ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني
ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير
شجرها • ءاله مع الله • اي ءاله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره
حتى يتوهم جعله شريكا له تع في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تع في ضمن النفي الكلي
على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا
يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملا
حظة انتفاء احكامها عما سواه تع وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان
يكون معه تع اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي
فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تع ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله بل باشراكهم به تع في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تع فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه
قيل ءاله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تع في العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به و
يجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تع بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق
المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تع وكان مع من الكر
والاوفق بجو المقام لافادته نفي وجود اله آخر معه تع رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط و
قرئ ءاله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ ءالها باضمار فعل يناسب المقام
مثل اتدعون او اتشركون • بل هم قوم يعدلون • اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب
الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والا
نحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو

التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال
عن الافادة. ام من جعل الارض قرارا قيل هو بدل من ام من خلق السموات الخ وكذا ما بعده
من الجمل الثلث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما
قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان
والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل
خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها. وجعل لها رواسي. اي جبالا ثوابت يمنعها ان
تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى
وجعل بين البحرين. اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم. حاجزا. برزخا مانعا
من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله
عن الظرف لما مر مرارا من التشويق. ءاله مع الله. في الوجود او في ابداع هذه البدائع على
ما مر. بل اكثرهم لا يعلمون. اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع
كمال ظهوره. ام من يجيب المضطر اذا دعاه. وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجأته الى
اللجاء والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي رح من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام
للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر. ويكشف السوء. وهو الذي يعتري الانسان مما
يسوؤه. ويجعلكم خلفاء الارض. اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم
من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط. ءاله مع الله. الذي يفيض على كافة الانام
هذه النعم الجسام. قليلا ما تذكرون. وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري
مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في
ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون
على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام. امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء
وعمياء التي لا منار بها. ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته. وهي المطر ولئن صح ان السبب
الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها
للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفا
عل للسبب فاعل للمسبب قطعا. ءاله مع الله. نفي لان يكون معه اله آخر وقوله تعالى
الله عما يشركون. تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لاشعار بعلة الحكم اي تعالى
وتنزه بذاته المتفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية
لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان و

جوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم. ام من يبدأ الخلق
ثم يعيده. اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث. ومن يرزقكم من السماء والارض
اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع يقتضيه الحكمة التي عليها بني امر التكوين خير ام
يشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء ما اصلا. ءاله. آخر موجود مع الله حتى
يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى. قل هاتوا برهانكم. امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا
عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل
فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم
بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من
ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك. ان كنتم صادقين. اي في تلك الدعوى. قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله. بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة
التامة والرحمة الشاملة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله
وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة
علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه تعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى
ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بهما
واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او مو
صوفة. وما يشعرون ايان يبعثون. اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الا
مور عندهم وايان مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور لما ذكر
عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن والاسناد
الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم. بل ادارك علمهم في الآخرة. لما
نفي عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بالغ في تأكيده وتقريره بان
اضرب عنه وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا
مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة
التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا
على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم
ومبادئه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لا
حظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه
وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل. بل هم في شك منها. اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها
كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم
فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل. بل هم منها عمون. بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال

بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادّارك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم
وقيل كلمة بل في الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم وانتم اسباب علمهم بان القيامة كائنة
لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في
ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بما هو اشد
منه واغلظ من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم
الكريم على جهلهم في غاية ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون
وصفاً لهم بالجهل مبالغة هذا والاصل ادّارك على ما ذكر واصل ادّارك تدارك وبه قرئ اي فابدلت التاء
دالاً وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادّارك وقرئ بل اادرك واصله
افتعل وبل ادّرك واصله افتعل وبل اادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك با
لتخفيف وبل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى ادّرك
وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه
بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار
وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون
او رد وانكار لشعورهم. وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعماهم منها بحكاية انكارهم للبعث
ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم
ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي انخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ
لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بحتة فقط
فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه
الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل
بالتأكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا
لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا
تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو
المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر. لقد وعدنا هذا اي
الاخراج. نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر و
حيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد
وقوله تعالى. ان هذا الا اساطير الاولين. تقرير اثر تقرير. قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين. بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده
وباليوم الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن
المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم. ولا تحزن عليهم. لاصرارهم على الكفر والتكذيب

ولا تكن في ضيق. في حرج صدر. مما يمكرون. من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر
الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في
امر ضيق. ويقولون متى هذا الوعد. اي العذاب العاجل الموعود. ان كنتم صادقين. في اخباركم
باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك. قل عسى ان يكون ردف لكم. اي تبعكم ولحقكم و
اللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى با
للام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه. بعض الذي تستعجلون. وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل و
سوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم
كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى ووعيده وايثارها عليه النظم الكريم على ان يقال عسى
ان يردفكم آه لكونه ادل على تحقق الوعد. وان ربك لذو فضل على الناس. اي لذو افضال
وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي
من جملتها استعجال العذاب. ولكن اكثرهم لا يشكرون. لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء. وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم. اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من
كننت الشيء اي سترته. وما يعلنون. من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب
وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة
عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون. وما من غائبة في السماء والارض. اي
من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى
والتاء للنقل الى الاسمية. الا في كتاب مبين. اي بيّن او مبيّن لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ
وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة. ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العتو والغلو في الافراط والتفريط
والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء حتى بلغ المنافرة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد
نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف. وانه لهدى ورحمة للمؤمنين. على الاطلاق
فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا. ان ربك يقضي بينهم. اي بين بني اسرائيل بحكمه
بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه. وهو العزيز. فلا يرد حكمه وقضاؤه. العليم.
بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى. فتوكل على الله. لترتيب الامر على ذكر من شؤونه
عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شأنه فانه موجب
على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى. انك على الحق المبين. تعليل صريح للتوكل
عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق المبين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام
كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى. انك لا تسمع الموتى. تعليل آخر
للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل

اولاً بما يوجبه من جهته تعالى من قضائه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانياً بما يوجبه من جهته عليه السلام على احد الوجهين
اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثاً بما يوجبه لكن لا بالذات بل بالواسطة ايجابه للاعراض عن
التشبث بالمساعدة فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً و
داع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى
عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد
تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم
بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد
مزية. ولا تسمع الصم الدعاء. اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى. اذا ولوا مدبرين
لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبا
رهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه فكيف اذا كان خلفه
بعيداً منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء. وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم. هداية موصلة الى
المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة
بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبا
لغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي. ان تسمع. اي ما تسمع سماعاً يجدي السامع نفعاً
الا من يؤمن بآياتنا. اي من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية
مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية
فهم مسلمون. تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله
تعالى بلى من اسلم وجهه لله. واذا وقع القول عليهم. بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي
تستعجلون من بقية ما استعجلوه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة
~~بمجيء الساعة ومباديها والمراد بالقول المنطق من الآيات الكريمة~~ بمجيء الساعة وما فيها من فنون الا
هوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها
وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق
بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنا وقوع مدلول القول
المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه. اخرجنا لهم دابة من الارض. وهي الجساسة وفي
التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامها بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها
عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور
وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش

وخف

وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل و
سائر خلقها خلق الطير وروي عن علي رضي الله عنه انه قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى
انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب
وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة
ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها ~~وعن النبي عليه السلام انه سئل من اين~~
~~تخرج الا ثلثها~~ وعن النبي عليه السلام انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني
المسجد الحرام وروي انها تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً فبينا الناس
في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركنين حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا
عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما
يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في
مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت
الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت
يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرع الصفا بعصاه وهو
محرم وقال ان الدابة تسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال بئس الشعب شعب
جياد مرتين او ثلاثاً قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من
بين الخافقين فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى. تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي
تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي من جملتها
تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علماً
وقرئ بان الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعبا
رتها وقيل لانها حكاية عنها لقول الله تعالى وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص
الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات ربنا ووصفهم
بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها
وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة
كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكلمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي و
المستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم اليوم في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق
او مشركو مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ
تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد يجوز كون القراءة
المشهورة ايضاً منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده. ويوم نحشر من كل امة فوجاً. بيان اجمالي لحال المكذبين عند

قيام الساعة وبعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي عم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب
بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبياء عليهم
السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب
وقوله تعالى ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس اولهم على
آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا الى مو
قف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اي عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات
لتربية المهابة اكذبتم باياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علما جملة حالية
مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الرأي
غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالايات فيما سلف
في الموضعين هي الآيات القرآنية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علما
مع وجوب ان يتأملوا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على اكذبتم اي اجمعتم بين التكذيب
وعدم التدبر فيها ام ماذا كنتم تعملون اي ام اي شيء كنتم تعملون بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك
بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان و
الطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم اي حل بهم
العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم
بايات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم
الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من
المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ
فيه حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها
ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الابصار
ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل
لآيات اي عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة
واضحة كيف لا وان من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم
رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل
المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه

الذي هو مثل الحيوة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا و
جزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الآيات الناطقة به وبكون
حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور
اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
عم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله عم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور
فاعطاه اسرافيل عم فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش حتى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور
قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر با
لنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيوة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام فذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ
ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند
البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب
الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق و
قوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان احوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين
من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة با
لتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما في قصة سورة
البقرة الا من شاء الله اي ان لا يفزع قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام و
قيل الحور والخزنة وحملة العرش وكل اي كل واحد من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا
الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ
الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ أتوه اي حاضرون داخرين اي صاغرين وقرئ
دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وجل تحسبها
جامدة اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر
السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي لم ترها رأي العين ساكنة والحال انها تمر مثل مر السحاب
الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها
وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد اوقع في هذا
التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال
كالعهن المنفوش وهذا انما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض
غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل
المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد

النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عم وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد
النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي
في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم
قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في
قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الآية فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات
قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان
ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة
الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها
من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فيكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون
كالسفينة الموثقة في البحر وكالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق
الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع
الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب
عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق
اخلال النظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة
بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت
مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل
شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر
صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان
كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات
والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه و
قرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم
من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها
اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل خير حاصل من جهتها وهو الجنة و
عن ابن عباس رضي الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات من فزع اي اعظم ما لا يقادر
قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في
قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رحمه حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت و
ينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ

في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي
يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من شاء الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل
في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو عنه احد بحكم الجبلة وان كان
آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع
يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الا
فزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كأن ما عداه ليس بفزع با
لنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجو
ههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما
كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها امر عم بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم
يبق له عم بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم
ضلوا ام رشدوا اصلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة
اعتنائه عم بامر دعوتهم انه عم يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم و
يتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة
لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما
فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونها محرمة من ان
تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد
استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها
الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى
وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد
مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون
من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد او الذين
اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن
اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على الناس
بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة
الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه على الثاني فمن اهتدى بالايمان به والعمل
بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلا
وة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه

احوال المبداء والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم

بمن لقي فيما ذكر . فقل . في حقه . انما انا من المنذرين . وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال
ضلاله شيء وانما هو عليه فقط . وقل الحمد لله . اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة
المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى
بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى . سيريكم آياته . من جملة الكلام المامور به اي سيريكم
البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها
وقعة بدر ورد باباه وقوله تعالى . فتعرفونها . اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم
لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى . وما ربك بغافل عما تعملون .
كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة
الرب الى ضمير النبي عم وتخصيص الخطاب اولا به عم وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما
تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ
عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة فلا
يحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي عم من قرأ
طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم
السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب . قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباههم . نتلوا
عليك . اي نقرأ بواسطة جبرائيل عم ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل . من نبأ موسى
وفرعون . مفعول نتلوا اي بعض نبائهما . بالحق . متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلوا
او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلوا عليك بعض نبائهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة
ملتبسة بالحق . لقوم يؤمنون . متعلق بنتلوا وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان
للكل لانهم المنتفعون به . ان فرعون علا في الارض . استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود و
تصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود
المعهودة في الظلم والعدوان . وجعل اهلها شيعا . اي فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء
وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد
اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا يتفق كلمتهم . يستضعف طائفة منهم . وهم بنو اسرائيل
والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى . يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا
لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه . انه كان من المفسدين . اي الراسخين في
الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام

ونريد

ونريد ان نمن . اي نتفضل . على الذين استضعفوا في الارض . على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه
وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما في الوقوع
في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد
ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة
بالمن تعلق استقبالي على ان منة الله عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى
الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المبا
ينة لها . ونجعلهم ائمة . يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين . ونجعلهم الوا
رثين . لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوا
رثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا
ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى . ونمكن لهم في الارض . اي نسلطهم على مصر والشام
يتصرفون فيها كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه . ونري فرعون وهامان و
جنودهما منهم . اي من اولئك المستضعفين . ما كانوا يحذرون . ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم و
هلكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية . واوحينا الى ام موسى . بالهام
او رؤيا . ان ارضعيه . ما امكنك اخفاؤه . فاذا خفت عليه . بان يحس به الجيران عند بكائه ونموا عليه
فالقيه في اليم . في البحر وهو النيل . ولا تخافي . عليه ضيعة بالغرق وكثرة . ولا تحزني انا رادوه
اليك . عن قريب بحيث تامنين عليه . وجاعلوه من المرسلين . والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن و
ايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله
من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية
لام موسى عم فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه و
ارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني
وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته
في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي
لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما
الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت
من بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى . فالتقطه آل فرعون . فصيحة مفصحة عن عطفه على
جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة
الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ
اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم
يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا

الح

يبرأ

الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانسى يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه
فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية
بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف الصديق عم وقيل كانت
من بنى اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلى واقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى
جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت فى النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى
به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم
فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبى صغير فى
مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فر
عون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة
من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذى تحذر منه رمى فى البحر خوفا منك فاقتله فهم فرعون بقتله
فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام فى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز
مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له فى الترتيب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا
وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عم نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين اى فى كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو فى ان قتلوا الاجله الوفا ثم
اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روى انه ذبح فى طلبه عم تسعون الف وليد او كا
نوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطائهم او لبيان
الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطأ وقالت امرأة
فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لى ولك اى هو قرة عين لنا لانهما
لما رأياه احباه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفى الحديث انه قال لك لا لى ولو قال
لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده
عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة
او نتخذه ولدا اى نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون
والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم
لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبنى له و
قوله ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطائهم وقيل حال من احد
ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد
ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون
كقوله تعالى وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او سماعها ان فرعون

عطف

عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمزة اجراء للضمة فى جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما فى وجوه
ان كادت لتبدى به اى انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح
لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين اى المصدقين بوعد الله تعالى
او من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما
قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوته عم دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجـ
ـبة للامتثال بالامر قصيه اى اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به اى ابصرته عن جنب عن بعد
وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه او تتعرف حاله
او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع بالمرضعات والمراضع جمع مرضع وهى
المرأة التى ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعنى الثدى من قبل اى من قبل قصها
اثره فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدى واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه و
تربيته روى ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت
وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكى وهو
يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدى الا
ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها
فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا
تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اى جميع ما وعد من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه
بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر فيرتابون فيه او ان الغرض
الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون
ولما بلغ اشده اى المبلغ الذى لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل
يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين واستوى اى اعتدل قده او عقله آتيناه
حكما وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه
وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذى
فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر فرعون وقيل
منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها فى وقت لا يعتاد دخو
لها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اى من مخالفيه دينا وهم
القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته اى سأله ان يغيثه بالاعانة كما يدل عليه
تعديته بعلى وقرئ فاستعانه على الذى من عدوه فوكزه موسى اى ضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه

كذلك

مثل ذلك الذى

اى فضرب بصدره . فقضى عليه . فقتله واصله انهى حياته من قوله تع . وقضينا اليه ذلك الامر
قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما و
استغفر عنه جريا على سنن المقربين فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر
انه عدو مضل مبين . ظاهر العداوة والاضلال . قال . توسيط بين كلاميه عم لابانة ما بينهما
من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول . رب انى ظلمت نفسى . اى بقتله . فاغفر لى
ذنبى . فغفر له . ذلك . انه هو الغفور الرحيم . اى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم
قال رب بما انعمت على . اقسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن . فلن
اكون . بعد هذا ابدا . ظهيرا للمجرمين . واما استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون
معينا لمن يؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضى الله انه عم لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وهذا
يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك
فاصبح فى المدينة خائفا يترقب . يترصد الاستقادة له والاخبار . فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه
اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ . قال له موسى انك لغوى مبين . اى بين الغواية تسببت لقتل رجل
وتقاتل اخرى . فلما ان اراد . موسى . ان يبطش بالذى هو عدو لهما . اى لموسى وللاسرائيلى اذ لم
يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء
قال . اى الاسرائيلى ظانا انه عم يبطش به لما سمع تسميته اياه غويا . يا موسى اتريد ان تقتلنى
كما قتلت نفسا بالامس . قالوا لما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفر
عونى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عم وقيل قاله القبطى . ان تريد
اى ما تريد . الا ان تكون جبارا فى الارض . وهو الذى يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل
ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله تع . وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس بالقول والفعل . وجاء رجل من اقصى المدينة . اى كائن من آخرها او جاء من
آخرها . يسعى . اى يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء
فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان
قال يا موسى ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك . اى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين
يأمر الآخر ويأتمر . فاخرج . اى من المدينة . انى لك من الناصحين . اللام للبيان لما ان معمول
الصلة لا يتقدمها . فخرج منها . اى من المدينة . خائفا يترقب . لحوق الطالبين . قال رب نجنى
من القوم الظالمين . خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم . ولما توجه تلقاء مدين . اى نحو مدين
وهو قرية شعيب عم سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة
ثمانية ايام . قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل . توكلا على الله تع وثقة بحسن توفيقه وكان لا

يعرف

يعرف الطرق فعنت له ثلث طرائق فاخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فى عقبه فاخذوا فى الآخرين وقيل
خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على
فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين . ولما ورد ماء مدين . اى وصل اليه وهو بئر كانوا
يسقون منها . وجد عليه . اى فوق شفيرها . امة . جماعة كثيرة . من الناس يسقون . اى موا
شيهم . ووجد من دونهم . فى موضع اسفل منهم . امرأتين تذودان . اى تمنعان ما معهما من
الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم قال عم لهما حين
رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود . ما خطبكما . ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر والذود هلا
تباشران السقى حتى يصدر الرعاء مواشيهم بعد ريها من الماء عجزا عن مساجلتهم وتحرزا عن مخالطة
الرجال لان لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما ان
الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هى التى دعت موسى عم الى ما صنع فى حقهما من المعروف
فانه عم انما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما
لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء
بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاء بجمع قياسى كصيام وقيام . وقوله تع . وابونا شيخ كبير
ابلاء منهما للعذر اليه عم فى توليهما للسقى بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان
لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه
الكبر فلا بد لنا من تاخير السقى الى ان يقضى الناس اوطارهم من الماء . فسقى لهما . رحمة عليهما و
الكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا روى ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقلبه
الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم فى السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عم عن ذلك
فان الظاهر انه عم غب ما شاهد حالهما سارع الى السقى لهما وقد روى انه دفعهم عن الماء الى ان
سقى لهما وقيل كانت هناك بئر آخر عليها الصخرة المذكورة وروى انه عم سالهم دلوا من
ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض
ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما . ثم تولى الى الظل . الذى كان هناك . فقال رب انى
لما انزلت الى . اى اى شئ انزلته الى . من خير . جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة
المقام . فقير . اى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جئ بلام العلة لتقوية العمل وقيل المعنى
لما انزلت الى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند
فرعون قاله عم اظهارا للتبجح والشكر على ذلك . فجاءته احديهما . قيل كبراهما واسمها صفوراء او
صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيرا اى جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روى انهما لما رجعتا
الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى

[illegible] قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء
اى عادتنا ان لا نسقى صح صح

لنا فقال لاحدیهما ادعی فجائته احدیهما تمشی علی استحیاء وقوله تع • تمشی • حال من فاعل جاءت وقوله تع • علی استحیاء •
متعلق بمحذوف هو حال من ضمیر تمشی ای جائته تمشی کائنة علی استحیاء ومعناه انها کانت علی
استحیاء حالتی المشی والمجیء معا لا عند المجیء فقط وتنکیر استحیاء للتفخیم قیل جائته متخفرة ای شدیدة
الحیاء وقیل قد استترت بکم درعها • قالت • استیناف مبنی علی سؤال نشأ من حکایة مجیئها
ایاه ع م کانه قیل فماذا قالت له ع م فقیل قالت • ان ابی یدعوک لیجزیک اجر ما سقیت لنا • ای جزاء
سقیک لنا اسندت الدعوة الی ابیها وعللتها بالجزاء لئلا یوهم کلامها ریبة وفیه من الدلالة
علی کمال العقل والحیاء والعفة ما لا یخفی روی انه ع م اجابها فانطلقا وهی امامه فالزقت
الریح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشی خلفی وانعتی لی الطریق ففعلت حتی اتیا دار شعیب
علیهما السلام • فلما جاءه وقص علیه القصص • ای ما جری علیه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمی به
المفعول کالعلل • قال لا تخف نجوت من القوم الظالمین • الذی یلوح من ظاهر النظم الکریم ان
موسی ع م انما اجاب المستدعیة من غیر تلعثم لیتبرک برؤیة شعیب ع م ویستظهر برأیه لا لیأخذ بمعروفهم
اجرا حسبما صرحت به الایة الی ما روی ان شعیبا لما قدم الیه طعاما • قال • انا اهل بیت لا نبیع
دیننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ علی المعروف ثمنا ولم یتناول حتی قال شعیب علیه السلام
هذه عادتنا مع کل من ینزل بنا فتناول بعد ذلک علی سبیل التقبل لمعروف مبتداء کیف لا وقد قص
علیه قصصه وعرفه انه من بیت النبوة من اولاد یعقوب علیهم السلام ومثله حقیق بان یضیف
ویکرم لا سیما فی دار نبی من انبیاء الله تع علیهم السلام وقیل لیس بمستنکر منه ع م ان یقبل الاجر لا
ضطرار الفقر والفاقة وقد روی عن عطاء ابن السائب انه ع م رفع صوته بدعائه لیسمعها ولذلک
قیل له لیجزیک اه ولعله ع م انما فعله لیکون ذریعة الی استدعائه لا الی استیفاء الاجر • قالت احدیهما •
وهی التی استدعته الی ابیها وهی التی زوجها من موسی علیهما السلام • یا ابت استاجره • ای لرعی الغنم و
القیام بامرها • ان خیر من استاجرت القوی الامین • تعلیل جار مجری الدلیل علی انه حقیق بالا
ستیجار وللمبالغة فی ذلک جعل خیرا اسما لان وذکر الفعل علی صیغة الماضی للدلالة علی انه
امین مجرب روی ان شعیبا ع م قال لها وما اعلمک بقوته وامانته فذکرت ما شاهدت منه ع م
من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتی بلغته رسالته وامرها بالمشی خلفه • قال انی ارید
ان انکحک احدی ابنتی هاتین علی ان تاجرنی • ان تکون اجیرا لی او تثبتنی من اجرته کذا اذا اثبته ایاه ومنه قوله
تع • ثمانی حجج • علی الاول ظرف وعلی الثانی مفعول به علی تقدیر مضاف ای رعیة ثمانی حجج ونقل
عن المبرد انه یقال اجرت داری ومملوکی غیر ممدود واجرته ممدودا والاول اکثر فعلی هذا یکون المفعول
الثانی محذوفا والمعنی علی ان تاجرنی نفسک وقوله تع ثمانی حجج ظرف کالوجه الاول • فان اتممت عشرا • فی
الخدمة والعمل • فمن عندک • ای فهو من عندک بطریق التفضل لا بطریق الالزام علیک وهذا من شعیب عرض لرأیه علی موسی
ع م واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقیق له بالفعل • وما ارید ان اشق علیک • بالالزام

انما العشر

انما العشر او المناقشة فی مراعاة الاوقات واستیفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان
ما یصعب علیک شق علیک اعتقادک فی اطاقته ویوزع رأیک فی مزاولته • ستجدنی ان شاء
الله من الصالحین • فی حسن المعاملة ولین الجانب والوفاء بالعهد ومراده ع م بالاستثناء التبرک
به وتفویض امره الی توفیقه تع لا تعلیق صلاحه بمشیة الله تع • قال ذلک بینی وبینک • مبتداء وخبر ای
ذلک الذی قلته وعاهدتنی فیه وشارطتنی علیه قائم وثابت بیننا جمیعا لا یخرج عنه واحد منا
لا انا عما شرطت علی ولا انت عما شرطت علی نفسک وقوله تع • ایما الاجلین • ای اکثرهما او اقصرهما
• قضیت • ای وفیتک بادائی الخدمة فیه • فلا عدوان علی • تصریح بالمراد وتقریر لامر الخیرة ای
لا عدوان علی بطلب الزیادة علی ما قضیته من الاجلین وتعمیم انتفاء العدوان لکلا الاجلین
بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان فی اکثرهما رأسا للقصد الی التسویة بینهما فی الانتفاء
ای کما لا اطالب بالزیادة علی العشر لا اطالب بالزیادة علی الثمانی او ایما الاجلین قضیت فلا اثم
علی یعنی کما لا اثم علی فی قضاء الاکثر لا اثم علی فی قضاء الاقصر فقط وقری ای الاجلین ما
قضیت فما مزیدة لتاکید القضاء کما انها فی القراءة الاولی مزیدة لتاکید ابهام ای وشیاعها وقری
ایما بسکون الیاء کقول من قال تنظرت نصرا والسماکین ایهما علی من الغیث استهلت مواطره • والله
علی ما نقول • من الشروط الجاریة بیننا • وکیل • شاهد وحفیظ فلا سبیل لاحد منا الی الخروج عنه اصلا
ولیس ما حکی عنهما ع م تمام ما جری بینهما من الکلام فی انشاء عقد النکاح وعقد الاجارة وایقاعهما
بل هو بیان لما عزما علیه واتفقا علی ایقاعه حسبما یتوقف علیه مساق القصة اجمالا من غیر تعرض
لبیان مواجب العقدین فی تلک الشریعة تفصیلا روی انهما لما اتما العقد قال شعیب لموسی علیهما
السلام ادخل ذلک البیت فخذ عصا من تلک العصی وکانت عنده عصی الانبیاء علیهم السلام فاخذ
عصا هبط بها آدم ع م من الجنة ولم یزل الانبیاء یتوارثونها حتی وقعت الی شعیب فمسها
وکان مکفوفا فظن بها فقال غیرها فما وقع فی یده الا هی سبع مرات فعلم ان له شأنا وقیل اخذها
جبرائیل ع م بعد موت آدم ع م فکانت معه حتی لقی بها موسی لیلا وقیل اودعها شعیبا ملک فی
صورة رجل فامر بنته ان تاتیه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم یقع فی یدها غیرها فدفعها الیه ثم
لانها ودیعة فتبعه فاختصما فیها ورضیا ان یحکم بینهما اول طالع فاتاهما الملک فقال القیاها
فمن رفعها فهی له فعالجها الشیخ فلم یطقها ورفعها موسی ع م وعن الحسن رضی الله عنه ما کانت
الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الکلبی رحمه الله الشجرة التی منها نودی شجرة العوسج ومنها
کانت عصاه ولما اصبح قال له شعیب صلوة الله علیهما اذا بلغت مفرق الطریق فلا تأخذ علی
یمینک فان الکلاء وان کان بها اکثر الا ان فیها تنینا اخشاه علیک وعلی الغنم • فاخذت الغنم
الیمین ولم یقدر علی کفها ومشی علی اثرها فاذا عشب وریف لم یر مثله فنام فاذا بالتنین قد اقبل
فحاربته العصا حتی قتلته وعادت الی جنب موسی ع م دامیة فلما ابصرها دامیة والتنین مقتولا ارتاح

لذلك ولما رجع الى شعيب عم مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام بالشأن
ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له . انى . وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادرع و
درعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت
ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى . فلما قضى موسى الاجل . فصيحة اى فعقد العقدين
وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل . وسار باهله . نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى انه
قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه فى ذلك فا
ذن له فخرج باهله . آنس من جانب الطور . اى ابصر من الجهة التى تلى الطور . نارا قال لاهله
امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر . اى بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه . او جذوة . اى
عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى
غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله
تعالى . من النار . وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات . لعلكم تصطلون . اى تستدفئون . فلما اتا
ها . اى النار التى آنسها . نودى من شاطئ الواد الايمن . اى اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة
الى موسى عم . فى البقعة المباركة . متصل بالشاطئ او صلة لنودى . من الشجرة . بدل اشتمال من
شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ . ان يا موسى انى انا الله رب العالمين . وهذا وان خالف
لفظا لما فى طه والنمل لكنه موافق له فى المعنى المراد . وان الق عصاك . عطف على ان يا موسى و
كلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى . فلما رآها تهتز . فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا
على دلالة السياق عليها واشعارا بغاية سرعة تحققها كأنها اى فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما
رآها تهتز . كأنها جان . اى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها . ولى مدبرا . اى منهزما من الخوف
ولم يعقب . اى لم يرجع . يا موسى . اى قيل يا موسى . اقبل ولا تخف انك من الآمنين . عن المخاوف
فانه لا يخاف لدى المرسلون . اسلك يدك فى جيبك . اى ادخلها فيه . تخرج بيضاء من غير سوء . اى
عيب . واضمم اليك جناحك . اى يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى
تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان
يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند
انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه
من الرهب . اى من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم
الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات . فذانك . اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون
فالمخفف مثنى ذاك والمشدد ذلك . برهانان . حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره
اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة و
نظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن فى

اتم

قوله

قوله تعالى . من ربك . متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان اى كائنان منه تعالى . الى فرعون وملائه . واصلان
ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان
نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين . قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
بمقابلتها واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا . اى معينا وهو فى الاصل اسم ما
يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف . يصدقنى . بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف
الشبهة . انى اخاف ان يكذبون . ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره
وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقنى بالجزم على انه جواب الامر . قال سنشد
عضدك باخيك . اى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد
وشدتها بشدته . ونجعل لكما سلطانا . اى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك . فلا يصلون اليكما
باستيلاء او محاجة . بآياتنا . متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع آخر اى اذهبا بآياتنا او بنجعل
اى نسلطكما بآياتنا او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل
هو بيان للغالبون فى قوله تعالى . انتما ومن اتبعكما الغالبون . بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام
للتعريف لا بمعنى الذى . فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات . اى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عم
منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عم اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع
قد مر سره فى سورة طه . قالوا ما هذا الا سحر مفترى . اى سحر تختلقه لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله
ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا . اى السحر او ادعاء النبوة
فى آبائنا الاولين . اى واقعا فى ايامهم . وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده . يريد به نفسه
وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر
بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد . ومن تكون له عاقبة الدار . اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا
وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها
الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية . انه
لا يفلح الظالمون . اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور . وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت
لكم من اله غيرى . قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان . فاوقد
لى يا هامان على الطين . اى اصنع آجرا . فاجعل لى منه صرحا . اى قصرا رفيعا . لعلى اطلع الى اله
موسى . كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال . وانى لاظنه من الكاذبين
او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة
وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والارض فان معناه
بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلو
ماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم

الا سحر مفترى

الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام . فاستكبر هو وجنوده
في الارض . ارض مصر . بغير الحق . بغير استحقاق . وظنوا انهم الينا لا يرجعون . بالبعث للجزاء و
قرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام . فاخذناه
وجنوده . عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات . فنبذناهم في اليم . قد مر تفصيله وفيه من
تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف
وطرحهم في اليم ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه . فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وبين للناس ليعتبروا بها . وجعلناهم اى صيرناهم
هم في عهدهم . ائمة يدعون . الناس . الى النار . الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اى قدوة يقتدي بهم
اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما في قوله
تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم و
يكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك . ويوم القيمة لا ينصرون
برفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه . واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة . طردا وابعادا من الرحمة ولعنا
من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف . ويوم القيمة هم من
المقبوحين . من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد
الوجه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبّحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين
من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك
كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين . ولقد آتينا موسى الكتاب . اى التورية . من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى . هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم
للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس آثارها واحكامها
المؤدية الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول
الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة
للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها . بصائر للناس . اى انوارا
لقلوبهم تبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية
فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر . وهدى . اى هداية الى
الشرايع والاحكام التي هي سبيل الله تعالى . ورحمة . حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل
على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر او
وقيل على العلة اى آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة . لعلهم يتذكرون . ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى

وما كنت

وما كنت بجانب الغربي . شروع في بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس
الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان
ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى
كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم الاية اى وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على
حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد
الجامع . اذ قضينا الى موسى الامر . اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التورية . و
ما كنت من الشاهدين . اى من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى
تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح فتخبره للناس . ولكنا انشأنا قرونا .
اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة . فتطاول عليهم العمر . وتمادى الامد فتغيرت
الشرايع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا
اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى . وما كنت ثاويا في اهل مدين
نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب
والمؤمنين به وقوله تعالى . تتلو عليهم . اى تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم . آياتنا . الناطقة
بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت . ولكنا كنا مرسلين . اياك وموحين اليك تلك
الآيات ونظائرها . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا . اى وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين
واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون . ولكن رحمة من ربك . ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق
بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك
كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة وقد اكتفى عن
ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح
به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل و
قوله تعالى . لتنذر قوما . متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتما لان
المعلل بالانذار لا العلم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى . ما اتاهم من نذير
من قبلك . صفة لقوما اى لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة سنة او بينك
وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل . لعلهم يتذكرون . اى
يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان
كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوائه عليه السلام في
اهل مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب
الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة

ولكنا

وخمسون

اى عقوبة • بما قدمت ايديهم • اى بما اقترفوا من الكفر والمعاصى • فيقولوا • عطف على تصيبهم
داخل فى حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما
ذكره فى حيزها للايذان بانه السبب الملجى لهم الى قولهم • ربنا لولا ارسلت الينا رسولا • اى هلا ارسلت
الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات • فنتبع آياتك • الظاهرة على يديه وهو جواب لولا الثانية
ونكون من المؤمنين بها • وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا اصابهم
عقوبة جناياتهم التى قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعا
ذيرهم بالكلية • فلما جاءهم • اى اهل مكة • الحق من عندنا • وهو القرآن المنزل عليه عم
قالوا • تعنتا واقتراحا • لولا اوتى • يعنونه عم • مثل ما اوتى موسى • من الكتاب المنزل
عليه واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عم وقوله تع • او لم يكفروا بما اوتى
موسى من قبل • رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى
الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تع • قالوا •
استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تع • سحران • خبر
لمبتداء محذوف اى يعنون بهما ما اوتى محمد وما اوتى موسى عليهما السلام سحران • تظاهرا • اى تعاونا
بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود فى عيدهم فسا
لوهم عن شانه عم فقالوا انا نجده فى التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت
اليهود قالوا ذلك وقوله تع • وقالوا انا بكل • اى بكل واحد من الكتابين • كافرون • تصريح
بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم فى الكفر و
الطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهم هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم
الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل الا ترى الى قوله تع • قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما • مما او
تياه من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تع • اتبعه • جواب للامر اى ان
تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو
اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام • ان كنتم صاد
قين • اى فى انهما سحران مختلفان وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم • فان لم
يستجيبوا لك • اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تع فان لم تفعلوا
وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عم على كمال امن من امره كان امره عم لهم بالاتيان بما ذكر د
عاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام فيحذف
الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله دعاءه • فاعلم انما يتبعون اهواءهم •
الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله • اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهره سبك لنفى الاضل لا لنفى المساوى

كنظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تع لزيادة التقرير والاشباع فى التشنيع و
التضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة • ان الله لا يهدى القوم الظالمين • الذين ظلموا
انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول
وقرئ بالتخفيف اى انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة و
المصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصايح • لعلهم يتذكرون •
فيؤمنون بما فيه • الذين آتيناهم الكتاب من قبله • اى من قبل ايتاء القرآن • هم به يؤمنون
وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر
من الحبشة وثمانية من الشام • واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اى الحق الذى
كنا نعرف حقيقته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تع • انا كنا من قبله • اى من قبل نزوله
مسلمين • بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وانهم
على دين الاسلام قبل نزول القرآن • اولئك • الموصوفون بما ذكر من النعوت • يؤتون اجرهم
مرتين • مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن • بما صبروا • بصبرهم وثباتهم على الا
يمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم والمشر
كين • ويدرؤن بالحسنة السيئة • اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع الحسنة السيئة
تمحها • ومما رزقناهم ينفقون • فى سبيل الخير • واذا سمعوا اللغو • من اللاغين • اعرضوا عنه
عن اللغو تكرما كقوله تع فاذا مروا باللغو مروا كراما • وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام
عليكم • بطريق المتاركة والتوديع • لا نبتغى الجاهلين • لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم
انك لا تهدى • هداية موصلة الى البغية لا محالة • من احببت • من الناس ولا تقدر على ان تدخله
فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود • ولكن الله يهدى من
يشاء • اى يهديه فيدخله فى الاسلام • وهو اعلم بالمهتدين • بالمستعدين لذلك قال الجمهور على انها
نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله عم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج
بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت و
لولا ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما
ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد
مناف • وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا • نزلت فى الحارث بن نوفل بن عبد
مناف حيث اتى النبى عم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما
نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تع • اولم نمكن لهم حرما آمنا • اى الم
نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم آمنون
يجبى اليه • وقرئ تجبى اى يجمع • ويحمل اليه • ثمرات كل شىء • من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما

دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة • رزقا من لدنا • فاذا كان حالهم ما ذكر وهم
عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد • ولكن اكثرهم
لا يعلمون • اى جهلة لا يتفطنون ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من
لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره
وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد بمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها
بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا بأس الله تعالى بقوله • وكم اهلكنا من
قرية بطرت معيشتها • اى وكثير من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض
العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم • فتلك مساكنهم • خاوية بما
ظلموا • لم تسكن من بعدهم • من بعد تدميرهم • الا قليلا • اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا
المارة يوما او بعض يوم او لم يسكن من بعدهم الا قليلا من شؤم معاصيهم • وكنا نحن الوا
رثين • منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف
اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت • وما كان ربك مهلك القرى • بيان للعناية الربا
نية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم
البالغة او ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته
ان لا يهلكها • حتى يبعث فى امها • اى فى اصلها وقصبتها التى هى اعمالها وتوابعها لكون
اهلها افطن وانبل • رسولا يتلوا عليهم آياتنا • الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب
والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى • وما كنا مهلكى
القرى • عطف على ما كان ربك وقوله تعالى • الا واهلها ظالمون • استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى
حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم
صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد
مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل • وما اوتيتم من شىء • من امور الدنيا • فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
اى فهو شىء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل • وما عند الله • وهو الثواب • خير
فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم • وابقى • لانه ابدى
افلا تعقلون • الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى
هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم • افمن
وعدناه وعدا حسنا • اى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود • فهو لاقيه • اى مدركه لا محالة

لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جئ بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن
معنى السببية • كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا • الذى هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على
الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها
من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين
الفريقين وقوله تعالى • ثم هو يوم القيمة من المحضرين • عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤ
كد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره يوم القيمة النار او العذاب
وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى و
ثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل • ويوم ينا
ديهم • منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر
فيقول • تفسير للنداء • اين شركائى الذين كنتم تزعمون • اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف
المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما • قال • استيناف مبنى على حكاية السؤال كانه قيل فماذا
صدر عنهم حينئذ فقيل قال • الذين حق عليهم القول • وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤس
ائهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق
عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم
فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم
الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لتفضيحهم وتوبيخهم بالا
ضلال وجزمهم بان العبدة • سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوا اعتذارا و
هؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره • ربنا هؤ
لاء الذين اغوينا • اى هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم
يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى • اغويناهم
كما غوينا • هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اى ما اكرهناهم على الغى وانما اغويناهم بطريق
الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون
الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر • تبرأنا اليك • منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى
هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى • ما كانوا ايانا يعبدون • اى ما
كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اى
تبرأنا من عبادتهم ايانا • وقيل ادعوا شركاءكم • اى تهكما بهم او تبكيتا لهم • فدعوهم • لفرط
الحيرة • فلم يستجيبوا لهم • ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة • ورأوا العذاب • قد غشيهم
لو انهم كانوا يهتدون • لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل

لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين. ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين. عطف
على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك. فعميت
عليهم الانباء يومئذ. اي صارت كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه
قد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه
لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء
اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهو داخل فيه دخولا اوليا واذا
كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم
عن غائلة المسؤول فما ظنك باولئك الضلال من الامم. فهم لا يتساءلون. لا يسأل بعضهم بعضا
عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل. فاما من تاب من الشرك. وآمن وعمل
صالحا. اي جمع بين الايمان والعمل الصالح. فعسى ان يكون من المفلحين. اي الفائزين بالمطلو
ب عنده تع الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب
بمعنى فليتوقع الافلاح. وربك يخلق ما يشاء. ان يخلقه. ويختار. ما يشاء اختياره من غير
ايجاب عليه ولا منع له اصلا. ما كان لهم الخيرة. اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الا
ختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك
خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تع الرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان
لهم فيه الخير والصلاح. سبحان الله. اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزا
حم اختياره. وتعالى عما يشركون. عن اشراكهم وعن مشاركة ما يشركون به. وربك يعلم ما
تكن صدورهم. كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده. وما يعلنون. كالطعن فيه و
هو الله. اي المستحق للعبادة. لا اله الا هو. لا احد يستحقها الا هو. له الحمد في الاولى و
الآخرة. لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة
كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا
بفضله والتذاذا بحمده. وله الحكم. اي القضاء النافذ في كل شيء من كل شيء من غير مشاركة
فيه لغيره. واليه ترجعون. بالبعث لا الى غيره. قل تقرير لما ذكر. ارأيتم. اي اخبروني. ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا. دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من
الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة. الى يوم القيمة. باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائر. من اله غير الله يأتيكم بضياء. صفة اخرى لاله عليها يدور امر التبكيت
والالزام كما في قوله تع قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما
خلا انه قصد بنفي انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله آه لاراد التبكيت والالزام

الرسل باختيارهم

على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين. افلا تسمعون. هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى
تذعنوا له وتعملوا بموجبه. قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة. باسكانها
في وسط السماء او بتحريكها على مدار فوق الافق. من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه. استراحة
من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهرا الا
ستتباع لما نيط به من المنافع. افلا تبصرون. هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه. اي في الليل. ولتبتغوا من فضله.
في النهار بانواع المكاسب. ولعلكم تشكرون. ولكي تشكروا نعمته تع فعل ما فعل او
لتعرفوا نعمته تع وتشكروه عليها. ويوم يناديهم. منصوب باذكر. فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون. تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الا
شراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه فقوله تع. ونزعنا. عطف على يناديهم
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون
العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا. من كل امة من الامم. شهيدا
نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تع فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد. فقلنا. لكل
من تلك الامم. هاتوا برهانكم. على صحة ما كنتم تدينون به. فعلموا. يومئذ. ان الحق لله.
في الالهية لا يشاركه فيها احد. وضل عنهم. اي غاب غيبة الضائع. ما كانوا يفترون. في
الدنيا من الباطل. ان قارون كان من قوم موسى. كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب وموسى ع م ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتو
رية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لها
رون وجد قارون في نفسه حسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى
ع م هذا صنع الله تع قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد
بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل
فاصبحوا فاذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع
من السحر وذلك قوله تع. فبغى عليهم. فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او
ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر من حسده
موسى وهارون عليهما السلام. وآتيناه من الكنوز. اي الاموال المدخرة. ما ان مفاتحه. اي
مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح
لتنوء بالعصبة اولي القوة. خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله
حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم
المضاف اليه كما في قوله تع ان رحمة الله قريب من المحسنين. اذ قال له قومه. منصوب بتنوء

بالليل

وقيل ببغي ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد
وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تع قال
انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه • لا تفرح • اى لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه
نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب
الترح حتما ولذلك قال الله تع لا تفرحوا بما آتيكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله عز وعلا
ان الله لا يحب الفرحين • اى بزخارف الدنيا • وابتغ • وقرئ واتبع • فيما آتاك الله • من الغنى • الدار
الآخرة • اى ثواب الله تع فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه • ولا تنس • اى لا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا • وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله تع • كما احسن
الله اليك • فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام • ولا تبغ
الفساد في الارض • نهي عما كان عليه من الظلم والبغي • ان الله لا يحب المفسدين • لسوء افعالهم • قال
مجيبا لناصحه انما اوتيته على علم عندى كانه يريد الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه
تفضل انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اى فضلت به على الناس و
استوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه • وعلى علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم
بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفا
ئن وعندى صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى اى في ظني ورأيي • اولم يعلم ان الله
قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا • توبيخ له من جهة الله عز وجل على
اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عم وسماعا من حفاظ التوا
ريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التورية ولم يعلم ما فعل الله تع باضرابه من اهل القرون السابقة حتى
لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا
حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين • ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون • سؤال استعلام بل يعذبون
بها بغتة كان قارون لما هدد بذلك اهلكه من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان
ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تع مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة
فخرج على قومه • عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تع • في زينته • اما متعلق بخرج او بمحذوف
هو حال من فاعله اى فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه قيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه
ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات
وهو اول يوم رئي فيه المعصفر • قال الذين يريدون الحيوة الدنيا • من المؤمنين جريا على سنن الجبلة
البشرية من الرغبة في السعة واليسار • ياليت لنا مثل ما اوتي قارون • وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا
به الى الله تع وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا • انه لذو حظ عظيم • تعليل

لتمنيهم

لتمنيهم وتأكيد له • وقال الذين اوتوا العلم • اى باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا
بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال
على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي • ويلكم • دعاء بالهلاك
شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى • ثواب الله • في الآخرة • خير • مما تتمنونه • لمن آمن وعمل صالحا
فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تع • ولا يلقاها • اى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء
او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة
الا الصابرون • اى على الطاعات وعن الشهوات • فخسفنا به وبداره الارض • روى انه كان يؤذي موسى
عم كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فعمد الى ان يفضح موسى عم بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا
من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عم خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى
غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت وقال ولو كنت قال ان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عم ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان
ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان
مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله تع بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم
مكانه ومن كان معي فليعتزل له فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عم بالله
تع وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل
يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عم ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تع حتى خسف بداره وامواله • فما
كان له من فئة • جماعة مشفقة • ينصرونه من دون الله • بدفع العذاب عنه • وما كان من المنتصر
ين • اى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه فامتنع • واصبح الذين
تمنوا مكانه • منزلته • بالامس • منذ زمان قريب • يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر • اى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط
ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن ~~عند البصريين~~ ما اشبه
الامر ان الله يبسط الرزق اه وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم
ان الله وانما يستعمل عند التوبة على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في
تمنيهم وتندموا على ذلك • لولا ان من الله علينا • بعدم اعطائه ايانا ما تمنينا واعطانا مثل ما اعطاه
اياه • وقرئ لولا من الله علينا • لخسف بنا • كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول
وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا • ويكأنه
لا يفلح الكافرون • لنعمة الله تع او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة • تلك الدار الآخرة

للتشبيه والمعنى

اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها • نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض • اي غلبة وتسلطا • ولا فسادا • اي ظلما وعدوانا على العباد كداب الفرعون
وقارون • وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله تعالى عنه
ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها • والعاقبة • الحميدة
للمتقين • اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال • من جاء بالحسنة فله • بمقا
بلتها • خير منها • ذاتا ووصفا وقدرا • ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات • وضع
فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم • الا ما كانوا يعملون
اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة • ان
الذي فرض عليك القرآن • اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به • لرادك الى معاد • اي معاد
اليه اعناق البشر ويرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل
هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده
اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد ابائه وحرم ابراهيم عم فنزل جبرئيل عم فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه • قل
ربي اعلم من جاء بالهدى • وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منصوب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل
باعلم على انه بمعنى عالم • ومن هو في ضلال مبين • وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه و
المشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى • وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب • اي سيردك
الى معادك كما القى اليك الكتاب • وما كنت ترجوه • الا رحمة من ربك • ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز
ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم • فلا تكونن
ظهيرا للكافرين • بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم • ولا يصدنك • اي الكافرون • عن آيات
الله • اي عن قراءتها والعمل بها • بعد اذ انزلت اليك • وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده المنقول
من صد اللازم • وادع الناس • الى ربك • الى عبادته وتوحيده • ولا تكونن من المشركين بمسا
عدتهم في الامور • ولا تدع مع الله الها آخر • هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين
عن مساعدته عم لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
اصلا • لا اله الا هو • وحده • كل شيء هالك الا وجهه • الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في
حد ذاته عرضة للهلاك والعدم • له الحكم • اي القضاء النافذ في الخلق • واليه ترجعون • عند البعث
للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدقه وموسى
وكذبه ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم • الم • الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة
خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا • احسب الناس • الحسبان ونظائره لا يتعلق

بالمفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها
مفعولان اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة
للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولان لان قوله تعالى احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة لمجرد ان
يقولوا آمنا وان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار
الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما
تشتهيه الانفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق و
الراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن
خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله تعالى وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ
من المسلمين فقال رسول الله عم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة
ولقد فتنا الذين من قبلهم • متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة
مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية
قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه
قوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا الآية وعن النبي عم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه • فليعلمن الله
الذين صدقوا • اي في قولهم آمنا • وليعلمن الكاذبين • في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينبئ
عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة
وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا
يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجز
يتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجزين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي و
ليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها • ام حسب الذين يعملون
السيئات ان يسبقونا • اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب
لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار
حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجا
زوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم اصروا على المعاصي ولم
يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده • ساء ما يحكمون • اي

بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك. من كان يرجوا لقاء الله. اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجوا لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجوا ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تع عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما سخط فان اجل الله. الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تع لذلك. لآت. لاتي له من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر. من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تع فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله و يصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى. وهو السميع. لاقوال العباد. العليم. باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد. ومن جاهد. في طاعة الله عز وجل. فانما يجاهد لنفسه. لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين. فلا حاجة الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات. لنكفرن عنهم سيئاتهم. الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا. اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تع وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عائدا الى المامور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا او براهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا وحسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم. اي بالالوهية عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه. فلا تطعهما. في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونهما من التكليف ثابت بطريق الاولوية. الي مرجعكم. اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق. فانبئكم بما كنتم تعملون. بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل

وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن خطاب رضي حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد عم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ نفسه له فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في العذاب حتى ترجع عن دين محمد عم. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مامول انبياء الله المرسلين قال الله تع حكاية عن سليمان عم وادخلني في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم عم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة. ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله. اي في شانه تع بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما اصيب من اذيتهم. كعذاب الله. في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى ولئن جاء نصر من ربك. اي فتح وغنيمة. ليقولن. بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح. انا كنا معكم. اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تع. اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين. اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تع. وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص. وليعلمن المنافقين. سواء كان كفرهم باذية الكفرة اولا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق. وقال الذين كفروا للذين آمنوا. بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم. اتبعوا سبيلنا. اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا. ولنحمل خطاياكم. اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع و الوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تع. وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء. وقرئ خطيئاتهم اي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال. انهم لكاذبون. حيث

للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع حيث

اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجازه وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار
منطوقه الى باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • و
ليحملن اثقالهم • بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته
لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب
قسم مضمر اى والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة • واثقالا آخر • مع اثقالهم اى اثقالا اخر لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شئ ما اجلا • وليسئلن
يوم القيمة • سؤال تقريع وتبكيت • عما كانوا يفترون • اى يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والا
باطيل التى من جملتها كذبهم هذا • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما
شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية
الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان
الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان
يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين سنة ودعا
قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على
ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأى الذين يحسبون انهم يتركون
بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة • فاخذهم الطوفان • اى عقيب تمام
المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ على كثرة وشدة من السيل والريح و
الظلام وقد غلب على طوفان الماء • وهم ظالمون • اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم
يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة
المتمادية • فانجيناه • اى نوحا عليه السلام • واصحاب السفينة • اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه
وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث • و
جعلناها • اى السفينة او الحادثة والقصة • آية للعالمين • يتعظون بها • وابراهيم • نصب بالعطف
على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم • اذ قال لقومه • ظرف للارسال
اى ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل الى حيث تصدى للارشاد والخلق الى طريق الحق
وعلى الثانى بدل اشتمال من ابراهيم • اعبدوا الله • اى وحده • واتقوه • ان تشركوا به شيئا • ذلكم
اى ما ذكر من العبادة والتقوى • خير لكم • اى مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خير فيه
قطعا باعتبار زعمهم الباطل • ان كنتم تعلمون • اى الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان
كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة

انما تعبدون من دون الله اوثانا • بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق
اى انما تعبدون من دون الله تعالى اوثانا هى في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك • وتخلقون
افكا • اى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها
للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى
التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا • ان الذين تعبدون من دون الله • بيان
لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا • لا يملكون لكم رزقا • اى لا يقدرون على
ان يرزقوكم شيئا من الرزق • فابتغوا عند الله الرزق • كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين
واعبدوه • وحده • واشكروا له • على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد
ومستجلبين للمزيد • اليه ترجعون • اى بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ
ترجعون من رجع رجوعا • وان تكذبوا • اى تكذبونى فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون
بالبعث • فقد كذب امم من قبلكم • تعليل للجواب اى فلا تضروننى بتكذيبكم فان من
قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم
تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم • وما على الرسول
الا البلاغ المبين • اى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة
التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك اصلا • اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق • كلام
مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة
للانكار وعدم رؤيتهم الموجب لتقريره والواو للعطف على مقدر اى ألم ينظروا ولم يعلموا علما
جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اى
قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى • ثم يعيده •
عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على
الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأه في السنة السابقة
من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب • ان ذلك • اى ما ذكر
من الاعادة • على الله يسير • اذ لا يفتقر فعله تعالى الى شئ اصلا • قل سيروا في الارض • امر لابراهيم عليه السلام
ان يقول لهم ذلك اى سيروا فيها • فانظروا كيف بدأ الخلق • اى كيف خلقهم ابتداء على اطوار
مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف
الخلق القاطنين في اقطارها • ثم الله ينشئ النشأة الآخرة • بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها و
التعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدأة نشأة اولى للتنبيه على انهما
شان واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود
لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها

النصب على انها مصدر مؤكد لننشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ننشئ
فينشؤن النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الا
رض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدء الابراز
لمزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله
على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها
الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما اخبر به يعذب اي بعد النشأة
الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء اي يرحمه وهم المصدقون بها
والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه
تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى
عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض او الهبوط
في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الترقي فيها كما في قوله تعالى ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل
في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين
كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة
الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته
تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر
بآياته تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او
يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة
وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك
الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم
بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب
على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه
في نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بعد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة
كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة
الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة
اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع آخر وقد مر في
سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار
في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها

واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم
فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اي ابراهيم عليه السلام
مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم
وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي
اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة
او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة
وقرئ مودة منونة منصوبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف
اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان
ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة
ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى
ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة وقد اجريتم احكامها حيث فعلتم ما فعلتم لاجل
مودتكم لها انتصار لها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامر و
يتبدل التواد بالتباغض والتلاعن حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهم الا
وثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق
الآخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي
ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد
فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على
ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه
عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي اي حيث امرني به انه هو العزيز الغالب
على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني
الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى بما فيه صلاحي
وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل
فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من عجوز
عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب
الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار
النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين
اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله
تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم عليه السلام انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في

الفبيح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع
افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا
ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث و
قيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع
لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك
بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة
في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة
من مرات مواعظ لوط عم وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تع
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل فهو الذي صدر عنهم
بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عم وقد مر تحقيقه في
سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع
الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم
بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد
والنافلة قالوا اي لابراهيم عم في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر
انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان
اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي
قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين
عن مكان لوط عم فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عم من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم
اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امرأته كانت
من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم
لابراهيم عم لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان
صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشأنهم وتدبير
امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا
عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه مخائل
التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعتهم بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى ان
قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على

وقيل

وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من
الغابرين وقرئ وننجينه ومنجوك من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك
باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
استيناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق
المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية آية بينة وهي قصتها العجيبة وآثار ديارها
الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى
مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح عم اي وارسلنا الى مدين شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال
وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب
وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عم فانها الموجبة للرجفة
بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم و
الافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار
فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمودا بتأويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد
ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذاهبين الى الشام وآئبين منها وزين
لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق و
كانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب
لاحق بهم باخبار الرسل عم لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان
معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر
الله عز وجل اي ادراك سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اي
عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته
الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح
وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تع ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته

في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة
الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل يبني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع و
المذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبو
تات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع • وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت • حيث
لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي • لو كانوا يعلمون • اي شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم
او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى
وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم • ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء • على اضمار القول
اي قيل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن
مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم و
مفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد
للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم • وهو العزيز الحكيم • تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن
هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم و
اتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم • وتلك
الامثال • اي هذا المثل وامثاله • نضربها للناس • تقريبا لما بعد من افهامهم • وما يعقلها •
على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد • الا العالمون • الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء
على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب
سخطه • خلق الله السموات والارض بالحق • اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل
خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله
فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما
يفصح عنه قوله تعالى • ان في ذلك لآية للمؤمنين • دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين
بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقها للكل لانهم المنتفعون بذلك • اتل ما اوحي اليك من
الكتاب • تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على
العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق • واقم الصلوة • منتظمة للصلوات
المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر • كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر
ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام
على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الصلوة
منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته
من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه

اي داوم عليها [illegible]

وروى انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا
ركبه فوصف له صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله • ولذكر الله اكبر
اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان
ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله
تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته • والله يعلم ما تصنعون • منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن
المجازاة • ولا تجادلوا اهل الكتاب • من اليهود والنصارى • الا بالتي هي احسن • اي بالخصلة التي
هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه
لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف • الا الذين ظلموا منهم • بالا
فراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ الموافقة بما
يليق بحالهم • وقولوا آمنا بالذي انزل الينا • من القرآن • وانزل اليكم • اي وبالذي انزل اليكم من
التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا
تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا
حقا لم تكذبوهم • والهنا والهكم واحد • لا شريك له في الالوهية • ونحن له مسلمون • مطيعون
خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكذلك • تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق
لانزال سائر الكتب • انزلنا اليك الكتاب • اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر
من المجادلة بالحسنى • فالذين آتيناهم الكتاب • من الطائفتين • يؤمنون به • اريد بهم عبد الله
بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما
فيه او تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في
كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به
مترتب على انزاله على الوجه المذكور • ومن هؤلاء • اي ومن العرب او اهل مكة على الاول
او ممن في عصره صلى الله عليه وسلم على الثاني • من يؤمن به • اي بالقرآن • وما يجحد بآياتنا • عبر عن الكتاب
بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة
لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها • الا الكافرون • المتوغلون في الكفر المصممون عليه
فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف
واصحابه • وما كنت تتلو من قبله • اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو الخ

من كتاب الله ولا تقدر على ان تخط بيمينك حسبما هو المعتاد اوما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان
تخط اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا
وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شانك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين
فى ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين فى ارتيابهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته
عن ذلك بل هو اى القرآن آيات بينات واضحة ثابتة راسخة فى صدور الذين اوتوا العلم
ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر الا
الظالمون المتجاوزون للحدود فى الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات
من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قل انما الآيات
عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد فى ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شانى
الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى
اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق
المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم
فى كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان
او يتلى على اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك ان فى ذلك الكتاب العظيم
الشان الباقى على مر الدهور لرحمة اى نعمة عظيمة وذكرى اى تذكرة لقوم يؤمنون اى
لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى ما جاء به نبى غيرهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا بما صدر عنى وعنكم يعلم ما فى السموات
والارض اى من الامور التى من جملتها شانى وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا
والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان
به اولئك هم الخاسرون المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الادلة
الفطرية الاصلية والسمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتى هى احسن حيث لم يصرح
بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما فى قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم
متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا
اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه فى اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما
استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روى انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت

فنأتيهم

فنأتيهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعى ولا كانوا يستعجلون
به وليأتينهم جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه فى الجملة السابقة من مجئ العذاب عند محل الاجل
اى وبالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل بغتة اى فجأة وهم لا يشعرون
اى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم
فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب
بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب
الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اى
يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك
بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحا
طة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لد
خول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة
بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام فى
الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه
قيل يوم يغشاهم العذاب الذى اشير باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به
المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى من جميع جهاتهم ويقول
اى الله عز وجل او بعض الملائكة بامره وقرئ بنون العظمة او بعض ملائكته بامره ذوقوا ما كنتم تعملون
اى جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب يا
عبادى الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين
كما ينبغى لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم ان ارضى واسعة فاياى فا
عبدون اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتيسر
لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم
ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى
فى ارض فاخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص
والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جئ بها حثا على المسارعة فى الا
متثال بالامر اى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعما
لها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اى علالى وهو مفعول ثان

للنبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ لاجرائه مجرى لننزلنهم او
بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما فى قوله تع لاقعدن لهم صراطك المستقيم • تجرى
من تحتها الانهار • صفة لغرفا • خالدين فيها • اى الغرف او فى الجنة • نعم اجر العاملين • اى الاعمال
الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم • الذين صبروا • اما صفة
للعاملين او نصب على المدح اى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن و
المشاق • وعلى ربهم يتوكلون • اى ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تع • وكاين من
دابة لا تحمل رزقها روى ان النبى عم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا
كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت آه وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا
تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها • الله يرزقها واياكم • ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم
مع قوتكم واجتهادكم سواء فى انه لا يرزقها واياكم الا الله تع لان رزق الكل بالاسباب هو المسبب
لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة • وهو السميع • المبالغ فى السمع فيسمع قولكم هذا • العليم •
المبالغ فى العلم فيعلم ضمائركم • ولئن سالتهم • اى اهل مكة • من خلق السموات والارض و
سخر الشمس والقمر ليقولن الله • اذ لا سبيل لهم الى الانكار ولا الى التردد فيه • فانى يؤفكون • انكار
واستبعاد من جهته تع لتركهم العمل بموجبه اى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تع فى الالهية
مع اقرارهم بتفرده تع فيما ذكر من الخلق والتسخير • الله يبسط الرزق لمن يشاء • ان يبسط له
من عباده ويقدر له • اى يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب
ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب • ان الله بكل شئ عليم • فيعلم من يليق ببسط الرزق
فيبسط له ومن يليق بقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر فى اى وقت يوافق الحكمة و
المصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته • ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها
ليقولن الله • معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به
بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شئ ما اصلا • قل الحمد لله • على ان جعل الحق
بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه
الضلالات ولا تغنى بعده • بل اكثرهم لا يعقلون • اى شيئا من الاشياء فلذلك لا يعلمون بمقتضى
قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك
وما هذه الحيوة الدنيا • اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله عم لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • الا لهو ولعب • اى الا كما يلهى
ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه • وان الدار الاخرة لهى
الحيوان • اى لهى دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هى فى ذاتها
حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حى سمى به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا

فيقدر

وانما بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة فى هذا المقام
المقتضى للمبالغة • لو كانوا يعلمون • اى لما آثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث
فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال • فاذا ركبوا فى الفلك • متصل بما دل
عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشئ المتحرك وهو متعد بنفسه كما فى قوله تع والخيل
والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفى امثاله بكلمة فى للايذان بان المركوب فى نفسه من قبيل
الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر فى سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا
ركبوا فى البحر ولقوا شدة • دعوا الله مخلصين له الدين • اى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من
المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تع لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو • فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون • اى فاجاؤا المعاودة الى الاشراك • ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا • اى يفاجؤن
الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التى حقها ان يشكروها • فسوف يعلمون • اى
عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب • اولم يروا • اى الم ينظروا ولم يشاهدوا • انا جعلنا
اى بلدهم حرما آمنا • مصونا عن النهب والتعدى سالما اهله من كل سوء • ويتخطف الناس من
حولهم • اى والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب
• افبالباطل يؤمنون • اى ابعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق
وبنعمة الله يكفرون • وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين
لاظهار كمال شناعة ما فعلوا • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • بان زعم ان له شريكا اى هو اظلم
من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا • او
كذب بالحق لما جاءه • اى بالرسول او بالقرآن وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا حين
جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذى اثير • اليس فى جهنم مثوى للكافرين • تقرير لثوائهم كقول
من قال الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء
على الله تع والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء و
التكذيب مع علمهم بحال الكفرة اى الم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة
والذين جاهدوا فينا • اى فى حقنا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى
الظاهرة والباطنة • لنهدينهم سبلنا • سبل السير الينا وتوفيق لسلوكها كقوله تع والذين
اهتدوا زادهم هدى • وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • وان الله لمع المحسنين •
معية النصرة والمعونة • وعنه عم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤ
منين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحانه بسم الله الرحمن الرحيم

الم • الكلام فيه كالذى مر فى امثاله من الفواتح الكريمة • غلبت الروم فى ادنى الارض • اى ادنى
ارض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى اطراف الشام او فى ادنى ارضهم من العرب

الافتراء

الينا والوصول الى جنابنا او لنهدينهم هداية الى سبيل صح

على ان اللام عوض من المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في ادنى الارض. وهم. الروم. من بعد
غلبهم. اى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب. سيغلبون. اى
سيغلبون فارس. في بضع سنين. روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل
بالجزيرة [illegible] فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي
الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال ابي بن
خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل
ثلث سنين فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في
الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت الروم على فارس عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر للفريقين يوم
بدر فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل
تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من
عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء
للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم
المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة
الغلب حينئذ الى الفاعل. لله الامر من قبل ومن بعد. اى في اول الوقتين وفي اخرهما حين
غلبوا وحين يغلبون كانه قيل قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين
آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد
بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا. ويومئذ
اى يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم. يفرح المؤمنون بنصر الله
وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل
غلبة المؤمن على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من
غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى ان ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى
تناقضوا وتفانوا وقيل كسر كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
واتفق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول
الانسب لقوله تعالى. ينصر من يشاء. اى من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه
فانه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد. وهو العزيز. المبالغ في العزة

والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان. الرحيم. المبالغ في الرحمة فيخص من يشاء ان
ينصره اى فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لان كلا الفريقين
لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها
لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من اثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار
وعد الله. مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا. لا يخلف
الله وعده. اى وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في
موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان تكون حالا
منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف. ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اى ما سبق من شؤونه تعالى. يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا. وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملا
ذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكو
فهم عليها الا المتمتع بزخارفها والتنعم بملاذها كما قيل فانها ليست مما علموه فحسب بل من افعالهم
المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اى يعلمون ظاهرا حقيرا
خسيسا من الدنيا. وهم عن الآخرة. التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى. هم غافلون. لا يخطر
ونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي و
الجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير
للاولى او مبتداء وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن
الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكها
من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الآخرة واشعارا بان
العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان. اولم يتفكروا. انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر
من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام و
قوله تعالى. في انفسهم. ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيره لتحقيق امره وتصوير
حال المتفكرين وقوله. ما خلق الله السموات والارض وما بينهما. اه متعلق اما بالعلم الذي
يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا اى اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او اقصروا النظر عليه ولم يجروا
التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقها وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء
من الاشياء. الا ملتبسة بالحق. او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد
بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح
الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز
وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احيا

بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم خيرا بتبيين المحسن من المسيء وامتيازت
درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم
فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخائل كما نطق به قوله تع وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره عم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في
اوائل سورة هود عم وقوله تع • واجل مسمى • عطف على الحق اى وباجل معين قدره الله تع
لبقائها لابد لها من ان تنتهى اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون
قوله تع في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات
اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تع ظاهرا
وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لابد لها من انتهاء الى وقت يجازيها
فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر
الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت
خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى
الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تع
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون • تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر
من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والا
رض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تع وجزائه بالبعث • اولم
يسيروا • توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة
لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا • في الارض
وقوله تع • فينظروا • عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار
الارض وشاهدوا • كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تع
كانوا اشد منهم قوة • الخ بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة
الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة • واثاروا الارض • اى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وغير ذلك • وعمروها • اى عمرها اولئك المدمرون العمارات من الزراعة والغرس والبناء
وغيرها مما تعمر عمارة لها • اكثر مما عمروها • اى عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف
لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض با
صناف التجارات وهم ضعفة ملجؤون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس • فما كان الله
ليظلمهم • اى فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله تع ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن
ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تع اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار

كمال

ما يستحيل

ا شعور بمضمون ما يستحيل صدوره عنه وقد مر في سورة الانفال ه

كمال نزاهته تع عن ذلك بابرازه في سورة آل عمران • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بان اجترؤا على اقتراف
ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة • ثم كان عاقبة الذين اساؤا • اى عملوا السيئات وضع المو
صول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم • السوأى • اى العقوبة التي هي اسوأ
العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى
وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على
العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تع • ان كذبوا بآيات الله • علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي
والاخروي اى لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عم ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تع
وكانوا بها يستهزؤن • عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع
للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل • الله يبدأ الخلق • اى
ينشئهم • ثم يعيده • بعد الموت بالبعث • ثم اليه ترجعون • الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبا
لغة في الترهيب وقرئ بالياء • ويوم تقوم الساعة • التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه
يبلس المجرمون • اى يسكتون متحيرين لا يتنفسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج
وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اخجله واسكته • ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء • يجيرونهم من عذاب
الله تع كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اى لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا • و
كانوا بشركائهم كافرين • اى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة
الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به
فائدة يعتد بها • ويوم تقوم الساعة • اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تع • يومئذ يتفرقون
تهويل لاثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق
المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمين خاصة وليس المراد بتفرقهم كل
فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تع فريق في الجنة وفريق في
السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تع • فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون
تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة
وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبر السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة
كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس و
مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن
وكيع السماع في الجنة وعن النبي عم صلى الله عم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال
يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال عم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية
يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا
الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا

افتراقا ه

اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس
باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا • واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا • التي من جملتها هذه الآيات
الناطقة بما فصل • ولقاء الآخرة • صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى
تعالى • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب باياته تعالى
وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل
من القبائح • في العذاب محضرون • على الدوام لا يغيبون عنه ابدا • فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون • اثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين
للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الاول ويفضي
الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام
وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا
علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان
الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه
واكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما
ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله عم من قال حين يصبح وحين يمسي
سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه
وقوله عم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا
يحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصها بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرته
تعالى واحكام رحمته ونعمه شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما
وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الا
سلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر
في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم با
لخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا
اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة
كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس رض
ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا
صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان
الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت
بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره خمس صلوات كل يوم وليلة وعن النبي عم من سره ان يكال له

بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عم من قال حين تصبح
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها
حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه • يخرج
الحي من الميت • كالانسان من النطفة والطير من البيضة • ويخرج الميت من الحي • النطفة والبيضة
من الحيوان • ويحيي الارض • بالنبات • بعد موتها • يبسها • وكذلك • ومثل ذلك الاخراج تخرجون
من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق
ثم يعيده • ومن آياته • الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء
خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء
الارض بعد موتها عليها • ان خلقكم • اي في ضمن خلق آدم عم لما مر مرارا من ان خلقه عم منطويا على
خلق ذرياته انطواء اجماليا • من تراب • لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في
ذاتكم وصفاتكم • ثم اذا انتم بشر تنتشرون • اي ففاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون
في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة الآية • ومن آياته • الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء • ان خلق لكم
اي لاجلكم • من انفسكم • ازواجا • فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عم متضمن لخلقهن
من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى • لتسكنوا
اليها • اي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخا
لفة من اسباب التنافر والتفرق • وجعل بينكم • اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء
في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى • مودة و
رحمة • فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة النكاح قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا
وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة
والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رح المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد
كما قال ولرحمة منا • ان في ذلك • اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم
والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته • لآيات •
عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها • لقوم يتفكرون • في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية
على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله
تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى • ومن آياته • الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من
الجزاء • خلق السموات والارض • اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا
مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش

البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا • واختلاف السنتكم
اي لغاتكم بان علّم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك
لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه • والوانكم • ببياض الجلد وسواده وتوسط
فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص
حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان
في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق
السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم
وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم • ان في ذلك • اي فيما
ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان • لآيات • عظيمة • في انفسها كثيرة في
عددها • للعالمين • اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام
وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة • ومن آياته منامكم بالليل
والنهار • لاستراحة القوى النفسانية وتقوّي القوى الطبيعية • وابتغاؤكم من فضله • فيهما فان كلا
من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في
الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك
خلا انه فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء
واحد مع اعانة اللف على الاتحاد • ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون • اي شأنهم ان يسمعوا الكلام
سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه • ومن
آياته يريكم البرق • الفعل اما مقدر بان كما في قوله من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى اي ان
احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله
صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او سحاب يريكم
البرق • خوفا • من الصاعقة او للمسافر • وطمعا • في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة
لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزم لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو
اراءة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على
الحال نحو كلمته شفاها • وينزل من السماء ماء • وقرئ بالتخفيف • فيحيي به الارض • بالنبات • بعد موتها •
بيبسها • ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون • فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل
عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها • ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره • اي باقامته
تعالى لهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد

منها انشاؤهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير عمد
محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق
به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأ
خرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في
الذكر ايضا فقيل • ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون • فانه كلام مسوق للاخبار
بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم
في سلكها كما قيل كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيآتهما بامره تعالى الى اجل
مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة
يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل
الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها • وله • خاصة • من في السموات
والارض • من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه
كل له قانتون • اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى • وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده • بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى • وهو اهون
عليه • اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى
هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس
بذلك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة
من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول و
عدمه فمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل قربه الى الوجود باعتبار كثرة الامور
الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته بل هو اسهلية تأتيه وصدوره عنه
بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق
الايجاب او بطريق الاختيار • وله المثل الاعلى • اي الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة
والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول
لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية • في السموات والارض • متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على
معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى
وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى • وهو العزيز • القادر الذي
لا يعجز عن بدء ممكن واعادته • الحكيم • الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة • ضرب
لكم مثلا • يتبين به بطلان الشرك • من انفسكم • اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم و
اعرفها عندكم واظهرها لها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى

باه قال ايتها الموتى اخرجوا فاجابتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يوم يدعوكم

هل لكم • آية تصوير للمثل اى هل لكم • مما ملكت ايمانكم • من العبيد والاماء • من شركاء فيما رزقناكم
من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة
مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تع • فانتم فيه سواء • تحقيق لمعنى الشركة و
بيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا
معطوفا على انتم لانه عام للفريقين بطريق التغليب اى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم
امثالكم في البشرية واحكامها ان يشارككم فيما رزقناكم وهو معار لكم فانتم وهم فيه سواء
يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم • تخافونهم • خبر آخر لانتم او حال من ضمير الفا
عل في سواء اى تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم • كخيفتكم انفسكم • اى خيفة كائنة مثل
خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية
اى لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم
بل لله تع فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل
مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه • كذلك • اى مثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات • اى نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة
بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات على هيئات المأنوس فيكون في غاية الايضاح
والبيان • لقوم يعقلون • اى يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم
تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها • بل اتبع الذين ظلموا • اعراض عن مخاطبتهم و
محاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة
وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا
اهواءهم • الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع
ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد • بغير
علم • اى جاهلين ببطلانها لا يكفهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا
اتبع الباطل علمه ببطلانه • فمن يهدي من اضل الله • اى خلق فيه الضلال بصرف اختياره
الى كسبه اى لا يقدر على هدايته احد • وما لهم • اى لمن اضله الله تع والجمع باعتبار المعنى
من ناصرين • يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد
منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع • فاقم وجهك للدين • تمثيل لاقباله
على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس
بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اى فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تع • حنيفا • حال من المأمور او من الدين • فطرة الله •
الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اى الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما

يفصح

يفصح عنه قوله تع منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عم مستتبع لامرهم
والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على
المصدر اى فطر الله فطرة وقوله تع • التي فطر الناس عليها • صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الا
متثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه
او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى
بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله
عم حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان
يشركوا بي غيري وقوله عم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذين يهودانه وينصرانه
وقوله تع • لا تبديل لخلق الله • تعليل للامر بلزوم فطرته تع او لوجوب الامتثال به اى لا صحة
ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول
وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة
بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان
التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في
كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى و
خطوات الشياطين • ذلك • اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله
المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار
الخبر • الدين القيم • المستوي الذي لا عوج فيه • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ذلك فيصدون
عنه صدودا • منيبين اليه • حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة
حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اى راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تع
واتقوه • اى من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تع • واقيموا الصلوة ولا تكونوا
من المشركين • المبدلين لفطرة الله تع تبديلا • من الذين فرقوا دينهم • بدل من المشركين باعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير
عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اى تركوا
دينهم الذي امروا به • وكانوا شيعا • اى فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها • كل حزب بما لديهم
من الدين • المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل • فرحون • مسرورون
ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا
وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا والاخير
بعده • واذا مس الناس ضر • اى شدة • دعوا ربهم منيبين اليه • راجعين من دعاء غيره • ثم اذا
اذاقهم منه رحمة • خلاصا من تلك الشدة • اذا فريق منهم بربهم • الذين كانوا دعوه منيبين اليه

بالملة

الذي

يشركون • اى فاجاء فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا
كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على الطريق القصد او متوسط فى الكفر
لانزجاره فى الجملة • ليكفروا بما آتيناهم • اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى كقوله تعالى
فتمتعوا • غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا • فسوف تعلمون • عاقبة تمتعكم وقرئ
بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة فى قوله تعالى • ام انزلنا عليهم • للايذان بالاعراض
عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة • سلطانا • اى حجة واضحة وقيل ذا سلطان اى
ملكا معه برهان • فهو يتكلم • تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق
بما كانوا به يشركون • باشراكهم به تعالى او بالامر الذى بسببه يشركون • واذا اذقنا الناس رحمة • اى
نعمة من صحة وسعة • فرحوا بها • بطرا واشرا لا حمدا وشكرا • وان تصبهم سيئة • شدة • بما قدمت
ايديهم • بشؤم معاصيهم • اذا هم يقنطون • فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون • اولم
يروا • اى الم ينظروا ولم يشاهدوا • ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • فما لهم لم يشكروا ولم
يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين • ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون • فيستدلون بها على كمال
القدرة والحكمة • فآت ذا القربى حقه • من الصلة والصدقة وسائر المبرات • والمسكين وابن
السبيل • ما يستحقانه والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ويؤيد الاول • ذلك خير للذين
يريدون وجه الله • ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب
اليه لا جهة اخرى • واولئك هم المفلحون • حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم • وما آتيتم من ربا
زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اى ما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا
ليربوا فى اموال الناس • ليزيد ويزكو • اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربوا • وما آتيتم من زكوة تريدون
وجه الله • اى تبتغون به وجهه تعالى خالصا • فاولئك هم المضعفون • اى ذوو الاضعاف من الثواب
ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة
البركة وقرئ بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى • الله الذى خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء • اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها
ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى • سبحانه وتعالى عما يشركون
وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل
منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب • ظهر الفساد فى البر والبحر • كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم
وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور • بما كسبت ايدى الناس • بشؤم معاصيهم او بكسبهم

فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عنده ولا يبارك فيه وقرئ لتربوا

اياها وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة
غصبا • ليذيقهم بعض الذى عملوا • اى بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة او للعاقبة
وقرئ لنذيقهم بالنون • لعلهم يرجعون • عما كانوا عليه • قل سيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل • ليشاهدوا آثارهم • كان اكثرهم مشركين • استيناف للدلالة
على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل
منهم • فاقم وجهك للدين القيم • اى البليغ الاستقامة • من قبل ان يأتى يوم لا مرد له • لا يقدر
احد على رده • من الله • متعلق بيأتى او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارا
دته القديمة بمجيئه • يومئذ يصدعون • اصله يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير
من كفر فعليه كفره • اى وبال كفره وهو النار المؤبدة • ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون • اى يسوون
منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص • ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من فضله • متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين
ليجزى كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك فى معرض
الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر
بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا
محالة • ومن آياته ان يرسل الرياح • اى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الد
بور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على
ارادة الجنس • مبشرات • بالمطر • وليذيقكم من رحمته • وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب
التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة
معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال
تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم • ولتجرى الفلك
بامره • ولتبتغوا من فضله • بتجارة البحر • ولعلكم تشكرون • ولتشكروا نعم الله فيما ذكر من الا
يات الجليلة • ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم • كما ارسلناك الى قومك • فجاؤهم
بالبينات • اى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء فى قوله تعالى
فانتقمنا من الذين اجرموا • فصيحة اى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول
للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفى قوله تعالى • وكان حقا علينا نصر
المؤمنين • مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله ان ينصرهم واشعار بان الا
نتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة
بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح بلواحق الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون
بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كما ان حل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام • الله

الرياح واهلاكها للانذار الكفرة وتحذيرهم من الاخلال

الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون
جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اى قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة
او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء
من عباده اى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجاؤا الاستبشار بمجيء الخصب وان كا
نوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اى وان الشان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم اى المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل
الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من
ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار
بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا
الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اى آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على
تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر
بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيى اى الله الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف
معلق لانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل
واياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه
من امر البعث وقرئ تحيى بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي
ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى
الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى
وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احيا
ؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اى الاثر المدلول عليه بالآثار او
النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون
الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على
حرف الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين
اى وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن من بعده
يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط
ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجأوا اليه بالاستغفار اذا
احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا احتبس عنهم
القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفر
طوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر

وابوا

وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم
جامعون لخصلتي السوء احديهما الكفاية في ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما
يفطن من اوضاعه وحركاته بشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه
شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمى ان تسمع اى ما تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها
ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم من
ضعف مبتدأ وخبر اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
اى خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم
او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بفتح الضاد
في الكل هو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني من ضعف
وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر غير المتقدم يخلق ما يشاء من الاشياء التي
من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان
الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اى
القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كا
النجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اى في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر
لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا
والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل
لا يعلم هي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا
كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال
الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او
قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردا
وانكارا لما قالوه وأكدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي
كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا او لم يعقلوا
تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها و
يكذبونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم
كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال فقالوا
خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اى

عذرهم وقرئ تنفع بالتاء وهي فصيحة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل • ولا هم يستعتبون
لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم
استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته • ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل • اي
وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة
عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل بهم من رد
اعتذارهم • ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك • ليقولن الذين كفروا • لفرط
عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • ان انتم الا مبطلون
اي مزورون • كذلك • مثل ذلك الطبع الفظيع • يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون • لا يطلبون
العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويو
جب تكذيب المحق • فاصبر • على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة • ان وعد
الله حق • وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة
ولا يستخفنك • لا يحملنك على الخفة والقلق • الذين لا يوقنون • بما تتلوا عليهم من الآيات
البينة بتكذيبهم وايذائهم بأباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم
شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الا
ستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم
وان كان نهيا للكفرة عن الاستخفاف لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والا
فتتان ان يفتنونه على طريق الكناية في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض
وادرك ما ضيع يومه وليلته

سورة لقمان

قيل الا آية هي قوله تعالى يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه ينافي ترغيبهما وقيل الا ثلث آيات من قوله تعالى ولو ان ما في الا
رض من شجرة اقلام آه وهي اربع وثلثون • الم تلك آيات الكتاب • سلف بيانه
في نظائره • الحكيم • اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قا
ئله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم
فعيل بمعنى مفعول كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقود وهو قليل وقيل بمعنى فاعل • هدى و
رحمة • بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران لتلك الا
شارة او لمبتدأ محذوف • للمحسنين • العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين
فقوله تعالى • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون • بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة
قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه
الثلث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون

الموصول

الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له • اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون • الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطري العلم
والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه • ومن الناس • محله الرفع على الا
بتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن قوله تعالى • من يشتري لهو الحديث • موصولة او موصوفة
محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على
ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات
اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي
عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير
فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد
به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول
ان كان محمد عليه السلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان
يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه • ليضل عن سبيل الله • اي دينه الحق
الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادي اليه وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليز
داد فيه • بغير علم • اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض • ويتخذها • بالنصب
عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام والقرآن اي ويتخذها • هزوا
مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى • اولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار
معناه كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للا
يذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال • لهم عذاب مهين
لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه • واذا تتلى عليه • اي على المشتري
افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضماير الثلثة الاول باعتبار لفظه كما جمع فيما بينهما باعتبار معناه
آياتنا • التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين • ولى • اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا
مبالغا في التكبر • كان لم يسمعها • حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشأن
وخففت المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه
التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك
لم تخرج على ابن طريف • كان في اذنيه وقرا • حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع
من السماع ويجوز ان يكون استئنافا فيهما وقرئ في اذنيه بسكون الذال • فبشره بعذاب اليم • اي فاعلمه
بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به وذكر البشارة للتهكم • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات • بيان
لحال المؤمنين بآياته اثر بيان حال الكافر بها اي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها • لهم • بمقابلة ما ذكر من
ايمانهم واعمالهم • جنات النعيم • اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو

اومن جنات

الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى • خالدين فيها • حال من الضمير في لهم او من جنات
النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام • وعد الله حقا • مصدران مؤكدان الاول لنفسه
والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا
فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم • وهو العزيز • الذي لا يغلبه شيء
ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة • خلق
السموات بغير عمد • اه استيناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته
التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد
كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد
السموات وقوله تعالى • ترونها • استيناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم
لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القد
رة • والقى في الارض رواسي • بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات
اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد • ان تميد بكم • كراهة ان تميل بكم فان
بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه
بحيز معين ووضع مخصوص • وبث فيها من كل دابة • من كل نوع من انواعها • وانزلنا من السماء
ماء • هو المطر • فانبتنا فيها • بسبب ذلك الماء • من كل زوج كريم • من كل صنف كثير المنافع والالتفات
الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما • هذا • اي ما ذكر من السموات والارض وما
تعلق بهما من الامور المعدودة • خلق الله • اي مخلوقه • فاروني ماذا خلق الذين من دونه • مما
اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء
وخبره ذا بصلته واروني معلق به وقوله تعالى • بل الظالمون في ضلال مبين • اضراب عن تبكيتهم بما
ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة
لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من الالزام والتبكيت
فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه
ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد • ولقد آتينا لقمان الحكمة • كلام
مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب عم او
خالته وعاش حتى ادرك داود عم واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل
والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عم
شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل
فاعله فقال له داود عم بحق ما سميت حكيما وان داود عم قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر

قصة لقمان

داود

داود عم فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى
باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال
هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى • ان اشكر لله • اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة
فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى • ومن يشكر • اه استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال با
لامر اي ومن يشكر له تعالى • فانما يشكر لنفسه • لان منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد مقصورة
عليها • ومن كفر فان الله غني • عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر • حميد • حقيق بالحمد
وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان
الحمد متضمن للشكر بل هو راسه كما قال عم الحمد راس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له
قطعا • واذ قال لقمان لابنه • انعم وقيل اشكم وقيل ماثان • وهو يعظه يا بني • تصغير اشفاق وقرئ يا بني
باسكان الياء وبكسرها • لا تشرك بالله • قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل
بالله قسما • ان الشرك لظلم عظيم • تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك • ووصينا الانسان بوالديه
اه كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك و
قوله تعالى • حملته امه • الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى • وهنا • حال من امه اي
ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى • على وهن • صفة للمصدر اي
كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن با
لتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا • وفصاله في عامين • اي فطامه في تمام عامين وهي
مدة الرضاع عند [illegible] وعند ابي حنيفة رحمهما الله تعالى هي ثلثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه
وقرئ وفصله • ان اشكر لي ولوالديك • تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة
ولذلك قال عم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك • الي المصير • تعليل لوجوب الامتثال
بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر • وان جاهداك على ان تشرك بي
ما ليس لك به • اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة • علم فلا تطعهما • في ذلك • وصاحبهما في الدنيا معرو
فا • اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروة • واتبع سبيل من اناب الي • بالتوحيد والاخلاص
في الطاعة • ثم الي مرجعكم • اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي • فانبئكم • عند رجوعكم • بما كنتم تعملون
بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى • يا بني • اه شروع في حكاية بقية وصايا لقمان
اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض • انها ان تك مثقال حبة من خردل
اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان
الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة
من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة • فتكن في صخرة او في السموات او في الارض • اي فتكن مع كونها في اقصى
غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي

يا بنيّ انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله • اى يحضرها ويحاسب عليها • ان الله لطيف • يصل علمه الى كل خفى • خبير • بكنهه وبعدما امره بالتوحيد الذى هو اول ما يجب على الانسان في ضمنه النهى عن الشرك وبنهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التى هى اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له • يا بنى اقم الصلاة • تكميلا لنفسك • وأمر بالمعروف وانه عن المنكر • تكميلا لغيرك • واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به • ان ذلك • اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الفضل • من عزم الامور • اى مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اى جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال لما سبق من الامر والنهى وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته • ولا تصعر خدك للناس • اى لا تملها ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوى منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه • ولا تمش في الارض مرحا • اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اى تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر • ان الله لا يحب كل مختال فخور • تعليل للنهى او موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده وهو بمقابلة الماشى مرحا لرعاية الفواصل • واقصد في مشيك • بعد الاجتناب عن المرح فيه اى توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضى الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية • واغضض من صوتك • وانقص منه واقصر • ان انكر الاصوات • اى اوحشها • لصوت الحمير • تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبنى على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى • الم تروا ان الله سخر لكم ما في الارض • رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف شاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التى نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى • واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة • محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد

ما في السموات وما في

وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة • ومن الناس من يجادل في الله • في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل • ولا هدى من جهة الرسول عليه السلام • ولا كتاب منير • انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد • واذا قيل لهم • اى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى • اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا • يريدون به عبادة الاصنام • أولو كان الشيطان يدعوهم • اى آباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده لكون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك • الى عذاب السعير • فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه • ومن يسلم وجهه الى الله • بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد • وهو محسن • اى في اعماله آتٍ بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر في آخر سورة النحل • فقد استمسك بالعروة الوثقى • اى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه • والى الله • لا الى احد غيره • عاقبة الامور • فيجزيه احسن الجزاء • ومن كفر فلا يحزنك كفره • فانه لا يضرك في الدنيا وفي الآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاى وليس بمستفيض • الينا مرجعهم • لا الى غيرنا • فننبئهم بما عملوا • في الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها • ان الله عليم بذات الصدور • تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب • نمتعهم قليلا • تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان امده طويلا بالنسبة الى ما يدوم قليل • ثم نضطرهم الى عذاب غليظ • يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق • ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف • قل الحمد لله • على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا • بل اكثرهم لا يعلمون • شيئا من الاشياء فلذلك لا يعلمون ان ذلك يلزمهم • لله ما في السموات وما في الارض • فلا يستحق العبادة فيهما غيره • ان الله هو الغنى • عن العالمين • الحميد • المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال • ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام • اى لو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد • والبحر يمده من بعده • اى من بعد نفاده • سبعة ابحر • اى والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله • ما نفدت كلمات الله • ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هى المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ثم تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفى بالقليل منها

فكيف بالكثير • ان الله عزيز • لا يعجزه شىء • حكيم • لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة • اى الا كخلقها وبعثها فى سهولة التأتى اذ لا يشغله شأن عن
شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله انما
امرنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • ان الله سميع • يسمع كل مسموع • بصير • يبصر كل مبصر
لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث • الم تر • قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤ
ية • ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل • اى يدخل كل واحد منهما فى الآخر ويضيفه
اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا • وسخر الشمس والقمر • عطف على يولج والاختلاف بينهما
صيغة لما ان ايلاج احد الملوين فى الآخر متجدد فى كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد
وانما التعدد والتجدد فى آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل • كل يجرى • اى بحسب حركته الخاصة وحركته
القسرية على المدارات اليومية المختلفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا • الى اجل مسمى
قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن رح فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على
تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام
يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما فى حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد
جعل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصة بهما فى فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما وجعل
مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين
فى الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى
سمت الرأس تزداد القوس التى هى فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل
اليه الى ان يبلغ المدار الذى هو اقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان
ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسى التى فوق الارض تزداد صغرا فيز
داد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذى هو ابعد المدارات اليومية
عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى • وان الله بما تعملون خبير • عطف على ان الله يولج
الخ داخل معه فى حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع
الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها
ذلك • اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى • بان الله هو الحق • اى بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية
التوحيد • وان ما يدعون من دونه الباطل • اى ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها
شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص
حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد والا

مطلب حركة الشمس والقمر

بعد بطلان ما عداه صح

يؤذن بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بالاستقلال ايضا • وان الله هو
العلى الكبير • اى ولبيان انه تعالى هو المرتفع عن كل شىء المتسلط عليه فان ما فى تضاعيف الآيات الكريمة
مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اى بيان هذا وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة
وعجائب الصنع واختصاص البارى تعالى بها بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثا
بت الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة
لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له فى المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه فى سلك الاسباب بل هو
تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هى المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها • الم تر ان
الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله • باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته
وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجرى او بمقدر هو حال من فاعله اى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك
بالتثقيل وبنعمات الله تعالى وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون • ليريكم من آياته • اى بعض دلائل
وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى • ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور • تعليل لما قبله اى ان فيما ذكر
لآيات عظيمة فى ذاتها كثيرة فى عددها لكل من يبالغ فى الصبر على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الانفس
والآفاق ويبالغ فى الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن • واذا غشيهم • اى
علاهم واحاط بهم • موج كالظلل • كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة
كقلة وقلال • دعوا الله مخلصين له الدين • لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من
الدواهى والشدائد • فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد • اى مقيم على القصد السوى الذى هو التوحيد
او متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة • وما يجحد بآياتنا الا كل ختار • غدار فانه نقض للعهد الفطرى
او رفض لما كان فى البحر والختر اشد الغدر واقبحه • كفور • مبالغ فى كفران نعم الله تعالى • يا ايها الناس اتقوا
ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده • اى لا يقضى عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد
الى الموصول محذوف اى لا يجزى فيه • ولا مولود • عطف على والد وهو مبتدأ خبره • هو جاز عن والده شيئا
وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر
فى الآخرة • ان وعد الله • بالثواب والعقاب • حق • لا يمكن اخلافه اصلا • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور • اى الشيطان المبالغ فى الغرور بان يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة
والمغفرة • ان الله عنده علم الساعة • علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة قيام وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا
واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية • وينزل الغيث • فى ابانه الذى
قدره والى محله الذى عينه فى علمه وقرئ ينزل من الانزال • ويعلم ما فى الارحام • من ذكر او انثى او تام
او ناقص • وما تدرى نفس • من النفوس • ماذا تكسب غدا • من خير او شر وربما يعزم على شىء منهما فيفعل
خلافه • وما تدرى نفس باى ارض تموت • كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان

بضم

عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني
فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه
حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للاشعار
بانه ان اعمل حيله وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم
ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن . ان الله عليم . مبالغ
في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر . خبير . يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد
من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم . مكية وهي ثلثون آية
الم . ان الم سورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جري
بيان ذكرها قد عرفت سره واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى . تنزيل
الكتاب . على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف
اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا
ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية
قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى . لا ريب فيه . خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل
خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى . من رب العالمين . متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه
لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض
والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين و
يؤيده قوله تعالى . ام يقولون افتراه . فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان
يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل
حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه والحق انه كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان
حقية ما انكروه حيث قيل . بل هو الحق من ربك . باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق
الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل . لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يهتدون . فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة
في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس و
احوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم
من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم
واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على ساير الوجوه فلا لانه
يبدو اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين
واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم فتدبر . الله الذي خلق

السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش . مر بيانه فيما سلف . ما لكم من دونه من
ولي ولا شفيع . اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه او ما لكم سواه
ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر
مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير . افلا تتذكرون . اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذ
كرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر
معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع . يدبر الامر من السماء الى الارض
قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض . ثم يعرج
اليه . اي يثبت في علمه موجودا بالفعل . في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون . اي في برهة من
الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر
الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون
فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج
بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة
لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطء عروجها الى
السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء . ذلك . اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق
السموات والارض والاستواء على العرش واختصاص الولاية والنصرة به وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من
الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن . عالم الغيب والشهادة . فيدبر امرهما حسبما
يقتضيه الحكمة . العزيز . الغالب على امره . الرحيم . على عباده وفي ذلك ايماء الى انه تعالى متفضل
في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان . الذي احسن كل شيء خلقه . خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق
خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة
وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسن اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل
اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق
بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل
شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله
الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى
الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول
الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى . وبدأ خلق الانسان . من بين جميع المخلوقات
من طين . على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر

افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفا
وتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى . ثم جعل نسله . اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل
منه من سلالة من ماء مهين هو المعنى الممتهن . ثم سواه . اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم وتصو
يرها على ما ينبغى . ونفخ فيه من روحه . اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع و
ان له شانا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى
يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من امر ربى
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة . الجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجا
وب النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها فى انفسها نعما جليلة لا
يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان
تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث
وبابصاركم الايات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى
قليلا ما تشكرون . بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى على ان القلة بمعنى النفى كما
ينبئ عنه ما بعده اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية احوال الانسان من مبدا فطرته
الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم
وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه . وقالوا . كلام مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق
الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم
بطريق المباثة . ائذا ضللنا فى الارض . اى صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالد
فن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة
وهى الارض اى صرنا من جنس الصلة والقائل ابى بن خلف والرضا بقوله اسند القول الى الكل و
العامل فى اذا ما يدل عليه قوله تعالى . ائنا لفى خلق جديد . وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذ
كير الانكار السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر واياما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو
المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها فى الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة
بل هم بلقاء ربهم كافرون . اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه و
هو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها . من الاحوال والاهوال جميعا . قل . بيانا
للحق وردا على زعمهم الباطل . يتوفاكم ملك الموت . لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية
العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يترك فيكم شيئا ولا يبقى منكم احدا
على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم . الذى وكل بكم . اى بقبض
ارواحكم واحصاء آجالكم . ثم الى ربكم ترجعون . بالبعث للحساب والجزاء . ولو ترى اذ المجرمون

وهم

وهم القائلون ائذا ضللنا فى الارض الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم . ناكسوا رؤسهم
عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا . ربنا . اى يقولون ربنا ابصرنا
وسمعنا . اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الايات المبصرة والايات المسموعة وكنا من
قبل عميا وصما لا ندرك شيئا . فارجعنا . الى الدنيا . نعمل . عملا . صالحا . حسبما تقتضيه تلك الا
يات وقوله تعالى . انا موقنون . ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى الايات والعمل
بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل
شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه
وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان
يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى
على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها
فى الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل
المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما اخبروا
به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اى سمعناه
سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت او يقدر
ما ينبئ عنه صلة اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار ان الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف
اى لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان

(margin: لو)

كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون
راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب
من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى
حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل
فى هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف

(margin: المقصود)

لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر . ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها . مقدر
بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اى ونقول لو شئنا اى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا
بان نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه
فى الدنيا التى هى دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء . ولكن حق القول منى . اى سبقت كلمتى حيث
قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى . لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين . كما
يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه
من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغى باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد

منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه
الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الآية فيكون
مناط عدم مشية اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وان قيدت المشية بما مر
من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشية الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم
اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما منوط علمه تعالى ازلا
بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو بنيت على تلك الحيثية لاستدرك بعد ما
وينظر ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو
شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم
لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى • فذوقوا • لترتيب
الامر بالذوق على ما يعرب عنه قوله من نفي الرجوع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى
بما نسيتم لقاء يومكم هذا • للايذان بان تعذيبهم ليس بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق
الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا
بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية • انا نسيناكم •
اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى • وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون • تكرير
للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من
النسيان بل له اسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في
سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا
بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الا
نتقام منهم ما لا يخفى وقوله • انما يؤمن باياتنا • استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء
الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون
باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله
تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها • الذين اذا ذكروا بها • اي وعظوا • خروا
سجدا • اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد
والوعيد اي سقطوا على وجوههم • وسبحوا بحمد ربهم • اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق
به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث متلبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء
الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة
الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم • وهم
لا يستكبرون • اي والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح
والتحميد • تتجافى جنوبهم • اي ترتفع وتتنحى • عن المضاجع • اي الفرش ومواضع المنام و

الجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا
معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي عليه السلام وعن انس
ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى
صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة
والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة
لقوله عليه السلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة
الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا
جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع وهم قليل ثم يرجع فينادي
ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وقوله تعالى • يدعون ربهم • حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار • خوفا
من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته • وطمعا • في رحمته • ومما رزقناهم • من المال • ينفقون •
في وجوه البر والحسنات • فلا تعلم نفس • من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن عداهم
• ما اخفي لهم • اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة • من قرة اعين • مما تقر به اعينهم
عنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين و
قرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم وعلى صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل
وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او
استفهامية علق عنها الفعل • جزاء بما كانوا يعملون • اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا
يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم • افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا • اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت
اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله • لا يستوون • التصريح به مع افادة الانكار
نفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان
الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى • اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى •
تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها
المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا
يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا • نزلا • اي ثوابا
وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية • بما كانوا يعملون • في

من الاعمال الصالحة او باعمالهم • واما الذين فسقوا • اى خرجوا عن الطاعة • فمأويهم • اى ملجأ
هم ومنزلهم • النار • مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
بيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا
بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة
فى للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض • وقيل لهم • تشديدا عليهم
وزيادة على غيظهم • ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به • اى بعذاب النار • تكذبون • على الاكرار
فى الدنيا • ولنذيقنهم من العذاب الادنى • اى عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سنين والقتل
والاسر • دون العذاب الاكبر • الذى هو عذاب الآخرة • لعلهم • لعل الذين يشاهدونه وهم فى
الحيوة • يرجعون • يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضى الله عنه يوم بدر
فنزلت هذه الآية • ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها • بيان اجمالى لحال من قابل آيات الله تعالى بالا
عراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع
غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما فى بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات
الموت ثم يزورها اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى
وقد مر مرارا • انا من المجرمين • اى من كل من اتصف بالاجرام وان كانت جرمه • منتقمون • فكيف
ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم • ولقد آتينا موسى الكتاب • اى التورية عبر عنها باسم
الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها
لموسى عليه السلام • فلا تكن فى مرية من لقائه • من لقائك الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن و
المعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من انك
لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى بى موسى
عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة • وجعلناه • اى الكتاب الذى آتيناه • موسى هدى
لبنى اسرائيل • قيل لم يتعبد بما فى التورية ولد اسمعيل • وجعلنا منهم ائمة يهدون • بقيتهم بما فى
تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه
بامرنا • اياهم بذلك او بتوفيقنا له • لما صبروا • وهى لما التى فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتنى والضمير للا
ئمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هى ظرف بمعنى الحين اى جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد
صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ بما صبروا
اى لصبرهم • وكانوا بآياتنا • التى فى تضاعيف الكتاب • يوقنون • لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك
لنجعلن الكتاب الذى آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية • ان ربك
هو يفصل • اى يقضى • بينهم • قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين • يوم القيمة
فيميز بين المحق والمبطل • فيما كانوا فيه يختلفون • من امور الدين • اولم يهد لهم • الهمزة للانكار والواو

للعطف

للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى فى ان المراد ايقاع نفس الفعل
بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى • كم اهلكنا
اى اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او لم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا • من قبلهم من القرون • مثل
عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوزوا ان يكون الفاعل على القراءة الاولى
ايضا ضميره تعالى فيكون قوله كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى • يمشون فى مساكنهم • اى يمرون
فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضميرهم وقرئ يمشّون
للتكثير • ان فى ذلك • اى فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او فى مساكنهم • لآيات • عظيمة
فى انفسها كثيرة فى عددها • افلا يسمعون • هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ • اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز • التى جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل اسم موضع باليمن • فنخرج به • من تلك الارض
زرعا تأكل منه • اى من ذلك الزرع • انعامهم • كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ
يأكل • وانفسهم • كالحبوب التى يقتاتها الانسان والثمار • افلا يبصرون • اى الا ينظرون فلا
يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله • ويقولون • كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا
على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا و
استهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل بالحكومة • ان كنتم صادقين • فى ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا
وبينكم • قل • تبكيتا لهم وتحقيقا للحق • يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون • يوم
الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد
والحسن رضى يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما
ينبغى ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج
الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكانى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم
فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ
لا عن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان مطلقا يوم الفتح ناسا آمنوا يوم بدر
فاعرض عنهم • ولا تبال بتكذيبهم • وانتظر • النصرة عليهم وهلاكهم • انهم منتظرون • قيل
اى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما
فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا
انهم منتظرونه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم
العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان
الملائكة ينتظرونه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة
القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل وتبارك فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية آيات ثلث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها النبى اتق الله

نداؤه عم بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه
والازدياد منه فانه باب واسع وعرض عريض لا ينال مداه • ولا تطع الكافرين • اى المجاهرين
بالكفر • والمنافقين • المضمرين له اى فيما يعود بوهن فى الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين
روى ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه السلام فى الموادعة
التى كانت بينه عم وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله
صلى الله عم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عم
والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين
من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك • ان الله كان عليما حكيما • مبالغا فى العلم
والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما
فيه مفسدة ولا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهى مؤكد لوجوب الا
متثال بهما • واتبع • اى فى كل ما تأتى وتذر من امور الدين • ما يوحى اليك من ربك • من الآيات التى
من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن طاعة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان
الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر • ان الله كان بما تعملون خبيرا • قيل الخطاب للرسول
صلى الله عم والجمع للتعظيم وقيل له عم وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده
نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على
الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه
فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله
خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد
والمفاسد ويأمرك بما ينبغى لك ان تعمله فى دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتما •
وتوكل على الله • اى فوض جميع امورك اليه • وكفى بالله وكيلا • حافظا موكولا اليه كل الامور • ما
جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه • شروع فى القاء الوحى الذى امره عم باتباعه وهذا مثل
ضربه الله تع تمهيدا لما يعقبه من قوله تع • وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما
جعل ادعياءكم ابناءكم • وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعى ابنا اى بمنزلة الام والا
بن فى الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل
هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر او جميل بن اسد الفهرى
ذو القلبين اى ما جمع الله قلبين فى رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تع ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور ولا زوجية وامومة فى امرأة ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفى الجمع
بين حقيقة الزوجية والامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى
نفى الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفى الجمع بين احكام الدعوة واحكام بل بمعنى نفى

خبير

ادعيائهم

لعله الاطلاق

الجمع

الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفى الجمع وبين حقيقة الدعوة واحكام النبوة
لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعى
ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية
من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى
الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن
هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان
الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون
وبادغام التاء الثانية فى الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر
كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولدا على الشذوذ
لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقى واتقياء كانه شبه به فى اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء
ذلكم • اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والادعاء او الى الاخير الذى هو المقصود من مساق الكلام
اى دعاؤكم بقولكم هذا ابنى • قولكم بافواهكم • فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة فى
الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم • والله يقول الحق • المطابق للواقع
وهو يهدى السبيل • اى سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل • ادعوهم لآ
بائهم • اى انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تع • هو اقسط عند الله • تعليل له والضمير لمصدر
ادعوا كما فى قوله تع اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من
القسط بمعنى العدل اى الدعاء لآبائهم بالغ فى العدل والصدق فى حكم الله تع وقضائه • فان
لم تعلموا آباءهم • فتنسبوهم اليهم • فاخوانكم • فهم اخوانكم • فى الدين ومواليكم • واولياؤكم
فيه اى فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية • وليس عليكم جناح • اى اثم • فيما اخطأتم به
اى فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان • ولكن ما تعمدت قلوبكم • اى
ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى او ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح • وكان الله غفورا رحيما •
لعفوه عن المخطئ وحكم التبنى بقوله هو ابنى اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت
نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبنى ولم يقر قبله بنسبه من غيره
عم • النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم • اى فى كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق
فيجب عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليها روى انه عم اراد غزوة تبوك فامر
الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين
فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة • وازواجه
امهاتهم • اى منزلات منازلهن فى التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات
ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا امهات النساء • واولوا الارحام • اى ذوو القرابات

ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم

النبى عم اولى بالامة وازواجه امهات المؤمنين

بعضهم اولى ببعض • في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين • في كتاب الله • في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى • من المؤمنين والمهاجرين • بيان لاولى الارحام بجميع القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين • الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا • استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع • كان ذلك في الكتاب مسطورا • اى كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية • واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم • اى اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق • ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم • تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع والساطين اولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل • واخذنا منهم ميثاقا غليظا • اى عهدا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى • ليسئل الصادقين عن صدقهم • متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اى ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية

عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين
وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما
عطف صح

• يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم • ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اى كائنة عليكم • اذ جاءتكم جنود • ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب

مطلب
الواقع في الخندق

معسكره

معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا يقدر ان يذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر ... الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة فقتله فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله • فارسلنا عليهم ريحا • عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي بقيتها في آخر القصة • وجنودا لم تروها • وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا فبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال • وكان الله بما تعملون • من حفر الخندق وترتيب مبادى الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اى بما يعمله الكفار اى من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي • بصيرا • ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله • اذ جاؤكم • بدل من اذ جاءتكم • من فوقكم • من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير • ومن اسفل منكم • اى من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف • واذ زاغت الابصار • عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اى حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع • وبلغت القلوب الحناجر • لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهو منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب

في قوله تعالى . وتظنون بالله الظنونا . لمن يظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون به تعالى انواع الظنون
المختلفة حيث ظن المخلصون الثابتون القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما
سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل
وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة
على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو
القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي . هنالك . ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده
اى في ذلك الزمان الهائل والمكان الدحض . ابتلي المؤمنون . اى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص
من المنافق والراسخ من المتزلزل . وزلزلوا زلزالا شديدا . من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء
واذ يقول المنافقون . عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول
واستحضار صورته . والذين في قلوبهم مرض . اى ضعف اعتقادهم . ما وعدنا الله ورسوله من
اعلاء الدين والظفر . الا غرورا . اى وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير و
اضرابه [illegible] قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور . واذ قالت طائفة منهم . هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه . يا
اهل يثرب . هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم ان تسمى به كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة
له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم بعنوان اهليتها لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها . لا مقام لكم .
لا موضع اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اى لا قيام او لا موضع قيام لكم . فار
جعوا . اى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه
ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه الصلوة والسلام فار
جعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموا الى اعدائه او لا مقام لكم
في يثرب فارجعوا كفارا ليتمكن لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى . ويستأ
ذن فريق منهم النبي . معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنوا
سلمة استأذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى . يقولون . بدل من يستأذن او حال
من فاعله او استيناف مبني على السؤال عن كيفية الاستيذان . ان بيوتنا عورة . اى غير حصينة معرضة
للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت
على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اى اختلت وقد قرئ بها و
الاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق . وما هي بعورة .
والحال انها ليست كذلك . ان يريدون . ما يريدون بالاستيذان . الا فرارا . من القتال . ولو دخلت
عليهم . اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض

دخولها

دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم
لو اسند الى الجار والمجرور . من اقطارها . اى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيو
تهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد . ثم سئلوا . من جهة طائفة
اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة . الفتنة . اى الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا
الآن من الايمان والطاعة . لآتوها . لاعطوها اولئك السائلين غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة
الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر اى لفعلوها وجاؤها . وما تلبثوا بها . بالفتنة اى ما البثوها وما
اخروها . الا يسيرا . ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت
مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق
بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من
تجريد الدخول عن الفاعل ففيه خروج من سداد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم
اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه اثر ذي اثير من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة
والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال
المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار . فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر فرأوا ما اعطى الله اهل
بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن . وكان عهد الله مسئولا . مطلوبا
مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازا عليه . قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل . فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء
وجرى عليه القلم . واذا لا تمتعون الا قليلا . اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك
التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا . قل من الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد
بكم رحمة . اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة
من معنى المنع . ولا يجدون لهم من دون الله وليا . ينفعهم . ولا نصيرا . يدفع عنهم الضرر . قد
يعلم الله المعوقين منكم . اى المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون . والقا
ئلين لاخوانهم . من منافقي المدينة . هلم الينا . وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب
ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال
اى قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من العسكر متوجهون نحو
المدينة . ولا يأتون البأس . اى الحرب والقتال . الا قليلا . اى اتيانا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا

تراهم

يبادرون وقيل تلون الاشياء. قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تع ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا. اشحة عليكم. اى بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم. فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك. تدور اعينهم فى احداقهم. كالذى يغشى عليه من الموت. صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اى ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك او ينظرون كائنين كالذى او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه. فاذا ذهب الخوف. وحيزت الغنائم. سلقوكم. ضربوكم. بالسنة حداد. وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرئ صلقوكم. اشحة على الخير. نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع. اولئك. الموصوفون بما ذكر من صفات السوء. لم يؤمنوا. بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم. اى اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا. وكان ذلك. الاحباط. على الله يسيرا. هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شئ عليه تع يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبطها لكمال تعاضد الدواعى وعدم الصوارف بالكلية. يحسبون الاحزاب لم يذهبوا. اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة. وان يأت الاحزاب. كرة ثانية. يودوا لو انهم بادون فى الاعراب. تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى. يسألون. كل قادم من جانب المدينة وقرئ يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقول رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما فى المثال المذكور ونظائره. عن انبائكم. عما جرى عليكم. ولو كانوا فيكم. هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال. ما قاتلوا الا قليلا. رياء وخوفا من التعيير. لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة. فعلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فيها. لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. اى ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تع ولمن صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه. وذكر الله. اى وقرن الرجاء بذكر الله. كثيرا. اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تع تؤدى الى الملازمة

الطاعة وبها يتحقق الايتساء برسول الله صلى الله عم. ولما رأى المؤمنون الاحزاب. بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اى لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم. قالوا هذا. مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر فى قوله تع فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتائج التخييل الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو. ما وعدنا الله ورسوله. فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تع ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تع الا ان نصر الله قريب من المحسنين وقوله عم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عم الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة. وصدق الله ورسوله. اى ظهر صدق خبر الله تع ورسوله او صدقا فى النصر والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم. وما زادهم. اى ما رأوه. الا ايمانا. بالله تع وبمواعيده. وتسليما. لاوامره ومقاديره. من المؤمنين. اى المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. من الثبات مع الرسول عم والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تع عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره اى فى سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكم وكانه قال لكم ان لم تحرى وقاتلوا لاستغنى بك وحينئذ فهو من باب فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا. فمنهم من قضى نحبه. تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين فى قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اى فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تع عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التى هى المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتى. ومنهم. اى وبعضهم او وبعض منهم. من ينتظر. اى قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهم ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تع عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عم والقتال الى حين نزول

الجليل العظيم

الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان
يكون الخطب مستعارا للالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية
المبادي منزلة التزامه نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام
المدح واياما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم
الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة و
ذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية • وما بدلوا • عطف على صدقوا وفاعله
فاعله وما بدلوا عهدهم وما غيروه • تبديلا • اى تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين
فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم
اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق
الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان
حالهم وقد روى ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام
اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي
على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على
الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما • ليجزي الله الصادقين
بصدقهم • متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع
ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن
صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء
قولا وفعلا • ويعذب المنافقين • بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية • ان شاء • تعذيبهم
• او يتوب عليهم • ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض
به لان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة
الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما
وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك
الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق • ان الله كان غفورا رحيما • اى لمن تاب وهو
اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى • ورد الله الذين كفروا • رجوع الى حكاية بقية القصة
وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف
اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من
الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت
بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر
عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة

خطرها

خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله
تعالى • بغيظهم • حال من الموصول اى ملتبسين به وكذا قوله تعالى • لم ينالوا خيرا • بتداخل او تعاقب
اى غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف • وكفى الله المؤمنين القتال • بما ذكر من ارسال
الريح والجنود • وكان الله قويا • على احداث ما يريده • عزيزا • غالبا على كل شيء • وانزل الذين
ظاهروهم • اى عاونوا الاحزاب المردودة • من اهل الكتاب • وهم بنو قريظة • من
صياصيهم • من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة
الديك • وقذف في قلوبهم الرعب • الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولا
دهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى • فريقا تقتلون وتاسرون فريقا • من غير ان يكون من جهتهم حراك
فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة
التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك
والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن
في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد
بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه السلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى الف واسر سبعمائة
وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول في الجملة الثانية مع ان
مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا و
فريقا يقتلون لمراعاة الفواصل • واورثكم ارضهم وديارهم • اى حصونهم • واموالهم •
نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الا
نصار فقالت الانصار في ذلك فقال عليه السلام انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما
خمست يوم بدر فقال عليه السلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله
• وارضا لم تطؤوها • اى اورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض
تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر • وكان الله على كل شيء قديرا • فقد شاهدتم بعض مقدوراته من
ايراث الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها • يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوة الدنيا • اى السعة والتنعم فيها • وزينتها • ونضارتها • فتعالين • اى اقبلن بارادة
واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني • امتعكن •
بالجزم جوابا للامر وكذا • واسرحكن • اى اعطكن المتعة واطلقكن • سراحا جميلا • طلاقا من
غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي انهن سألنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت

تسعمائة

مطلب
بيان ازواج النبي عليه السلام

تكن

فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويضا للطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عم كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امرأته واختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا فرجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رح وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها تقع ثلث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رض انها ان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم تدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم • وان كنتن تردن الله ورسوله • اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عم عنده تع • والدار الآخرة • اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا • فان الله اعد للمحسنات منكن • بمقابلة احسانهن • اجرا عظيما • لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل • يا نساء النبي • تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عم لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام • من يأت منكن بفاحشة • بكبيرة • مبينة • ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية • يضاعف لها العذاب ضعفين • اي يعذب ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عم بما لا يعاقب به غيرهم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب • وكان ذلك على الله يسيرا • لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي عم صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه • ومن يقنت منكن • وقرئ بالتاء اي ومن يدم

مطلب في تفويض الطلاق

مطلب اقل مهرها

على

على الطاعة • لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين • مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تع • واعتدنا لها • في الجنة زيادة على اجرها المضاعف • رزقا كريما • مرضيا • يا نساء النبي لستن كاحد من النساء • اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف • ان اتقيتن • مخالفة حكم الله تع ورضاء رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن • فلا تخضعن بالقول • عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات • فيطمع الذي في قلبه مرض • اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب • وقلن قولا معروفا • بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا • وقرن في بيوتكن • امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن او من قر يقر حذفت احدى الرائين اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن • ولا تبرجن • اي لا تبخترن في مشيكن • تبرج الجاهلية الاولى • اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر • واقمن الصلوة وآتين الزكوة • امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية • واطعن الله ورسوله • اي في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه • انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس • اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح • اهل البيت • مرادا بهم من حواهم بيت النبوة • ويطهركم • من اوضار الاوزار والمعاصي • تطهيرا • بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم اجمعين واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من

مطلب تبرج الجاهلية

مطلب اهل بيت النبي عم

مرط الشعر ... والمرط بالكسر كساء من صوف ... من ثياب [illegible] قاموس

شملهم بمرط اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما
فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا
على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص
واذكرن ما يتلى في بيوتكن • اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن • من
آيات الله والحكمة • من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه
المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرايع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن
اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها
مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومه جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب
لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي
عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما • ان الله كان لطيفا خبيرا • يعلم ويدبر
ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح من للنبوة ومن يستاهل ان
يكون من اهل بيته • ان المسلمين والمسلمات • اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور
والاناث • والمؤمنين والمؤمنات • المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين • والقانتين
والقانتات • في القول والعمل • والصابرين والصابرات • على الطاعات وعن المعاصي • والخا
شعين والخاشعات • المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم • والمتصدقين والمتصدقات • بما وجب
في مالهم • والصائمين والصائمات • الصوم المفروض • والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام • والذاكرين الله كثيرا والذاكرات • بقلوبهم والسنتهم • اعد الله لهم • بسبب ما عملوا
من الحسنات المذكورة • مغفرة • لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة
واجرا عظيما • على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع
بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة
وروي انه لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا
يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم
جمعهم بين هذه النعوت الجليلة • وما كان لمؤمن ولا مؤمنة • اي ما صح ما استقام لرجل ولا امرأة
من المؤمنين • اذا قضى الله ورسوله امرا • اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره او
للاشعار بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد
المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم

بنت

الداخلين في الطاعة والصادقين والسادمات ...

بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي عليه السلام فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا
رسول الله فزوجنا عبده • ان يكون لهم الخيرة من امرهم • اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل
يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرأيه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير في لعموم مؤمن
ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء
ومن يعص الله ورسوله • في امر من الامور ويعمل فيه برأيه • فقد ضل • طريق الحق • ضلالا مبينا •
اي بين الانحراف عن سنن الصواب • واذ تقول • اي واذكر وقت قولك • للذي انعم الله عليه بتوفيقه
للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته • وانعمت عليه • بالعتق بما وفقك الله له من فنون الا
حسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما
صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما
لا يتصور في حق زيد • امسك عليك زوجك • اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت
في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيح فذكرتها
لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك
عليك زوجك • واتق الله • في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها • وتخفي في نفسك ما الله
مبديه • وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها • وتخشى الناس • تعييرهم اياك به • والله احق ان
تخشاه • ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فقالة الناس واظهار
ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رأيه • فلما قضى زيد منها
وطرا • بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق
مثل لا حاجة لي فيك • زوجناكها • وقرئ زوجتك والمراد تزويجها منه عليه السلام وقيل جعلها
زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى
نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد
عدل بقوة ايمانه • لكيلا يكون على المؤمنين حرج • ضيق ومشقة • في ازواج ادعيائهم • اي في
حق تزوجهن • اذا قضوا منهن وطرا • فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه
عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل • وكان امر الله • اي ما يريد تكوينه من الامور او مأموره
الحاصل بكن • مفعولا • مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله • ما كان على النبي من حرج • اي
ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق • فيما فرض الله له • اي قسم له او قدر من قولهم فرض له في الديوان كذا
ومنه فروض العساكر لاعطياتهم • سنة الله • اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد
لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة • في الذين خلوا • مضوا • من قبل • من الانبياء عليهم السلام
حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة

وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض
وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في
كل ما يأتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة
لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه
عم من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى
بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون
حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد
وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عم ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم
يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عم لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول
ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم
الذين لا ولاد بينهم وبينه عم يحكم حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم
النبيين اي اخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عم خاتم
النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عم
لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا
على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته
هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو
اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه
ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر
التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد
التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك
صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم الخ استئناف جار مجرى
التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يو
جب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على
المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة
اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل
على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم و
صلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ
الرحمة

من

من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار
الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم ولا ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره
ينتزع لا للجمع بين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني بامورکم
هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم
ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان
بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى
تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان اثارها العاجلة التي
هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه
عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او
من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم واخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لاثار
رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال
مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر
الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر اثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة
الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم
وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله
باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال
وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جانب قدسه وكيف لا وهو صرف للوجوه عن
القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات
الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر
يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم بان لهم
من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجر اعمالهم
بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة
واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في
الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والا
لهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في
الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا
الشأن فانه تعالى يكفيكم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موضع

الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل
كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة
له مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار
والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حققه وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه
من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان
من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى
نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه • يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتمو
هن من قبل ان تمسوهن • اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء • فما لكم عليهن من عدة
بايام يتربصن فيها بانفسهن • تعتدونها • تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها و
حقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الا
زواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الا
عتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتا
بيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان
تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب • فمتعوهن • اي ان لم يكن
مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا
في رواية وفي اخرى غير مستحبة • وسرحوهن • اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا • من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول
بهن • يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن • اي مهورهن فانها اجور الا
بضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام بها ليس لتوقف
الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقدير الدخول وعدمه بل لا
يثار الافضل والاولى له عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى • وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك • فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات
معه في قوله تعالى • وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك • ويحتمل تقييد
الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء • وامرأة مؤمنة
بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم
لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا • ان وهبت نفسها
للنبي • اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند
ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى • ان اراد النبي ان يستنكحها • اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان

مطلب
بيان طلاق قبل المس

ذلك

ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف
في اتفاق هذا الخلاف في انعقاد النكاح اي لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة
ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق (انعقاد) هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام احد منهن
بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان
بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى • خالصة لك •
اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعاقبة والكا
ذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى • من
دون المؤمنين • على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق
هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان في احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم
بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي ذاك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين
حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى • قد علمنا ما فرضنا عليهم
اي على المؤمنين • في ازواجهم • اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور
لرسول الله عليه السلام وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم
يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم • وما
ملكت ايمانهم • وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه و
خصصناك ببعض الخصائص • لكيلا يكون عليك حرج • اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار
ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج
هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره • وكان الله غفورا • لما يعسر التحرز عنه
رحيما • ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج • ترجي من تشاء منهن • اي تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء • وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن
وتمسك من تشاء وقرئ ترجي بالهمزة والمعنى واحد • ومن ابتغيت • اي طلبت • ممن عزلت •
طلقت بالرجعة • فلا جناح عليك • في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان
يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة
او يبتغيها وروي انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم
لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى
اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله
عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك • ذلك • اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك

ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن • اى اقرب الى قرة عيونهن ورضا
هن جميعا لانه حكم كلهن سوآء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التآء ونصب اعينهن وتقر
على البنآء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن • والله يعلم
ما فى قلوبكم • من الضماير والخواطر فاجتهدوا فى احسانها • وكان الله عليما • مبالغا فى العلم فيعلم كل
ما تبدونه وتخفونه • حليما • لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها فانه امهال لا اهمال • لا يحل
لك النسآء • بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقى ولوجود الفصل وقرئ بالتاء • من بعد • اى من بعد
التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتى خيرتهن فا
خترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله وارضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران • ولا ان تبدل
اى تتبدل بحذف احدى التائين • بهن • اى بهؤلاء التسع • من ازواج • بان تطلق واحدة منهن و
تنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزآء على ما اخترن ورضين
فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتى توفى عم عنهن وهن عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام
حبيبة بنت ابى سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى امية وصفية بنت حيى الخيبرية وميمونة بنت
الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة
المعنى لا يحل لك النسآء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى احللنا هن لك بالصفة التى تقدم ذكرها من
الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان
معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد وان يكون معنى التبدل احلال نكاح غيرهن بدل
احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذى ليس من الوظائف البشرية • ولو اعجبك حسنهن
اى حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى
التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة و
لو اعجبتكم وقيل هى اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابى طالب رض اى هى ممن اعجبه عم حسنهن
واختلف فى ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء
وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رض
ما مات رسول الله صلى الله عم حتى احل له النسآء وقال انس رض الله مات عم على التحريم • الا ما ملكت
يمينك • استثناء من النسآء لانه يتناول الازواج والاماء • وقيل منقطع • وكان الله على كل شئ رقيبا • اى
حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطى حلاله الى حرامه • يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبى • شروع فى بيان ما وجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبى عم اثر بيان ما يجب
مراعاته عليه عم من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى • الا ان يؤذن لكم • استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اى لا تدخلوها فى حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اى لا تدخلوها فى

مطلب نساء النبى عم

وقرئ

فى وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص
بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال اتيتك ان يصيح الديك وانما يقال اتيتك صياح الديك وقوله
تعالى • الى طعام • متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغى ان يدخلوا على الطعام
بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى • غير ناظرين اناه • اى غير منتظرين وقته او ادراكه
وهو حال من لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور فى
لكم وقرئ بالجر على صفة فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين
وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اى ادرك • ولكن اذا دعيتم فادخلوا • استدراك من النهى عن
الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه • فاذا طعمتم
فانتشروا • فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم يتحينون طعام النبى عم حتى الله عم فيدخلون و
يقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عم باذن
لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم • ولا مستانسين لحديث • اى بحديث بعضكم بعضا او
بحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اى ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستا
نسين • ان ذلكم • اى الاستيناس الذى كنتم تفعلونه من قبل • كان يؤذى النبى عم • لتضييق المنزل
عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه • فيستحيى منكم • اى من اخراجكم
لقوله تعالى • والله لا يستحيى من الحق • فانه يستدعى ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم
وما ذلك الا اخراجهم فينبغى ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء
للمشاكلة وقرئ لا يستحى بحذف اليآء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها • واذا سألتموهن • الضمير
لنسآء النبى عم المدلول عليهن بذكر بيوته عم • متاعا • اى شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن
اى المتاع • من ورآء حجاب • اى ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد
رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى ذلك فنزلت • ذلكم • اى ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن
وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من ورآء حجاب • اطهر لقلوبكم وقلوبهن • اى
اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية • وما كان لكم • اى وما صح وما استقام لكم • ان تؤذوا رسول الله
اى ان تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه ويتاذى به • ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا • اى من بعد
وفاته او فراقه • ان ذلكم • اشارة الى ما ذكر من ايذائه عم ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته فى الشر والفساد • كان عند الله عظيما • اى امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر
قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله عم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث
قال • ان تبدوا شيئا • مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم • او تخفوه • فى صدوركم • فان الله
كان بكل شئ عليما • فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية لا محالة وفى هذا التعميم مع البرهان

ن

على المقصود ومزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد • لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن • استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما
نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم
الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن عمات
لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن
لابنائهما • ولا نسائهن • اي نساء المؤمنات • ولا ما ملكت ايمانهن • من العبيد والاماء وقيل
من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور • واتقين الله • في كل ما تأتين وما تذرون لا سيما فيما
امرتن به ونهيتن عنه • ان الله كان على كل شيء شهيدا • لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال
ان الله وملائكته • وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف
الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين • يصلون على النبي • قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة
ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا
يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاء
وحيث لم فينبغي ان يراد به في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا
له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله تعالى بالرحمة
ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار • يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه • اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم
اولى به • وسلموا تسليما • قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد
امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار و
عدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فابعده الله ويروى انه عم قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك
الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا
قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من
قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عم كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل
دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة
عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه ان الصحابة رضي كانوا يكتفون
عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه فقد جعلها شرطا واما الصلوة على

مطلب صلوة الله تعالى وملائكته على النبي عم

غير

غير الانبياء عليهم السلام فيجوز تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك
كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا • ان الذين يؤذون الله ورسوله • اريد بالايذاء اما
فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في اذائه تعالى هو
قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات
الله تعالى والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء
الرسول عم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد و
قيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عم خاصة بطريق الحقيقة وذكر
الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عم ايذاء له سبحانه • لعنهم
الله • طردهم وابعدهم من رحمته • في الدنيا والآخرة • بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها
واعد لهم • مع ذلك • عذابا مهينا • يصيبهم في الآخرة خاصة • والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
• يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى • بغير ما اكتسبوا • اي بغير جناية
يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق
واما اذى هؤلاء فمنه ومنه • فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا • اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في
منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك
والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا
للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي و
اللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين • يا ايها النبي • بعد ما بين سوء
حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم
في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل • قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن • الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها
وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن
اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء
بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين • ذلك • اي ما ذكر من
التغطي • ادنى • اقرب • ان يعرفن • ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم
وايذائهم • فلا يؤذين • من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن • وكان الله غفورا • لما سلف
منهن من التفريط • رحيما • بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات • لئن لم ينته
المنافقون • عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء • والذين في قلوبهم مرض • عما هم
عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه • والمرجفون في المدينة • من الفريقين عما هم عليه من
نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف

جاف

التي بك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت بها الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة • لنغرينك بهم
لنأمرنك بقتالهم واجلائهم وبما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك • ثم لا يجاورونك • عطف
على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم • فيها • اي في
المدينة • الا قليلا • زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الاغراء وعدمه • ملعونين
نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على رأي من يجوزه كما في قوله تع غير ناظرين
اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تع • اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها • سنة الله في الذين خلوا من قبل • اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي
ان تقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما
ثقفوا • ولن تجد لسنة الله تبديلا • اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
يسألك الناس عن الساعة • اي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عم عن ذلك استعجالا
بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تع عمى وقتها في التورية وسائر الكتب • قل انما علمها عند
الله • لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تع • وما يدريك • خطاب مستقل له عم غير داخل
تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بو
قت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا • لعل الساعة تكون قريبا • اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت
قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم والوقت و
فيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد
استقلال الجملة كما اشير اليه • ان الله لعن الكافرين • على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة
والآجلة • واعد لهم • مع ذلك • سعيرا • نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة • خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا • يحفظهم • ولا نصيرا • يخلصهم • منها • يوم تقلب وجوههم في النار
ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من
جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال
او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين من تتقلب وبالاسناد الفعل الى
نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب بالاسناد الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء
ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تع • يقولون •
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقو
لون متحسرين على ما فاتهم • يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول • فلما نبتلى بهذا العذاب او حال من
ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم • وقالوا • عطف على يقولون والعدول الى صيغة
الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من
التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا • يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على
الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة • فا
ضلونا السبيلا • بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في • واطعنا الرسولا • ربنا آتهم
ضعفين من العذاب • اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا • والعنهم لعنا كبيرا • اي
شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة • يا ا
يها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى • قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة
الناس • فبرأه الله مما قالوا • اي فاظهر براءته عم مما قالوا في حقه من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب
وذلك • ان قارون اغرى مومسة على قذفه عم بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تع نزاهته
عم عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما
فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته
الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تع فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب
في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تع على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه
عليه عند اغتساله والقصة مشهورة • وكان عند الله وجيها • ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان
عبدا لله وجيها • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله • اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عم • وقولوا • في كل شان من الشؤون • قولا سديدا • قاصدا الى
الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا
فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد • يصلح لكم اعمالكم • يوفقكم للاعمال الصالحة او
يصلحها بالقبول والاثابة عليها • ويغفر لكم ذنوبكم • ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل
ومن يطع الله ورسوله • في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات • فقد فاز • في الدارين
فوزا عظيما • لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته • انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها • لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من
العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكا
ليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر
عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تع
المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحا
فظة عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر
من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعداد
هن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى
الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي استعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها

عرض الامانة على السموات والارض

واعظمها مافيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت بها تلك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق رومًا لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل والتوضيح . وحملها الانسان . اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع مافيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى . انه كان ظلومًا جهولًا . اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطًا في الظلم مبالغًا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعتراف دون السابق من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلًا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات . اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضًا من الحمل لكن لما ترتب عليه من النتيجة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى . ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات . اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم . وجعل . الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة للامانة واتين بها دائبين لما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يأت بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما

خلقتنا

خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف . وكان الله غفورا رحيما . مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم الآية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض . اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى . وله الحمد في الآخرة . بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعم الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس . وهو الحكيم . الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة . الخبير . ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى . يعلم ما يلج في الارض . الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها . وما يخرج منها . كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها . وما ينزل من السماء . كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد وبنون العظمة . وما يعرج فيها . كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة . وهو الرحيم . للحامدين على ما ذكر من نعمه . الغفور . للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه . وقال الذين كفروا

كفروا لا تأتينا الساعة . ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط
كما ارادوا بالنفى اتيانها نفى وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها فى نفس الامر وانما عبروا عنه
بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الز
مان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزؤ والسخرية
كقولهم متى هذا الوعد . قل بلى . رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله
تع . وربى لتأتينكم . تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تأويل الساعة باليوم او الوقت
وقوله تع . عالم الغيب . الخ امداد للتاكيد وتشديد له اثر تشديد وكسورة نكيرهم واستبعادهم فان
تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة اثباته و
صحته لما ان ذلك فى حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب فان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة
آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم
عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذى اشهر افراده وادخلها فى الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة
الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر
ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه
مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب بالرفع على المدح . لا يعزب عنه . اى لا يبعد
وقرئ بكسر الزاء . مثقال ذرة . مقدار اصغر نملة . فى السموات ولا فى الارض . اى كائنة فيهما . ولا اصغر
من ذلك . اى من مثقال ذرة . ولا اكبر . اى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تع . الا فى كتاب مبين . هو اللوح
المحفوظ والجملة مؤكدة لنفى العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفى الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع
على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان
يجعل الضمير فى عنه للغيب ويجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا
ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح . ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات . علة لقوله تع
لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها . اولئك . اشارة الى الموصول من حيث اتصافهم بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف اى اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة . لهم .
بسبب ذلك . مغفرة . لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر . ورزق كريم . لا تعب
فيه ولا منّ عليه . والذين سعوا فى اياتنا . بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها . معاجزين .
اى مسابقين كى يفوتونا وقرئ معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده . اولئك لهم عذاب . الكلام
فيه كالذى مر آنفا ومن فى قوله تع . من رجز . للبيان قال قتادة رض الرجز سوء العذاب وقوله تع . اليم
بالرفع صفة عذاب اى اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة
لرجز . ويرى الذين اوتوا العلم . اى يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عم ومن شايعهم
من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وكعب واضرابهما رضى الله عنهما

الذى انزل اليك من ربك . اى القرآن . هو الحق . بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول
الاول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول
الثانى ليرى وقوله تع ويرى الخ استئناف مسوق للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب
عطفا على يجزى اى وليعلم اولوا العلم عند مجئ الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على الكفرة
بين وقد جوز ان يراد باولى العلم من لم يؤمن من الاحبار اى ليعلموا يومئذ انه الحق فيزدادوا حسرة وغما
ويهدى . عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه فى تأويله كما فى قوله تع صافات ويقبضن اى وقا
بضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك الحق وهاديا . الى صراط العزيز الحميد . الذى هو
التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل حال من الذين انزل على اضمار مبتدأ اى وهو يهدى كما فى قوله
من قال نجوت وارهنهم مالكا . وقال الذين كفروا . هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض . هل ند
لكم على رجل . يعنون به النبى صلى الله عم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تع
ينبئكم . اى يحدثكم بامر عجيب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء . اذا مزقتم كل ممزق . اى اذا متم وفرقت
اجسادكم كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا . انكم لفى خلق جديد . اى مستقرون
فيه وعدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون تخليقا جديدا للاشباع فى
الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان لا
يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من
جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع . افترى على الله كذبا . فيما قاله . ام به جنة . اى جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون
من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب . بل الذين لا يؤمنون بالا
خرة فى العذاب والضلال البعيد . جواب من جهة الله تع عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام با
لاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم
وابتلائهم بما قالوا فى حقه عم كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم فى كمال اختلال العقل وغاية الضلا
ل عن الفهم والادراك الذى هو الجنون حقيقة وفيما يؤدى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقو
لون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوؤهم ويفت فى اعضادهم والاشعار
بغاية سرعة ترتبه عليه كانه لسابقه فيسبقه ووصف الضلال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتنبيه بما فى حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترءوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها
من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تع . افلم يروا الى ما بين ايديهم و
ما خلفهم من السماء والارض . استئناف مسوق لتهويل ما اجترءوا عليه من تكذيب آيات الله تع واستعظام
ما قالوا فى حقه عم وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث
وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تع . ان نشأ . الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما

بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اى افعلوا
ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر
لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم • نخسف بهم الارض • كما خسفناها بقارون
او نسقط عليهم كسفا • اى قطعا • من السماء • كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ار
تكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لما استحالوه من البعث
حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والا
رض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هى وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم با
لآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ بالخفيف وتسقط بالياء لقوله تعالى افترى
على الله وكسفا بسكون السين • ان فى ذلك • اى فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر
من جميع الجوانب او فيما تلى من الوحى الناطق بما ذكر • لآية • واضحة • لكل عبد منيب • شانه الانابة
الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او فى الوحى المذكور ينزجر عن تعاطى القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على
التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى • ولقد آتينا داود منا فضلا • اى آتيناه لحسن انابته وصحة
توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة
به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخا
مته الذاتية بفخامته الاضافية كما فى قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها تمكن عندها
فضل تمكن • يا جبال اوبى معه • من التأويب اى رجعى معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما
بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبى من
الاوب اى ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة
له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصوا
تها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا • والطير • بالنصب عطفا على فضلا بمعنى
وسخرنا له الطير • لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف
اى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى
وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على
انه مفعول معه والاول هو الوجه وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين
لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخا
مة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولى الالباب • والنا له الحديد • اى
جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه با
لنسبة الى قوته التى آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية • ان اعمل • امرناه ان اعمل

يخسف

اولى س

على

على ان مصدرية حذف عنها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لا يخفى • سابغات • واسعات وقرئ
صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان
عليه السلام حين ملك على بنى اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون فى داود فيثنون عليه فبعث الله تعالى
له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها
فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه
تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على
الفقراء • وقدر فى السرد • السرد نسج الدروع اى اقتصد فى نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل
قدر مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد
وقيل معنى قدر فى السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقى فاصرفه
الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى • واعملوا صالحا • تعميم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله
انى بما تعملون بصير • تعليل للامر او لوجوب الامتثال به • ولسليمان الريح • اى وسخرنا له الريح اى ولسليمان
الريح مسخرة وقرئ الرياح • غدوها شهر ورواحها شهر • اى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها با
لعشى كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضى الله عنه كان
يغدو اى من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى
بسمرقند ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما
بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى
واسلنا له عين القطر اى النحاس المذاب اسال له معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من
الينبوع ولذلك سمى عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى • ومن الجن من يعمل
بين يديه • اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة • باذن ربه • بامره
تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى • ومن يزغ منهم عن امرنا • اى ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ
على البناء للمفعول من ازاغه • نذقه من عذاب السعير • اى عذاب النار فى الآخرة روى عن السدى رحمه الله كان
معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى • يعملون له ما يشاء • تفصيل لما ذكر من
عملهم وقوله تعالى • من محاريب • الخ بيان لما يشاء اى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها
يذب عنها ويحارب عليها وقيل هى المساجد • وتماثيل • وصورة الملائكة والانبياء عليهم السلام
على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ فى المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع
جديد وروى انهم عملوا اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما
واذا قعد اظله النسران باجنحتهما • وجفان • جمع جفنة وهى الصحفة • كالجواب • الكبار جمع جابية
من الجباية لاجتماع الماء فيها وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء وقيل كان يقعد على
الجفنة الف رجل • وقدور راسيات • ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها • اعملوا آل داود شكرا

حكاية لما قيل • وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر الاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف
اى اشكروا شكرا او حال اى شاكرين او مفعول به اى اعملوا شكرا • وقليل من عبادى الشكور • اى المتوفر
على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى
شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى انه عم جزء ساعات الليل و
النهار على اهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى • فلما قضينا عليه
الموت • اى على سليمان عم • ما دلهم • اى الجن او آله • على موته الا دابة الارض • اى الارضة اضيفت الى
فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت اضا
مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا • تأكل منسأته • اى عصاه من نسأت البعير اذا طردته
لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين
بين عند الوقف ومنسأته على مفعالة كميضاءة في ميضاءة ومن سأته اى من طرف عصاه من سأة القوس
وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منسأته • فلما خر تبينت الجن • من تبينت الشئ اذا علمته
بعد التباسه عليك اى علمت الجن لعلموا موته عم حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من
تبين الشئ اذا ظهر وتجلى اى ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اى ظهر لو كانوا يعلمون
الغيب آه وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل
وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تع ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضى الله
عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى فتوفى قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهم السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا دنا
اجله وعلم به سأل ربه ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه
صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك
وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه
اينما صلى فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عم قد خر
ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقى في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
لقد كان لسبأ • بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تع اثر بيان احوال الشاكرين لها اى لاولاد سبأ بن
يشجب ابن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج له
بين بين • في مسكنهم • وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال له
مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال • آية • دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود
الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازى للمحسن والمسئ معاضدة للبرهان

علما بينا بعد التباس الامر عليهم
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين اى انهم لو كانوا
يعلمون الغيب كما يزعمون

كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام • جنتان • بدل من آية او خبر لمبتدا محذوف اى هى جنتان وفيه
معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين • عن يمين وشمال • جماعة
عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كانها جنة
واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله • كلوا من رزق ربكم واشكروا له • حكاية لما
قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيانا لكونهم
احقاء بان يقال لهم ذلك • بلدة طيبة ورب غفور • استيناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اى بلدتكم
بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى
رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من مؤذ
يات الهوام شئ • فاعرضوا • عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر
نبيا فدعوهم الى الله تع وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم • فارسلنا عليهم سيل العرم • اى سيل
الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد
وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذى
يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار و
حقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم
الجرذ الذى نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الاعمى الذى يقال له الخلد سلط الله تع عليهم فنقبه
فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادى وقيل العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التى كانت بين
عيسى والنبى صلى الله عليه وسلم • وبدلناهم بجنتيهم • اى اذهبنا جنتيهم وآتينا بدلهما • جنتين ذواتى
اكل خمط • اى ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر
من كل شئ وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو
الاراك او كل شجر ذى شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ
اكل خمط بالاضافة وبتخفيف الاكل • واثل وشئ من سدر قليل • معطوفان على اكل لا على خمط فان
الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل
وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان
السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا
ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هاهنا هو الثانى حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله
تع من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم • ذلك • اشارة الى مصدر قوله تع جزيناهم
هم • او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول
النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثانى النصب على انه مفعول ثان له اى ذلك الجزاء الفظيع

جزيناهم الجزاء الآخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره • بما كفروا • بسبب كفرانهم النعم حيث نزعناها
منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل • وهل نجازى الا الكفور • اى وما نجازى
هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران او الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل
يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا
من النعم الحاضرة فى مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تع • وجعلنا
بينهم وبين القرى التى باركنا فيها • حكاية لما اوتوا من النعم البادية فى مسايرهم ومتاجرهم وما
فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيان لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل
معا لما فى التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل النا
طقة بافعالهم او بجزائها اى وجعلنا مع ما آتيناهم فى مساكنهم من فنون النعم بينهم اى بين بلا
دهم وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين • قرى ظاهرة • متواصلة يرى بعضها من بعض
لتقاربها فهى ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم
حتى تخفى عليهم • وقدرنا فيها السير • اى جعلناها فى نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال
ابناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل فى اخرى والرائح منها يبيت فى اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك
كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرها لها فى الحضر والسفر • سيروا فيها • على ارادة القول
اى وقلنا لهم سيروا فى تلك القرى • ليالى واياما • اى متى شئتم من الليالى والايام • آمنين
من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة
سفركم وامتدت ليالى واياما كثيرة او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الا
من لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور
منزلة امرهم بذلك • فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا • وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وبغوا طيب العيش و
ملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى و
قالوا لو كان جنا جناتنا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تع بينهم وبين الشام
مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله
تع لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد
ربنا بعد بين اسفارنا وباعد وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى البين ورفعه به كما يقال سير
فرسخان ويوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء
والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها لسهولة سلوكها لفرط
تنعمهم وغاية بطرهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تع كانهم يتشاجون على الله تع ويتحازنون عليه و
ظلموا انفسهم • حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها • فجعلناهم احاديث
اى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم • ومزقناهم

من احوالهم

كل

على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان الطريق

كل ممزق • اى فرقناهم كل تفريق على انه اسم مكان وفى عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه
من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى اى فرقناهم تفريقا لا غاية وراءه بحيث
يضرب به الامثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبى عن ابى صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبأ وبينهما
اثنا عشر ابا وهو الذى يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب و
تغريق سيل العرم الجنتين وعن ابى زيد الانصارى ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء
له فعزم وقيل انه كان كاهنا وقد علم بذلك بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى
بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل
عم وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليهم رواده الذين
ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون لهم موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلثة ايام فا
نهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا فاصا
بتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم
الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة
بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن
حارثة بن عمرو بن عامر وهو يحيى فولى امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عم فسألوهم السكنى
معهم وحولهم فاذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فروة بن مسيك القطيفى
سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال عم هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم
مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم
لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدى سبا شذر مذر فنزلت
طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا
اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنوا قينقاع وبنوا قريظة والنضير فخالفوا الا
وس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت عندهم طوائف آخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم
غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم • وسبأ تجمع • هذه القبائل كلها والجمهور
على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية
ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله
تع اعلم • ان فى ذلك • اى فيما ذكر من قصتهم • لآيات • عظيمة • لكل صبار شكور • اى شأنه الصبر عن
الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لا
نهم المنتفعون بها • ولقد صدق عليهم ابليس ظنه • اى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا و
قرئ بالتخفيف اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول

مطلب السبأ منهم ومن اى طائفة وكيف مزقوا فى البلدان

مطلب اولاد السبا

وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له
الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبإ حين رأى
انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف
منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تع الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء و
قال لاضلنهم ولاغوينهم • فاتبعوه • اى اهل سبإ او الناس • الا فريقا من المؤمنين • الا
فريقا المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق
المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون • وما كان له عليهم من سلطان • اى تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء • الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك • استثناء مفرغ من اعم العلل
ومن موصولة اى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك
منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك
من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة • وربك على كل شيء حفيظ • اى محا
فظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان • قل • اى للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه
وتبكيتا لهم • ادعوا الذين زعمتم • اى زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم حذف الاول تخفيفا لطول
الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه فقوله تع • من دون الله • ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم
مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر
لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال
لا يملكون مثقال ذرة • من خير وشر ونفع وضر • في السموات ولا في الارض • اى في امر ما من الامور وذكرهما
للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام
او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم • وما لهم • اى
لالهتهم • فيهما من شرك • اى شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا • وما له • اى لله تع منهم من
الهتهم • من ظهير • يعينه في تدبير امرهما • ولا تنفع الشفاعة عنده • اى لا توجد رأسا كما في قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تع من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه • وانما علق النفي بنفعها لا
بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تع • الا لمن اذن له • استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اى لا تقع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملا
ئكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم
فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من
جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تع لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع
الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اى لاجله وفي شانه

من

من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها
وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم
عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على الشفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول
حتى اذا فزع عن قلوبهم • اى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من مو
قف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع
واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن
له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه قيل كيف يؤذن لهم فقيل
يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع
عن قلوبهم بعد اللتيا والتي فظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى
الاذن والمهمون بامره • ماذا قال ربكم • اى في شان الاذن • قالوا • اى الشفعاء لانهم المباشرون
للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة • الحق • اى قال ربنا القول الحق
وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اى ما قاله الحق • وهو العلي الكبير • من تمام
كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اى
هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى
فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اى نفى
الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو
حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ
الوجل عنها اى انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور [illegible] حال التفريغ
وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها • قل من يرزقكم من السموات والارض • امر عم بتبكيت
المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تع
فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تع قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار فسيقو
لون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل لهم • قل الله • اذ لا جواب
سواه عندهم ايضا • وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين • اى وان احد الفريقين من الذين
يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما
سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح
بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال
مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال

كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئاً او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها. قل لا تسألون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون. وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه
الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر
الكبائر. قل يجمع بيننا ربنا. يوم القيامة عند الحشر والحساب. ثم يفتح بيننا بالحق. اي يحكم بيننا ويفصل
بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. وهو الفتاح. الحاكم الفيصل
في القضايا المنغلقة. العليم. بما ينبغي ان يقضى به. قل اروني الذين الحقتم. اي الحقتموهم به شركاء
اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منهم اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان
رأيهم اي اروني بها لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد
تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم. كلا. ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة. بل هو الله العزيز
الحكيم. اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها
من هذه الرتبة العالية والضمير لله عز وعلا او للشأن كما في قل هو الله احد. وما ارسلناك الا
كافة للناس. اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جا
معا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم
الحال على صاحبها المجرور. بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون. ذلك فيحملهم جهلهم على ما
هم عليه من الغي والضلال. ويقولون. من فرط جهلهم وغاية غيهم. متى هذا الوعد.
بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا
ان كنتم صادقين. مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به. قل لكم ميعاد يوم. اي وعد يوم او
زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم. لا تستأ
خرون عنه. عند مفاجأته ساعة. ولا تستقدمون. صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد
ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي
الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره. وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه. اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا
فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة. ولو ترى اذ الظالمون. المنكرون للبعث. موقوفون
عند ربهم. اي في موقف المحاسبة. يرجع بعضهم الى بعض القول. اي يتحاورون ويتراجعون
القول. يقول الذين استضعفوا. بيان لما يرجعونه اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا
واستتبعوهم في الغي والضلال. لولا انتم. اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان. لكنا مؤمنين
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا. استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا. انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ

حيث

جاءكم بل كنتم مجرمين. منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم
بسبب كونهم راسخين في الاجرام. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا. اضرابا عن اضرابهم وابطالا
له. بل مكر الليل والنهار. اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه
الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكر في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او
مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا
لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على كما هو من الا
تساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر
الليل والنهار اي مكرا دائما وقوله تعالى. اذ تأمروننا. ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا. على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم
داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك. واسروا الندامة لما رأوا العذاب. اي
اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهر
وها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم. وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا. اي في
اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم. هل يجزون الا
ما كانوا يعملون. اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار. وما ارسلنا
في قرية. من القرى. من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون. تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا
وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن ندياً
بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوها مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقهم
وكادوا بنحو ما كادوا به عليه السلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الد
نيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى
لما حرمهم اياها على ذلك الرأي الركيك بنوا احكامهم. وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم
في الآخرة على تقدير وقوعها. قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه
يدور امر التكليف. ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء. اي يبسطه له. ويقدر. على من يشاء ان يقدره
عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي
ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على

المشية

تخصص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلاً من ذلك حسبما تقتضيه المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على
ذلك امر الثواب والعذاب الذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد • ولكن اكثر الناس لا
يعلمون • ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون
ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات • وما اموالكم و
لا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلو
ين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة
التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التانيث او بالخصلة التي
تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي • الا من آمن وعمل صالحا • استثناء مفرغ من مفعول تقربكم
اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله
تع وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم على الطاعة وقيل من اموالكم واولادكم
على حذف المضاف اي الا اموال من آه • فاولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الا
فراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو
شانهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح • لهم جزاء
الضعف • اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد
لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية
واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم اي يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ
جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على انه يجازوا الضعف
وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء • بما عملوا • من الصالحات • وهم
في الغرفات • اي غرفات الجنة • آمنون • من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في
الغرفة على ارادة الجنس • والذين يسعون في آياتنا • بالرد والطعن فيها • معاجزين • مسابقين
لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا • اولئك في العذاب محضرون • لا يجديهم ما عولوا
عليه نفعا • قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده • اي يوسعه عليه تارة • ويقدر له • اي
يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تع • وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه • عوضا اما عاجلا واما آجلا • وهو خير الرازقين • فان غيره وسط في ايصال
رزقه لا حقيقة لرازقيته • ويوم يحشرهم جميعا • اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا
يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر • ثم
يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تع
أانت قلت للناس اتخذوني آه واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم

وتخصيص

وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك
فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق
الاولوية وقرئ الفعلان بالنون • قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملا
ئكة كانه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك • سبحانك انت ولينا من
دونهم • والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقيق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة
بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضاء بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم
حقيقة بقولهم • بل كانوا يعبدون الجن • اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله
سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام
اذا عبدت فيعبدون بعبادتها • اكثرهم بهم مؤمنون • الضمير الاول للانس او للمشركين والا
كثر بمعنى الكل والثاني للجن • فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا • من جملة ما يقال للملائكة عند
جوابهم بالتنزه والتبري عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا لعجزهم و
قصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعده
من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم
النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة
بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم
والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة و
عدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم
مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل • ونقول للذين
ظلموا • عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا
على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما
سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشر
كين • ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون • يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق
المقال وقوله تع • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات • بيان لبعض آخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول
صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك • قالوا ما هذا • يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم • الا
رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم • فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الا
باء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد
وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم • الا افك • اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع • مفترى
باسناده الى الله تع • وقال الذين كفروا للحق • اي لامر النبوة والاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف
العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز • لما جاءهم • من غير تدبر ولا تامل فيه • ان هذا الا سحر مبين •

ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه . وما آتيناهم من كتب يدر
سونها . فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تع ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا يشركون و
قوله تع ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير . يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له
بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم
بقوله تع . وكذب الذين من قبلهم . من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا . وما بلغوا معشار ما
آتيناهم . اى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى . فكذبوا رسلي . عطف على كذب الذين
آه بطريق التفصيل والتفسير كقوله تع كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا آه . فكيف كان نكير . اى انكاري لهم
بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك . قل انما اعظكم بواحدة . اى ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي
ما دل عليه قوله تع . ان تقوموا لله . على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا محذوف اى هي ان تقوموا من مجلس
رسول الله صلى الله عم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تع معرضا عن المماراة والتقليد . مثنى وفرادى
اى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار وفي تقديم
مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا في امره صلى الله عم وما جاء به لتعلموا حقيقته
وقوله تع . ما بصاحبكم من جنة . استيناف مسوق من جهته تع للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل
هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند
مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم
انه عم ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا و
اجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها
صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان
تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اى شيء به من آثار الجنون . ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
هو عذاب الآخرة فانه عم مبعوث في نسم الساعة . قل ما سألتكم من اجر اى اى شيء سألتكم من
اجر على الرسالة . فهو لكم . والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني
شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تع ما اسألكم عليه من اجر الا المودة في القربى
واتخاذ السبيل اليه تع ومنفعتهم الكبرى وقرباه عم قرباهم . ان اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد . مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء . قل ان ربي يقذف بالحق . اى يلقيه
وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا
باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق . علام الغيوب . صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من
المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ

بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب . قل جاء الحق . اى الاسلام والتوحيد . وما يبدئ الباطل
وما يعيد . اى زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له
ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد و
قيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ لخير لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية
منصوبة بما بعدها . قل ان ضللت . عن الطريق الحق . فانما اضل على نفسي . فان وبال ضلالي
عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تع و
ان اهتديت فبما يوحي الى ربي . لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء . انه سميع قريب .
يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما . ولو ترى اذ فزعوا . عند الموت او
البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء
خسف بهم وجواب لو محذوف اى لرأيت امرا هائلا . فلا فوت . فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او
تحصن . واخذوا من مكان قريب . من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او
من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم
يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ . وقالوا آمنا به
اى بمحمد صلى الله عم وقد مر ذكره في قوله تع ما بصاحبكم . وانى لهم التناوش . التناوش التناول السهل
اى ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا . من مكان بعيد . فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم
وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله
من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمزة على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤ
ش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان
يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور . وقد كفروا به . اى بمحمد صلى الله عم او بالعذاب الشديد
الذي انذرهم اياه . من قبل . اى من قبل ذلك في اوان التكليف . ويقذفون بالغيب . ويرجمون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عم من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه
من مكان بعيد . من جهة بعيدة من حاله عم حيث ينسبونه عم الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء
مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم
في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان
يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا
لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا . وحيل بينهم وبين ما يشتهون . من نفع الايمان
والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء . كما فعل باشياعهم من قبل . اى باشباههم من كفرة الامم الدا
رجة . انهم كانوا في شك مريب . اى موقع في الريبة او ذي ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا
من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم روى عن رسول الله صلى

من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا سورة الملائكة مكية وآيها خمسون واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله فاطر السموات والارض • مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت الاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق • جاعل الملائكة • الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تع • رسلا • منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تع وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تع وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين • اولي اجنحة • صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله • مثنى وثلث ورباع • صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تع وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تع وعن رسول الله صلى الله انه رأى جبرائيل عليهما السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عم في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه عليه السلام ثم افاق وجبرائيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبرائيل عم فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير • يزيد في الخلق ما يشاء • استيناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئة الله تع لا لامر راجع الى ذواتهم ببيانا حكم كلي ناطق بانه تع يزيد في اي خلق كان كل ما شاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي عم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تع • ان الله على كل شئ قدير • تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تع لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تع على ان يزيد كل ما شاء ايجادا بايثا • ما يفتح الله للناس من رحمة • عبر عن ارسالها با

مطلب اجنحة الملائكة

مطلب

لفتح

ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شئ يفتح الله من خزائن رحمته كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به • فلا ممسك لها • اي لا احد يقدر على امساكها • وما يمسك • اي اي شئ يمسك • فلا مرسل له • اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه • من بعده • اي من بعد امساكه • وهو العزيز • الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك • الحكيم • الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعدما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال • يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم • اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها وليكن نعم الله تع مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفي ان يكون في الوجود شئ غيره تع يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي كل استحالة ان يجاب عنه بنعم فقال • هل من خالق غير الله • اي هل خالق مغاير له تع موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تع • يرزقكم من السماء والارض • اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورة لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه خبر مفسر لمضمر ارتفع به قوله تع من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناهما نفي رازقية خالق مغاير له تع من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تع • لا اله الا هو • فانه استيناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا او جار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة بحيث كان هذا ناطق بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تع • فاني تؤفكون • لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تع بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تع • وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عم ببني خطابي الناس مسارعة الى تسليته عم بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعدما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في الصبر على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولوا شأن خطير وذوو عدد كثير • والى الله ترجع الا

موره

لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها جري وتكذيبك وفي الاقتصار على ذكر
اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع
بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل • يا ايها الناس • رجوع الى خطابهم وتكرير النداء
لتاكيد العظة والتذكير • ان وعد الله • المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء • حق • ثابت
لا محالة من غير خلف • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا • بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن
تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله
تعالى لا يجرمنكم شقاقي • ولا يغرنكم بالله • وعفوه وكرمه تعالى • الغرور • اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك
وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل
النهي للمبالغة فيه ولاختلاف المغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود
جمع قاعد • ان الشيطان لكم عدو • عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به • فاتخذوه عدوا •
بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى • انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير • تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى و
الركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي
بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون • الذين كفروا لهم •
بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته • عذاب شديد • لا يقادر قدره ولا
يبلغ مداه • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم • بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته
عداوة الشيطان • مغفرة • عظيمة • واجر كبير • لا غاية لهما • افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • الخ تقرير
لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء
لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك
فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلا
لة ما سبق عليه وقوله تعالى • فان الله يضل • الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه
تعالى يضل • من يشاء • ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين
ويهدي من يشاء • ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه
من نهيه عم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا
اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان
استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه
حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر

من قوله تعالى • فان الله يضل من يشاء • الخ على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم
من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى • حسرات • اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات
والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عم على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر
وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق
بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى • ان الله عليم بما يصنعون
اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها
نزلت في ابي جهل ومشركي مكة • والله الذي ارسل الرياح • مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضا
رع في قوله تعالى • فتثير سحابا • لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة
والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة • فسقناه
الى بلد ميت • وقرئ بالتخفيف • فاحيينا به الارض • اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلا
زما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب • بعد موتها • اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة
الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد
الصنع وتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى • كذلك النشور • في
كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه
احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول
دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق • من كان
يريد العزة • هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام
الارادة واستمرارها • فلله العزة جميعا • اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها
منه لا من غيره فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله
تعالى • اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه • بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح و
صعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن
كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي
به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن
في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى
او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه
عم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك ~~خرج به الملك~~ ال

السماء فيحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضه ما من عبد مسلم يقول خمس
كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن
فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل
اليه يصعد الكلم الطيب آه . والذين يمكرون السيئات . بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان
حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عم في دار الندوة
وتداورهم الرأي في احدى الثلث التي هي الاثبات والقتل والاخراج . لهم . بسبب مكراتهم . عذاب
شديد . لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون . ومكر اولئك . وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال
تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم
في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عم . هو يبور . اي هو
يهلك ويفسد خاصة مكرا به ولقد ابارهم الله بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في
قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في حقه عم بواحدة منهن . والله خلقكم من تراب . دليل آخر على
صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عم خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا . ثم من نطفة . اي
ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا . ثم جعلكم ازواجا . اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا
لبعض . وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه . الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته . وما يعمر من معمر . اي من احد وانما
سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد . ولا ينقص من عمره . اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا
ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل
الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار عم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص
ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان
وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم . الا في كتاب .
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان . ان ذلك . اي
ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام . على الله يسير . لاستغنائه عن الاسباب
فكذلك البعث . وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج . مثل ضرب للمؤ
من والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق
بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى . ومن كل . اي من كل واحد منهما . تأكلون
لحما طريا وتستخرجون . اي من المالح خاصة . حلية تلبسونها . اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من
النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث
انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته
لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصة

العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكمالها اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على
الكافر بخلوه من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية
اللؤلؤ والمرجان . وترى الفلك فيه . اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما يلحق لان
الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط . مواخر . شواق للماء بجريها مقبلة
ومدبرة بريح واحدة . لتبتغوا من فضله . من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز
تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله . ولعلكم تشكرون . اي ولتشكروا على
ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى . يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل . بزيادة احدهما
ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر . وسخر الشمس والقمر . عطف على يولج واختلافهما
صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد
والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى . كل يجري . اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات
اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا . لاجل مسمى . قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم
القيمة كما روي عن الحسن رضي الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى
عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان . ذلكم . اشارة
الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتداء وما بعده اخبار
مترادفة اي ذلك العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة . الله ربكم له الملك . وفيه من الدلالة
على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتداء
في مقابلة قوله تعالى . والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية
والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في الحقارة والقلة
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم . استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد
وليس من شأنه السماع . ولو سمعوا . على الفرض والتقدير . ما استجابوا لكم . لعجزهم عن الافعال بالمرة لا
لما قيل من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا . ويوم القيمة
يكفرون بشرككم . اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون . ولا ينبئك
مثل خبير . اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير خبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر
المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية . يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله . في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم
لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم
بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا . والله هو الغني الحميد . اي المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد . ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . ليسوا على صفتكم بل

مستمرون على الطاعة او بعالم اخر غير ما تعرفونه • وما ذلك • اى ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان
باخرين • على الله بعزيز • بمتعذر او متعسر • ولا تزر وازرة • اى لا تحمل نفس اثمة • وزر اخرى • اثم
نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما في قوله تع وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل
المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها
من اوزار غيرهم شئ • وان تدع مثقلة • اى نفس اثقلها الاوزار • الى حملها • ليحمل بعض اوزارها • لا يحمل
منه شئ • لم تجب بحمل شئ منه • ولو كان • اى المدعو المفهوم من الدعوة • ذا قربى • من الداعى وقرئ
ذو قربى وهذا نفى للحمل اختيارا والاول نفى له اجبارا • انما تنذر • استيناف مسوق لبيان من يتعظ
بما ذكر اى انما تنذر بهذه الانذارات • الذين يخشون ربهم بالغيب • اى يخشونه تع غائبين عن عذابه
او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم • واقاموا الصلوة • اى راعوها كما ينبغى
وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اى انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم
من اهل التمرد والعناد • ومن تزكى • اى تطهر من ادناس الاوزار والمعاصى بالتاثر من هذه الانذارات
فانما يتزكى لنفسه • لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما
يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من معظم مبادى التزكى • والى الله المصير
لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيتهم احسن الجزاء • وما يستوى الاعمى والبصير • اى الكافر
والمؤمن • ولا الظلمات ولا النور • اى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل
واتحاد الحق • ولا الظل ولا الحرور • اى ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين
لتذكير نفى الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما
يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا • وما يستوى الاحياء والاموات • تمثيل آخر للمؤمنين او الكافرين ابلغ
من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل
تمثيل للعلماء والجهلة • ان الله يسمع من يشاء • ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته • وما
انت بمسمع من في القبور • ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عم من ايمانهم
ان انت الا نذير • ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في
المطبوع على قلوبهم • انا ارسلناك بالحق • اى محققين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق
ويجوز ان يتعلق بقوله • بشيرا ونذيرا • اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق • وان من
امة • اى من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية • الا خلا • اى مضى • فيها نذير • من نبى
او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترن به آنفا
ولان الانذار هو الانسب بالمقام • وان يكذبوك • اى تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم
فقد كذب الذين من قبلهم • من الامم العاتية • جاءتهم رسلهم بالبينات • اى المعجزات الظاهرة الدالة على
نبوتهم • وبالزبر • كصحف ابرهيم • وبالكتاب المنير • كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل

دون

دون الجمع ويجوز ان يراد بها واحد والعطف لتغاير العنوانين • ثم اخذت الذين كفروا • وضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ • فكيف كان نكير • اى انكارى بالعقوبة وفيه
مزيد تشديد وتهويل لها • الم تر • استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان
الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اى الم
تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به • بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه
من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة • ثمرات مختلفا الوانها • اى اجناسها او اصنافها
على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها واشكالها والوانها من الصفرة والخضرة والحمرة
وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تع • ومن الجبال جدد • اى ذو جدد اى خطط وطرائق ويقال
جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
بيض وحمر مختلف الوانها • بالشدة والضعف • وغرابيب سود • عطف على بيض او على جدد كانه
قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده
فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقانى للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره
في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار
باعتبار الاضمار والاظهار • ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه • اى ومنهم بعض مختلف
الوانه او وبعضهم مختلف الوانه على ما مر في قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين
الاسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الاحوال
الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه
بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما
كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريرى المبنى على الحمل والترغيب فيها بخلاف
احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية
فتدبر وقوله تع • كذلك • مصدر تشبيهى لقوله تع مختلف اى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف
اختلافا كائنا كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف هربا
لغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تع • انما يخشى الله من عباده العلماء • تكملة لقوله تع انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين
مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح
توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اى انما يخشاه تع بالغيب العالمون به عز وجل
وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشى والعالم بشؤونه عز
كان اعلم به تع كان اخشى منه تع كما قال عم انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان

المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية
مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا • ان الله عزيز غفور • تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه
معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه • ان الذين يتلون كتاب الله • اى يداومون
على قرائته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن وقيل جنس
كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك
فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سياتى من توفية
الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف
لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض
لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في
تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروع
ليس الا احكامها لكن لا من حيث انه حكمها بل القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية والاستتباع الا
جر بالمرة فتدبر • واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية • كيفما اتفق من غير قصد
اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة • يرجون تجارة • تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان وقوله تعالى • لن تبور • اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جئ بها للدلالة
على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار
برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى • ليوفيهم اجورهم • متعلق
بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم • ويزيدهم
من فضله • على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عدا من امثالهم المرضية اى فعلوا
ذلك ليوفيهم اجورهم وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة • انه غفور شكور • تعليل لما قبله
من التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى يجازيهم عليها وقيل هو خبر ان
الذين ويرجون حال من واو انفقوا • والذى اوحينا اليك من الكتاب • وهو القرآن ومن
للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء • هو الحق مصدقا لما بين يديه
اى احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في
العقائد واصول الاحكام • ان الله بعباده لخبير بصير • محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان
في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب و
تقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية • ثم اورثنا الكتاب • اى قضينا بتو
ريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثنه من الامم السالفة اى اخر
ناه عنهم واعطيناه • الذين اصطفينا من عبادنا • وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم
ممن يسير سيرتهم والامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا

شهداء

شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلوة وليس من ضرورة
وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية • فمنهم
ظالم لنفسه • بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لامر الله • ومنهم مقتصد • يعمل به في اغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السيء • ومنهم سابق بالخيرات باذن الله • وقيل هم السابقون الاولون من المها
جرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله
اى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة مناط هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل و
المقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيء والسا
بق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سياته مكفرة وهو معنى قوله عم اما الذين سبقوا فاولئك يد
خلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا
انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى ان عمر رضي عنه قال و
هو على المنبر قال رسول الله صلى الله عم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له • ذلك
اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد
منزلته في الشرف • هو الفضل الكبير • من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى • جنات عدن ي
اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتداء خبره • يدخلونها • وعلى الاول
هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر و
السكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا في ادراكهما
والسابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على
البناء للمفعول • يحلون فيها • خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية
من اساور • هي جمع اسورة جمع سوار • من ذهب • من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اى يحلون بعض
اساور من ذهب كانه افضل من سائر افرادها • ولؤلؤا • بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ
بالجر عطفا على ذهب اى من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ • ولباسهم
فيها حرير • وتغيير الاسلوب قد مر تفسيره في سورة الحج • وقالوا • اى يقولون وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق • الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن • وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن
عباس رض حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم
المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن
وعن رسول الله صلى الله عم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم
وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن • ان ربنا لغفور • اى للمذنبين • شكور • للمطيعين • الذى احلنا دار المقامة
اى دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا • من فضله • من انعامه وتفضله من غير ان اوجبه شيء علينا

لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة
والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول لتكرير الفعل
المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم
بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا نجزي احدا ادنى منه وقرئ يجزى
على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والا
صطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة بجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل بالصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوا من غير
الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والان
تبين خلافه وقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للا
نكار والنفي والواو للعطف على معنى يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤ
خركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر وقيل هو اربعون سنة
وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنهم وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن
آدم ع م قال ع م اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف
على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في
معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل
الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في
قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى
فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ
بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه
عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون
كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والا
ول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما
بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية و
غمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم
الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه
الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار الاخرة الذي بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير و

لتشكروه

ليس

وخسار

البينة

والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة
قل تبكيتا لهم ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم
جعلوهم شركاء الله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه و
يأباه سباق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كانه قيل اخبر
وني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع
الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا
ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية
ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات
وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للا
خلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان
الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما
كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما
من احد من بعده اي من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الا
ولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تو
جبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال الله تعالى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا
رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول
لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الا
مم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام
ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او
مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا السيء وقرئ بسكون الهمزة
في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة وقرئ مكرا سيئا حقيقة ولا يحيق المكر السيء
الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله
تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين
الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبا
رة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما قبله من جريان سنة الله تعالى على الغير

المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار ديار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • وكانوا اشد منهم قوة • واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى • وما كان الله ليعجزه من شيء • اي ليسبقه ويفوته • في السموات ولا في الارض • اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استيصال الامم السالفة • وقوله تعالى • انه كان عليما قديرا • اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك • ولو يؤاخذ الله الناس جميعا • بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك • ما ترك على ظهرها • اي على ظهر الارض • من دابة • من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضده الاول قوله تعالى • ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى • وهو يوم القيمة • فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا • فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يس • ان مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اي هذا يسين او اقرأ يسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث واين جما يشهد بذلك قراءة يسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه يا انسان في لغة طي وقالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله • والقرآن • بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم • الحكيم • اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان • انك لمن المرسلين • جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما

اشير

اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلام من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق مضمون الجملة القسمية وتقويته بثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى • على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرائع • تنزيل العزيز الرحيم • نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهار الفخامة الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استيناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية • لتنذر • متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه المرسلين اي انك مرسل لتنذر • قوما ما انذر آباؤهم • اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم • فهم غافلون • على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى • لقد حق القول على اكثرهم • جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالقول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين بلغ غرضهم بانهم انما هو لكونهم

من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم
على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تع فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تع انا
جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم
فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق
او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة للتمثيل
وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم
بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين
هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبو
سين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما
كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني
مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عم يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو
يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى
قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تع بصره وسواء عليهم ءانذر
تهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم
وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تع لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من
اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من
يتأثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او بالوعظ
ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال
من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق
به قوله تع نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة
واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا
نحن نحي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم
وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما
قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او
كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطير وغير ذلك من وجوه
البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد و
غير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد
ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء

قوله حم

كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو
اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في
تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تع ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط
واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تع وضربنا لكم الا
مثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل
اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على
ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى
الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان
له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عم الى اهلها
ونسبة ارسالهم اليه تع في قوله تع اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تع لتكميل التمثيل و
تتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في
الرسالة فعززنا اي قويناهما يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه و
قهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون
فقالوا اي جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث
لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا
شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي
المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي
على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك
فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل متنكرا و
عاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فآنس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين
فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا
الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال
وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تع حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين
فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى
يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت
آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما
انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك
من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم

يؤمن صاح عليهم جبرائيل عم فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه
تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن الا حبيب ولو ان
الملك وقومه من حواشيه آمنوا لكان الظاهر والرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كالنجار
الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على
خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار. قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا
من طبقين للثلثة. ما انتم الا بشر مثلنا. من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع
بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا. وما انزل الرحمن من شيء. مما تدعونه من الوحي والرسالة
ان انتم الا تكذبون. في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم. انا اليكم لمرسلون. استشهدوا بعلم الله تع وهو
يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تع وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من
شدة الانكار. وما علينا. اي من جهة ربنا. الا البلاغ المبين. اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا
بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء
نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقوا
نا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم. تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة
حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا
يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه
من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه
حبس عنهم القطر فقالوا ذلك. لئن لم تنتهوا. اي عن مقالتكم هذه. لنرجمنكم. بالحجارة. وليمسنكم
منا عذاب اليم. لا يقادر قدره. قالوا طائركم. اي سبب شؤمكم. معكم. لا من قبلنا وهو سوء
عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم. ائن ذكرتم. اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان
بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ
بل انتم قوم مسرفون. اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اي
ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان
ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به. وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى. هو حبيب
النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع
الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عم احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تع
فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه. قال. استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال. يا قوم اتبعوا المرسلين. تعرض لعنوان رسالتهم
حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله

اتبعوا

وعن الزاق اسم كما سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا
واما ذكرا في قوله تع فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تع وكتبه المنزلة على
الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله
فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في
الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف
معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزا
جرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء الصافات انفسها
في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات ايات الله تع الدارسات
شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحرب كانهم بنيان مرصوص او طوا
ئف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات ايات الله تع و
ذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتيب الصفات في الفضل او ترتب مو
صوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
ثم فالآئب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة و
الغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تع والطير صافات والزاجرات
كل من ينزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام
التاء في الصاد والزاء والذال. ان الهكم لواحد. جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما
هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تع. رب السموات و
الارض وما بينهما ورب المشارق. فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود
الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب
خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها
الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها
كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب كل يوم
في مغرب منها واما قوله تع رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما. انا
زينا السماء الدنيا. اي القربى منكم. بزينة. عجيبة بديعة. الكواكب. بالجر بدل من زينة على ان المراد بها
الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالا
ضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة
الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروي عن ابن عباس رض بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير
كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى
تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين فقرئ

الصيف فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلالئة في سطح سماء
الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر
في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك • وحفظا • منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل
انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا • من كل شيطان مارد • اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما
باضمار فعله او بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله
تع ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تع • لا يسمعون الى الملاء الاعلى •
كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في
اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى و
لا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعون فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني
فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه
التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملاء الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون
بالتخفيف • ويقذفون • يرمون • من كل جانب • من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها
دحورا • علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد لانهما من واد
واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول
والولوع • ولهم عذاب واصب • اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب
شديد دائم غير منقطع كقوله تع واعتدنا لهم عذاب السعير • الا من خطف الخطفة • استثناء من واو يسمعون
ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة
وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف • فاتبعه
شهاب • اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء • ثاقب • مضيء في الغاية
كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم
قالوا وانما يعودون ليسلم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة • فاستفتهم • فاستخبر
مشركي مكة • اهم اشد خلقا • اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا • ام من خلقنا •
من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء
على غيرهم ويؤيده اطلاقه ومجيئه بعد ذلك كلمة ما قراءة من قرا ام من عددنا وقوله تع انا خلقناهم من طين
لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد
ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب • بل عجبت •
اي من قدرة الله تع على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث • ويسخرون • من تعجبك وتقريرك

للبعث

للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم
يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افاعيله وسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تع اما
على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل
انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت • واذا ذكروا • اي ودابهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء لا
يذكرون • لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم و
اذا راوا آية • اي معجزة تدل على صدق القائل به • يستسخرون • يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها • وقالوا ان هذا • اي ما يرونه من الآية الباهرة
الا سحر مبين • ظاهر سحريته • ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما • اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما
وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تع • ائنا
لمبعوثون • اي نبعث لا نفسه لانخرامه ولان دونه خطوبا لو تفرد واحد منها كفى في المنع وتقديم الظرف
لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ائنا للمبالغة
والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر
النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تع افلا تعقلون على راي الجمهور فان
المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح
الثانية فقط • اوآباؤنا الاولون • رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا
مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية
مجرى حرف النفي في قوله تع ما اشركنا ولا آباؤنا واياما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم
فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ اوآباؤنا • قل • تبكيتا لهم • نعم • والخطاب في قوله تع • وانتم داخرون •
لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم
صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه • فانما هي زجرة واحدة • هي اما ضمير مبهم يفسره
خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي اه او لا
تستصعبوه فانما هي اه والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية • فاذا
هم • قائمون من مراقدهم احياء • ينظرون • يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم • وقالوا •
اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر • يا ويلنا • اي هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك
وقوله تع • هذا يوم الدين • تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا
وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا
البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تع • هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون • كلام الملائكة جوابا لهم بطريق
التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق
الهدى والضلال وقوله تع • احشروا الذين ظلموا • خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض

يحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم • وازواجهم • اى اشباههم و
نظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله
تع وكنتم ازواجا ثلثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على دينهم • وما كانوا يعبدون
من دون الله • من الاصنام ونحوها زيادة فى تحسرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تع ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جئ به لتعليل
الحكم بما فى حيز الصلة فلا عموم ولا تخصيص • فاهدوهم الى صراط الجحيم • اى عرفوهم طريقها ووجهوهم
اليها وفيه تهكم بهم • وقفوهم • احبسوهم فى الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشر
هم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تع • انهم مسؤلون • ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم
ولا ليستريحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد
وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل • ما لكم لا تناصرون • بطريق التوبيخ
والتقريع والتهكم اى لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك
الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتو
بيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون بالادغام • بل هم اليوم مستسلمون • منقا
دون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز
فكلهم مستسلم غير منتصر • واقبل بعضهم على بعض • هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرنا
ء • يتساءلون • يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال • قالوا • استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اى الاتباع للرؤساء او الكل للقر
ناء • انكم كنتم تأتوننا • فى الدنيا • عن اليمين • عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير
كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اشرف الجانبين
واقواهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغى وهو
الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق • قالوا • استئناف كما سبق اى قال الرؤ
ساء او القرناء • بل لم تكونوا مؤمنين • اى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه
مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه • وما كان لنا عليكم من سلطان • من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم
بل كنتم قوما طاغين • مختارين للطغيان مصرين عليه • فحق علينا • اى لزمنا او ثبت علينا • قول
ربنا • وقوله تع مصرين عليه فحق ومن تبعك منهم اجمعين • انا لذائقون • اى العذاب الذى ورد
به الوعيد • فاغويناكم • فدعوناكم الى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغى
على الرشد • انا كنا غاوين • فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا
امثالنا فى الغواية • فانهم • اى الاتباع والمتبوعين • يومئذ فى العذاب مشتركون • حسبما كانوا مشتر
كين فى الغواية • انا كذلك • اى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية • نفعل بالمجر

مين • المتناهين فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تع • انهم كانوا اذا قيل لهم
بطريق الدعوة والتلقين • لا اله الا الله يستكبرون • عن القبول • ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون • بل جاء بالحق وصدق المرسلين • رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد
هو الحق الذى قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة
• انكم • بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عم والاستكبار • لذائقوا العذاب الاليم • والالتفات لاظهار
كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله تع ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ
لذائقون العذاب على الاصل • وما تجزون الا ما كنتم تعملون • اى الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات
او الا بما كنتم تعملونه منها • الا عباد الله المخلصين • استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جئ
به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله
استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم
يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون
لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحد
ين ليسوا كذلك وقوله تع • اولئك • اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الا
خلاص فى عبادته تع عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمين بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله
تع • لهم • اما خبر له وقوله تع • رزق • مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم
والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا تبيينا تفصيليا وقيل هى
خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ وقوله تع • معلوم • اى معلوم الخصائص من حسن
المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تع ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وقوله تع • فواكه • اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها
بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اى ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت
لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذ
كرها مغن عن ذكرها • وهم مكرمون • عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها
باولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن ارزاق الدنيا وقرئ
مكرمون بالتشديد • فى جنات النعيم • اى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فى
مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تع • على سرر • محتمل للحالين والخبرية فقوله تع • متقابلين • حال
من المستكن فيه او فى مكرمون وقوله تع • يطاف عليهم • اما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكا
مل مجالس انسهم او حال من الضمير فى متقابلين او فى احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون • بكأس
باناء فيه خمر او بخمر فان الكأس تطلق على نفس الخمر كما فى قوله من قال وكأس شربت على لذة واخرى تداويت

شرابها. من معين. متعلق بمحذوف هو صفة لكاس اى كائنة من شراب معين او من نهر معين وهو
الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر
وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر. بيضاء لذة للشاربين.
صفتان ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ و
وزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد به النوم. لا فيها غول
اى غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول. ولا هم عنها ينزفون. يسكرون
من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله
افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه و
المعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم ولا هم يسكرون
وقرئ ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف
ينزف بضم الزاء فيهما. وعندهم قاصرات الطرف. قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى
غيرهم. عين. نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين. كانهن بيض مكنون. شبههن ببيض
النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن
الوان الابدان. فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون. معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون على
الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم
على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة
الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما. قال قائل منهم. في تضاعيف محاوراتهم. انى
كان لي. في الدنيا. قرين. مصاحب. يقول. لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان و
التصديق بالبعث. ائنك لمن المصدقين. اى بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
والاول هو الاوفق لقوله تعالى. ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون. اى لمبعوثون ومجز
يون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه و
قيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت
به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال ائنك من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب
الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما لتأكيد انكار
الجزاء المبني على انكار البعث. قال. اى ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا. هل انتم
مطلعون. اى الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو
الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظرون منها اهلها الى اهل النار. فاطلع. اى عليهم
فرآه. اى قرينه. في سواء الجحيم. اى في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ

مطلعون

مطلعون فاطلع وقرئ مطلعون بالتخفيف فاطلع على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان
واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع
فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه
اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ
مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي. قال. اى القائل مخاطبا
لقرينه. تالله ان كدت لتردين. اى لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان
هي المخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اى تالله ان الشأن
كدت لتردين. ولولا نعمة ربي. بالهداية والعصمة. لكنت من المحضرين. اى من الذين احضروا
العذاب كما احضرته انت واضرابك. وقوله تعالى. افما نحن بميتين. رجوع الى محاورة جلسائه بعد
اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم و
الهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين. الا موتتنا الاولى. التي كانت في الدنيا
وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على
صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمون
فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها. وما نحن بمعذبين. كالكفار فان النجاة من العذاب
ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها. ان هذا. اى الامر العظيم الذي نحن فيه. لهو الفوز العظيم
وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه
من السعادة العظمى. لمثل هذا فليعمل العاملون. اى لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العا
ملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون
من كلام رب العزة. اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم. اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل
من الشيء فانتصابه على التمييز اى اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا
ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر
للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم
شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون
في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة. انا جعلناها فتنة للظالمين. محنة وعذابا لهم في الآخرة و
ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان
من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق

انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل تقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملأوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شئ يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس وبيان حسن عاقبة بعضهم الذين

اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة رضي الله عنه الناس كلهم من ذرية نوح وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثم قول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه في اصول الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اي من آفات القلوب او من العلائق اي خالصا لله تعالى او مخلصا على التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم اي اي شيء تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك

اولاد نوح عليه السلام

وباطل في شركهم ويجوز ان يكون مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله
دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين
فما ظنكم برب العالمين • اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشر
كتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به
اذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعدما فعلتم من الاشراك به • فنظر نظرة في النجوم • قيل كانت له عم حمى
لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني
سقيم وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم و
قيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عم ايهامهم حين ارادوا
ان يخرجوا به عم الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم
النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى
ليتفرقوا فهربوا منه الى معيدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تع • فتولوا عنه مدبرين • اي
هاربين مخافة العدوى • فراغ الى آلهتهم • اي ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام
استهزاء • الا تاكلون • اي من الطعام الذي كانوا يضعونه ليتبرك عليه • ما لكم لا تنطقون • اي بجوابي
فراغ عليهم • فمال مستعليا عليهم وقوله تع • ضربا باليمين • مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم
او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل
اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما و
قوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله • اذا ما راية رفعت لمجد •
تلقاها عرابة باليمين • اي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده و
قيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم • فاقبلوا اليه • اي المامورون باحضاره عم بعد
ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسالوا عن الفاعل فظنوا انه عم فعله فقيل
فاتوا به • يزفون • حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازفه اذا
دخل في الزفيف او من ازفه اي حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول
اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا
بعضا لتسارعوا اليه عم • قال • اي بعدما اتوا به عم وجرى بينه عم وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله
تع قالوا اانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • اتعبدون
ما تنحتون • ما تنحتونه من الاصنام وقوله تع • والله خلقكم • حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار
والتوبيخ اي والحال انه تع خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم بمادتها بخلقه تع وشكلها
وان كان بفعلهم لكنه باقداره تع اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والا
سباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضميرها ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل

ليس

ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على
عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان
مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان
بخلق الله تع كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك • قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التاجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم ذلك
البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء • فارادوا به كيدا • فانه عم لما قهرهم بالحجة والجمهم
الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم • فجعلناهم الاسفلين • الاذلين بابطال كيدهم
وجعله برهانا نيرا على علو شانه عم بجعل النار عليه بردا وسلاما • وقال اني ذاهب الى ربي اي
مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تع • سيهدين •
اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على
عادته تع معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى
بصيغة التوقع • رب هب لي من الصالحين • اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة و
يؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخ
في قوله تع ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله • فبشرناه بغلام حليم • فانه صريح في ان المبشر به
عين ما استوهبه عم ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما و
اي حلم يعادل حلمه عم حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من
الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم و
ابنه فانه تع نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفاء في قوله تع • فلما بلغ معه
السعي • فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح
به كالتي له التحقق والتاخر بعد البشارة كما مر في قوله تع فلما رايته واكبرنه وفي قوله تع فلما رآه مستقرا عنده
اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه
السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل
معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك
وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة • قال • اي ابراهيم عم • يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك • اي ارى هذه
الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمي يوم عرفة
ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال
اذن فهو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك هذا والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل اذ هو الذي
وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم انا ابن الذبيحين

فاحدهما هو اسمعيل عم والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تع
له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير
ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا
وما روى انه عم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق
ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه عم قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من
الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى بفتح الياء فيهما • فانظر ما
ذا ترى • من الرأى وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تع فيثبت قدمه
ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ
ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول • قال يا ابت افعل ما تؤمر • اى تؤمر به فحذف
الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل
او حذفا دفعة او فعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به
وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به • ستجدنى ان
شاء الله من الصابرين • على الذبح او على قضاء الله تع • فلما اسلما • اى استسلما لامر الله تع وانقادا
وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم
هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولا منه و
معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تع وعن قتادة في اسلما
اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه • وتله للجبين • صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى
الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله تع وكان ذلك
عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذى ينحر اليوم • وناديناه ان
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا • بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روى انه امر
السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع
النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق
البيان من استبشارهما وشكرهما الله تع على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق
لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك • انا كذلك
نجزى المحسنين • تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع
المأمور به فانه عم كان مأمورا بالذبح لقوله تع افعل ما تؤمر ولم يحصل • ان هذا لهو البلاء المبين •
الابتلاء المبين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شئ اصعب منها •
وفديناه بذبح • بما يذبح بدله فيتم به الفعل • عظيم • اى عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به

الله نبيا ابن نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رض انه الكبش الذى قربه
هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل عم وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير و
روى انه هرب من ابرهيم عم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقى سنة في الرمى وروى انه رمى
الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه جبرئيل عم الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح
لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى في الحقيقة هو ابرهيم و
انما قيل وفديناه لانه تع هو المعطى له والامر به على التجوز في الفداء او الاسناد • وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابرهيم • قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح • كذلك نجزى المحسنين • ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل
فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا • انه من
عبادنا المؤمنين • والراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمينان • وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين • اى مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى و
جود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به
لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد
اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تع فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلو
دهم وقت الدخول واسحق عم لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق
جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها
لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق • وباركنا عليه • على ابرهيم في اولاده • وعلى اسحق
بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهم بركات
الدين والدنيا وقرئ وبركنا • ومن ذريتهما محسن • في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة • وظالم
لنفسه • بالكفر والمعاصى • مبين • ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تاثير له في الهداية
والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب • ولقد مننا على موسى وهرون •
اى انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية • ونجيناهما وقومهما • وهم بنو اسرائيل
من الكرب العظيم • هو تملكه اى فرعون وتسلطه عليهم بالوان الظلم والعذاب كما في قوله تع و
اذ نجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة • ونصرناهم
اى اياهما وقومهما على عدوهم • فكانوا • بسبب ذلك • هم الغالبين • عليهم غلبة لا غاية وراءها
بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب • وهذه
التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن
التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض مقام الامتنان حسبما يظهره ان كل مرتبة
من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة على حيالها • وآتيناهما • بعد ذلك • الكتاب المستبين • اى البليغ
في البيان والتفصيل وهو التورية • وهديناهما • بذلك • الصراط المستقيم • الموصل الى الحق والصواب

قال

بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام • وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون
اى ابقينا فيهما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل • انا كذلك • الجزاء الكامل نجزي
المحسنين • الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه • انهما من عبادنا المؤمنين • سبق بيانه • وان
الياس لمن المرسلين • هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عم بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ
مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة • اذ قال لقومه الا تتقون • اى
عذاب الله تع • اتدعون بعلا • اتعبدون وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام و
هو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به و
عظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة
الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اى اتعبدون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين • اى وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم
صرح به بقوله تع • الله ربكم ورب ابائكم الاولين • بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع
على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تع لآبائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تع والاشعار ببطلان
اراء ابائهم ايضا • فكذبوه فانهم • بسبب تكذيبهم ذلك • لمحضرون • اى العذاب والاطلاق
للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا • الا عباد الله المخلصين •
استثناء من ضمير محضرون • وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين • هو لغة في الياس كسيناء و
سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب
تعريفه كالمثالين وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين • مر تفسيره • وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه •
اى اذكر وقت تنجيتنا اياه • واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين • اى الباقين في العذاب او الماضين
الهالكين • ثم دمرنا الآخرين • فان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين • وانكم
يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم
في طريق الشام • مصبحين • داخلين في الصباح • وبالليل • اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت
بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء • افلا تعقلون • اتشاهدون ذلك فلا تعقلون
حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم • وان يونس لمن المرسلين • وقرئ بكسر النون • اذ ابق •
اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه • الى الفلك
المشحون • اى المملوء • فساهم • فقارع اهله • فكان من المدحضين • فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق
عن مقام الظفر روى انه عم لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تع به فركب
السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في
الماء • فالتقمه الحوت • فابتلعه من اللقمة • وهو مليم • داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه

وقرئ

وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب • فلولا انه كان من المسبحين • الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة
عمره او في بطن الحوت وهو قوله تع • لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين • وقيل من المصلين
فانه عم كان كثير الصلوة في الرخاء • للبث في بطنه الى يوم يبعثون • حيا وقيل ميتا وفيه حث
على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء • فنبذناه بالعراء • بان
حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت وروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا
وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون
وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روى انه حين
ابتلعه اوحى الله تع الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما • وهو سقيم • مما ناله قيل صار بدنه
كبدن الطفل حين يولد • وانبتنا عليه • اى فوقه مظلة عليه • شجرة من يقطين • وهو كل ما ينبسط على الارض
ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون
على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله
عم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر
على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها • وارسلناه الى مائة الف •
هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق
ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عم الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير
سببه وهو ما جرى بينه عم وبين قومه من انذاره اياهم من عذاب الله تع وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم
وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن
عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال آخر
اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر • او يزيدون • اى في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف
او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو • فآمنوا • اى بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب
ايمانا خالصا • فمتعناهم • اى بالحيوة الدنيا • الى حين • قدره الله تع لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة و
قصة لوط بما ختم به سائر القصص لتفرقتهما وبين ارباب الشرائع واولى العزم من الرسل اكتفاء بالتسليم
الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة • فاستفتهم • امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى
الله عم بتبكيت قريش وابطال مذاهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة
الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما يلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين
وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تع ارسل اليهم منذرين على وجه الا
جمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباد الله تع واصفا
لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر

خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزايغ حيث كانوا يقولون
كبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله تعالى والفاء لترتيب الامر على
ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد
التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم بتبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملا
ئكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن
ذلك علوا كبيرا ولم ينظم في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم الربك البنات اللا
ئي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل و
قوله تعالى • ام خلقنا الملائكة اناثا • اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا
كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل
الطبايع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم
كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه
الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان
يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا
والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله استيناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان
ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم
لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتداء محذوف اي الملائكة ولده
تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى
البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة وهو اصطفا
ؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الا
ستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا عن ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في
قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول • افلا
تذكرون • بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون
ذلك افلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم
وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم
من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما
فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من
الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه
احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها

كيف

وقوله

وقوله تعالى • وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب
وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكي جناياتهم للآخرين والمراد بالجنة
الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومنهم من ظهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم
فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملا
ئكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى • ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون • اي و
بالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار
معذبون بها لكذبهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم
تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما
مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم
وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الا
قاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله
فقال ابو بكر الصديق فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة
نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان
يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم ولو كا
نوا مناسبين له تعالى او شركاء له في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول قوله • سبحان الله عما
يصفون • حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول
معطوف على علمت وقوله تعالى • الا عباد الله المخلصين • شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى
بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه وآكده على انه استثناء منقطع من
واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله
عما يصفون به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم و
الالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين
الذين اغووهم وفيه ايذان بتبريهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية و
انتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي
افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم
الا من هو صال الجحيم • منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار
لا محالة واما المخلصون منهم فانهم بمعزل من افسادكم واضلالكم فهم لا جرم براء من ان يفتتنوا بكم
ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط

واو لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في مو
قف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه
واظهار لقصور شانهم وقمائتهم اى وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر
الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته
وتواضعا لجلاله كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما في السموات
موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح وروى انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذى
نفسى بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدى الا له مقام في
القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون
لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التاكيد لابراز صدوره عنهم بكمال
الرغبة والنشاط هذا هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها
وجوه اخر فتامل والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان
محذوف واللام هى الفارقة اى ان الشان كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اى كتابا
من كتب الاولين من التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اى لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خا
لفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى فكفروا
به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فجاءهم ذكر واى ذكر سيد الاذكار وكتاب
مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اى عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه
اى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا
وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم
في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب
من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ
على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ
كلمتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال
وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر
والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور
وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا
متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم
فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل

اى

١

اى نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح
مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح
سموها صباحا وان وقعت ليلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين
الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله
اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين
عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط
به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما
يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر
في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السا
بقة للانبياء في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية
والتكميل والمالكية الكلية مع اضافته الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من
هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التى
منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم
السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون
بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة
الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التى
من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم
وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى والاشعار بان ما وعده عليه السلام من
النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم
وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المر
سلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم
من جملة نعمه الموجبة للحمد عن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العا
لمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطا
ن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمر
سلين

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر
والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم كما مر في فا
تحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرا صاد بالتنوين

علم

تسبيحه

على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التحدي او الرمز الى الكلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدء محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة قالوا وفي قوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والشهرة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والثاني والخامس محذوف وهو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا او كون المامور به واجبا او كون المقسم به حقيقا بالاعظام اي بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة ان ن والقرآن اه على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا لان قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضراب عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لثبوت ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ورسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا اه وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا اعند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى • ولات حين مناص • حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى ناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا

حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج ولان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعاقبة وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا عبرة به فان خط المصحف خارج عن القياس • وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولون الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال • اجعل الالهة الها واحدا • بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الاثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس

التقاول لا آيه عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثر
ولادتها ومنه الماشية للتفؤل اى اجتمعوا واكثروا او قرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ
يمشون انه اصبروا ان هذا الشئ يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اى هذا الذى شاهدنا
ه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفى آلهتنا وابطال امرنا لشئ يراد اى من جهته عم امضاؤه
وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان وامر يرجى فيه
المساعة بشفاعة وامتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رايه بوساطة ابى طالب وشفاعته و
حسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه فى حقها من القدح
وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشئ يريده الله تعالى وحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له
ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشئ من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه و
قيل ان دينكم لشئ يراد اى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذى يدعيه من التقدم
حيدا وبقصد من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى ويريده كل احد فتامل فى هذه الا
قاويل واختر منها ما يناسب عده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذى يقوله فى الملة الآخرة اى
الملة النصرانية التى هى آخر ملل فانهم مثلثة او فى الملة التى ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان
يكون الجار والمجرور حالا من هذا اى ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب والكهان كائنا فى الملة المترقبة
ولقد كذبوا بذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان
هذا اى ما هذا الا اختلاق اى كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر اى القرآن من بيننا ونحن رؤسا
الناس واشرافهم كقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه
ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على
ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوى بل هم فى شك من ذكرى اى من القرآن
او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر فى الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس فى عقيدتهم
ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب
اى بل لم يذوقوا بعد عذابى فاذا ذاقوا تبين لهم حقيقة الحال وفى لما دلالة على ان ذوقهم على شرف
الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابى الموعود فى القرآن
ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون
حسبما يشاؤن حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة
بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده
المصطفين لا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغالب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء
وفى اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عم من تشريفه واللطف به ما لا
يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اى بل الهم ملك هذه

القوائم العلوية والسفلية حتى يتكلموا فى الامور الربانية ويتحكموا فى التدابير الالهية التى يستأثر
بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ما ذكر
من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
امر العالم وينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب
فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقوله تعالى
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور
عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا
ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك
القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الخ استيناف مقرر لمضمون
ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم
من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده
فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم
عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالو
تد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها او
تادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد فى الارض ويرسل عليه العقارب والحيات
وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة
من قوم شعيب عم وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب
بدل من الم على احد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم و
قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل استيناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما
يعقبه اى ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب
واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسله على نهج
مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام فى خبر المبتدا اى ما كل احد منهم محكوما عليه
بحكم الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل
وفى اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب
على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة
مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اى ثبت ووقع
على كل منهم عقابى الذى كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما
مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اى ان كل منهم الخ والجملة استيناف مقرر لما
قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر

وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد
منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد او قوله تعالى قوم لوط فمما
يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله • وما ينظر هؤلاء • شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب
اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار
السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله
اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله تعالى فليس في حيز الاحتمال
اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله
نتايجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم امر
منتظر وانما الذي في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظايم الجرايم الموجبة لاشد العقوبات
مثل ما ارتكب الاحزاب واشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوايلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين
هم امثال اولئك الطوايف المهلكة في الكفر والتكذيب • الا صيحة واحدة • هي النفخة الثانية لا بمعنى
ان عقابهم نفسها بل بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى
انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذ
يبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج السنة الالهية المبنية على الحكم البا
هرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا وجه له
اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود
واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم • ما لها من فواق • اي من
توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان • وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا قبل يوم الحساب • حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا بطريق الا
ستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه
الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة
من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد
الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور
للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال • اصبر على ما يقولون • من امثال هذه
المقالات الباطلة • واذكر عبدنا داود • اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على
كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظايم النعم والكرامات لما الم بصغيرة
نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما
يحكى عن بكائه الدائم وغمه الواصب ونوحه الدائم فما ظنك بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المصرين
منكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي او تذكر قصته عليه السلام وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم

وتحمل

وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة • ذا الايد • اي ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد
بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به • انه اواب • رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الا
يد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
• انا سخرنا الجبال معه • استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة
بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق
تفويض التصرف الكلي فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به
في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعده وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء • يسبحن • اي
يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه
من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او
استيناف مبين لكيفية التسخير • بالعشي والاشراق • اي وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن
ام هانئ رضي الله عنها انه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى
الا بهذه الآية • والطير • عطف على الجبال • محشورة • حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشو
رة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ
والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية • كل له اواب • استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم
منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب
موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما
لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل
الضمير لله عز وجل اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح • وشددنا ملكه • قوي
ناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف
مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى
عليه فتأخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني
قتلت اباه هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت
هيبته في القلوب • وآتيناه الحكمة • النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل
كل كلام وافق الحق فهو حكمة • وفصل الخطاب • اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام
الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف
والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق
تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء
في نعت كلام النبي صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر • وهل اتاك نبأ الخصم • استفهام معناه التعجيب والتشويق الى

استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم
في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان . اذ تسوروا
المحراب اي تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد
به الواقع في عهد داود عم وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم
لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عم لم يكن حينئذ وقوله تع . اذ دخلوا على
داود . بدل مما قبله او ظرف لتسوروا . ففزع منهم . روي انه تع بعث اليه ملكين في صورة انسا
نين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما
الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم
لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن
عباس رضي ان داود جزى زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة
نفسه ويوما للوعظ والتذكير . قالوا . استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عم كانه
قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقال قالوا ازالة لفزعه . لا تخف خصمان
اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما . بغى بعضنا على بعض . هو على الفرض وقصد
التعريض فلا كذب فيه . فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط . اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط
فلا تشطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق . واهدنا الى سواء الصراط .
اي وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل . ان هذا اخي
استئناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل
به صاحبه . له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة . هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة
والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ
ولي نعجة بسكون الياء . فقال اكفلنيها . اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت
يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي . وعزني في الخطاب . اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان
جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخا
طبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني
بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست . قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه . جواب قسم محذوف قصد به عم المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه
في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او
بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه
معنى الاضافة والضم . وان كثيرا من الخلطاء . اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم . ليبغي . اي

لا تجر في الحكومة

ليعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة . بعضهم
على بعض . غير مراع لحق الصحبة والشركة . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . منهم فانهم يتحامون
عن البغي والعدوان . وقليل ما هم . اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض
وظن داود انما فتناه . الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى
في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم
عم انه تع ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عم دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة
انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا
بل على تخصيص حاله عم بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا
باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى
مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة
ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره
في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الا
عطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به
فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة
هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى
الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطاب مع ما فيه من مراعاة
حرمته عم بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عم
الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عم على ان اوريا بصدد الخصام . فاستغفر ربه . اثر
ما علم ان ما صدر عنه ذنب . وخر راكعا . اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود
راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار . واناب . اي رجع الى الله تع بالتوبة واصل القصة
ان داود عم رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزو
جها وهي ام سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث
كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام
يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل
على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها
فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن
اوريا تزوجها بل كان خطبها داود عم فآثره عم اهلها فكان ذنبه عم ان خطب اخيه المسلم هذا و
اما ما يذكر من انه عم دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك

اذا جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها
فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا
وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا على
التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى على يده او يستشهد ففتح
الله تعالى على يديه وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء
وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع • وتنفر عنه الطباع • ويل
لمن ابتدعه واشاعه • وتبا لمن اخترعه واذاعه • ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله عليهم هذا وقد
قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما
فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله تعالى فاستغفر
ربه مما هم به فاناب • فغفرنا له ذلك • اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع
راسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولم يشرب ماء الا
ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى و
ثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه
فهزمه • وان له عندنا لزلفى • لقربة وكرامة بعد المغفرة • وحسن مآب • حسن مرجع في الجنة • يا
داود انا جعلناك خليفة في الارض • اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول
لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود اي استخلفناك
على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق و
فيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط • فاحكم بين الناس بالحق • بحكم الله تعالى
فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما • ولا تتبع الهوى • اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور
الدين والدنيا • فيضلك عن سبيل الله • بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على
النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها
على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى • ان الذين يضلون عن سبيل الله • تعليل لما قبله ببيان غا
ئلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه
لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفا
علية لما فيه من الاستقرار • بما نسوا • بسبب نسيانهم وقوله تعالى • يوم الحساب • اما مفعول لنسوا
فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه و
يستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه يستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف
لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكو

مفعول

مفعول سبيل الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان
ومن لم يتنبه لهذا السر قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة
الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما • وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا • كلام مستأنف
مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظم
البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل
منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل و
التمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب
منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل افاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد
بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل
دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة
وجزاء على حسب اعمالها • ذلك • اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا • ظن الذين كفروا • اي
مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان
خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا • فويل للذين كفروا • مبتدأ وخبر
والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى • من النار •
تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم
صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم
وكفرهم • ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض • ام منقطعة وما فيها من
بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن
الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ
وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم
البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا
منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين و
رد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى • ام نجعل المتقين كالفجار • اضراب وانتقال عن اثبات
ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما
هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤ
منين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار
وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤ
منين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت • كتاب • خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن

القرآن او السورة وقوله تع . انزلناه اليك . صفة وقوله تع . مبارك . خبر ثان للمبتدا او
صفة للكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال
من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله . ليدبروا آياته . متعلق
بانزلناه اى انزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين و
التشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الا
صل ولتدبروا على الخطاب اى انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين . وليتذكر اولوا الالباب .
اى وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته
لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل
للعقل اليه . ووهبنا لداود سليمان نعم العبد . وقرئ نعم العبد اى سليمان كما ينبئ عنه تأخيره على
داود عم مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله . انه اواب . اى رجاع الى الله تع بالتو
بة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور فى قوله تع . اذ عرض عليه .
راجع اليه عم قطعا واذ منصوب باذكر اى اذكر ما صدر عنه اذ عرض عنه . بالعشى . وهو من الظهر
الى آخر النهار . الصافنات . فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصا
فنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف
سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق الا فى العراب الخلص وقيل هو
الذى يجمع يديه ويسويهما واما الذى يقف على سنبكه فهو المتخيم . الجياد . جمع جواد وجواد و
هو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان
جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها
واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل هو جمع جيد روى انه عم غزا اهل دمشق ونصيبين
واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة
فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن
العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها
متقربا لله تع وبقى مائة فما فى ايدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا
منها وهى الريح تجرى بامره . فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى . قال عم عند غروب الشمس اعترافا بما
صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها
والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم
القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انيب
عدى تعديته وحب مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربى ووضعته موضعه والخير المال
الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عم ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عم الخير معقود بنواصى

الخيل اى يوم القيمة وقرئ انى . حتى توارت بالحجاب . متعلق بقوله تع احببت باعتبار استمرار المحبة
ودوامها حسب استمرار الغرض اى انبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك حتى توارت اى غربت
الشمس تشبيها لغروبها فى مغربها بتوارى المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى
عليها وقيل الضمير للصافنات اى حتى توارت بحجاب الليل اى بظلامها . ردوها على . من تمام
مقالة سليمان عم ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو
جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها فتأمل والفاء فى قوله تع .
فطفق مسحا . فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة
الامتثال بالامر فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا . بالسوق والاعناق . اى بسوقها واعنا
قها يقطعها من قولهم مسح علاوته اى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا
لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمها كما فى ادؤر وقرئ
بالسؤق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لامن
الالباس . ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب . اظهر ما قيل فى فتنته عم ما روى مرفوعا
انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تع ولم يقل
ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على
قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث
لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى
جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها
فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعاد
تهن فى ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له
الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تع باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطها
رة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكانت ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان
اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه
وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان
يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر
آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت
فى يد سليمان عم فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله
فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به

وهو جسم لا روح فيه لانه تمثيل لما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عم عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل
لم يكن محظورا ح والسجود للصورة بغير علم منه لا يضره • قال • بدل من اناب وتفسير له • رب اغفر
لي • اي ما صدر عني من الزلة • وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد • من بعدي • لا يتسهل له ولا يكون ليكون
معجزة لي مناسبة لحالي فانه عم لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة
لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمه كقولك لفلان ما ليس
لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة
وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تع وتقديم الاستغفار
على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الا
جابة وقرئ لي بفتح الياء • انك انت الوهاب • تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان
المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا • فسخرنا له الريح • اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد
امره عم الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح • تجري بامره • بيان لتسخيرها له • رخاء • اي لينة من الر
وه طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد • حيث اصاب • اي حيث قصد
واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب • والشياطين • عطف على الريح
كل بناء وغواص • بدل من الشياطين • وآخرين مقرنين في الاصفاد • عطف على كل بناء داخل
في حكم البدل كانه عم فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص
ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة
فلا ترى صلبة فيمكن تقييدهم ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد
عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم
عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تع
هذا • الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عم مبينة لعظم شأن ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفو
يضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود
عم اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم
يسلط عليه غيرك • عطاؤنا • الخ • فامنن او امسك • فاعط من شئت وامنع من شئت
بغير حساب • حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على
الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما
اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق
والتقييد • وان له عندنا لزلفى • في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا • وحسن مآب • هو
الجنة قيل فتن سليمان عم بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو
حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش

وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم
الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما
ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه عم مع
صاحبتها ما ذكره الله تع وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تع اعلم • واذكر عبدنا ايوب •
عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عم بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه و
بين داود عليهما السلام وايوب عم هو ابن عيص بن اسحق • اذ نادى ربه • بدل اشتمال من
عبدنا وايوب عطف بيان له • اني • باني • مسني الشيطان • بفتح الياء مني وقرئ باسكانها واسقا
طها • بنصب • اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل • وعذاب • اي الم
وصف يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله تع اني مسني الضر وهو
حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تع مسه بذلك
لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه
وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس
به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فا
لتجأ الى الله تع في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا
تمام دعائه عم بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى هاهنا عن ذكره بما في سورة الانبياء
كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هاهنا وقوله تع • اركض برجلك • الخ اما حكاية لما قيل له او
مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله
تع • هذا مغتسل بارد وشراب • فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او
مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له
هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة
للشرب وياباه ظاهر النظم الكريم وقوله تع • ووهبنا له اهله • معطوف على مقدر مترتب
على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في
سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد
تفرقهم كما قيل • ومثلهم معهم • عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل • رحمة
منا • اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا • وذكرى لاولي الالباب • ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما
صبر ويلجأوا الى الله تع فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة • وخذ بيدك
ضغثا • معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا
وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرايم بن

يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عم ذهبت لحاجة فابطأت فحلف
ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تع باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه وعن ابن عباس رضى الله تع عنه قبضة من الشجر وقال فاضرب به اى بذلك الضغث
ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن
خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها
قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل و
المال وليس في شكواه الى الله تع اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على
انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلى
بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان و
يروى انه عم قال في مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى
ماملكت يمينى ولم اكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله تع عنه
نعم العبد اى ايوب انه اواب تعليل لمدحه اى رجاع الى الله تع واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وقيل
بدل وقيل نصب باضمار اعنى والباقى عطف على عبدنا والاعلى ان عبدنا اسم جنس وضع مو
ضع الجمع اولى الايدى والابصار اولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولى الاعمال
الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعا
رف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على
تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولى الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة
وقرئ اولى الايادى على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبو
دية وعلو الرتبة في العلم والعمل اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما
ينبئ عنه التنكير التفخيمى وقوله تع ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اى تذكرهم للدار
الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح
افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في
الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من
قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ
باضافة خالصة الى ذكرى اى بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم
آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عم وقيل
ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار

وقيل

وقيل خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه و
اخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذى هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز
استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رأيت
الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف
وقيل هو على القرائتين علم اعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن — اللام
ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم
وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وكل اى وكلهم من الاخيار
المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اى شرف لهم و
ذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء و
عن ابن عباس رض هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تع وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان
اجرهم في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين — الجليل
اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى
التى هى الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا و
تنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تع جنات عدن التى وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح
وقوله تع مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل
والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأى البصر
يين اى الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين اذ الاصل ابوابها و
قرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اى هى جنات عدن هى مفتحة متكئين
فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تع يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف لبيان حالهم
فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطا
عمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات
الطرف اى على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لذات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت
او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا
ما توعدون ليوم الحساب اى لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق
ما قبله والالتفات اليوم لمقام الامتنان والتكريم ان هذا اى ما ذكر من الوان النعم والكرامات
لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا
ذكر وقوله تع وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه
كما سلف يصلونها اى يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من
من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تع لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه

حميم • اى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تع فاياى فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه
او هذا مبتداء خبره • حميم وغساق • وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتداء محذوف
اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل
الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت اهل المغرب
ولو قطرت قطرة فى المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تع و
قرئ بتخفيف السين • وآخر من شكله • اى ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب
فى الشدة والفظاعة وقرئ واخر اى ومذوقات اخر او انواع عذاب آخر وتوحيد ضمير شكله
بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق • ازواج • اى اجناس
وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم
هذا فوج مقتحم معكم • حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار و
اقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة قال
الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تع • لا مرحبا بهم • من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء
على الفوج او صفة للفوج او حال منه اى مقولا او مقولا فى حقهم لا مرحبا بهم اى لا اتوا
مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا • انهم صالوا النار • تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء
عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء فى حق اتباعهم عند
خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل
كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض فى حق الاتباع • قالوا • اى الاتباع عند سماعهم ما
قيل فى حقهم وعند خطابهم للرؤساء فى قولهم • بل انتم لا مرحبا بكم • اى على الوجهين الا
خيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الا
عتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء و
التحاكم الى الخزنة طمعا فى قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اى بل انتم احق
بما قيل لنا او قلتم وقوله تع • انتم قدمتموه لنا • تعليل لاحقيتهم بذلك اى انتم قدمتم العذاب او
الصلى لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدى اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها فى
اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا • فبئس القرار • اى فبئس المقر جهنم قصدوا
بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم • قالوا • اى الاتباع ايضا وتوسيط بين كلاميهم لما
بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اى قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تع
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار • كقوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
من النار اى عذابا مضاعفا اى ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم
ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعى • وقالوا • اى الطاغون • ما لنا لا نرى

٢٤٠

رجالا كنا نعدهم من الاشرار • يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون
منهم • اتخذناهم سخريا • بهمزة الاستفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل
لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأديبا لها فى الاستسخار منهم • ام زاغت عنهم الابصار •
متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم
وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم
توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك
ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الا
زدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تع ام زاغت متصل
بقوله تع ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم فى النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصا
رنا وهم فيها وقد جوز ان يكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين • ان ذلك •
اى الذى حكى من احوالهم • لحق • لا بد من وقوعه البتة وقوله تع • تخاصم اهل النار • خبر مبتداء محذوف و
الجملة بيان لذلك وفى الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق
او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا
يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل • قل • امر لرسول الله ع ان يقول
للمشركين • انما انا منذر • من جهته تع انذركم عذابه • وما من اله • فى الوجود • الا الله الواحد • الذى
لا يقبل الشركة والكثرة اصلا • القهار • لكل شئ سواه • رب السموات والارض وما بينهما • من
المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها • العزيز • الذى لا يغلب فى امر من الامور • الغفار •
المبالغ فى المغفرة يغفر لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين
ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام
الانذار حقه • قل • تكريرا الامر للايذان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا
وايتمارا • هو • اى ما انبأتكم به من انى منذر من جهته تع وانه تع واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر
من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكر
يمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة رضى الله عنهم • نبأ عظيم • وارد من جهته تع و
قوله تع • انتم عنه معرضون • استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقادرون قدره الجليل
حيث يعرضون عنه مع عظمه وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة
اخرى لنبأ وقوله تع • ما كان لى من علم بالملأ الاعلى • استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم
وارد من جهته تع بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من
اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحى من عند الله تع وان سائر انبائه
ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تع • اذ يختصمون •

بما يشآء ح

متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق
علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقرير الكلام كما اختاره الجمهور
تحقيق للوحي فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا
من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا
لا اي لانه وقوله تعالى • ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين • اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله
تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الان ومن
البين لعدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك
امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع
الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم
مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعم وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الا
على او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته
تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار و
المجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا
ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على
كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف
لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله
المرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى • اذ قال ربك للملائكة • شروع في تفصيل ما اجمل
من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح
اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الا
ختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربو
بية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له
عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر
اني خالق • اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من
غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه • بشرا • قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا با
دي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه
حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية • من طين •
لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر • فاذا سويته •
اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه • ونفخت فيه •

من روحي • النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا
منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده
وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري • فقعوا له • امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور
به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له • ساجدين • تحية له وتكريما • فسجد الملائكة • اي فخلقه
فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة • كلهم • بحيث لم يبق منهم احد الا سجد • اجمعون • اي بطريق
المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده
التاكيد ايضا وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي
من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من
غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر
التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف
وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف
الا ابليس • استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم
فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله
تعالى استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون
للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس
استكبر • وكان من الكافرين • اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في
علم الله عز وجل • قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي • اي خلقته بالذات من غير توسط
اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تاكيد الا
نكار وتشديد التوبيخ • استكبرت • بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق
ام كنت من العالين • المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ
بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى • قال انا خير منه • ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه
من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد
لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله تعالى • خلقتني من نار وخلقته من طين • تعليل لما
ادعاه من فضله عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما
من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت
فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر
لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره • قال فاخرج منها • الفاء
لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة
او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لادم عليه السلام

كانت بعد هذا الطرد وقد بيّن كيفية ولوثه في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغيّر الله تع خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تع ٭ فانك رجيم ٭ تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب ٭ وان عليك لعنتي ٭ اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تع وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تع وانهم يدعون عليه بلعنة الله تع وابعاده من الرحمة ٭ الى يوم الدين ٭ اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرة الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا ترى الى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تع ويلعن بعضهم بعضا ٭ قال رب فانظرني ٭ اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني ٭ الى يوم يبعثون ٭ اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثارة وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث ٭ قال فانك من المنظرين ٭ ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين ٭ الى يوم الوقت المعلوم ٭ الذي قدره الله تع وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذلك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تع من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تع وتوفيقه ٭ قال فبعزتك ٭ الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تع فبما اغويتني وقوله تع رب بما اغويتني فان اغواءه تع اياه اثر من آثار قدرته تع وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر

فاقسم بعزتك ٭ لاغوينهم اجمعين ٭ اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم ٭ الا عبادك منهم المخلصين ٭ وهم الذين اخلصهم الله تع لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تع ٭ قال ٭ اي الله عز وجل ٭ فالحق والحق اقول ٭ برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي ٭ لاملأن جهنم ٭ على ان الحق اما اسمه تع او نقيض الباطل عظمه الله تع باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تع لاملأن الخ جواب لقسم محذوف اي والله لاملأن الخ وقوله تع والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية ٭ منك ٭ اي من جنسك من الشياطين ٭ وممن تبعك ٭ في الغواية والضلال ٭ منهم ٭ من ذرية آدم ٭ اجمعين ٭ تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تع ممن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر ٭ قل ما اسألكم عليه ٭ على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي ٭ من اجر ٭ دنيوي ٭ وما انا من المتكلفين ٭ اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة والتقول القرآن ٭ ان هو ٭ اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل ٭ للعالمين ٭ للثقلين كافة ٭ ولتعلمن نبأه ٭ اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق ٭ بعد حين ٭ بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تع لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله من ذنب صغير او كبير والله تع اعلم

سورة تنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ تنزيل الكتاب ٭ خبر لمبتدأ محذوف هو اسم الاشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى ذكر في قوله ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تع ٭ من الله العزيز الحكيم ٭ صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفق بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تع لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تع لا من غيره

القسمية

كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي
العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من
غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على اسس الحكم الباهرة وقوله تعالى • انا انزلنا اليك الكتا
ب بالحق • شروع في بيان شان المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شان المنزل وكونه من عند الله
والمراد من الكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء
بشانه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للا
نزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اى انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه
ملتبسا بالحق والصواب اى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى • فاعبد الله
مخلصا له الدين • لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عم بالحق اى فاعبده تعالى ممحضا
له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه
مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استيناف وقع تعليلا
للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى • الا لله الدين الخالص • استيناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين
له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكدة لاختصاص الدين به تعالى اى الا هو الذى يجب
ان يخص باخلاص الطاعة له لانه المنفرد بصفات الالوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر
والضمائر وقوله تعالى • والذين اتخذوا من دونه اولياء • تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى
هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة
عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سياتى من الجملة المصدرة بان والاولياء من الملا
ئكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى • ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • حال بتقدير
القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم
العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ الصدر ملاق له في المعنى اى والذين لم يخلصوا العبادة
لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الاشياء الا ليقربونا الى الله تقريبا • ان الله
يحكم بينهم • اى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اى بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان
بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا • فيما هم
فيه يختلفون • من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى
في ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه سياق النظم
الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين
من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث

يرجوا

يرجوا العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف
لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل
وانما ذلك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدين من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيمة وقرئ
قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ
ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء • ان الله لا يهدى •
اى لا يوفق للاهتداء الى طريق الحق الذى هو النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب • من هو كاذب
كفار • اى راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير
قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغى والجملة تعليل لما ذكر
من حكمه • لو اراد الله ان يتخذ ولدا • استيناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات
الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة
ما قيل اندراجا اوليا اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا • لاصطفى • اى لاتخذ • مما يخلق • اى من جملة ما يخلقه
او من جنس ما يخلقه • ما يشاء • ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع
تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين
المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد
بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى تقتضيه الشرطية تنبيها
على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه انتفاءه اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس
هو من اتخاذ الولد في شئ اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه
انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع
منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال
لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى • سبحانه • تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد
له ببيان تنزهه تعالى عنه اى تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا
بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه
وقوله تعالى • هو الله الواحد القهار • استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه
تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان
والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضى
تنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت
الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف
يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى • خلق السموات والارض بالحق •
تفصيل لبعض احواله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اى خلقهما وما بينهما من الموجودات

ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى • يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل • بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض
منوط بتحريك السموات اى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به
كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد • وسخر الشمس والقمر • جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى • كل يجرى لاجل مسمى • بيان
لكيفية تسخيرهما اى كل منهما يجرى لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة • الا هو
العزيز • الغالب القادر على كل شئ من الاشياء التى من جملتها عقاب العصاة • الغفار • المبالغ
فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير
الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها • خلقكم من نفس واحدة • بيان لبعض آخر من
افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله فى الدلالة وتعلقه بالعالم
السفلى والبداءة بخلق الانسان لعراقته فى الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته
فى المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى • ثم جعل منها زوجها •
عطف على محذوف هو صفة لنفس اى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة
اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما فى الدلالة فانهما
وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن
معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل فى كونها
آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية
وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة وقيل اخرج
ذرية آدم عليه السلام من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا اب وام
وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الغائب للحصر منهما وقوله تعالى • وانزل لكم • بيان
لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اى قضى او قسم لكم فان قضاءه وقسمه توصف بالنزول من
السماء حيث تكتب فى اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة
الكواكب • من الانعام ثمانية ازواج • ذكرا وانثى هى الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها
فى الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق
الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة
الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى • يخلقكم فى بطون امهاتكم • استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم
واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدريج والتجدد وقوله تعالى • خلقا من بعد خلق • مصدر مؤكد اى يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اى خلقا مدرجا
حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير

مخلقة من بعد نطفة • فى ظلمات ثلث • متعلق بيخلقكم وهى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
او ظلمة الصلب والبطن والرحم • ذلكم • اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته تعالى فى العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اى ذلكم العظيم الشان الذى
عددت افعاله • الله • وقوله تعالى • ربكم • خبر آخر اى مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به • له الملك • على الاطلاق فى الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة فى ذلك
بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى • لا اله الا هو • والفاء فى قوله تعالى • فانى تصرفون • لترتيب
ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء
الصارف عنها بالكلية اى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها • ان تكفروا • به تعالى
بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر • فان الله غنى
عنكم • اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما • ولا يرضى لعباده الكفر •
اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به • وان تشكروا
يرضه لكم • اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء • ولا تزر وازرة
وزر اخرى • بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم • بالبعث بعد الموت • فينبئكم • عند ذلك • بما كنتم تعملون • اى كنتم تعملونه فى الدنيا
من اعمال الكفر والايمان اى يجازيكم ثوابا وعقابا • انه عليم بذات الصدور • اى بمضمرات القلوب
فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة • واذا مس الانسان ضر • من مرض وغيره • دعا ربه
منيبا اليه • راجعا اليه مما كان يدعوه فى حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا
وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار • ثم اذا خوله نعمة منه • اى اعطاه
نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اى جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان
متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اى جعله يخول اى يختال ويفتخر • نسى ما
كان يدعوا اليه • اى نسى الضر الذى كان يدعوا الله تعالى فيما سبق الى كشفه • من قبل • اى من قبل التخويل
او نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا
من ان يعرف من هو كما مر فى قوله تعالى عما ارضعت • وجعل لله اندادا • شركاء فى العبادة • ليضل
الناس بذلك • عن سبيله • الذى هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليزداد ضلالا او يثبت عليه
والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور
حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرفه لجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين

بالتقاطع والعداوة اصلا. قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله. تمتع بكفرك
قليلا. اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا. انك من اصحاب النار. اى من ملازميها والمعذبين فيها
على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد ابيت قبول
ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته. امن هو قانت آناء الليل
من تمام الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه
قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أأنت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم
على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالة السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك
حال كونه. ساجدا وقائما. اى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل
في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر. يحذر الآخرة. حال اخرى على الترادف او
التداخل او استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل
ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة. ويرجوا رحمة ربه. فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما
يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير
الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من
التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل
امن هو قانت آه افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف. قل. بيانا للحق
وتنبيها على شرف العلم والعمل. هل يستوى الذين يعلمون. حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم
كالقانت المذكور. والذين لا يعلمون. اى ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك
والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر
من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى
كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تع. انما يتذكر اولوا
الالباب. كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تع بعد الامر بما ذكر من القوا
رع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من
قال. عوجوا. لنعم فحيوا دمنة الدار. ماذا تحيون من نؤى واحجار. اى انما يتعظ بهذه
البينات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر
بالادغام. قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم. امر لرسول الله صلى الله عم بتذكير المؤمنين و
حملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولى الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به اى
قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور
به فان نقل عين امر الله تع ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تع. للذين احسنوا. تعليل للامر
او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان

وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تع ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي
قوله تع انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تع. في هذه الدنيا. متعلق
باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذى عبر عنه عم حين سئل
عن الاحسان بقوله عم ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. حسنة. اى حسنة عظيمة
لا يكتنه كنهها وهى الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فا
لمراد بها حينئذ الصحة والعافية. وارض الله واسعة. فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في
وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط
اصلا وقوله تع. انما يوفى الصابرون. آه ترغيب في التقوى المأمور به وايثار الصابرين على المتقين
للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام
التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على الصابرين والمهاجرين في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها
اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما
اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان.
اجرهم. بمقابلة ما كابدوا من الصبر. بغير حساب. اى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس لا
يهتدى حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة و
الصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى
يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل. قل
انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين. اى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله
صلى الله عم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله تع الذى هو عبارة عما امر به المؤمنون
من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون. و
امرت لان اكون اول المسلمين. اى وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان
احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار
بان العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين و
يجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تع وامرت ان اكون اول من اسلم
فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زمانى او من قومى او ان اكون اول من دعا غيره الى ما دعا
اليه نفسه. قل انى اخاف ان عصيت ربى. بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك. عذاب
يوم عظيم. هو يوم القيمة وصف بالعظمة لما فيه من الدواهى والاهوال. قل الله اعبد. لا غيره لا
استقلالا ولا اشتراكا. مخلصا له دينى. من كل شوب امر عم اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تع واخلاص
الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه
وآكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تع. فاعبدوا

التعرض ع

ما شئتم • ان تعبدوا • من دونه • تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم
ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب • قل ان الخاسرين • اى الكاملين في الخسران
الذين هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه • الذين خسروا انفسهم واهليهم
باختيارهم الكفر لهما اى اضاعوهما واتلفوهما • يوم القيمة • حين يدخلون النار حيث عر
ضوهما للعذاب السرمدى واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم
لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد
ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب بالواته(?) لا ينتفع به الخاسرون ذلك
غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة
وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا واياما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين
في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم او بجعله عاما هم مندرجون فيه اندرا
اوليا وما في قوله تعالى • الا ذلك هو الخسران المبين • من استيناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والا
شارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين
من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى • لهم من فوقهم
ظلل من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل
ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف
المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض
كائنة من النار • ومن تحتهم • ايضا • ظلل • اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآ
خرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها • ذلك • العذاب الفظيع هو الذى • يخوف الله
به عباده • ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه • يا عباد فاتقون • ولا تتعرضوا
لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادى
والذين اجتنبوا الطاغوت • اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بنى للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان
ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين
لها • وانابوا الى الله تعالى • واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا • لهم البشرى • بالثواب
على ألسنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك • فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه • هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم
لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم
بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل • اولئك • اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من

معنى

معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
من الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحاسن الجليلة الذين هداهم الله • للدين الحق • واولئك
هم اولوا الالباب • اى هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون
للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها • افمن
حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار • بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة
الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواته كما يلوح به
التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين واصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية
دخل عليها الهمزة للانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة لتعلق
الانكار والنفى بمضمونهما معا اى انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت
الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد
الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام
في دعائهم الى الايمان سعى في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ
جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل
من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ
من النار كأنه قيل اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ
من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين
قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله • لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف • وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد
من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية
وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اى لهم علالى
بعضها فوق بعض • مبنية • بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة والاحكام
تجرى من تحتها • من تحت تلك الغرف • الانهار • من غير تفاوت بين العلو والسفل • وعد الله • مصدر
مؤكد لقوله لهم غرف الخ فانه وعد واى وعد • لا يخلف الله الميعاد • لاستحالته عليه سبحانه • الم تر ان الله
انزل من السماء ماء • استيناف وارد لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما
ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار ببهجتها كما في نظائره قوله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما
يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء
المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع • فسلكه

فادخله ونظمه • ينابيع في الارض • اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها
فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع • ثم يخرج به
زرعا مختلفا الوانه • اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم
للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة • ثم يهيج • اي يتم جفافه ويشرف
على ان يثور من منابته • فتراه مصفرا • من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا • ثم يجعله حطاما • فتاتا
متكسرا كان لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الاثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج • ان
في ذلك • اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما
قصد بيانه • لذكرى • لتذكيرا عظيما • لاولي الالباب • لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل
وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام
كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من
قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا
واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل
واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة ولا يليق ذلك بالمذكور ما ذكر من الاثار الجليلة والافعال الجميلة
من غير اسناد لها الى مؤثر ما حتى يذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه
شؤونه تعالى او شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى • افمن شرح الله صدره للاسلام • استيناف
جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن
تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام
فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضائته بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف
لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا
للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها • فهو • بموجب
ذلك مستقر • على نور • عظيم • من ربه • وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الايات
التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل
فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الايات بالكلية حتى لا
يتذكر بها ولا يغتنمها • فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله • اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور
وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او اياته اشمازوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة
كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله • اولئك • البعداء الموصوفون بما ذكر من
قساوة القلوب • في ضلال • بعيد من الحق • مبين • ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الاية

في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رض وابي جهل وذريته • الله
نزل احسن الحديث • هو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له عليه السلام حدثنا حديثا فنزل ذكره عن ابن مسعود وابن عباس قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه
مندوحة عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث و
رفع لمحله واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه
على انه وحي معجز • كتابا • بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه
تعريفا اولا فان مساغ مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة انما هو
لاتصافه بقوله تعالى • متشابها • او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام
والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة
وتجاوب نظمه في الاعجاز • مثاني • صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد
ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل
لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع
البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات و
يجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائله اي شمائله والمعنى متشابهة
مثانيه • تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم • قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصيصه بالصفة و
الاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه
احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع
وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره
اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير
او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع
آياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم
رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى • ثم تلين جلودهم وقلوبهم • الى ذكر الله • اي ساكنة مطمئنة
الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى • ذلك • اي الكتاب الذي
شرح احواله • هدى الله يهدي به من يشاء • ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما في تضا
عيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى • ومن يضلل الله • اي يخلق فيه الضلالة لصرف
قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده اصلا او من يخذله
• فما له من هاد • يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك
الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من
مؤثر فيه بحظ • افمن يتقي بوجهه • استيناف جار مجرى التعليل لما تباين حالي المهتدين والضالين والكلام

مزية نظيره والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه ان يتقي بوجهه الذي

في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي هو اشرف اعضائه. سوء العذاب. اى العذاب السيء الذي
يوم القيمة. لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه
ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل. وقيل للظالمين. عطف على
يتقي اى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو
حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة
الامر في قوله تعالى. ذوقوا ما كنتم تكسبون. اى وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر و
المعاصي. كذب الذين من قبلهم. استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي
اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة. فاتاهم
العذاب. المقدر لكل امة منهم. من حيث لا يشعرون. من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم
اتيان الشر منها. فاذاقهم الله الخزي. اى الذل والصغار. في الحيوة الدنيا. كالمسخ والخسف
والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال. ولعذاب الآخرة. المعد لهم. اكبر. لشدته
وسرمديته. لو كانوا يعلمون. اى لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به. ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل. يحتاج اليه الناظر في امور دينه. لعلهم يتذكرون. كي يتذكروا
به ويتعظوا. قرآنا عربيا. حال مؤكدة من هذا على ان مدار التأكيد هو الوصف كقولك جائني زيد
رجلا صالحا او مدح له. غير ذي عوج. لا اختلاف بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص
بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك. لعلهم يتقون. علة اخرى مترتبة على الاولى. ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون. اى اراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو
التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها
وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني
للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو
خبر له وشيئا انه في الاصل لذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا او الو
صف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل
الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبودية عبدا يتشارك فيه
جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه. ورجلا. اى وجعل
للموحد مثلا رجلا. سلما. اى خالصا. لرجل. فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح
السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اى خلص نعت بها مبالغة او حذف
منه ذو وقرئ سالما وسالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من
الضر والنفع. هل يستويان مثلا. انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان
بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم ببينهما

بينهما

بينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل و
المفضول وانتصاب مثلا على التمييز اى هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في
التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف
النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل
فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى. الحمد لله. تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه
للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على
حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل
ولطف تام منه تعالى عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى. بل اكثرهم لا يعلمون. اضراب
وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون
ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى. انك ميت وانهم ميتون. تمهيد
لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله
عليه وسلم موته اى انكم جميعا بصدد الموت. ثم انكم يوم القيمة عند ربكم. اى مالك اموركم. تختصمون. فتحتج
انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات
واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام
الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى. فمن اظلم ممن كذب على الله. فانه
مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم
من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد. وكذب بالصدق. اى بالامر الذي هو
عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. اذ جاءه. اى في اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل
اليس في جهنم مثوى للكافرين. اى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وتعالى وسارعوا الى التكذيب
بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او
لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا. والذي جاء بالصدق وصدق به. الموصول عبارة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رض و
الذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق. او
لئك. الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون. المنعوتون بالتقوى
التي هي اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل
عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه
عليه السلام وقرئ وصدق على البناء للمفعول. لهم ما يشاؤن عند ربهم. بيان لحالهم في الآخرة من حسن
المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع

المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر
اهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة. ذلك. الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه. جزاء المحسنين
اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة. قوله تعالى. ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا الخ
متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية
لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث
لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى
وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب
وعد الله بانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم
بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم. ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون.
اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام و
اضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من
اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما
مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني
مروان خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم
من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف
اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة و
ان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفيره دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام
تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الا
عمال الصالحة بخلاف السيئة. اليس الله بكاف عبده. انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده
كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها و
المراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من
قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده
على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان يخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها و
في رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا
اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى. ويخوفونك بالذين من دونه. اي الاوثان التي اتخذوها
آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال. ومن يضلل الله. حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته
له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا. فما له من هاد. يهديه الى خير ما. ومن يهد الله فما له من مضل.

يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى
اليس الله بعزيز. غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع. ذي انتقام. ينتقم من اعدائه لاوليائه
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة. ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله. لوضوح الدليل وسنوح السبيل. قل. تبكيتا لهم
افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره. اي بعد ما تحققتم ان خالق
العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني
ذلك الضر. او ارادني برحمة. اي او ارادني بنفع. هل هن ممسكات رحمته. فيمنعها عني وقرئ كاشفات
كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة
بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة
قل حسبي الله. اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا
فنزل ذلك. عليه يتوكل المتوكلون. لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى. قل
يا قوم اعملوا على مكانتكم. على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار
من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم. اني عامل. اي
على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل
وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه. فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد اخزاهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر. ويحل عليه عذاب
مقيم. اي دائم هو عذاب النار. انا انزلنا عليك الكتاب للناس. لاجلهم فانه مناط مصالحهم
في المعاش والمعاد. بالحق. حال من فاعل انزلنا او من مفعوله. فمن اهتدى. بان عمل بما فيه
فلنفسه. اي انما نفع به نفسه. ومن ضل. بان لم يعمل بموجبه. فانما يضل عليها. لما ان و
بال ضلاله مقصور عليها. وما انت عليهم بوكيل. لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد
بلغت اي بلاغ. الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. اي يقبضها عن الابدان
بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند
النوم. فيمسك التي قضى عليها الموت. ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع
الموت. ويرسل الاخرى. اي النائمة الى بدنها عند التيقظ. الى اجل مسمى. هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد له ولا كمية و
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي
بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكر. ان في ذلك. اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في
احدهما والارسال في الاخرى. لآيات. عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم

لا تزال تزداد صح

يتفكرون . في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها با
قية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند
النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها . ام اتخذوا . اي بل اتخذ قريش . من دون
الله . من دون اذنه تع . شفعاء . تشفع لهم عنده تع . قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا
يعقلون . الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا
لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكون الشفاعة عند الله تع او هي
لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بشيئا ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء لانه فرع كون
الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمعترض غير ما قدروا والواو على اي تقدير كان فا
لواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا يملكون شيئا
ولو كانوا لا يملكون آه وجواب المحذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا . قل بعد
تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق . لله الشفاعة جميعا . اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة
الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقودان ههنا وقوله تع . له ملك
السموات والارض . تقرير له وتاكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم
في امر من اموره بدون اذنه ورضاه . ثم اليه ترجعون . يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا
ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد . واذا ذكر الله وحده . دون آلهتهم . اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة . اي انقبضت ونفرت كما في قوله تع . واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على ادبارهم نفورا . واذا ذكر الذين من دونه . فرادى او مع ذكر الله تع . اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تع ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية
فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ
غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل
في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار . قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة . اي التجئ اليه تع بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة
وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالا
حوال برمتها . انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع
له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تع . ولو ان للذين ظلموا ما في الا
رض جميعا . كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي عم وغاية شدته وفظا
عته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر . ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيمة . اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص . وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . اي ظهر لهم من فنون

العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تع
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين . وبدا لهم سيئات ما كسبوا . سيئات اعمالهم او كسبهم حين
يعرض عليهم صحائفهم . وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . اي احاط بهم جزاؤه . فاذا مس الا
نسان ضر دعانا . اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة
والتعكيس على ما تم من حالتيهما القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون
عن ذكر الله تع وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من
استبشروا بذكره فاذا مسهم ضر دعوا . ثم اذا خولناه نعمة منا . اعطيناه اياها تفضلا فان
التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء . قال انما اوتيته على علم . اي على علم مني بوجوه كسبه او
باني سأعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تع في باستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيئا من النعم . بل هي فتنة . اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد
لما قاله وتغيير السبك للمبالغة والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو ام
مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير . ولكن اكثرهم
لا يعلمون . ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس . قد قالها الذين من قبلهم
الهاء لقوله تع انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون
وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به . فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون . من متاع الدنيا
او يجمعون منه . فاصابهم سيئات ما كسبوا . جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لا
نها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها . والذين ظلموا من هؤلاء . المشركين ومن للبيان
او للتبعيض اذ ظلموا في الظلم والعتو . سيصيبهم سيئات ما كسبوا . من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك و
السين للتأكيد وقد اصابهم اي اصابهم حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر . وما هم بمعجزين
اي فائتين . اولم يعلموا . اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا . ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
اي يبسطه له . ويقدر . لمن يشاء بان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق
سبعا ثم بسط لهم سبعا . ان في ذلك . اي الذي ذكر . لآيات . دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل
لقوم يؤمنون . اذ هم المستدلون عليها لولا انها . قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم . اي افرطوا
في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم
لا تقنطوا من رحمة الله . لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا . ان الله يغفر الذنوب جميعا
عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغير حساب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر
كيف لا وقوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا
الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تع . انه هو الغفور الرحيم . على المبالغة وافادة الحصر والوعد
بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص

المقتضيين للترحم من الاسراف انفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة
واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني
والمنع على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب
لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم
الكاملين غير مسلم تكليف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تع
وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون • اذ ليس المدعى ان الآية تدل على
حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم • اي القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون
الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة • من
قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون • بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا • ان تقول نفس • اي كراهة
ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تع علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير و
التعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر • يا حسرتا • بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء
السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان
حضورك • على ما فرطت • اي على تفريطي وتقصيري • في جنب الله • اي جانبه في حقه وطاعته وعليه
قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في
ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تع والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله
وان كنت لمن الساخرين • اي المستهزئين بدين الله تع واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت
وانا ساخر • او تقول لو ان الله هداني • بالارشاد الى الحق • لكنت من المتقين • من الشرك والمعاصي
او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة • رجعة الى الدنيا • فاكون من المحسنين • في العقيدة والعمل
واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاحوال تحيرا وتمنيا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تع • بلى
قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين • رد من الله تع عليه لما تضمنه قوله لو ان
الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي
لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد
ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث • ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله • بان وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد • وجوههم مسودة • بما ينالهم
من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو او على ان الرؤية
بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية • اليس في جهنم مثوى • اي مقام • للمتكبرين • عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لما قيل من رؤيتهم كذلك • وينجي الله الذين اتقوا • الشرك والمعاصي اي
من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء • بمفازتهم • مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة

بمحذوف

بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تع
من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوز بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تع • لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون • اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم
بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تع
لا يمسهم اه تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تع ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء
والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر
به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي
دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا • الله خالق كل شيء • من خير وشر وايمان وكفر
لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها • وهو على كل شيء وكيل • يتولى التصرف فيه كيفما يشاء • له
مقاليد السموات والارض • لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تع
وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من
بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على
الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رض انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عم تفسيرها لا اله الا الله و
الله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير • والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها و
يمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه • والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون
متصل بما قبله والمعنى ان الله تع خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما شاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد
العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس والتنزيلية التي
من جملتها ما تلك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا وقيل متصل بقوله تع
وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر • قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون • اي ابعد من هذه
هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني اعبد لانه
بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب
وقرئ تأمرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية • ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك • اي
من الرسل عم • لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين • كلام وارد على طريقة الفرض
لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا
يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم
والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد

واقع وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تع ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب • بل الله فاعبد • رد لما امروه به ولولا دلالة
التقديم على القصر لم يكن كذلك • وكن من الشاكرين • انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الا
ختصاص ويقتضيه • وما قدروا الله حق قدره • ما قدروا عظمته تع في انفسهم حق عظمته حيث
جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤنه تع وقرئ بالتشديد • والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه • تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام
التي تتحير الاوهام بالنسبة الى قدرته تع ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة
التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل
والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض تسمية بالمصدر او بتقدير
ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد
بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها • سبحانه وتعالى عما يشركون • ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته و
عظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء • ونفخ في الصور • هي النفخة الاولى • فصعق
من في السموات ومن في الارض • اي خروا امواتا او مغشيا عليهم • الا من شاء الله • قيل جبرئيل
وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش • ثم نفخ فيه اخرى • نفخة اخرى هي النفخة
الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع • فاذا هم قيام • قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ
بالنصب على ان الخبر • ينظرون • وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كا
لمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم • واشرقت الارض بنور ربها • بما اقام فيها من العدل سماه
النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة و
لذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف
الى الاسم الجليل • ووضع الكتاب • الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه
او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجميع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحف
• وجيء بالنبيين والشهداء • للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون • و
قضي بينهم • بين العباد • بالحق وهم لا يظلمون • بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به
الوعد • ووفيت كل نفس ما عملت • اي جزاءه • وهو اعلم بما يفعلون • فلا يفوته شيء من افعالهم
وقوله تع • وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا • الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها
بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة و
الشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه • حتى اذا
جاؤها فتحت ابوابها • ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد • وقال لهم خزنتها

تقريعا وتوبيخا • الم يأتكم رسل منكم • من جنسكم وقرئ نذر منكم • يتلون عليكم آيات ربكم و
ينذرونكم لقاء يومكم هذا • اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف
قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب • قالوا بلى • قد اتونا
وانذرونا • ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين • حيث قال الله تع لابليس لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا
تكذبون • قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها • اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل
المقول • فبئس مثوى المتكبرين • اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس
مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار
لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة
الم السجدة • وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة • مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى
دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين • زمرا • متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة • حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها • وقرئ بالتشديد وجواب
اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات كانه قيل حتى
اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها • وقال لهم خزنتها سلام عليكم • من جميع المكاره والآلام • طبتم •
طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم • فادخلوها خالدين • لما كان مما ينغصه
الثنيا • وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده • بالبعث والثواب • واورثنا الارض • يريدون المكان
الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين
الوارث فيما يرثه • نتبوأ من الجنة حيث نشاء • اي يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة
على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها • فنعم اجر العاملين • الجنة • وترى الملائكة
حافين • محدقين • من حول العرش • اي حوله ومن مزيدة او للابتداء الحفوف • يسبحون بحمد
ربهم • اي ينزهونه تع عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى
ذاكرين له تع بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم
هو الاستغراق في شؤونه عز وجل • وقضي بينهم بالحق • اي بين الخلق بادخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم • وقيل الحمد لله
رب العالمين • اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن
قضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم عن النبي عم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تع رجاءه
يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه عم كان يقرأ كل ليلة بني
اسرائيل والزمر

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم • حم • بتفخيم الالف وتسكين
الميم وقرئ باماله الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين او نصبها باضمار

اداء ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل و
بقية الكلام فيه وفي قوله تعالى • تنزيل الكتاب • كالذي سلف في الم السجدة • وقوله تعالى • من الله
العزيز العليم • لما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر
هناك • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول • اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من
الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان
مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة
الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع
الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب
له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة
العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها • لا اله الا هو • فيجب الاقبال الكلي على
طاعته في اوامره ونواهيه • اليه المصير • فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من
المطيع والعاصي • ما يجادل في آيات الله • اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض
الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق • الا الذين كفروا • بها واما الذين آمنوا
فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها و
كشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزا
لق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر
بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى • فلا يغررك تقلبهم في البلاد • لترتيب النهي او
وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب
لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم
مأخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى • كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم • اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم • وهمت
كل امة • من تلك الامم العاتية • برسولهم • وقرئ برسولها • ليأخذوه • ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما
ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر • وجادلوا بالباطل • الذي
لا اصل ولا حقيقة له اصلا • ليدحضوا به الحق • الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء • فاخذتهم •
بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر • فكيف كان عقاب • الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للنا
ظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى • و
كذلك حقت كلمة العذاب • اي كما وجب وثبت حكمه وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم
المكذبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا • على الذين كفروا • اي كفروا بك

وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان
وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما
يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة • وقوله تعالى • انهم اصحاب النار •
في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار
وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة
فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة
ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب
اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف
على التقديرين على انه نعت لمصدر محذوف • الذين يحملون العرش ومن حوله • وهم اعلى طبقات
الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او
كناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
• يسبحون بحمد ربهم • والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملا
ئكة عليهم السلام يتابعون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدا
رين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى • ويؤمنون
به • ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز
شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى • ويستغفرون للذين آمنوا •
فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفا
رهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به
واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد
خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا
فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله
وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه
الوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم
على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون
الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن
ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به
الآخر • ربنا • على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال • وسعت كل

اداء ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل و
بقية الكلام فيه وفي قوله تعالى • تنزيل الكتاب • كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى • من الله
العزيز العليم • لعله مطلع سورة الزمر في الوجهين كليهما ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر
هناك • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول • اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من
الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان
مخصوص واريد بشديد العقاب شديده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة
الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع
الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب
له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة
العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها • لا اله الا هو • فيجب الاقبال الكلي على
طاعته في اوامره ونواهيه • اليه المصير • فيجب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من
المطيع والعاصي • ما يجادل في آيات الله • اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض
الحق لقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق • الا الذين كفروا • بها واما الذين آمنوا
فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها و
كشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزال
الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عم ان جدالا في القرآن كفر
بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى • فلا يغررك تقلبهم في البلاد • لترتيب النهي او
وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب
لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم
ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى • كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم • اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم • وهمت
كل امة • من تلك الامم العاتية • برسولهم • وقرئ برسولها • لياخذوه • ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما
ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر • وجادلوا بالباطل • الذي
لا اصل ولا حقيقة له اصلا • ليدحضوا به الحق • الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء • فاخذتهم
بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر • فكيف كان عقاب • الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للنا
ظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبئ عنه قوله تعالى • و
كذلك حقت كلمة العذاب • اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم
المكذبة على رسلهم المجادلة بالباطلة لادحاض الحق به وجب ايضا • على الذين كفروا • اي كفروا بك

وتحزبوا

وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضميره عم فان ذلك للاشعار بان
وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عم وتعذيب اعدائه وذلك انما
يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة • وقوله تعالى • انهم اصحاب النار
في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار
وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عم كدأب من قبلهم من الامم المهلكة
فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة
ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب
اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف
على التقديرين على انه نعت لمصدر محذوف • الذين يحملون العرش ومن حوله • وهم اعلى طبقات
الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او
كناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
يسبحون بحمد ربهم • والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملا
ئكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدا
رين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى • ويؤمنون
به • ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز
شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى • ويستغفرون للذين آمنوا
فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفا
رهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به
واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد
خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا
فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله
وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كانه
الوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم
على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون
الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن
ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به
الآخر • ربنا • على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه مبين لاستغفارهم او حال • وسعت كل

شيء رحمة وعلما ، اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم
والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء
على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم ، وقهم عذاب الجحيم ، واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار
للتأكيد ، ربنا وادخلهم ، عطف على وقهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار ، جنات عدن
التى وعدتهم ، اى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ، ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
اى صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الا
ول اى وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء
على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يتجه حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى
الحقنا بهم ذريتهم بان يكونوا اعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول
اين ابى اين ولدى اين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال اد
خلوا الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة
واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الا
ولى لان الدعاء بالادخال غير صريح وفى الماضى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد ، انك
انت العزيز ، اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور ، الحكيم ، اى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها ، وقهم السيئات ، اى
العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او تخصيص
بالاتباع او المعاصى في الدنيا لقوله ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، ومن تق المعاصى
في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب ، وذلك ، اشارة الى الرحمة
المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار
اليه ، هو الفوز العظيم ، الذى لا مطمع وراءه لطامع ، ان الذين كفروا ، شروع في بيان احوال الكفرة
بعد دخولهم النار بعدما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ، ينادون ، اى من مكان بعيد وهم في النار
وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا
من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها
ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك ، لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم ، اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا ، اذ تدعون ، من جهة الا
نبياء ، الى الايمان ، فتأبون قبوله ، فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء
باخلائكم المضلين واستحبابا لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او مقت بعضكم بعضا اليوم فاذا
ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظرف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اى مقته اياكم

اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل
لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم
تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اخوانهم مما لا داعى
اليه ، قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ، صفتان لمصدر الفعلين المذكورين اى اماتتين واحيا
ئتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكور
ان فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا
فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت
او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ وقيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اما
تتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون باحداثه كذلك كما
في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءين الاحياء الاول
واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالا
حياءين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق
حيوة الدنيا فغير قادح لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها و
احكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم ، فاعترفنا
بذنوبنا ، والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من
الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى ارادوه
بقولهم ، فهل الى خروج من سبيل ، مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق
القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذى كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا
الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا
ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف
حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصودهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكر
الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اى من سبيل ما
كيف ما كان وقوله تعالى ، ذلكم ، الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من
اعمالهم السيئة اى ذلكم الذى انتم فيه من العذاب مطلق لا مقيدا بالخلود كما قيل ، بانه ، اى بسبب
ان الشان ، اذا دعى الله ، في الدنيا ، اى عبد ، وحده ، اى منفردا ، كفرتم ، اى بتوحيده ، وان
يشرك به تؤمنوا ، اى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضى في الشرطية الاولى
وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان كذلك
فالحكم لله ، الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة ، العلى الكبير ، الذى ليس كمثله شيء
في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك

ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا • هو الذي يريكم آياته • الدالة
على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى
وتخصوه بالعبادة • وينزل لكم • بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا • اى
سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده
بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة • وما يتذكر
بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها • الا من ينيب • الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف
مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمه الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن
ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ • فادعوا الله مخلصين له الدين • اى اذا كان الامر
كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم
اليه تعالى وايمانكم به • ولو كره الكافرون • ذلك وغاظهم اخلاصكم • رفيع الدرجات • نحو بديع السموات
على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع
ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اى رفيع درجات ملائكته اى
معارجهم ومصاعدهم الى العرش • ذو العرش • اى مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر
عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له
اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم
المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه وعظم
سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء
على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى • يلقي الروح من امره • فانه خبر آخر لما ذكر منبئ عن
انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر
اى ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي
اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له على رأي من
يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية
كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اى يلقي الوحي بسبب امره • على من يشاء من عباده • وهو
الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم • لينذر • اى الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ
لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عم او الروح لانها قد تؤنث • يوم التلاق • اما ظرف للمفعول
الثاني اى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل
السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق
بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم • يوم هم بارزون • بدل من

يوم

يوم التلاق • اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون
الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون
عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم • لا
يخفى على الله منهم شيء • استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون
في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اى لا يخفى عليه تعالى
شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم في الجلية والخفية السابقة واللاحقة • لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار • حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من
الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم
كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال اه اى ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله
الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد
في ارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية
واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية • اليوم تجزى كل نفس بما كسبت • اه اما من
تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية
لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت
من خير او شر • لا ظلم اليوم • بنقص ثواب او زيادة عقاب • ان الله سريع الحساب • اى سريع حسابه
لما انه لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي
انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى
اليوم تجزى اه فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل
فيه او سريع مجيئا فيكون تعليلا للانذار • وانذرهم يوم الآزفة • اى القيمة سميت بها لازوفها
وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها
وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي • اذ
القلوب لدى الحناجر • بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا
ولا تخرج فيستريحوا بالموت • كاظمين • على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل
قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله فظلت
اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اى انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين
الكظم • ما للظالمين من حميم • اى قريب مشفق • ولا شفيع يطاع • اى لا شفيع يشفع على معنى نفي الشفاعة
والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو
الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به • يعلم خائنة الاعين

النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها
مصدر كالعافية • وما تخفي الصدور • من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح
للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء • والله يقضي بالحق • لانه المالك الحاكم على
الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل • والذين يدعون • يعبدونهم • من دونه
لا يقضون بشيء • تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب
التفاتا او على اضمار قل • ان الله هو السميع البصير • تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق
ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه • اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم • اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد
وثمود واضرابهم • كانوا هم اشد منهم قوة • قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل
مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ
اشد منكم بالكاف • وآثارا في الارض • مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر
آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا • فاخذهم الله بذنوبهم • اخذا وبيلا • وما كان لهم من الله
من واق • اي من واق يقيهم عذاب الله • ذلك • اي ما ذكر من الاخذ • بانهم • بسبب انهم
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات • اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة • فكفروا فاخذهم
الله انه قوي • متمكن • مما يريد غاية التمكن • شديد العقاب • لا يؤبه عند عقابه بعقاب • و
لقد ارسلنا موسى باياتنا • وهي معجزاته • وسلطان مبين • اي وحجة قاهرة وهي ما عني الآيات
والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات
لانافتها افراد جبرائيل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام • الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب • اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين
فلما جاءهم بالحق من عندنا • وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة • قالوا اقتلوا ابناء الذين
آمنوا معه واستحيوا نساءهم • كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم
ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع ما توقع
اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده • وما كيد الكافرين الا في ضلال • اي في ضياع
وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما
للعهد والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه
من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة • وقال فرعون ذروني اقتل موسى • كان ملأوه اذا
هم بقتله كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة و

بقولهم

بقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت
الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء
به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمو
يها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه
من الفزع الهائل وقوله • وليدع ربه • تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما
يخافه • اني اخاف • ان لم اقتله • ان يبدل دينكم • اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبادة
عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه • او ان يظهر في الارض الفساد • ما يفسد دنياكم من
التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء
والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعا
ون • وقال موسى • اي لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله • اني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب • صدر كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بفحواه
وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه
واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا
في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعم الاستعاذة والا
شعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام • وقال رجل مؤمن من آل فرعون •
قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه
اي من فرعون وملأه • اتقتلون رجلا • اتقصدون قتله • ان يقول • لان يقول او كراهة ان
يقول • ربي الله • اي وحده من غير روية وتأمل في امره • وقد جاءكم بالبينات • والحال انه قد جاءكم
بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعاهدتموها • من ربكم • اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا
عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال • فان يك
كاذبا فعليه كذبه • لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله • وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم • اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا
كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او
يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم و
تفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها
مردود لانه اراد بالبعض نفسه • ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب • احتجاج آخر ذو وجهين
احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان
من كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وهو كاف على المعنى
الثاني لتليين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج

النجاة • يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين • غالبين عالين على بني اسرائيل • في الارض • اي ارض مصر
لا يقاومكم احد في هذا الوقت • فمن ينصرنا من بأس الله • من اخذه وعذابه • ان جاءنا • اي فلا
تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يرجح
من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تع
تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه
لتتأثروا بنصحه • قال فرعون • بعدما سمع نصحه • ما اريكم • اي ما اشير عليكم • الا ما ارى • واستصوبه
من قتله • وما اهديكم • بهذا الرأي • الا سبيل الرشاد • اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا
اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه
لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار
من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى الفعل و
قال الذي آمن • مخاطبا لقومه • يا قوم اني اخاف عليكم • في تكذيبه والتعرض له بالسوء • مثل
يوم الاحزاب • مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود • اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل • والذين من
بعدهم • كقوم لوط • وما الله يريد ظلما للعباد • فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير
انتقام وهو ابلغ من قوله تع وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق
الاولوية • ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد • خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب
الدنيوي ويوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى
اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان
يند بعضهم من بعض كقوله تع يوم يفر المرء من اخيه • وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار
ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في
بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب • يوم تولون مدبرين • بدل من يوم التناد اي منصرفين
عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا • ما لكم من الله من عاصم • يعصمكم من عذابه
والجملة حال اخرى من ضمير تولون • ومن يضلل الله فما له من هاد • يهديه الى طريق النجاة • ولقد
جاءكم يوسف • هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة
احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبط يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق • من قبل • من
قبل موسى • بالبينات • بالمعجزات الواضحة • فما زلتم في شك مما جاءكم به • من الدين • حتى اذا هلك
بالموت • قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا • ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او
جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا
بنفي البعث • كذلك • مثل ذلك الاضلال الفظيع • يضل الله من هو مسرف • في عصيانه • مرتاب

في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد • الذين يجادلون في آيات
الله • بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسر
فين المرتابين • بغير سلطان • متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة • اتاهم
صفة سلطان • كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا • فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير
يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون • كذلك • اي مثل
ذلك الطبع الفظيع • يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف
والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما و
قال فرعون يا هامان ابن لي صرحا • اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر • لعلي ابلغ الاسباب
اي الطرق • اسباب السموات • بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع
الى معرفتها • فاطلع الى اله موسى • بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله
اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تع اياه او ان يرى فساد قوله بان اخباره من اله
السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما
لا يقوى عليه الانسان وما ذلك الا لجهله بالله تع وكيفية استنبائه • واني لاظنه كاذبا • فيما يد
عيه من الرسالة • وكذلك • اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط • زين لفرعون سوء عمله
فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال • وصد عن السبيل • اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة
هو الله تع ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس
عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تع وما كيد فرعون الا في تباب • اي خسار
وهلاك او على انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ
وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه • وقال الذي آمن • اي مؤمن
من آل فرعون وقيل موسى عم • يا قوم اتبعون • فيما دللتكم • اهدكم سبيل الرشاد • اي سبيلا
يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال • يا قوم
انما هذه الحيوة الدنيا متاع • اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا
وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها رأس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تع ثم
ثنى بتعظيم الآخرة فقال • وان الآخرة هي دار القرار • لخلودها ودوام ما فيها • من عمل • في الدنيا
سيئة فلا يجزى • في الآخرة • الا مثلها • عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين • عملوا ذلك • يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب • اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل و
رحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك

ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة و
اعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الا
ستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم
الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا
وقوله تع تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام
واشرك به ما ليس لي به شركته له تع في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والا
شعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار
الجامع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن
من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق
وفاعله قوله تع ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب عدم دعوة
آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب
وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق و
المعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا
جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله
اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تع وان المسرفين اي في الضلال
والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ
فستذكرونه اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح و
افوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به
من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن
خالفهم مع موسى عم وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكر
هم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه
طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب
الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية
سوء العذاب او النار خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون
استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحال ان
يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم
بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت
منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم

بها من قولهم عرض الناس على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رض ان
ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص
واما فيما بينهما فالله تع اعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال
للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب
جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل
فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول
الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم
او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا
نصيبا آه او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا آه او نصب على المصدر
كشيئا في قوله تع لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فان في موقع غنا فكذلك نصيبا
قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ
كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن
في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول
جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء محتما لا مرد له ولا معقب لحكمه و
قال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم
لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع
او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد درجات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملا
ئكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تع ادعوا ربكم يخفف عنا
يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا معياد شيئا من العذاب واقتصا
رهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون دفعه راسا او
تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم
قالوا اي الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنتبهوا على ذلك ولم تكن تأتيكم رسلكم في الدنيا
على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تع الم يأتكم رسل
منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضا
عة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تع
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تع قالوا فادعوا
فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمثل
ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان

سببه من قبلهم لما يفضي عند الكافر بحيث يرجوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم خير لنفعلوا
ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسما لجوابهم
قولهم . وما دعاء الكافرين الا في ضلال . اي ضياع وبطلان وقوله تع . انا لننصر رسلنا و
الذين آمنوا . اه كلام مستانف مسوق من جهته تع بين فيه ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من
فرعون حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان سنتنا المستمرة ان ننصر رسلنا واتباعهم . في الحيوة الدنيا
بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا
يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر
ويوم يقوم الاشهاد . اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاو
لين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب . يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم . بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء . ولهم اللعنة
اي البعد عن الرحمة . ولهم سوء الدار . اي جهنم . ولقد آتينا موسى الهدى . ما يهتدى به من المعجزات
والصحف والشرائع . واورثنا بني اسرائيل الكتاب . وتركنا عليهم من بعده التورية . هدى وذكرى
هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا . لاولي الالباب . لذوي العقول السليمة العاملين بما تقتضيه فاصبر
على ما نالك من اذية المشركين . ان وعد الله . اي وعده الذي ينطق به قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي
من جملتها ذلك . حق . لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون . واستغفر لذنبك . تدا
ركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تع كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار . اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تع وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الوا
جب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر و
صلوة الفجر . ان الذين يجادلون في آيات الله . ويجحدون بها . بغير سلطان اتاهم . في ذلك من جهته
تع وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في الدين لا بد من استناده الى السلطان
مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تع . ان في صدورهم الا كبر خبر
لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الارادة الرياسة والتقدم على الا
طلاق او الارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لان فيها موقع جدال
لا او ان لهم شيئا يتوصل به الى تصحيح مرادهم في الجملة وقوله تع . ما هم ببالغيه . صفة لكبر
قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون هم
اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج
في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آياتنا فيرجع الينا الملك فسمى الله

تع تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم . فاستعذ بالله . اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك
وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين . انه هو السميع البصير . لاقوالكم وافعالكم وقوله تع . لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس . تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على
منهاج قوله تع اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم . ولكن اكثر الناس
لا يعلمون . لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم . وما يستوي الاعمى
والبصير . اي الغافل والمستبصر . والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء . اي والمحسن والمسيء
فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة
والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة
بالصراحة والتمثيل . قليلا ما تتذكرون . على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون
وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار . ان الساعة لآتية لا ريب فيها . اي في مجيئها لوضوح
شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها . ولكن اكثر الناس لا يؤمنون . لا يصدقون بها لقصور
انظارهم على ظواهر ما يحسونه . وقال ربكم ادعوني . اي اعبدوني . استجب لكم . اي اثبكم لقوله
تع . ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة
الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال . الله الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه . بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لتستر
يحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا . والنهار مبصرا . اي مبصرا فيه او به . ان الله
لذو فضل عظيم . لا يوازيه ولا يدانيه فضل . على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون . لجهلهم با
لمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم . ذلكم . المتفرد بالافعال المقتضية
للالوهية والربوبية . الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو . اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها
السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة
للاوصاف المذكورة . فاني تؤفكون . فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون . اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا
يؤفك كل من جحد بآياته تع اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة . الله الذي جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء . بيان لفضله تع المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تع . وصوركم
فاحسن صوركم . بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي
صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا
لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات . ورزقكم من الطيبات . اي اللذائذ . ذلكم . الذي نعت بما ذكر

من النعوت الجليلة. الله ربكم. خبران لذلكم. فتبارك الله. اى تعالى بذاته. رب العالمين. اى مالكهم
ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه فى ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع
فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية. هو الحى. المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية. لا اله الا هو. اذ لا موجود
يدانيه فى ذاته وصفاته وافعاله. فادعوه. فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى. مخلصين
له الدين. اى الطاعة من الشرك الجلى والخفى. الحمد لله رب العالمين. اى قائلين ذلك عن ابن عباس
رضى من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين. قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من
دون الله لما جاءنى البينات من ربى. من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل
منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مقررات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية. وامرت ان
اسلم لرب العالمين. اى بان انقاد له واخلص له دينى. هو الذى خلقكم من تراب. اى فى ضمن خلق
آدم عليه السلام منه حسبما تحقيقه مرارا. ثم من نطفة. اى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى. ثم
من علقة ثم يخرجكم طفلا. اى اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده
ثم لتبلغوا اشدكم. علة ليخرجكم معطوف على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا
لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى. ثم لتكونوا شيو
خا. ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا. ومنكم من يتوفى من قبل. اى من قبل
الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا. ولتبلغوا. متعلق بفعل مقدر بعده اى ولتبلغوا
اجلا مسمى. هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك. ولعلكم تعقلون. ولكى تعقلوا ما فى
ذلك من فنون الحكم والعبر. هو الذى يحيى. الاموات. ويميت. الاحياء او الذى يفعل الاحياء
والاماتة. فاذا قضى امرا. اى اذا اراد امرا من الامور. فانما يقول له كن فيكون. من غير توقف
على شىء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق ارادته بها و
تصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى
للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه. الم تر الى الذين
يجادلون فى آيات الله انى يصرفون. تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه
من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله
تعالى ان الذين يجادلون فى آيات الله آه بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود
هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اى انظر الى هؤلاء المكابرة المجادلين فى آياته تعالى الواضحة المو
جبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال
عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية. وقوله تعالى. الذين كذبوا بالكتاب. اى بكل القرآن او
بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او فى حيز النصب
او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة

بالتكذيب

فى بعض

فى بعض المواد لا فى الكل وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الصلة
الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها. وبما ارسلنا به رسلنا. من سائر الكتب او مطلق الو
حى والشرائع. فسوف يعلمون. كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته. اذ الا
غلال فى اعناقهم. ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه. والسلاسل. عطف
على الاغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ خبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه وقيل خبره قوله تعالى
يسحبون. بحذف العائد اى يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون. فى الحميم
وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم مفعول وعطف الفعلية على الاسمية وفى
اعناقهم فى معنى اعناقهم فى الاغلال او اضمار المجاز ويدل عليه القراءة به. ثم فى النار يسجرون
اى يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اى ملئ والمراد بيان انهم
يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب. ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا. اى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا و
ذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم. بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته
شيئا فلم يكن. كذلك. اى مثل ذلك الضلال الفظيع. يضل الله. الكافرين حيث لا يهتدون الى شىء ينفعهم
فى الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا. ذلكم. الاضلال
بما كنتم تفرحون فى الارض. اى تبطرون وتتكبرون. بغير الحق. وهو الشرك والطغيان. وبما كنتم تمرحون
تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ. ادخلوا ابواب جهنم. اى ابوابها السبعة
المقسومة لكم. خالدين فيها. مقدرا خلودكم فيها. فبئس مثوى المتكبرين. اى عن الحق جهنم والتعبير
عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود. فاصبر. الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب. ان وعد
الله. بتعذيبهم. حق. كائن لا محالة. فاما نرينك. اى فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت
النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها. بعض الذى نعدهم. وهو القتل والاسر. او نتوفينك. قبل ذلك
فالينا يرجعون. يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب
وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض. ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك. اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور
قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس. وما كان لرسول.
اى وما صح وما استقام لرسول منهم. ان يأتى باية الا باذن الله. فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله
تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد

باتيان المقترح بها. فاذا جاء امر الله في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل
وتعذيبه. وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على
الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا. الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل
خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تع لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اجمالا
ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها
لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان
كلا بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة
الركوب. ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها. ولتبلغوا عليها حاجة
في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد. وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان
عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة
التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمن الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن
لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منها مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه
بما لا تعلق به كلاهما كالابل والبقر يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر
والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها تعم البقر. ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته
فأي آيات الله اي فأي آية من تلك الآيات الباهرة. تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا
يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لأي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
به وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث
في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه. افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تع كانوا اكثر منهم واشد
قوة آه استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها. وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور
والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم. فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية
او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم
او كسبهم. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة. فرحوا بما عندهم من العلم اي
اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او
علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم
به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تع وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون وقيل الفرح ايضا للرسل
فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة و
شكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم. فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله
تع بعذاب بئيس. قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام. فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا

بأسنا. اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه
الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته
فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء
ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما
قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تع فلما جاءتهم آه هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان
يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع
هو الايمان الاختياري. سنة الله التي قد خلت في عباده. اي سن الله تع ذلك سنة ماضية في العباد وهي من
المصادر المؤكدة. وخسر هنالك الكافرون. اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان
كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن
الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

حم. ان جعل اسما للسورة
فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدأ لخبره. تنزيل. وهو على الاول خبر بعد
خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تع. من الرحمن الرحيم. متعلق به مؤكد
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره
كتاب. وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه
مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعا
لمين. فصلت آياته. ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من
احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل
بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا. قرآنا عربيا. نصب على المدح
او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته. لقوم يعلمون. اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم
والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم آه او بتنزيل على ان
من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت. بشيرا ونذيرا. صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطا
عة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من الآيات وقرئ بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف
فأعرض اكثرهم. عن تدبره مع كونه على لغتهم. فهم لا يسمعون. سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا
به. وقالوا. اي للرسول صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن. قلوبنا في
اكنة. اي اغطية متكاثفة. مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر. اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح
القاف. ومن بيننا وبينك حجاب. غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين
بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثم فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق
وقبوله ومج اسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عم. فاعمل. اي على دينك وقيل في

ابطال امرنا. انّنا عاملون. اى على ديننا وقيل فى ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تع. قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد. تلقين للجواب عنه اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم
حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر
مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم
للكل لا انه خطاب منه عم للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم
الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد دلت عليهما دلائل
العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الىّ دونكم فصححت بالوحى الىّ
وانا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تع. فاستقيموا اليه. لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تع بالتوحيد والاخلاص فى
الاعمال. واستغفروه. مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تع. وويل للمشركين. ترهيب وتنفير
لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تع. الذين لا يؤتون الزكوة. لزيادة التحذير و
التخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل. وهم بالآ
خرة هم كافرون. وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان
عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضه انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا
الله فان زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تع ونفس وما
سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون. اى لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من
مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
قل ائنكم لتكفرون. انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
لا لانكار التأكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما
علق كفرهم بالموصول حيث قيل. بالذى خلق الارض فى يومين. لتفخيم شانه تع واستعظام كفرهم
به اى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها اى حكم بانها ستوجد فى مقدار يومين او فى نوبتين على ان ما يوجد
فى كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والافاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع
نيرانها وترتيب حركاتها. وتجعلون له اندادا. عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع
الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له اندادا والحال انه
لا يمكن ان يكون له ند واحد. ذلك. اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من
ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ما ذكر. رب العالمين
اى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخص مخلوقاته ندا له و

قوله

قوله تع. وجعل فيها رواسى. عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل
بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تع تكفرون فهو بمنزلة الا
عادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان
فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند
فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اى خلقها وجعل آه وقيل هو كلام مستأنف
فايّا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تع. من فوقها. متعلق بجعل او بمضمر هو
صفة له رواسى اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها
من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار. وبارك فيها. اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان
التى من جملتها الانسان واصناف النبات التى منها معايشهم. وقدر فيها اقواتها. اى حكم بالفعل
بان يوجد فيما سيأتى لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة
وقرئ وقسم فيها اقواتها. فى اربعة ايام. متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر
حصولها فى يومين وانما قيل فى اربعة ايام اى تتمة اربعة ايام تحريا بالفذلكة. سواء. مصدر مؤكد
لمضمر هو صفة لايام اى استوت سواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى اقواتها او فيها
وقرئ بالرفع اى هى سواء. للسائلين. متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق
الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتا
تين وقوله تع. ثم استوى الى السماء. شروع فى بيان التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص
البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تع بامر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم
مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره
وهى دخان. اى امر ظلمانى عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها او دخان
مرتفع من الماء كما سيأتى وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما
معا حسبما ينطق به قوله تع. فقال لها وللارض. اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها
وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها. ائتيا. اى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل
منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تع بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان
يكون هناك امر ومأمور كما فى قوله تع كن وقوله تع. طوعا او كرها. تمثيل لتحتم تأثير قدرته تع فيهما واستحالة
امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اى طائعين او كا
رهين
وقوله تع. قالتا اتينا طائعين. اى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما
كما امرا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ
عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب كقوله تع ساجدين
وقوله تع. فقضاهن سبع سموات. تفريع وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل

مرتب على تكوينها اى خلقهن خلق ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على
المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى • فى يومين • فى وقت مقدر بيومين وقد بين
مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة ايام حسبما نص
عليه فى مواقع من التنزيل • واوحى فى كل سماء امرها • عطف على قضاهن اى خلق فى كل منها ما فيها
من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قال قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين
كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم
من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور واياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة فى
الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد
واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة وما فى سورة
البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدل
لان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اهل التفسير وقد روى ان
العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى الماء اضطرابا فا
زبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها
فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض
يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما
فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عم فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة
وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله
تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رض من انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر
فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها
مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص
يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغى ان تاتيا عليه ائت يا ارض مدحوة
قرارا ومهادا لاهلك وائت يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه
كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر
بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة
عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين
على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول
التوافق عليه ولا ريب فى ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك
تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا

بعضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل فى ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسو
يتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول فى الدلالة على القدرة القاهرة كما
قيل واما على انه داخل فى الالزام لما ان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر
واحاطتهم بتفاصيل الكل اكمل واما ما روى عن الحسن رض نصا فى تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان
بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة فى ذلك على الترتيب
قطعا وقد نقل الامام الواحدى عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض
فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بالاتيان حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح فى
ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على
تقدير كون كلمة ثم للتراخى الزمانى واما على تقدير كونها للتراخى الرتبى كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة
فى الآية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الاول وعلى ذلك تبنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم
ما فى الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية
مقام الامتنان حقه • وزينا السماء الدنيا بمصابيح • من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها
كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى • وحفظا • مصدر مؤكد
لفعل معطوف على زينا اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه
قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا • ذلك • الذى ذكر بتفصيله • تقدير العزيز العليم • المبالغ فى
القدرة والعلم • فان اعرضوا • متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ اى فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من
عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان • فقل انذرتكم • اى انذركم و
صيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر • صاعقة • اى عذابا هائلا شديد الو
قع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة • مثل صاعقة عاد وثمود • وهى المرة من
الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل
اذ جاءتهم الرسل • حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد
المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته
من بين ايديهم ومن خلفهم • متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة
الزمان الماضى بالانذار على ما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب
الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل مجيء كلامهم و
دعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن
جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخا
طبوهم بقوله تعالى • الا تعبدوا الا الله • اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اى لا تعبدوا على انها
مفسرة • قالوا لو شاء الله • اى ارسال الرسل لانزل الملائكة كما قيل فانه عارض افادة ما اراده من نفى

رسالة البشر وقد تقرر فيما سلف . لانزل ملائكة . اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الا
نزال قيل لانزل . انا بما ارسلتم به . اى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم . كافرون . لما انكم بشر مثلنا من غير
فضل لكم علينا روى ان اباجهل قال فى ملاء من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر
والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
علمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم
تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك
عشر نسوة تختار من اى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله صلى الله
عم ساكت فلما فرغ عتبة قال عم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه
عم وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا
فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ
والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكون
وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب . فاما عاد فاستكبروا فى الارض . شروع
فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اى
فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها . بغير الحق . اى بغير استحقاق للتعظم والولاية
وقالوا . مغترين بشدتهم وقوتهم . من اشد منا قوة . حيث كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم و
قد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده . اولم يروا . اى اغفلوا ولم ينظروا
ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان . ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة . اى قدرة فانه تعالى
قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوى
وقادر وانما اورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه
ضرب من التهكم بهم . وكانوا باياتنا . المنزلة على الرسل . يجحدون . اى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو
عطف على فاستكبروا وقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء . فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا . اى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض او عاصفة
يصوت فى هبوبها من الصرير . فى ايام نحسات . جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون
على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الار
بعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء . لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا . وقرئ لتذيقهم
على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة
على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى . ولعذاب الآخرة اخزى . وهو فى الحقيقة وصف للمعذب قد
وصف به العذاب للمبالغة . وهم لا ينصرون . بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه . واما ثمود فهديناهم
فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم

بالكلية

بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده و
منونا فى الحالين وبضم الثاء . فاستحبوا العمى على الهدى . اى اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صا
عقة العذاب الهون . داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او
ابدل منه . بما كانوا يكسبون . من اختيار الضلالة . ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون . من تلك الصاعقة و
يوم يحشر اعداء الله . شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء
الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين
ويرده ما سيأتى من قوله تعالى فى امم قد خلت من اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها . الى النار
اى الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار
والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها
ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع
الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى . فهم يوزعون . اى يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا
وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار . حتى اذا جاؤها . اى جميعا غاية للحشر او ليو
زعون اى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور . شهد عليهم سمعهم و
ابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى او
يظهر عليها اثارها اقرّ فواهها وعن ابن عباس رض ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الا
نسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . فان ما تشهد به من الزنا
اعظم جناية وقبحا واجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة
بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اى سؤال توبيخ لما روى انهم قالوا فعنكن كنا نناضل
وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى . قالوا انطقنا
الله الذى انطق كل شئ . لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اى انطقنا الله الذى انطق
كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وكتمناها وقيل ما نطقنا
باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل
لو لم سؤال تعجب فالمعنى ح ليس نطقنا بعجب من قدرة الله . الذى انطق كل حى . وهو خلقكم اول مرة و
اليه ترجعون . فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب
من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع
ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب
المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى . وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم . حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب
الجلود اى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم

تستترون الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان
بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود
رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون
ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي عم فانزل الله
تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الا
نسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى
يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من
ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي
ظننتم بربكم اردآكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واردآكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن
السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان
يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان
باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب و
القائهم في غاية دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما
هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا
لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم البدل و
منه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت و
تقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا في
امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء
الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة لامم
اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين
لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم
الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا

عذابا

عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم كاغاثة
الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر عن ابن عباس رض عذابا شديدا
يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي
ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعداء الله تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف
اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها
وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار
اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة
عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة
هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء وبالمصدر
الذي قبله فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة
بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او
يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا
ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم
على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق و
قرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت
اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا
ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد
بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوا اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الا
قرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي
من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض
بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والد
نيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض
لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم
وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه
ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه
غم يلحق لوقوع من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى
ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا
تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف
وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد

المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا الخ من بشاراتهم في الدنيا أي أعوانكم في أموركم
نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على
الطاعة من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام وفي الآخرة
نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم
فيها أي في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال
من الدعاء بمعنى الطلب أي تدعون لأنفسكم وهو أعم من الأول وتكرير لكم في الموضعين خبرا وابتداء
وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للإشباع في البشارة والإيذان
باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ما يعطون
من عظائم الأجور كالنزل للضيف ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله أي إلى توحيده تعالى وطاعته عن ابن
عباس رضي الله عنهما هو رسول الله عليه السلام دعا إلى الإسلام وعنه أنهم أصحاب رسول الله عليه السلام وقيل نزلت في المؤذ
نين والحق أن حكمها عام لكل من جمع فيها من الخصال الحميدة وإن نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وقال إنني من المسلمين ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للإسلام دينا ونحلة من قولهم
هذا قول فلان أي مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرئ إني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأعمال الجارية بين
العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقابلة إسا
ءتهم بالإحسان أي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي
وقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي ادفع السيئة حيث
اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء فإنه أحسن
من العفو وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة
وقوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به أي فإذا فعلت ذلك
صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها أي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة
الإساءة بالإحسان إلا الذين صبروا أي شأنهم الصبر وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان موذيا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى هو شبه النخس
شبه به وسوسة الشيطان لأنها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ
وصفا للشيطان بالمصدر أي وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله
من شره ولا تطعه إنه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك أو بصلاحك وفي جعل ترك الدفع
بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل
والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره ولا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما من

جملة

جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للأربعة لأن حكم
جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية
بيان مخلوقية الشمس والقمر للإيذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعرا
ض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في سلك آياته تعالى إن كنتم إياه تعبدون فإن السجود
أقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي وعندنا آخر الآية
الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار أي دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسئمون بكسر الياء ومن
آياته أنك ترى الأرض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فإذا أنزلنا عليها
الماء أي المطر اهتزت وربت أي تحركت بالنبات وانتفخت لأن النبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت
له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت أي ارتفعت إن
الذي أحياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث إنه على كل شيء من الأشياء التي من جملتها
الإحياء قدير مبالغ في القدرة إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا
بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بإلحادهم وقوله تعالى
أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الأعمال
المؤدية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار والإتيان آمنا وفيه تهديد شديد إنه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب
أعمالكم وقوله تعالى إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى إن الذين يلحدون الخ وخبر إن هو الخبر
السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى
وإنه لكتاب عزيز أي كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا يتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية
شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي لا يتطرق إليه الباطل من جهة من
الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة
لفخامته الإضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض
عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى
ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أي ما يقال في شأنك وشأن ما أنزل
إليك من القرآن من جهة كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي إلا مثل ما قد قيل في حقهم
مما لا خير فيه إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من
أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا ولو جعلناه قرآنا أعجميا جواب لقولهم هلا
أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته أي بينت بلغة نفقهها وقوله تعالى أأعجمي
وعربي إنكار مقرر للتحضيض والأعجمي يقال للكلام لا يفهم وللمتكلم والياء للمبالغة في الوصف كالأ
حمري والمعنى أكلام أعجمي ورسول أو مرسل إليه عربي على الإفراد مع كون المرسل إليهم أمة جمة لما أن المراد

بين التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا يبين كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي الكلام
منسوب الى امة العجم وقرئ أعجمي على الاخبار بان القرآن اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت
آيته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان آيات
الله تع على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به • قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق
وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة • والذين لا يؤمنون • مبتدأ خبره في آذانهم وقر • على ان التقدير
هو اي القرآن في آذانهم وقر وقرئ على ان وقر خبر المضمر المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا
من وقر وهو اوفق لقوله تع • وهو عليهم عمى • وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل الظرف و
قيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه
وقر وهو من جوز العطف على عاملين عطف الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين
وقر في آذانهم • اولئك • اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وملاحظة ما
اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال
المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه
والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها • ينادون من مكان بعيد • تمثيل لهم في عدم قبولهم
واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات • ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير
مختص بقومك على منهاج قوله تع ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التورية
فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شان ما آتيناك من القرآن فمن
يؤمن به وكافر • ولولا كلمة سبقت من ربك • في حق امتك المكذبة وهي العدة بتاخير عذابهم وفصل
ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تع بل الساعة موعدهم وقوله تع ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى • لقضي بينهم • باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة • وانهم لفي
شك منه • اي من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتورية مما لا وجه له • من عمل صالحا • بان
آمن بالكتب وعمل بموجبها • فلنفسه • اي فلنفسه يعمل او فنفعه لنفسه لا لغيره • ومن اساء فعليها • ضرره لا على
غيره • وما ربك بظلام للعبيد • اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن
بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه سبحانه وتع وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال • اليه يرد
علم الساعة • اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله • وما تخرج من ثمرات من اكمامها
اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لا
ختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون
موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد • وما تحمل من انثى ولا تضع • اي حملها • وقوله تع • الا

بعلمه

بعلمه • استثناء اي لا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط • ويوم ينا
ديهم اين شركائي • اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تع اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقر
يع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تع
يوم يجمع الله الرسل • قالوا آذناك • اي اخبرناك • ما منا من شهيد • من احد يشهد لهم بالشركة اذا
تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا هو موحد لك او ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم
ح وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا
التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن
انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علم من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا
الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك • وضل عنهم ما كانوا يدعون • اي يعبدون • من قبل • اي غابوا عنهم
او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم • وظنوا • اي ايقنوا • ما لهم من محيص • مهرب والظن
معلق عنه بحرف النفي • لا يسأم الانسان • اي لا يمل ولا يفتر • من دعاء الخير • من طلب السعة في النعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير • وان مسه الشر • اي العسر والضيقة • فيؤس قنوط • فيه مبالغة
من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل
وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من الله تع ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان
اليأس من رحمته تع لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به • ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته • بتفريجها
عنه • ليقولن هذا لي • اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا • وما اظن الساعة
قائمة • اي تقوم فيما سيأتي • ولئن رجعت الى ربي • على تقدير قيامها • ان لي عنده للحسنى • اي للحالة
الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاق له وان نعم الآخرة كذلك • فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا • اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة
الاعراف عند قوله تع والوزن يومئذ الحق وفي قوله تع انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس عم • ولنذيقنهم
من عذاب غليظ • لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه • واذا انعمنا على الانسان اعرض • اي عن الشكر • ونأى بجانبه
اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا او تعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تع في جنب الله تع
ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه • و
اذا مسه الشر فذو دعاء عريض • اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ
من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض
غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات • قل ارأيتم • اي اخبروني • ان كان
اي القرآن • من عند الله ثم كفرتم به • مع تعاضد موجبات الايمان به • من اضل ممن هو في شقاق بعيد • اي من
اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم • سنريهم آياتنا •
الدالة على حقيته وكونه من عند الله • في الآفاق • هو ما اخبرهم النبي عم من الحوادث الآتية وآثار النوا

زل

الماضية وما يسر الله لخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق
والمغارب على وجه خارق للعادة «وفي انفسهم» هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس رضه في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم «وفي انفسهم» يوم بدر وقال مجاهد والحسن
والسدي في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عم والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق اي
في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء و
الظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة
في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيب الغريبة كقوله تع وفي انفسكم
افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ارادة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك انه تع سيطلعهم على
تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما «حتى يتبين لهم» بذلك «انه الحق»
اي القرآن او الاسلام والتوحيد «اولم يكف بربك» استيناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن
القرآن وعنادهم المحوج الى ارادة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تع والهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا تكاد تزاد الا مع كفى وقوله تع «انه
على كل شيء شهيد» بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك
انه تع شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله
تع في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي
هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من
عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما تضافر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان
المعنى اولم يكفك انه تع على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر
الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عم من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله
تع «الا انهم في مرية من لقاء ربهم» اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم
الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها «الا انه بكل شيء محيط» عالم بجميع الاشياء
جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم
لا محالة عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تع بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق

بسم الله الرحمن الرحيم «حم عسق» اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل
اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحوامم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف
وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تع «كذلك يوحي اليك والى الذين من
قبلك الله العزيز الحكيم» كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف
سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل
ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي

على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني
اوحى اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة
الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحى اليك
عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تع انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال
الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من
تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تع بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من
التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى
مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدأ
كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تع «له ما في السموات وما في
الارض وهو العلي العظيم» خبران له وعلى الوجه السابق استيناف مقرر لعزته وحكمته «تكاد السموات»
وقرئ بالياء «يتفطرن» يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو
نادر «من فوقهن» اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآ
يات واجلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق
الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت
اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين «والملائكة يسبحون بحمد ربهم» ينزهونه تع عما لا يليق
به ملتبسين بحمده «ويستغفرون لمن في الارض» بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام
وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا
يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص
بالمؤمنين كما في قوله تع ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة «الا ان الله هو الغفور الرحيم» اذ ما
من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تع والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تع وعلى الثاني بيان
لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار
الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تع يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة
رحمة «والذين اتخذوا من دونه اولياء» شركاء وانداد «الله حفيظ عليهم» رقيب على احوالهم و
اعمالهم فيجازيهم بها «وما انت عليهم بوكيل» بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار
«وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا» ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية و
قرآنا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس

فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة مع انه تع هو الحفيظ عليهم وانما انت
نذير وكذلك فالكاف مفعول به لاوحينا قرآنا عربيا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربى
بيّن لتنذر ام القرى اى اهلها وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اى يوم القيمة
لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تع يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال و
العمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الاول واول
مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه
اعتراض مقرر لما قبله فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه اولا
ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على
الحالية منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين اى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى الثواب و
العقاب ولو شاء الله لجعلهم اى فى الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما
اجمله ابن عباس رضى الله عنه فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تع ولكن يدخل من يشاء فى رحمته انه تع
يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب فى ان مشيته
تع لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الر
حمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما
قيل والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير للايذان بان الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب
سوء اختيارهم لا من جهته تع كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل
مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تع ولو شاء الله لجمعهم على الهدى و
قوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشية قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء
مشية حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تع من
يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك
بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من
بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه ان يراد الاتحاد فى الكفر كما
فى قوله تع كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين
هم فى فترة ادريس عم او فى فترة نوح عم فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان
لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من
الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته اى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم با
لانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم فى رحمته ولا
يتأثر به الآخرون ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون
فى الآخرة الى السعير من غير ولى يلى امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء

جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولى ونصير وام منقطعة وما فيها من بل للا
نتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لا
نكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شئ لان ذلك فرع
كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اى بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغير
ها وقوله تع فالله هو الولى جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارا
دوا اولياء فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه وهو يحيى الموتى اى ومن شأنه ذلك وهو على كل شئ
قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ وما اختلفتم فيه من شئ
حكاية لقول رسول الله صلى الله عم للمؤمنين اى ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم
فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله ربى
مالكى عليه توكلت فى مجامع امورى خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع فى كل ما يعن لى من معضلات الامور
لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر
فى الاول صيغة الماضى وفى الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عم ولا تؤثروا على حكومته غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه
عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله تع والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عم وقيل وما وقع
بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا
مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلوة والسلام فاطر السموات والا
رض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف
للكلم الجليل فى قوله تع الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازوا
جا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ومن الانعام اى وجعل للانعام
من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو
البث وفى معناه الذرو والذر فيه اى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم
توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ فى شأن من الشؤون التى من جملتها هذا التدبير البديع
والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه
كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة
وهو السميع البصير المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اى خزائنهما يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيته على الحكم البالغة انه بكل شئ عليم مبالغ
فى الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تع
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان
بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلوة والسلام تنبيه

على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عم اى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من
ارباب الشرايع واولى العزايم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا موكدا على ان
تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم و
تفرد اليهود فى شان موسى عليه الصلوة والسلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عم والا فما من نبى الا و
هو مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الا
عصار من اصول الشرايع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان
المامور به والمراد بايحائه عليه الصلوة والسلام اما ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تع وكذلك اوحينا
الاية او ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى ساير المواقع التى من جملتها قوله تع ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم
حنيفا وقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه
عم بالذى لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما و
قع فى الايات المذكورة ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عم القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون
العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية
نوح عليه الصلوة والسلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلوة
والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تع شرعه لهم على لسانه عم • ان اقيموا الدين • اى
دين الاسلام الذى هو توحيد الله تع وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل
به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان
اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشا
من ابهام المشروع كانه قيل وما ذلك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه
مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبى صلى الله عم مستلزم لكون الخطاب فى قوله تع • ولا تتفرقوا
فيه • للانبياء المذكورين عليهم الصلوة والسلام وتوجيه النهى الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الظاهر
انه متوجه الى امته صلى الله عم وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما
ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تع
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تع • كبر على المشركين • شروع فى بيان احوال بعض من شرع لهم ما
شرع من الدين القديم اى عظم وشق عليهم • ما تدعوهم اليه • من التوحيد ورفض عبادة الاصنام
واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وقوله تع • الله يجتبى اليه
من يشاء • استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اى الله يجتبى الى
ما دعى اليه كما ينبئ عنه قوله تع • ويهدى اليه من ينيب • اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف
وقوله تع • وما تفرقوا • شروع فى بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال
اهل الشرك قال ابن عباس هم اليهود والنصارى لقوله تع وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد

ما جاءهم

ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم • الا من بعد ما جاءهم
العلم • بحقيته بان شاهدوا فى رسول الله صلى الله عم والقرآن من دلائل الحق حسبما وجدوه فى كتابهم او
العلم بمبعثه عم وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الا
حوال او فى وقت من الاوقات الا حال مجئ العلم او الا وقت مجئ العلم • بغيا بينهم • وحمية وطلبا للر
ياسة لا لان لهم فى ذلك شبهة • ولولا كلمة سبقت من ربك • وهى العدة بتاخير العقوبة • الى اجل مسمى • هو يوم
القيمة • لقضى بينهم • لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تع • وان
الذين اورثوا الكتاب • الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا
وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم • لفى شك
منه • من القرآن • مريب • موقع فى القلق او فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة
بعد ما علموا الحقية كدأب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة
الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تع ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من ان الناس
كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تع اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الا
بناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تع النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم
فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال على ان مساق النظم
الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهم
دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلوة والسلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن
التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام • فلذلك • اى
فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان
يتنافس فيه المتنافسون • فادع • اى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم
وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عم سبب للدعوة اليه والامر
بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار
اى وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تع بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك
الدين فادع • واستقم • عليه وعلى الدعوة اليه • كما امرت • واوحى اليك • ولا تتبع اهواءهم • الباطلة
• وقل امنت بما انزل الله من كتاب • اى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين امنوا ببعض منها وكفروا
ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين
وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة • وامرت لاعدل بينكم •
فى تبليغ الشرايع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى
بينى وبينكم ولا امركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم

واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف اى امرت بذلك لاعدل او زائدة اى امرت ان
اعدل والباء محذوفة . الله ربنا وربكم . اى خالقنا جميعا ومتولى امورنا . لنا اعمالنا . لا يتخطانا
جزاؤها ثوابا كان او عقابا . ولكم اعمالكم . لا يجاوزكم اثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم
لا حجة بيننا وبينكم . اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة ولا للمخالفة
محمل سوى المكابرة . الله يجمع بيننا . يوم القيمة . واليه المصير . فيظهر هناك حالنا وحالكم
وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجادلة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية
القتال . والذين يحاجون فى الله . اى فى دينه . من بعد ما استجيب له . من بعد ما استجاب له الناس
ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه
الصلوة والسلام وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنعوته عليه الصلوة
والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلوة والسلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا
يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق . حجتهم داحضة عند
ربهم . زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على
زعمهم الباطل . وعليهم غضب . عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره . ولهم عذاب شديد . لا يقادر
قدره . الله الذى انزل الكتاب . اى جنس الكتاب . بالحق . ملتبسا به فى احكامه واخباره او بما يحق
انزاله من العقايد والاحكام . والميزان . والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين
الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن . وما يدريك . اى اى شئ يجعلك عالما
لعل الساعة . التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق . قريب . اى شئ قريب او قريب مجيئها
وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع
الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤ
ها . يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها . استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت
حتى يظهر لنا الحق اهو الذى نحن عليه ام الذى عليه محمد واصحابه . والذين آمنوا مشفقون
منها . خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب . ويعلمون انها الحق . اى الكائن لا محالة . الا
ان الذين يمارون فى الساعة . يجادلون فيها من المرية او من مرية الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة . لفى ضلال بعيد . عن الحق
فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه
ابعد وابعد . الله لطيف بعباده . اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد
ينالها ايدى الافكار والظنون . يرزق من يشاء . ان يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من عباده
بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة . وهو القوى . الباهر القدرة الغالب
على كل شئ . العزيز . المنيع الذى لا يغلب . من كان يريد حرث الآخرة . الحرث فى الارض القاء البذر

فى الارض ويطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق الاستعارة المبنية
على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن تشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله
ثواب الآخرة . نزد له فى حرثه . نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها . ومن كان
يريد . باعماله . حرث الدنيا . وهو متاعها وطيباتها . نؤته منها . اى شيئا منها حسبما قسمنا له
لا ما يريده ويبتغيه . وما له فى الآخرة من نصيب . اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة
الاسراء . ام لهم شركاء . اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع . شرعوا لهم
بالتسويل . من الدين ما لم يأذن به الله . كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم
واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتا
نهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم . ولولا كلمة الفصل . اى القضاء السا
بق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة . لقضى بينهم . اى بين الكافرين والمؤمنين او المشركين
وشركائهم . وان الظالمين لهم عذاب اليم . وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير
عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة . ترى الظالمين
يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء
مشفقين . خائفين . مما كسبوا . من السيئات . وهو واقع بهم . اى ووباله لاحق بهم لا محا
لة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض . والذين آمنوا وعملوا الصالحات
فى روضات الجنات . مستقرون فى اطيب بقاعها وانزهها . لهم ما يشاؤن عند ربهم . اى ما يشتهونه
من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف
يشاؤن . ذلك . اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه
هو الفضل الكبير . الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته . ذلك . ~~الفضل الكبير هو~~ الذى يبشر الله عبا
ده . اى يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك
التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده . الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقرئ يبشر من ابشر . قل لا اسـ
لكم عليه . روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما
يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة . اجرا . نفعا . الا المودة فى
القربى . اى الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسـ
لكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها
او حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء
الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى عم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى
واذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا
اذا لقينى يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة و

العمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى . ومن يقترف حسنة . اي يكتسب اي حسنة كانت سيما حب ال محمد
ذي القربى تتناولا اوليا وعن السدي انها المرادة وقيل نزلت في الصديق رض ومودته فيهم . نزد له
فيها . اي في الحسنة . حسنا . بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي الله وقرئ حسنى . ان الله غفور . لمن اذنب
شكور . لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة . ام يقولون . بل ايقولون . افترى
على الله كذبا . بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل
ايتمالكون ان تنسبوا مثله عم وهو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى و
افحشها وقوله تع . فان يشأ الله يختم على قلبك . استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عم لو افترى
على الله تع لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تع قول منهم بانه تع لا
يشاء صدوره عن النبي عم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء
عليه تع لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم
تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تع هذا
وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تع الا من كان كذلك
ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عم وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على
قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب
لفعل به ذلك ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر
حتى لا يشق عليك اذاهم . ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته . استيناف مقرر لنفي الافتراء
غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لا
تباع اللفظ كما في قوله تع ويدع الانسان بالشر ومن عادته تع انه يمحو الباطل ويثبت الحق
بوحيه او بقضائه كقوله تع بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه
ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تع يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم . انه عليم بذات الصدور
فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات . وهو الذي يقبل التوبة عن عباده . التوبة
هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رض ان اعرابيا
دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته
قال له علي رضي الله تع عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه
تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب
الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها
في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته و
يعفو عن السيئات . صغيرها وكبيرها لمن يشاء . ويعلم ما تفعلون . كائنا ما كان من خير وشر فيجازي

ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالياء . ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات . اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تع واذا كالوهم اي كالوا لهم و
المراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عم
افضل الدعاء الحمد لله او يستجيب الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما
بالنا ندعو فلا نجاب قال دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام . ويزيدهم من
فضله . على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد . والكافرون لهم عذاب شديد . بدل ما للمؤمنين
من الثواب والفضل المزيد . ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض . لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي
طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية . ولكن ينزل بقدر . اي بتقدير . ما يشاء
اي ينزله مما تقتضيه مشيته . انه بعباده خبير بصير . محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل
واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط
حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة
تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا
وهو الذي ينزل الغيث . اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من
الانزال . من بعد ما قنطوا . يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة
وقرئ بكسر النون . وينشر رحمته . اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات
والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا . وهو الولي . الذي يتولى عباده بالاحسان
ونشر الرحمة . الحميد . المستحق للحمد على ذلك لا غيره . ومن آياته خلق السموات والارض . على ما هما
عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة . وما بث فيهما . عطف على
السموات او الخلق . من دابة . من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض
فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان
يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تع ويخلق ما لا
تعلمون وقد روي ان النبي عم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء
والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق
ذلك العرش العظيم . وهو على جمعهم . اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تع . اذا يشاء . متعلق
بما قبله لا بقوله تع . قدير . فان المقيد بالمشية جمعه تع لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل
الماضي تدخل المضارع . وما اصابكم من مصيبة . اي مصيبة كانت . فبما كسبت ايديكم . اي فهي
بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء

ويتجاوز

نخ - بحميكم

بمعنى الباء من معنى السببية ويعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجر
مين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب آخر منها تعريضه للثواب بالصبر وما انتم بمعجزين في الارض فا
ئتين ما قضى عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم
منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام
اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ
الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات اصلا
ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيئته لآيات عظيمة
في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما
لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه
صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او ير
سلها فيغرق بعضها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكم
على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم
وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم
وليعلم كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ با
لرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم
وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من
شئ مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم
وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذ
ين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث
ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رض
الله عنه انه تصدق ابو بكر رض بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم
اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا
او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال
الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رض كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى
بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا
حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر
المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوة والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن
بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضا

وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موضع نفعه ورذيلة مذمومة في
موضع ضرره صاحبه فان الحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه
اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع
الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي
فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة للاجزية حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي
واطلاق السيئة على الثاني لانه يسوء من تنزل به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من
يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله
عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين
بالسيئة والمعتدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة
الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الا
رض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق
لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره
الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية
ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل
الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن و
نعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من
يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي
يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان
الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد
يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي
للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا
ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من
قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مردا ومن قبل ان يأتي من الله
يوم لا يملك رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه
مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام

وحرف له من خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عم اى فان لم يستجيبوا واعرضوا
عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم • ان عليك الا البلاغ • وقد فعلت • وانا
اذا اذقنا الانسان منا رحمة • اى نعمة من الصحة والغنى والامن • فرح بها • اريد بالانسان الجنس
لقوله تع • وان تصبهم سيئة • اى بلاء من مرض وفقر وخوف • بما قدمت ايديهم • فان الانسان كفور
بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل يزعم انه اصابه بغير
استحقاق له واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد
وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق
الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة و
تعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع
الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم • لله ملك السموات والا
رض • فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف ما يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية
حسبما يريد • يخلق ما يشاء • مما نعلمه ومما لا نعلمه • يهب لمن يشاء اناثا • من الاولاد ويهب لمن يشاء الذ
كور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد • او يزوجهم • اى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا
ذكرانا واناثا • قالوا معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين • و
يجعل من يشاء عقيما • والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشية فيهب
لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها
اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية تع لا ما يتعلق به مشية الا
نسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب ابا
ئهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف اولاه التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين
القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال
الانبياء عم حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا وللنبي عم ذكورا واناثا وجعل يحيى
وعيسى عقيمين • انه عليم قدير • مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة • وما كان لبشر
اى وما صح لفرد من افراد البشر • ان يكلمه الله • بوجه من الوجوه • الا وحيا • اى الا بان يوحى اليه ويلهمه
ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روى عن مجاهد اوحى
الله الزبور الى داود عم في صدره او بان يسمعه كلامه الذى يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر
السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تع • او من وراء حجاب • فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم
بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم
السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تع • او يرسل رسولا • اى ملكا • فيوحى • ذلك الرسول الى
المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى • باذنه • اى بامره تع وتيسيره • ما يشاء • ان يوحيه اليه وهذا هو الذى

يجرى بينه تع وبين الانبياء عليهم الصلوة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تع
وحيا وقوله تع او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تع او من وراء حجاب ظرف واقع مو
قعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع
على اضمار مبتداء وروى ان اليهود قالت للنبي عليه الصلوة والسلام الا تكلم وتنظر اليه ان كنت نبيا
كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عم لم ينظر موسى عم الى الله تع فنزلت وعن
عائشة رض من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآ
ية • انه علي • متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تع وبينهم الا باحد الوجوه
المذكورة • حكيم • يجرى افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا
وكذلك • اى ومثل ذلك الايحاء البديع • اوحينا اليك روحا من امرنا • هو القرآن الذى هو للقلوب
بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عم ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله
اليه بالوحى • ما كنت تدرى • قبل الوحى • ما الكتاب • اى اى شيء هو • ولا الايمان • اى الايمان بتفاصيل
ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان د
رايته عم له مما لا ريب فيه قطعا • ولكن جعلناه • اى الروح الذى اوحيناه اليك • نورا نهدى به من نشاء
هدايته • من عبادنا • وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تع • وانك لتهدى • تقرير لهدايته
تع وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور اى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء
هدايته • الى صراط مستقيم • هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله وقرئ
لتدعوا • صراط الله • بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تع • الذى له ما في السموات
وما في الارض • لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات
له تع خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب • الا الى الله تصير الامور • اى امور ما فيهما قا
طبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول
الله صلى الله عم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم • حم • الكلام فيه كالذى مر في فاتحة سورة يس خلا
ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم • والكتاب
بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار
العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية • المبين • اى
البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح
لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة • انا جعلناه قرآنا عربيا • جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد
جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تع • لعلكم تعقلون • فانها المحتاجة الى التحقيق و
التاكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اى جعلنا ذلك الكتاب

ب

قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما تضمنه من الشواهد
الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية • وانه في ام الكتاب
اى في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر • لدينا • اى عندنا • لعلى • رفيع
القدر بين الكتب شريف • حكيم • اى ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه
قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة
المقسم عليها داخلة في حكم الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان
بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الا
قسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به
واما مستأنفة مقررة لعلو شانه الذى انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وبعد ما بين علو شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه
عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل • افنضرب عنكم الذكر • اى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قو
لهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت
عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اى انهملكم فننحى الذكر عنكم • صفحا • اى اعراضا
عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا
كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اى افننحيه عنكم جانبا • ان كنتم قوما مسرفين •
اى لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر
والضلال وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الا
مين • وانزال الكتاب المبين • وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم
والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه • وقوله تعالى • وكم ارسلنا من نبى في الاولين وما يأتيهم من نبى
الا كانوا به يستهزءون • تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء
اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى • فاهلكنا اشد منهم بطشا • اى
من هؤلاء القوم المسرفين عن ربهم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية
البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية • ومضى مثل الاولين • اى سلف في القرآن غير مرة
ذكر قصتهم التى حقها • اى تسير مسير المثل • ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم • اى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون
عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات
والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤوا
او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى • الذى جعل لكم الارض مهدا • استيناف من
جهته تعالى اى بسطها لكم تستقرون فيها • وجعل لكم فيها سبلا • تسلكونها في اسفاركم • لعلكم تهتدون •

اى لكى

اى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى • والذى
نزل من السماء ماء بقدر • بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح • فانشرنا به • اى احيينا بذلك
الماء • بلدة ميتا • خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة بمعنى
البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره • كذلك
اى مثل ذلك الاحياء الذى هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض • تخرجون • اى تبعثون من قبوركم
احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان
الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس • والذى خلق الا
زواج كلها • اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الازواج الضروب والانواع
كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق و
التحت واليمين واليسار الى غير ذلك • وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون • اى ما تركبونه تغليبا للانعام
على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارا
دية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها • لتستووا على ظهوره • اى لتستعلوا على ظهور ما تر
كبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى • ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه • اى تذكروها بقلو
بكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا متعجبين من
ذلك كما روى عن النبى عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد
لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا • وما كنا له مقرنين • اى
مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينة لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد
والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها
ولا حق المنعم بها • وانا الى ربنا لمنقلبون • اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما
يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فيبنى اموره في مسيره ذلك على ملا
حظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع • وجعلوا
له من عباده جزءا • متصل بقوله ولئن سألتهم الخ اى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم
بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات
وقرئ جزؤا بضمتين • ان الانسان لكفور مبين • ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون سبحان الله
عما يصفون • ام اتخذ مما يخلق بنات • ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان
جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار
والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى • واصفاكم بالبنين • اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار و
التعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الا
لزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم

ع

ما يقولون

اجترائهم على اضافة اتى ذجنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه انما كان لكم شيء من العقل
والتمييز من الحياء حيث اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين
واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن
حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى
لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله
ظل وجهه مسودا اى صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال
وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشأ في الحلية
تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا من ينشأ اى يربى في الزينة وهو
عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف
على اتخذ فالهمزة ح لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الا
نكار وتاكيده والعطف للتغاير العنواني اى او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر
من القصور في الخصام اى في الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة غير مبين غير قادر على
تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه على
معنى النفي وقرئ ينشأ ويناشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه و
غالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم
بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن
على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق الله تعالى اياهم فشا
هدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ
أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم
ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا
وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان
لفن آخر من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما
فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى ايا
منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما ان
عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث
جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا من كان من غير اعتبار الرضا والسخط
في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة
الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما

ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها
وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة
النقل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك
الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون
اى لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة
الدين والطريقة التى تؤم اى تقصد كالرحلة للمرحول اليه وقرئ امة بالكسر وهى الحالة التى يكون
عليها الآم اى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك
اى والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك من نذير
الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استئناف مبين لذلك دال على ان
التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للا
يذان بان التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذ
رين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم
اى اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست
من الهداية فى شئ وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض
اوحى ح الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
فانه حكاية عن الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به اه وقد اجمل عند الحكاية للايجاز
كما مر فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه السلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه
على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية فانتقمنا منهم اى بالاستئصال فانظر كيف كان عا
قبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اى واذكر لهم وقت
قوله لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله اننى براء مما تعبدون وتمسك با
لبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال او ليقتدوا به ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به
مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما
اما مصدرية او موصولة وحذف عائدها اى اننى برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذى فطرنى استثناء
منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما
موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين اى سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى
ما وراء الذى هدانى اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها اى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية فى عقبه اى فى
ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد

الله تع ويدعوا الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف . لعلهم يرجعون . علة للجعل اي جعلها باقية
في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد . بل متعت هؤلاء . اضراب عن محذوف ينساق
اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم
بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عم من اهل مكة . وآباءهم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد . حتى
جاءهم . اي هؤلاء . الحق . اي القرآن . ورسول . اي رسول . مبين . ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات
الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تع اعترض به
على ذاته في قوله تع وجعلها كلمة باقية آه مبالغة في تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه
سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال
ولما جاءهم الحق . لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم
السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث . قالوا هذا سحر وانا به كافرون . فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين . اي من احدى القريتين مكة والطائف
على نهج قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان . عظيم . بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن
مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد يا ليل ولم يتفو
هوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول عم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرابته بل
استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب
جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها
الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية و
اما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنيئة فهم من الاستحقاق لتلك الرتبة بالف
منزل وقوله تع . اهم يقسمون رحمة ربك . انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم . اي اسباب معيشتهم . في الحيوة الدنيا . قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية
على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية . ورفعنا بعضهم
فوق بعض . في الرزق وسائر مبادي المعاش . درجات . متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه
الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . ليصرف
بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا و
يصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا
فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة
فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة و
التخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها . ورحمة ربك . اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين . خير مما يجمعون

من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تع . ولولا ان يكون الناس امة واحدة . استئناف مبين لحقارة
متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارته بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم
الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم
منزلة وذلك قوله تع . لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة . اي متخذة منها ولبيوتهم بدل
اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع
سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف
تخفيفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا . ومعارج . اي جعلنا لهم معارج
من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج . عليها يظهرون . اي يعلون
السطوح والعلالي . ولبيوتهم . اي وجعلنا لبيوتهم . ابوابا وسررا . من فضة . عليها . اي
على السرر . يتكئون . ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير . وزخرفا . اي زينة عطفا على سقفا
او ذهبا عطفا على محل من فضة . وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا . اي وما كل ما ذكر من البيوت
الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع
الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها
لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع آه كما في قوله تع تماما على الذي احسن و
الآخرة . بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان . عند ربك للمتقين . اي عن الكفر والمعاصي وبهذا
تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا . ومن يعش . اي يتعام . عن ذكر الرحمن . وهو القرآن و
اضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى
اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة
غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها
الفانية والشهوات . نقيض له شيطانا فهو له قرين . لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ
يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض . وانهم . اي الشياطين
الذي قيض لكل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو . ليصدونهم . اي قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار
معنى من كما ان مدار افراد الضماير السابقة اعتبار لفظها . عن السبيل . المستبين الذي يدعوا اليه القرآن
ويحسبون . اي العاشون . انهم . اي الشياطين . مهتدون . اي الى السبيل المستقيم والى ما اتبعوا
هم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لا
تحاد مسلكيهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ او من فاعله او منهما لاشتمالها
على ضميريهما اي وانهم ويصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة
المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تع . حتى اذا جاءنا . فان حتى وان
كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا و

افراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر
وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى
اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد
المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد
اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الآية حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهته عز وجل
توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل
ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين
عندكم وعند الناس جميعا انكم ظالمون انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني
لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي
لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند
الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم
فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الا
نتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قر
نائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
وقولهم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عم وهم لا
يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن
فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم و
هم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث
لا ارعواء لهم منه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده
بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك و
صدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام
القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان نريك العذاب
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد
اراه عم ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود
او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم
تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن
قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسألوا الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله

اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه
سأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة
الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد
والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا بها الى
فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عم والاستشهاد
بدعوة موسى عم الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون اي فاجؤوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها و
ما نريهم من آية من الآيات الا هي اكبر من اختها اي الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث
يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير
ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها
واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون يرجعوا عما هم عليه
من الكفر وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل
كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك
ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون اي لمؤمنون على تقدير
كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب
بدعوته اذا هم ينكثون فاجؤوا وقت عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى
فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر
دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين
يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها او للحال فهذه
مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع
هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد
يبين اي الكلام قاله افتراء عليه عم وتنقيصا له عم في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عم من نوع رتة
وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عدد اسباب
فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حالي من هذا الخ واما متصلة فالمعنى افلا
تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله تعالى انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء
وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم
لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد

الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب والاسورة
جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير
وقد قرئ او القى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى • او جاء معه الملائكة مقترنين •
مقترنين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن • فاستخف قومه •
فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم • فاطاعوه • فيما امرهم به • انهم كانوا
قوما فاسقين • فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي • فلما آسفونا • اي اغضبونا اشد
الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه • انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين • في اليم • فجعلناهم سلفا •
قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر
نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد
سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة
اي ثلة قد سلفت • ومثلا للآخرين • اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال
مثلكم مثل قوم فرعون • ولما ضرب ابن مريم مثلا • اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم
فقال عليه الصلوة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست
النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان
نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى • اذا قومك منه •
اي من ذلك المثل • يصدون • اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون اي من اجل
ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو
ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف وهو الانسب بمعنى المفاجأة • وقالوا آلهتنا خير ام هو •
حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي
ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم
من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه الصلوة والسلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه السلام عنه من شائبة
الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما
لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص
كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه محتمل جوابه للرخصة في عبادته في الجملة فعممه
عليه السلام للكل لكن لا بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا
الشياطين التامرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك

بمحض

انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لوقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد
كما ينطق به قوله تعالى • ما ضربوه لك الا جدلا • اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب
الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك • بل هم قوم خصمون • اي لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج
وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم
عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم ءالهتنا خير ام هو تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد
بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدال وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد
محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى
يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء
به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كا
نهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن
اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى • ان هو الا عبد انعمنا عليه •
اي بالنبوة • وجعلناه مثلا لبني اسرائيل • اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه
الاول استيناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريح قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي
من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع بيان انه قياس باطل بباطل او بأبطل على زعمهم وما عيسى
الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بو
جه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يتخذ
عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يتعذروا بان حالهم اشف او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث
فهو لردهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحي الى الرسول عليهما السلام
ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته او كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى • و
لو نشاء • الخ لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع
مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء • لجعلنا • اي لخلقنا بطريق
التوالد • منكم • وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة • ملائكة • كما خلقناهم بطريق الابداع • في الارض • مستقرين
فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء • يخلفون • اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الا
فاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة
الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم المعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا • وانه • اي ان
عيسى لعلم للساعة • اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصولها به او بحدوثه بغير اب او باحيائه
الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة

ای حلتان مصبوغتان

وقرئ للعلم وقرئ للذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عم ينزل على ثنية بالارض
المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عم ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عم ثم يقتل الخنا
زير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه
الاعلام بالساعة. فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها. واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل
هو قول الرسول مأمورا من جهته تع. هذا. اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له. صراط مستقيم
موصل الى الحق. ولا يصدنكم الشيطان. عن اتباعي. انه لكم عدو مبين. بين العداوة حيث اخرج اباكم من
الجنة وعرضكم للبلية. ولما جاء عيسى بالبينات. اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع الواضحات
قال. لبني اسرائيل. قد جئتكم بالحكمة. اي الانجيل او الشرايع. ولابين لكم. عطف على مقدر ينبئ عنه المجئ
بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم. بعض الذي تختلفون فيه. وهو ما يتعلق بامور
الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عم انتم اعلم بامور
دنياكم. فاتقوا الله. في مخالفتي. واطيعون. فيما ابلغه عنه تع. ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه. بيان
لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع. هذا. اي التوحيد والتعبد بالشرايع. صراط
مستقيم. لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم او استيناف من جهته تع مقرر لمقالة عيسى عم. فاختلف
الاحزاب. الفرق المتحزبة من بينهم من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى. فويل للذين ظلموا
من المختلفين. من عذاب يوم اليم. هو يوم القيمة. هل ينظرون. ما ينتظر الناس. الا الساعة ان تأتيهم.
اي الا اتيان الساعة. بغتة. اي فجاءة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين مشتغلين بامور الدنيا
منكرين لها وذلك قوله تع. وهم لا يشعرون. الاخلاء. اي المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور
الدنيوية. يومئذ. يوم اذ تأتيهم الساعة. بعضهم لبعض عدو. لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب
لظهور كونها اسبابا للعذاب. الا المتقين. فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد
بمشاهدة كل منهم اثار خلتهم في الدنيا ~~لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم اثار~~
خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع. يا عباد لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون. حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم
الذين آمنوا بآياتنا. صفة للمنادى او نصب على المدح. وكانوا مسلمين. اي مخلصين وجوههم لنا جا
علين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم. نساؤكم المؤمنات. تحبرون. تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على
وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل
يطاف عليهم. بعد دخولهم الجنة جميعا امر واحد. بصحاف من ذهب واكواب. كذلك والصحاف جمع
صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المئكلة والاكواب

يوم خ

عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين امنوا ح

جمع

جمع كوب وهو كوز لا عروة له. وفيها. اي الجنة. ما تشتهيه الانفس. من فنون الملاذ وقرئ
ما تشتهي. وتلذ الاعين. اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه. وانتم فيها خالدون. اتمام للنعمة
والكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لا محالة والالتفات للتشريف. وتلك
الجنة. مبتدأ وخبر. التي اورثتموها. وقرئ ورثتموها. بما كنتم تعملون. في الدنيا من الاعمال الصالحة
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته
خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بالمحذوف لا باورثتموها كما
في الاولين. لكم فيها فاكهة كثيرة. بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط. منها تأكلون. اي
بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة
فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي عم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها
ان المجرمين. اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات. في
عذاب جهنم خالدين. خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلق به. لا يفتر عنهم. العذاب. عنهم من قولهم
فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف. وهم فيه. اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار
مبلسون. آيسون من النجاة. وما ظلمناهم. بذلك. ولكن كانوا هم الظالمين. لتعريضهم انفسهم للعذاب
الخالد. ونادوا. خازن النار. يا مالك. وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم و
عجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه. ليقض علينا ربك. اي ليمتنا من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل
ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر في ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة. قال انكم ما
كثون. اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله تع عنهما انه لا يجيبهم الا
بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة. لقد جئناكم بالحق. في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب
وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تع مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله
تع. ولكن اكثركم للحق. اي حق كان. كارهون. لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد
او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه. ام ابرموا امرا. كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا
من الكيد برسول الله صلى الله عم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكا
ية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده و
ان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول
الله صلى الله عم. فانا مبرمون. كيدنا بهم حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة
كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره
عليه الصلوة والسلام. ام يحسبون. اي بل ايحسبون. انا لا نسمع سرهم. وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم
في مكان خال. ونجواهم. اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي. بلى. نحن نسمعها ونطلع عليها. ورسلنا. الذين
يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم. يكتبون. اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر

عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى
او حال اي نسمعها والحال ان رسلنا يكتبون • قل • اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان في الفتك لهم
بعدم عبادتكم لما يعبدونه هو لا لمكان يليق له ما نسبوا اليه وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى
ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين • اي له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز
واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفائه كونهم كذلك على
ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله عليه السلام على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من
استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه
او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ
ولد • سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون • اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة
اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته
كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش • فذرهم • حيث لم يذعنوا
عن الحق بعدما سمعوا هذا البرهان الجلي • يخوضوا • في اباطيلهم • ويلعبوا • في دنياهم فان ما هم فيه
من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر • حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون • من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود
بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ و
هو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف
عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة
للموصول واله خبر لمبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على
سبيل الاستقرار وفيه نفي للآلهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وجوده • وهو الحكيم
العليم • كالدليل على ما قبله • وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما • اما على الدوام كالهواء او في بعض
الاوقات كالطير • وعنده علم الساعة • اي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة • واليه ترجعون • للجزاء والالتفات
للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء • ولا يملك الذين يدعون • اي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا
ومشددا • من دونه الشفاعة • كما يزعمون • الا من شهد • بالحق • الذي هو التوحيد • وهم يعلمون • بما يشهدون
به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل
والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام • ولئن سألتهم من خلقهم • اي
سألت العابدين والمعبودين • ليقولن الله • لتعذر الانكار لغاية بطلانه • فأنى يؤفكون • فكيف يصرفون عن
عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى • وقيله • بالجر اما على انه عطف على الساعة اي عنده

علم

علم الساعة وعلم قوله • يا رب • الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله
تعالى • ان هؤلاء قوم لا يؤمنون • جوابه وفي الاقسام به رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى
ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة • فاصفح عنهم • فاعرض عن دعوتهم
واقنط عن ايمانهم • وقل سلام • اي امري تسلم منكم ومتاركة • فسوف تعلمون • حالهم البتة وان تأخر ذلك
وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا
الجنة بغير حساب

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم • حم والكتاب المبين • الكلام
فيه كالذي سلف في السورة السابقة • انا انزلناه • اي الكتاب المبين الذي هو القرآن • في ليلة مباركة •
هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه
جبرائيل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها
بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة و
الرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة • انا كنا منذرين • استئناف مبين لما
يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم
وقوله تعالى انا انزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف • فيها يفرق كل امر حكيم • استئناف كما قبله
فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها
وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب و
يفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة
القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة
الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال
الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق
بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة • امرا من عندنا •
نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد
بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به
مقابل النهي ويجعل مصدرا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا
من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأمورا • انا كنا مرسلين • بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث
وقيل مستأنف وقوله تعالى • رحمة من ربك • غاية للارسال متأخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة
الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل

بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا ان يبعث ارسالهم ووضع الرب
موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عم لتشريفه
او تعليل ليفرق ~~عطف على قوله~~ بل او لقوله تع امرا على ان قوله تع رحمة مفعول للارسال كما في قوله تع
وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب
في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تع من باب الرحمة فان الغاية للتكليف
العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تع • انه هو السميع العليم • تحقيق لربوبيته
تع وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته • رب السموات والارض وما بينهما • بدل من ربك او بيان او نعت
وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتداء • ان كنتم موقنين • اي ان كنتم من اهل الايقان
في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تع رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها
فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة
مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله تع رب السموات آه وما بينهما اعتراض • يحيي ويميت • مستانفة كما قبله وكذا
قوله تع • ربكم ورب آبائكم الاولين • باضمار مبتداء او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت
له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة
الجر • بل هم في شك • فيما ذكر من شئونه تع غير موقنين في اقرارهم • يلعبون • لا يقولون ما يقولون عن جد
واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تع • فارتقب • لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان
كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم • يوم تاتي السماء بدخان مبين • اي يوم شدة ومجاعة فان
الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الا
مطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى
الله عم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطائك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عم فاخذتهم
سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث
الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تع • يغشى الناس • اي يحيط بهم • هذا عذاب اليم •
اي قائلين ذلك فمشى اليه عم ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تع والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف
عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تع • ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون • وهذا قول ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السماء
قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الز
كام ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عم واما الدخان فلا
الآية وقال يملا ما بين السماء المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة
الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم
الكريم قطعا فان قوله تع • انى لهم الذكرى • الى آخره في كلامهم ولستدعائهم الكشف وتكذيبهم في الوعد

بالايمان المبني عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذ
كرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم • وقد جاءهم رسول مبين • اي والحال
انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول
عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق في اظهار الآيات ظاهرة معجزات قاهرة يخر لها صم الجبال • ثم تولوا
عنه • عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم
يقتنعوا بالتولي • وقالوا • في حقه • معلم مجنون • اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى
مجنون او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة
والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تع • انا كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون • جواب من جهته الله تع عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الا
لتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا
او زمانا قليلا انكم عائدون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة
وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تع بدعاء
النبي صلى الله عم فلبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط
قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون فيكشفه الله تع عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون • يوم نبطش
البطشة الكبرى • اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تع • انا منتقمون • لا
لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم ياتي آه وقرئ نبطش
الملائكة على ان نبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او يجعل البطشة الكبرى
باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة • ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون • اي امتحناهم بارسال
موسى عم اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او
لكثرة القوم • وجاءهم رسول كريم • على الله تع او على المؤمنين او في نفسه لان الله تع لم يبعث
نبيا الا من سراة قومه وكرامهم • ان ادوا الي عباد الله • اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي
او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا
يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي آه وقوله تع • اني
لكم رسول امين • تعليل للامر او لوجوب المامور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنه الله تع على وحيه
وصدقه بالمعجزات القاهرة • وان لا تعلوا على الله • اي لا تتكبروا عليه تع بالاستهانة بوحيه وبرسوله
وان كالتي سلفت وقوله تع • اني آتيكم • اي من جهته تع • بسلطان مبين • تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة
لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان
مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى • واني عذت بربي وربكم • اي التجات اليه وتوكلت عليه • ان ترجمون •

من ان ترجموني اي تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه
بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل
ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى
ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن ليأ
باه المقام فدعا ربه بعدما تموا على تكذيبه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء
عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم
عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر
بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال ربه اسر بعبادي او قبلها كانه قيل قال ان كان
الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تع ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة
من سرى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا
مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ليطبق ولا تغيره عن
حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا
بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اي تنعم كانوا
فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر
فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل
ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا
على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكترا
ث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت
عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط
رزقه واثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين
ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون
وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على
الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف
المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل
تعرفونه من هو في عتوه وتوغله وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تع انه كان عاليا من المسرفين
ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تع من المسرفين خبر ثان
لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا
لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار
او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين لكثرة الانبياء

فيهم

فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر
لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة
للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان
هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد
فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حيوة الا الموتة الاو
لى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن
بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عم والمؤمنين ان
كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون
اليهم ان يدعوا الله تع فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات و
الملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب
الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها و
كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تع دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك بحرا
وبرا اي بحارا كثيرة وعن النبي عم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا
او غير نبي وعن ابن عباس رض عنهما انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال
لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرا
بهم من كل جبار عنيد اولي بأس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تع اهلكنا
هم استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تع انهم كانوا مجرمين تعليل له اي اهلكناهم ليعلم ان اولئك
حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم
في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين الجنسين
وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما
الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسين بشيء من الاشياء الا ملتبسا
بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فانكروا البعث والجزاء ان يوم الفصل اي فصل الحق عن
الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعادهم وجزاءهم
في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا الفصل
مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى

الاول باعتبار المعنى لانه عام • الا من رحم الله • بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على
البدل من الواو والنصب على الاستثناء • انه هو العزيز • الذي لا ينصر من اراد تعذيبه • الرحيم
لمن اراد ان يرحمه • ان شجرة الزقوم • وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات
طعام الاثيم • اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه • كالمهل • وهو ما
يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت • يغلي في البطون • وقرئ بالتاء على اسناد
الفعل الى الشجرة • كغلي الحميم • غليانا كغليه • خذوه • على ارادة القول والخطاب للزبانية • فاعتلوه
اي جروه • والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه • الى سواء الجحيم
اي وسطه • ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم • كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل
يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للد
لالة على ان المصبوب بعض هذا النوع • ذق انك انت العزيز الكريم • اي وقولوا له ذلك استهزاء
به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم
مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب انك • ان هذا
اي العذاب • ما كنتم به تمترون • تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم • ان
المتقين • اي عن الكفر والمعاصي • في مقام • في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص
الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة • امين • يامن صاحبه الآفات و
الانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان
المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره • في جنات وعيون • بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته
واشتماله على طيبات المآكل والمشارب • يلبسون من سندس واستبرق • خبر ثان او حال من الضمير
في الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب • متقابلين • في
المجالس ليستأنس بعضهم ببعض • كذلك • اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم • وزوجناهم بحور عين
على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين العيناء
وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها • يدعون فيها بكل فاكهة • اي يطلبون
ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان • آمنين • من كل ما
يسوءهم • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى • بل يستمرون على الحياة ابدا والاستثناء منقطع
او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ • ووقاهم عذاب الجحيم • وقرئ مشددا للمبالغة في الوقا
ية • فضلا من ربك • اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل • ذلك
هو الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى
فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون • فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي

يفهمه

يفهمه قومك فيتذكروا به ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك • فارتقب • فانتظر ما يحل بهم • انهم
مرتقبون • ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له • سورة حم

الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم • حم • الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة
فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة وقيل جريان ذكرها قد
وقع على مرور مرارا او اجمل مرورها على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى • تنزيل
الكتاب • على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر
يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان
الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها
الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب
فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى • من الله العزيز الحكيم • كما مر في صدر سورة الز
مر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات و
الارض لآيات للمؤمنين • وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية
الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما انفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات
على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله
تعالى • وفي خلقكم • اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق • وما يبث من دابة •
عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة • آيات • بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف
المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات
باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان و
الخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات • لقوم يوقنون • اي من شانهم ان يوقنوا
بالاشياء على ما هي عليه • واختلاف الليل والنهار • بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد
قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا • وما انزل الله من السماء
عطف على اختلاف • من رزق • من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من
جهة القدرة والرحمة • فاحيا به الارض • بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات • بعد
موتها • وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار • وتصريف
الرياح • من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع
تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان
مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء
المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار • آيات لقوم يعقلون • بالرفع على
انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص

وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمول عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيف واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء . تلك آيات الله . مبتدا وخبر وقوله تع . نتلوها عليك . حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان . بالحق . حال من فاعل نتلوا او من مفعوله اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق . فباي حديث من الاحاديث . بعد الله وآياته . اي بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تع الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني . يؤمنون . بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء . ويل لكل افاك . كذاب . اثيم . كثير الآثام . يسمع آيات الله . صفة اخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في اثيم . تتلى عليه . حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرط ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا . ثم يصر . اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة . مستكبرا . عن الايمان بما سمعه من آيات الله تع والاذعان لما تنطق به من الحق فرد ازيا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها . كان لم يسمعها . اي كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اي يصر شبيها بغير السامع . فبشره بعذاب اليم . على اصراره واستكباره . واذا علم من آياتنا شيئا . اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا مما يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة . اتخذها . اي الآية كلها . هزوا . اي مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الآية . اولئك . اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تع كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد . لهم . بسبب جناياتهم المذكورة . عذاب مهين . وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتع . من ورائهم جهنم . اي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام . ولا يغني عنهم . ولا يدفع . ما كسبوا . من الاموال والاولاد . شيئا . من عذاب الله تع او شيئا من الاغناء . ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء . اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم

الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفي تهكم . ولهم . فيما وراءهم من جهنم . عذاب عظيم . لا يقادر قدره . هذا . اي القرآن . هدى . في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها . والذين كفروا . اي القرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تع . بآيات ربهم . لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم . لهم عذاب من رجز . اي اشد من العذاب . اليم . بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية . الله الذي سخر لكم البحر . بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه . لتجري الفلك فيه بامره . وانتم راكبوها . ولتبتغوا من فضله . بالتجارة والغوص والصيد وغيرها . ولعلكم تشكرون . ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك . وسخر لكم ما في السموات وما في الارض . من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم . جميعا . اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له . منه . متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تع او لما سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تع او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تع وقرئ منه على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه . ان في ذلك . اي فيما ذكر من الامور العظام . لآيات . عظيمة الشان كثيرة العدد . لقوم يتفكرون . في بدائع صنع الله تع فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تع ودقائقها ويوفقون لشكرها . قل للذين آمنوا . حذف المقول لدلالة . يغفروا . عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا . للذين لا يرجون ايام الله . اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تع باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله تع لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آيات القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رض فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر رض فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تع . ليجزي قوما بما كانوا يكسبون . تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا انما يصدر عنه تع بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين

وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزي قوما وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها . لا يكاد سيرى بعمل الى غير عامله . ثم الى ربكم . مالك اموركم . تر
جعون . فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا . ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب . اي التورية . والحكم
اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم . والنبوة
حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم . ورزقناهم من الطيبات . مما احل الله من اللذائذ كالمن والسلوى
وفضلناهم على العالمين . حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل
على عالمي زمانهم . وآتيناهم بينات من الامر . دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس
رضه هو العلم بمبعث النبي عم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب
فما اختلفوا . في ذلك الامر . الا من بعد ما جاءهم العلم . بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف
موجبا لرسوخه . بغيا بينهم . اي عداوة وحسدا والاستكبار فيه . ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة . بالمؤاخذة
والجزاء . فيما كانوا فيه يختلفون . من امر الدين . ثم جعلناك على شريعة . اي سنة وطريقة عظيمة الشان . من
الامر . اي امر الدين فاتبعها . باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها . ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون . اي آراء الجهال واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقو
لون عليهم ارجع الى دين آبائك . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا . مما اراد بك ان اتبعتهم . وان الظا
لمين بعضهم اولياء بعض . لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم . والله ولي
المتقين . الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية
هذا . اي القرآن او اتباع الشريعة . بصائر للناس . فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع
بمنزلة البصائر في القلوب . وهدى . من ورطة الضلال . ورحمة . عظيمة . لقوم يوقنون . من شانهم
الايقان بالامور . ام حسب الذين اجترحوا السيئات . استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين و
المحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان
الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تع ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه
والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب . ان نجعلهم . اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من
مساوي الاحوال . كالذين آمنوا وعملوا الصالحات . وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم
معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجات وقوله تع . سواء محياهم ومماتهم . اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم
حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم
مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم
كلا لا يستوون في شيء منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله ورضوانه
في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الدائم في الممات شتان بينهما

وقد

وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق
والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال
على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه اخر من الاعراب
والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدا فقيل الجملة
بدل من الكاف وقيل حال واياما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل
منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي
والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده . ساء ما يحكمون . اي ساء
حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك . وخلق الله السموات والارض بالحق . استئناف مقرر لما سبق من
الحكم فان خلق الله تع لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا و
الممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما . ولتجزى كل نفس بما كسبت . عطف على
بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها
لاجل ذلك ولتجزى او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى . وهم . اي النفوس
المدلول عليها بكل نفس . لا يظلمون . بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك
على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تع عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل
صدوره عنه تع . افرأيت من اتخذ الهه هواه . تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه
عبده اي انظرت فرأيته فان ذلك مما يقضي به العجب وقرئ آلهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده
فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى . واضله الله . وخذله . على علم . اي عالما بضلاله و
تبديله لفطرة الله تع التي فطر الناس عليها . وختم على سمعه وقلبه . بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا يتفكر في
الآيات والنذر . وجعل على بصره غشاوة . مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين
وضمها وقرئ غشوة . فمن يهديه من بعد الله . اي من بعد اضلاله تع اياه بموجب تعاميه عن الهدى و
تماديه في الغي . افلا تذكرون . الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل . وقالوا
بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم . ما هي . اي ما الحيوة . الا حيوتنا الدنيا
التي نحن فيها . نموت ونحيا . اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا
وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا
وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى . وما يهلكنا الا الدهر .
الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون
ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح
بامر الله تع ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عم لا تسبوا الدهر فان الله هو الآتي
بالحوادث لا الدهر . وما لهم بذلك . اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد الحيوة والموت

الى الدهر من علم من مستند الى عقل او نقل • ان هم الا يظنون • وما هم الا قوم قصارى امرهم الظن و
التقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم • واذا تتلى عليهم
آياتنا • الناطقة بالحق الذي من جملته البعث • بينات • واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له • ما كان
حجتهم • بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء • الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صا
دقين • في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة • وتسميته حجة اما
لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع • وقرئ برفع
حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل • قل الله يحييكم
ابتداء • ثم يميتكم • عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر • ثم يجمعكم • بعد
البعث • الى يوم القيمة • للجزاء • لا ريب فيه • اي في جمعكم فان من قدر على البداءة قدر على الاعادة والحكمة
اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث
كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • استدراك من قوله تع لا ريب فيه وهو
اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تع تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصور
هم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما • ولله ملك السموات والارض • بيان لاختصاص الملك المطلق
والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تع في الناس بالاحياء والاماتة والبعث و
الجمع للمجازاة • ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون • العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه • وترى
كل امة • من الامم المجموعة • جاثية • باركة على الركب مستوفزة • وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع
والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رض جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة • كل
امة تدعى الى كتابها • الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او
مفعول ثان • اليوم تجزون ما كنتم تعملون • اي يقال لهم ذلك • وقوله تع • هذا كتابنا • الخ من تمام ما يقال
ح وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تع اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا
مبتداء وكتابنا خبره وقوله تع • ينطق عليكم • اي يشهد عليكم • بالحق • من غير زيادة ولا نقص خبر
آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق • وقوله تع • انا كنا نستنسخ • الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم
من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة • ما كنتم تعملون • في الدنيا من الاعمال
حسنة كانت او سيئة • وقوله تع • فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته • اي في جنته
تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد • ذلك الذي ذكر
من الادخال في رحمته تع • هو الفوز المبين • الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه • واما الذين كفروا افلم تكن
آياتي تتلى عليكم • اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم
فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه • فاستكبرتم • عن الايمان بها • وكنتم قوما مجرمين •
اي قوما عادتهم الاجرام • واذا قيل ان وعد الله • اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك

حق • اي واقع لا محالة او مطابق للواقع • والساعة • التي هي اشهرها وعدا • لا ريب فيها • اي في وقو
عها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها • قلتم • لغاية
عتوكم • ما ندري ما الساعة • اي اي شيء هي استغرابا لها • ان نظن الا ظنا • اي ما نفعل الا ظنا وقد تر
تحقيقه في قوله تع ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن الا نظن
ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تع • وما نحن بمستيقنين • اي لامكانه فان مقابلة الاستيقان
مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا • وبدا لهم • اي ظهر
لهم ح • سيئات ما عملوا • على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤ
ها فان جزاء السيئة سيئة • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • من الجزاء والعقاب • وقيل اليوم ننسيكم
نترككم في العذاب ترك المنسي • كما نسيتم • في الدنيا • لقاء يومكم هذا • اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به و
اضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه • ومأواكم النار وما لكم من ناصرين • اي ما لاحد منكم ناصر
واحد يخلصكم منها • ذلكم • العذاب • بانكم • بسبب انكم • اتخذتم آيات الله هزوا • اي مهزوا بها ولم
ترفعوا لها راسا • وغرتكم الحيوة الدنيا • فحسبتم ان لا حيوة سواها • فاليوم لا يخرجون منها • اي من النار و
قرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او
بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار • ولا هم يستعتبون • اي لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات
اوانه • فلله الحمد خاصة • رب السموات والارض رب العالمين • فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب
للتأكيد والايذان بان ربوبيته تع لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو • وله
الكبرياء في السموات والارض • لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارها في موقع الاضمار لتفخيم
شان الكبرياء • وهو العزيز • الذي لا يغلب • الحكيم • في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه
عن النبي عم من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله تع عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم • حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • الكلام فيه كالذي مر في مطلع
السورة السابقة • ما خلقنا السموات والارض • بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار
فيهما • وما بينهما • من المخلوقات • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا با
لحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما
خلقناهما في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود
الصانع تع وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى • و
اجل مسمى • عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى تنتهي اليه امور الكل وهو يوم القيمة
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر
لكل واحد ويأباه قوله تع • والذين كفروا عما انذروا معرضون • فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه
من الطامة • الطامة • والاهوال القامة • الى آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية

اى ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين بذلك معرضون عنه
وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارأيتم اخبرونى وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون
الله من الاصنام ارونى تأكيد لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام فى ماذا ام لهم شرك
اى شركة مع الله تعالى فى السموات اى فى خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق
للمعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق
بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ايتونى بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن
الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى اى ايتونى بكتاب الهى كائن من قبل هذا
الكتاب اى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او
بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين فى
دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى او سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شئ منهما وقد
قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثرة بكسر الهمزة اى مناظرة فانها
تثير المعانى واثرة اى شئ اوثرتم به وخصصتم من علم مطوى عن غيركم واثرة بالحركات الثلث مع
سكون الثاء اما المكسورة فجمع الاثرة واما المفتوحة فهى المرة من اثر الحديث اى رواه واما المضمو
مة فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم لما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار
ونفى لان يكون احد يساوى المشركين فى الضلال وان كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض
لنفى المساوى كما مر غير مرة اى هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع البصير القادر المجيب
الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفى الاستجابة
وهم عن دعائهم الضمير الاول للمفعول يدعوا والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء
ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام القيمة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين
اى مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيى الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان
يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر ونسبة
العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة
وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا
للحق اى لاجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها
ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضميرها المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر و
الضلال لما جاءهم اى فى اول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين اى ظاهر كونه سحرا
ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما فى ام

من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن للتعجيب اى بل ايقولون افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض
فلا تملكون لى من الله شيئا اذ لا ريب فى انه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افترى
عليه تعالى كذبا واعرض نفسى للعقوبة التى لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من
القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بينى وبينكم حيث يشهد لى
بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو
الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم
قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال
على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر مضاف اى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى ايضا
على انه مصدر كانوا يقترحون عليه آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر بان
يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون
عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم السلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات
ولا يخبرون قومهم الا بما اوحى اليهم وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم اى اى شئ يصيبنا فيما يستقبل من
الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رحمه الله ما ادرى ما يصير اليه امرى وامركم فى الدنيا
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفى هى الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب
النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع فى
الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا
وقد روى عن الكلبى ان اصحاب النبى عليه السلام قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا
فقال ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم اأترك بمكة ام اومر بالخروج الى الارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه وجوز ان يكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرى عن الدراية وتكرير
لا لتذكير النفى المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى
اى ما افعل الا اتباع ما يوحى الى على معنى قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحى لا قصر اتباعه على الوحى كما هو
المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب
عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن
اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى
مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اى ما يوحى الى من القرآن من عند الله
لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين
اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما فى قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند
الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه

باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كونه من
عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى • وشهد شاهد من بني اسرائيل • وما بعده من الفعلين فان الكل
امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه اولا والمعنى
اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الوا
قفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التورية • على مثله • اي مثل القرآن من المعاني المنطو
ية في التورية المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة
كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى وانه لفي الصحف الاولى والمثلية لما ذكر وقيل المثل
صلة والفاء في قوله تعالى • فآمن • للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي
الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه
الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا
نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما
اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت
اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا و
اعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف
يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لاحد يمشي على الارض انه
من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في
التورية من بعث النبي عليهما السلام وبه قال الشعبي وقال مسروق وقال والله ما نزلت في عبد الله بن
سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت
السورة مكية • واستكبرتم • عطف على شهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من
عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان بعد هذه المرتبة
من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الظالمين • فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم
للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم • وقال الذين كفروا • حكاية لبعض آخر من اقاويلهم
الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة • للذين آمنوا • اي لاجلهم • لو كان •
اي ما جاء به عليه السلام من القرآن والدين • خيرا ما سبقونا اليه • فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم
سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية

كما قالوا

كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وذل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية و
ملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان
من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد
واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه
ويأباه ان السورة مكية لا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة • واذ لم يهتدوا به • ظرف
لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا • فسيقولون •
غير مكتفين بنفي خيريته • هذا افك قديم • كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس
بذاك • ومن قبله • اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى • كتاب موسى • وقيل والجملة حالية او مستأنفة و
ايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا
اماما ورحمة • حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة
من الله تعالى لمن آمن وعمل بموجبه • وهذا • الذي يقولون في حقه ما يقولون • كتاب • عظيم الشان
مصدق • اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ
كذلك • لسانا عربيا • حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة و
على الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي • لينذر الذين ظلموا • متعلق
بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب • وبشرى للمحسنين •
في حيز النصب عطفا في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا • اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام
نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا • اولئك • الموصوفون بما
ذكر من الوصفين الجليلين • اصحاب الجنة خالدين فيها • حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء
منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى
جازيناهم • بما كانوا يعملون • من الحسنات العلمية والعملية • ووصينا الانسان • بان يحسن • بوالديه
احسانا • وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن وقرئ
بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او ووصيناه ايصاء حسنا • حملته امه
كرها ووضعته كرها • اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر وقيل
المضموم اسم والمفتوح مصدر • وحمله وفصاله • اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله
والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما اراد بالامد المدة
من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده • ثلاثون شهرا • يمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة

وسائر الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال
حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر
مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما • حتى اذا بلغ اشده • اى اكتهل واستحكم
قوته وعقله • وبلغ اربعين سنة • قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده • قال
رب اوزعني • اى الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا • ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى • اى
نعمة الدين او ما يعمها وغيرها • وان اعمل صالحا ترضاه • التنكير للتفخيم والتكثير • واصلح لى في ذريتى • اى
واجعل الصلاح ساريا في ذريتى راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس
اجاب الله تعالى دعاء ابى بكر رضى الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم
يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لى في ذريتى فاجابه الله عز وجل
فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابى بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبى صلى الله
عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين • انى تبت اليك • عما لا ترضاه او عما
يشغلنى عن ذكرك • وانى من المسلمين • الذين اخلصوا لك انفسهم • اولئك • اشارة الى الانسان و
الجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته
اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة • الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا • من الطاعات
فان المباح حسن لا يثاب عليه • ونتجاوز عن سيئاتهم • وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله
تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور • في اصحاب الجنة
اى كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم • وعد الصدق • مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل و
نتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز • الذى كانوا يوعدون • على السنة الرسل • والذى
قال لوالديه • عند دعوتهما له الى الايمان • اف لكما • هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان
المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين والموصول
عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه
المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من انها نزلت
في عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه يرده كما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم
القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسراتهم وقد كذبت الصديقة اى عائشة رض من قال ذلك
اتعدانني ان اخرج • ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج • وقد خلت القرون من قبلى
ولم يبعث منهم واحد • وهما يستغيثان الله • تعالى اى يسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان • ويلك • اى قا
ئلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة
الهلاك • آمن ان وعد الله حق • اى البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في الانكار

الوعد

الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اى آمن بان وعد الله حق • فيقول • مكذبا لهما • ما هذا • الذى تسميانه
وعد الله • الا اساطير الاولين • اباطيلهم التى سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة • اولئك
القائلون هذه المقالات الباطلة • الذين حق عليهم القول • وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى • في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس • وقد مر تفصيله في سورة الم
السجدة • انهم • جميعا • كانوا خاسرين • قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤس اموالهم باتباع
الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي • ولكل • من الفريقين المذكورين • درجات
مما عملوا • مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في المراتب المثوبة ايرادها ههنا بطريق
التغليب • وليوفيهم اعمالهم • اى اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة • وهم لا يظلمون • بنقص ثواب
الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استئناف مقرر لها واللام متعلقة
بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على
مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات • ويوم يعرض الذين كفروا على النار • اى
يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب
مبالغة • اذهبتم طيباتكم • اى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أاذهبتم بهمزتين
وبالالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اى اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها • في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها • فلم يبق لكم بعد ذلك شئ منها • فاليوم تجزون عذاب الهون • اى
الهوان وقد قرئ كذلك • بما كنتم • في الدنيا • تستكبرون في الارض بغير الحق • بغير استحقاق لذلك • وبما كنتم
تفسقون • اى تخرجون من طاعة الله عز وجل اى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون
بكسر السين • واذكر • اى لكفار مكة • اخا عاد • اى هودا عم • اذ انذر قومه • بدل اشتمال
منه اى وقت انذاره اياهم • بالاحقاف • جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشئ اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر
من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة • وقد خلت النذر • اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر • من بين يديه • اى
من قبله • ومن خلفه • اى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار
وسط بين انذر قومه وبين قوله • ان لا تعبدوا الا الله • مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا
باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم
وقد انذر من تقدم من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل
انذر على معنى انه عم انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله • انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم • وقد
اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ففيه ما فيه من تكلف
تقدير الاعلام لا بد في تبيين الخلو اى من بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الماضي • قالوا اجئتنا
لتأفكنا • اى تصرفنا • عن آلهتنا • عن عبادتها • فأتنا بما تعدنا • من العذاب العظيم • ان كنت من

الصادقين • في وعدك بنزوله بنا • قال انما العلم • اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها
ذلك • عند الله • وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأ
تيكم به في وقته المقدر له • وابلغكم ما ارسلت به • من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب
ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ • ولكني اراكم قوما
تجهلون • حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء
في قوله تعالى • فلما راوه • فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما
استعجلوا به بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض في افق السماء • مستقبل اوديتهم
اي متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى • قالوا هذا عارض ممطرنا • ولذلك وقع ما صفتين
للنكرة للنكرة • بل هو • اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل
هو • ما استعجلتم به • من العذاب • ريح • بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف • فيها عذاب اليم • صفة لريح
وكذا قوله تعالى • تدمر • اي تهلك • كل شيء • من نفوسهم واموالهم • بامر ربها • وقرئ يدمر كل شيء من دمر
دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا
لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بامر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر
الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم • فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم و
قرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر
كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم • كذلك • اي مثل ذلك الجزاء الفظيع • نجزي القوم المجرمين •
وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها
في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار و
روي ان اول ما عرفوا به انه عذاب ما رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين
السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى
الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطر
حتهم في البحر وروي ان هودا عم لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين
تنبع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اعتزل هود عم ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا
ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة
ولقد مكناهم • اي قررنا عادا او اقدرناهم وما في قوله تعالى • فيما ان مكناكم فيه • موصولة او موصوفة
وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات
كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا
التفصي من تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق

بالمقام

بالمقام • وجعلنا لهم سمعا وابصارا • وافئدة • ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما
نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره • فما
اغنى عنهم سمعهم • حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل • ولا ابصارهم • حيث لم يجتلوا
بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم • ولا افئدتهم • حيث لم يستعملوها في معرفة الله
تعالى • من شيء • اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى • اذ كانوا يجحدون بآيات الله •
متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته
اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه
وكذا الحال في حيث • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق
الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • ولقد اهلكنا ما حولكم • يا اهل مكة • من
القرى • كحجر ثمود وقرى قوم لوط • وصرفنا الآيات • كررناها لهم • لعلهم يرجعون • لكي يرجعوا عما هم فيه
من الكفر والمعاصي • فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة • القربان ما يتقرب به الى الله
تعالى واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم
وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا
ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من
صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه
تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم
الراء • بل ضلوا عنهم • اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم
اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور • وذلك •
اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم • افكهم • اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها
آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي
فذلك اشارة الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ
افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ افكهم على صيغة اسم
الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب • وما كانوا يفترون •
عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا
يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك • واذ صرفنا اليك نفرا من الجن • املناهم واقبلنا بهم
نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى • يستمعون
القرآن • وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك و
قت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن • فلما حضروه • اي القرآن عند تلاوته او الر

سول

عند تلاوته على الالتفات والاول هو الاظهر. قالوا. اى قال بعضهم لبعض. انصتوا. اى
اسكتوا لنستمع. فلما قضى. اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عم
وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عم. ولوا الى قومهم منذرين. مقدرين انذارهم عند رجوعهم
عنهم اليهم روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا
الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم ذوبعة فضر
بوا حتى بلغوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عم وهو قائم فى جوف الليل يصلى او فى
صلوة الفجر فاستمعوا القرأة وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى
الله عم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه
الله تع باستماعهم وقيل بل امره الله تع ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له
فقال عم انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود
رض قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة فى شعب الحجون خط لى خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود
اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عم وغشيته اسودة كثيرة
حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته عم ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله عم هل رأيت
شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا
والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك. قالوا. اى عند رجوعهم الى قومهم. يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى. قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنه ان
الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عم. مصدقا لما بين يديه. ارادوا به التورية. يهدى الى الحق. من العقائد
الصحيحة. والى طريق مستقيم. موصل اليه وهو الشرايع والاعمال الصالحة. يا قومنا اجيبوا
داعى الله وآمنوا به. ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تع بعد ما وصفوه با
لهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم
فى الاجابة ثم اكدوه بقولهم. يغفر لكم من ذنوبكم. اى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى خالص حق الله تع
فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان. ويجركم من عذاب اليم. معد للكفرة واختلف فى ان لهم اجرا
غير هذا اولا والاظهر انهم فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تع. ومن لا يجب داعى الله فليس
بمعجز فى الارض. ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم
منذرين واظهار داعى الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة فى الايجاب بزيادة التقرير
وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه فى الارض لتوسيع الدائرة اى فليس بمعجز له
تع بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل فى اعماقها وقوله تع. وليس له من دونه اولياء.
بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون
من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع فى قوله. اولئك. بذلك الاعتبار اى

اولئك. بذلك الاعتبار اى اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله. فى ضلال مبين. اى ظاهر كونه
ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه. اولم يروا. الهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اى الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما
للمشاهدة والعيان. ان الله الذى خلق السموات. ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه.
ولم يعى بخلقهن. اى لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف
وجهه وقوله تع. بقادر. فى حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القرأة بغير باء ووجه دخولها فى
القرأة الاولى اشتمال النفى الوارد فى صدر الآية على ان وما فى حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر
على ان يحيى الموتى. ولذلك اجيب عنه بقوله تع. بلى انه على كل شئ قدير. تقرير للقدرة على وجه عام
يكون كالبرهان على المقصود. ويوم يعرض الذين كفروا على النار. ظرف عامله قول مضمر مقول له
اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه
فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر فى سورة الاحزاب وقيل هى الى
العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين. قالوا
بلى وربنا. اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما فى الدنيا وانى
لهم ذلك. قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. به فى الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ
لهم والفاء فى قوله تع. فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل. جواب شرط محذوف اى اذا كان
عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من
جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولى العزم اصحاب الشرايع الذين اجتهدوا
فى تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى
يغشى عليه وابرهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد و
البصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان
معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله
عليه تع وعليهم اجمعين. ولا تستعجل لهم. اى لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم
كانهم يوم يرون ما يوعدون. من العذاب. لم يلبثوا. فى الدنيا. الا ساعة. يسيرة. من نهار لما
يشاهدون. من شدة العذاب وطول مدته وقوله تع. بلاغ. خبر مبتدأ محذوف اى هذا الذى وعظتم
به كفاية فى الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اى بلغوا بلاغا
فهل يهلك الا القوم الفاسقون. اى الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح
الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم و
وصفه عن النبى عم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد بسم الله الرحمن الرحيم • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله •
اى اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين
يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم
بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل فى الاسلام وقيل
هو عام فى كل من كفر وصد • اضل اعمالهم • اى ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا
لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما
كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم
ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد
عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى من قوله تعالى فتعسا لهم واضل
اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ • والذين آمنوا وعملوا الصالحات • قيل هم ناس من قريش وقيل من الا
نصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل • وآمنوا بما نزل على محمد • خص بالذكر الايمان
بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وانه
الاصل فى الكل ولذلك اكد بقوله • وهو الحق من ربهم • بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه
ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من
ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم • اى سترها بالايمان والعمل الصالح • واصلح بالهم • اى حالهم فى الدين والدنيا
بالتاييد والتوفيق • ذلك • اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح
البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق
من ربهم • اى ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من
الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا
لهما قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلا من الايمان
به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار
بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع
بين الاشعار والتصريح فى شئ من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذى لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان
مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغى لما ان الكفر والصد اخبث منه فلا وجه للتصريح
بسببيته لما ذكر من اضلال اعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل
نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر
من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها فى الموقعين • كذلك • اى مثل ذلك

الضرب

الضرب البديع • يضرب الله • اى يبين • للناس امثالهم • اى احوال الفريقين واوصافهما الجا
رية فى الغرابة مجرى الامثال وهو اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين
الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى • فاذا لقيتم الذين كفروا • لترتيب ما فى حيزها من الامر على
ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب
على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة • فضرب
الرقاب • اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة
الى ايسر ما يكون منه • حتى اذا اثخنتموهم • اى اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ
او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض • فشدوا الوثاق • فاسروهم واحفظوهم
والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك • فاما منا بعد واما فداء • اى فاما تمنون بعد
ذلك منا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشا
فعى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا • حتى تضع الحرب اوزارها • اوزار الحرب
آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا
مجازيا وحتى غاية عند الشافعى رح لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك
ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عم واما عند ابى
حنيفة رح فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون
حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الناس فهى غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون
ويوسرون حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اى حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا • ذلك • اى الامر ذلك او افعلوا ذلك • ولو يشاء
الله لانتصر منهم • لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال • ولكن • لم يشأ ذلك • ليبلو
بعضكم ببعض • فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب
الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر • والذين قتلوا
فى سبيل الله • اى استشهدوا وقرئ قاتلوا اى جاهدوا وقتلوا • فلن يضل اعمالهم • اى فلن
يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت فى يوم
احد • سيهديهم • فى الدنيا الى ارشد الامور وفى الآخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم • ويصلح بالهم • ويدخلهم
الجنة عرفها لهم • فى الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى
اليه كانه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ اعطاه
الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم

محدودة مفرزة والجملة اما مستأنفة او حال باضمار قد او بدونه • يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله • اى دينه
ورسوله ينصركم • على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم فى مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام
والذين كفروا فتعسا لهم • التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس
وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى • واضل
اعمالهم • عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول • ذلك • اى ما ذكر من التعس واضلال الاعمال
بانهم • بسبب انهم • كرهوا ما انزل الله • من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه
واشتهته انفسهم الامارة بالسوء • فاحبط • لاجل ذلك • اعمالهم • التى لو كانوا عملوها مع الايمان
لاثيبوا عليها • افلم يسيروا فى الارض • اى اقعدوا فى اماكنهم فلم يسيروا فيها • فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم • من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى • دمر الله عليهم
استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص
بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به • وللكافرين
اى لهؤلاء الكافرين السائرين سيرتهم • امثالها • امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان
لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلة لعواقب متعددة حسب تعدد
الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدى من كانوا
يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكا
فرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة
امثالها • ذلك • اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء • بان الله مولى الذين آمنوا • اى
ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولى الذين • وان الكافرين لا مولى لهم • فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة و
العذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك • ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار • بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية
والذين كفروا يتمتعون • اى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها • ويأكلون كما تأكل الانعام • غافلين عن عوا
قبهم • والنار مثوى لهم • اى منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف • و
كاين • كلمة مركبة من الكاف واى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى
هى اشد قوة من قريتك • صفة لقرية كما ان قوله تعالى • التى اخرجتك • صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف
واجرى احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى • اهلكناهم • اى وكم من اهل قرية هم اشد قوة
من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم الخ ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية
الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عم للايذان باولويتها به لقوة جنا
يتها على طريقة قول النابغة كليب لعمرى كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى • فلا ناصر
لهم • بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء

لترتيب

لترتيب ذكرها بالغير على ذكرها بالذات وهو حكاية حال ماضية • افمن كان على بينة من ربه • تقرير لتباين حالى فريقى
المؤمنين والكافرين وكون الاولين فى اعلى عليين والآخرين فى اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما
من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن
المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم
على ان الموازنة بينه عم وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظا
هرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية • كمن زين له
سوء عمله • من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه اقبح القبائح • واتبعوا • بسبب ذلك التزيين
اهواءهم • الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا
عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها
مثل الجنة التى وعد المتقون • استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية
انهارها التى اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى
الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو
مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى • فيها انهار • الخ مفسر له وقد
ره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة
الاسم فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الخ • من ماء غير
آسن • اى غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن • وانهار من لبن لم يتغير طعمه • بان صار قارصا ولا حا
زرا كالبان الدنيا • وانهار من خمر لذة للشاربين • لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر و
خمار وانما هى تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع
على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اى لاجل لذة الشاربين • وانهار من عسل مصفى • لا يخا
لطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بانواع ما يستطاب منها و
يستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها • ولهم فيها •
مع ما ذكر من فنون الانهار • من كل الثمرات • اى صنف من كل الثمرات • ومغفرة • اى ولهم مغفرة عظيمة
لا يقادر قدرها وقوله تعالى • من ربهم • متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخ
امة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من ربهم وقوله تعالى • كمن هو خالد فى النار • خبر لمبتدأ محذوف
تقديره امن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار
مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان فى الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد
فى النار او امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد فى النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصوير
المكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل
من الصفات الجليلة وبين النار • وسقوا ماء حميما • مكان تلك الاشربة • فقطع امعاءهم • من فرط الحرارة

حزر اللبن اشتد حموضة والقارص الذى

قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم • ومنهم من
يستمع اليك • هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سيأتى باعتبار معناها كانوا
يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم • من الصحابة رض • ماذا قال آنفا • اى ما الذى قال
الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشىء لما تقدم منه مستعار
من الجارحة ومنه استأنف الشىء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ
أنفا • اولئك • الموصوفون بما ذكر • الذين طبع الله على قلوبهم • لعدم توجهها نحو الخير اصلا • واتبعوا
اهواءهم • الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه • والذين اهتدوا • الى طريق الحق • زادهم
اى الله تع • هدى • بالتوفيق والالهام • وآتاهم تقواهم • اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم
ما يتقون • فهل ينظرون الا الساعة • اى القيمة وقوله تع • ان تأتيهم بغتة • اى تباغتهم بغتة وهى
المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان
الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة
بفتح الغين وقوله تع • فقد جاء اشراطها • تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق
من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم
يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط
بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تع • فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رأيهم فى تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تع
يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ
واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجىء عن قيد البغتة لما ان
مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأ
نف جزاؤه فانى لهم آه والمعنى ان تأتيهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم و
اتعاظهم اذا جاءتهم • فاعلم انه لا اله الا الله • اى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة
ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه
واستغفر لذنبك • وهو الذى ربما يصدر عنه عم من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل
كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عم الى التواضع وهضم النفس واستقصار
العمل • وللمؤمنين والمؤمنات • اى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة
صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار
بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار • والله يعلم متقلبكم • فى الدنيا فانها مراحل لا بد من
قطعها لا محالة • ومثواكم • فى العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى

الامتثال

الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شىء منها • ويقول الذين
آمنوا • حرصا منهم على الجهاد • لولا نزلت سورة • اى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد • فاذا انزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال • بطريق الامر به اى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب
القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على البناء
للفاعل اى ضميره تع ونصب القتال • رأيت الذين فى قلوبهم مرض • اى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو
الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم • ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت • اى تشخص ابصارهم
جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت • فاولى لهم • اى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب
او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل
واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع • طاعة وقول معروف • كلام مستأنف اى امرهم طا
عة آه او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابى يقولون طاعة وقول معروف اى
امرنا ذلك • فاذا عزم الامر • اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما فى قوله تع ان ذلك من
عزم الامور وعامل الظرف محذوف اى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تع
فلو صدقوا الله • على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لاطعمتك اى فلو صدقوا فيما قالوا من الكلام
المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه • لكان • اى الصدق • خيرا لهم • وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما
حكى عنهم من قوله تع لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا فى الايمان وواطأت قلوبهم فى ذلك السنتهم
واياما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تع • فهل عسيتم • آه بطريق
الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اى هل يتوقع منكم • ان توليتم • امور الناس وتأمرتم عليهم • ان
تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم • تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على
الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل
شر وفساد وانتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم امراء
ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من
الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات
وفيه ان الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورا باعتبار ما يستتبعه من المفا
سد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة
فى التوبيخ لا ما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اى جعلتم ولاة وقرئ توليتم اى تولاكم
ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطيع بحذف
احدى التائين فانتصاب ارحامكم على نزع الجار اى فى ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق
الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعلوا وعسى ان تفعلوا • اولئك • اشارة الى
المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية

احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدا خبره الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن
استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اى الا يلاحظونه ولا يتصفحون ما فيه من
المواعظ والزواجر لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد
يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ
بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها و
تفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقا
در قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها
للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ
اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من
الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال
فانهم قد كفروا به عم من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم
اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عم بعد ما وجدوا نعته عم في كتابهم وعرفوا انه المنعوت
بذلك وقوله تع الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اى سهل لهم ركوب العظائم
من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار القلب فمعنى سول له امرا اوقعه
في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اى كيد الشيطان واملى لهم
ومد لهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تع ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة
التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او الاستقبال وقرئ املي لهم على البناء
للمفعول اى امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الوا
حدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا من القول الآتي وهو مبتدا خبره قوله تع بانهم
اى بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عم بعد ما وجدوا نعته عم في
التورية كما قيل فان كفرهم به عم ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم
المنافقين او المشركين على اى القائل من حين بعثته عم للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود
الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عم مع علمهم بانه من عند الله تع حسدا وطمعا
في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تع سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكى
عنهم بقوله تع الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن
اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين
كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم
واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس

الحاجة

الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون
لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تع والله يعلم اسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ
اسرارهم اى جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء
في الدنيا او التعذيب في الآخرة والفاء في قوله فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما
قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون
من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اى فكيف
حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى
تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم
على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رض لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه
ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا
رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا
من المعاملة مع اليهود فاحبط اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال
البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين
فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار النعي عليهم بقوله تع ان لن يخرج الله
اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها و
الاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله
احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك
مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيا
نهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم
بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رض ما خفي على رسول الله صلى الله عم بعد هذه الآية شيء من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات
ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت للمعطوف
للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما في قوله تع ولتعرفنهم في لحن القول فجواب قسم محذوف
ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن
سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم
بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاقه علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعما
لكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون الواو على ونحن نبلوا ان الذين
كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الله وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شا

هدوا

نعته عليه السلام في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون
يوم بدر . لن يضروا الله . بكفرهم وصدهم . شيئا . من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله تعالى
بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته . وسيحبط اعمالهم . اى مكايدهم التي نصبوها
في ابطال دينه ومشاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا
تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم . يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا
تبطلوا اعمالكم . بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس
فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر . ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر
الله لهم . حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب . فلا تهنوا . اى لا تضعفوا
وتدعوا الى السلم . اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا
باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه
تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى
عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى . وانتم الاعلون
جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى . والله معكم . فان كونهم الاغلبين
وكونه عز وجل ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال
حسبما يعرب عنه قوله تعالى . ولن يتركم اعمالكم . اى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي
هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل
السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة
اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم . انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو . لا ثبات لها ولا اعتداد بها . وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم . اى ثواب ايمانكم
وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون . ولا يسألكم اموالكم . بحيث يخل اداؤها
بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم . ان يسألكموها . اى اموالكم
فيحفكم . اى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اى استأصله . تبخلوا فلا تعطوا . ويخرج اضغانكم . اى احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده
القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج من الخروج بالياء والتاء
مسندا الى الاضغان . ها انتم هؤلاء . اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله
تعالى . تدعون لتنفقوا في سبيل الله . استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى
ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله تعالى نفقة الغزو و
الزكوة وغيرها . فمنكم من يبخل . اى ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل

فانما

فانما يبخل عن نفسه . فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى
الامساك والتعدي . والله الغني . دون من عداه . وانتم الفقراء . فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه
من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى . وان تتولوا . عطف على ان تؤمنوا اى
وان تعرضوا عن الايمان والتقوى . يستبدل قوما غيركم . يخلق مكانكم قوما آخرين . ثم لا يكونوا امثالكم
. في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل
اهل فارس لما روي انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة والحمد لله
رب العالمين

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم . انا فتحنا لك .
فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب
الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي
عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله عليه السلام عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار
الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة
المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام في تلك السنة من فتح خيبر
وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين القوم بسهام
وحجارة ولكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد
روي انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح
وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما
يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله عليه السلام في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث
اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر و
ظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها
قطرة فتمضمض رسول الله عليه السلام ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت
ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له من الاسلام والنبوة والدعوة
بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته
من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان
تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والا
يذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح . فتحا مبينا . بينا ظاهر الامر
مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى . ليغفر لك الله . غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه

عم في اعلاء كلمة الله تعالى ومكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم
الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر
عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى. ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اى جميع ما فرط منك
من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل. ويتم نعمته عليك. باعلاء الدين وضم الملك
الى النبوة وغيرهما مما افاض عليه من النعم الدينية والدنيوية. ويهديك صراطا مستقيما. في تبليغ
الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك
من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل. وينصرك الله. اظهار الاسم الجليل لكونه
خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى. نصرا عزيزا. اى نصرا فيه
عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه. هو الذى
انزل السكينة. بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمانينة اى انزلها. في قلوب المؤ
منين. بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتشديد الامن بعد الخوف. ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم. اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عم من الشرايع ليزدادوا ايمانا
بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رض ان اول ما اتاهم به النبي عم التوحيد ثم الصلوة
ثم الزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا
باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم. ولله جنود السموات والارض. يدبر امرها كيف ما يريد يسلط بعضها على بعض
تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح. وكان الله عليما. مبالغا
في العلم بجميع الامور. حكيما. في تقديره وتدبيره وقوله تعالى. ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها. متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف
والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروه فيدخلهم الجنة. ويكفر
عنهم سيئاتهم. اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس
للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى. وكان ذلك. اى ما ذكر من الادخال والتكفير. عند الله فوزا عظيما.
لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته
في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله و
يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات. عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشر
كين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب. الظانين بالله ظن السوء. اى ظن الامر السوء وهو ان
لا ينصر رسوله والمؤمنين. عليهم دائرة السوء. اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر
عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما
يراد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر. وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم. عطف لما
استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة للسببية ما قبلها

لما بعدها

لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض. وساءت
مصيرا. اى جهنم. ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما. اعادة لما سبق قالوا فائدتها
التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه
التعرض لوصف العزة. انا ارسلناك شاهدا. اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
ومبشرا. على الطاعة. ونذيرا. على المعصية. لتؤمنوا بالله ورسوله. الخطاب للنبي عم ولامته. و
تعزروه. وتقووه بتقوية دينه ورسوله. وتوقروه. وتعظموه. وتسبحوه. وتنزهوه او تصلوا
له من السبحة. بكرة واصيلا. غدوة وعشيا عن ابن عباس رض صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة
العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة
وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره. ان الذين يبا
يعونك. اى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى. انما يبايعون الله. خبر ان يعنى ان مبايعتك هى
مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى. يد الله فوق
ايديهم. حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده
مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اى
لاجله ولوجهه. فمن نكث فانما ينكث على نفسه. اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ
بكسر الكاف. ومن اوفى بما عاهد عليه الله. بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم
لام الجلالة وقرئ بكسرها اى ومن اوفى بعهده. فسيؤتيه اجرا عظيما. هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ
فسنؤتيه بنون العظمة. سيقول لك المخلفون من الاعراب. هم اعراب غفار ومزينة وجهينة و
اشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه
عن البيت واحرم عم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب
الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عم بانهم سيعتلون
ويقولون. شغلتنا اموالنا واهلونا. ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم
من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير. فاستغفر لنا. الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار. يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم. بدل من سيقولون
او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار. قل. ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم. فمن
يملك لكم من الله شيئا. اى فمن يقدر لاجلكم من مشية الله تعالى وقضائه على شئ. ان اراد بكم ضرا
اى ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما
وقرئ ضرا بالضم. او اراد بكم نفعا. اى ومن يقدر على شئ من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم و
اهليكم فاى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم

الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة رد وقوله تعالى
بل كان الله بما تعملون خبيرا . فانه اضراب عما قالوا او تنبيه لكذبهم بعد بيان فساده على تقدير صدقه اى ليس الامر
كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى
بل ظننتم . الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اى بل ظننتم . ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا . بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم
لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء
التأنيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم . وزين ذلك في قلوبكم . فتمكن فيها واشتغلتم
بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله تعالى او الى الشيطان . و
ظننتم ظن السوء . المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه
وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عم فان الجازم بصحتها لا يحوم
حول فكره ما ذكر من الاستيصال . وكنتم قوما بورا . اى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على
انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم البور من بار كالهلك من
هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام
مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اى ومن لم يؤمن بهما ك
هؤلاء المخلفين . فانا اعتدنا للكافرين سعيرا . اى لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا
بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر فانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار
مخصوصة . ولله ملك السموات والارض . وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء . يغفر لمن يشاء . ان
يغفر له . ويعذب من يشاء . ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم
الفارغة في استغفاره عم لهم . وكان الله غفورا رحيما . مبالغة في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا
يشاء الا لمن يقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من
ذلك قطعا . سيقول المخلفون . اى المذكورون وقوله تعالى . اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها . ظرف
لما قبله لا شرط لما بعده اى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها
عوضا مما فاتكم من غنائم مكة . ذرونا نتبعكم . الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها . يريدون ان يبدلوا كلام
الله . بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست و
اقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى
غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك . قل . اقناطا لهم
لن تتبعونا . اى لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة . كذلكم قال الله من قبل . اى عند الانصراف من
الحديبية . فسيقولون . للمؤمنين عند سماع هذا النهي . بل تحسدوننا . اى ليس ذلك النهي حكم الله بل

تحسدوننا

تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى . بل كانوا لا يفقهون . اى لا
يفهمون . الا قليلا . اى الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصفهم
بما هو اعظم من الحسد واشنع من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين . قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم . ستدعون الى قوم اولي بأس شديد . هم بنو حنيفة قوم
مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عم او المشركين لقوله تعالى . تقاتلونهم او يسلمون
اى يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم
فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رض اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره
الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيختص دوام نفي الاتباع بما في غزوة
خيبر كما قاله محي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس
مجوس يقبل منهم الجزية . فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا . هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
وان تتولوا . اى عن الدعوة . كما توليتم من قبل . في الحديبية . يعذبكم عذابا اليما . لتضاعف جرمكم . ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج . اى في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر و
العاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء
بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة . ومن يطع الله ورسوله . فيما ذكر من الاوامر والنواهي . يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار . وقرئ ندخله بنون العظمة . ومن يتول . اى عن الطاعة . يعذبه . وقرئ بالنون
عذابا اليما . لا يقادر قدره . لقد رضي الله عن المؤمنين . هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الر
ضوان وقوله تعالى . اذ يبايعونك تحت الشجرة . منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها و
تحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عم لما نزل الحديبية بعث جواس بن
امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عم
لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله عم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال
عم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله عم انتم اليوم خيار
اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة وقوله تعالى
فعلم ما في قلوبهم . عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب
على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عم وقوله تعالى . فانزل السكينة عليهم
عطف على رضي اى فانزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح
واثابهم فتحا قريبا . هو فتح خيبر عقيب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم . ومغانم
كثيرة يأخذونها . اي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم

في مقام الامتنان. وكان الله عزيزا غالبا. حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه
وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة. تأخذونها في اوقاتها المقدرة لكل
واحدة منها. فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر. وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم
من بني اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل
مكة بالصلح. ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه من
الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلق اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون
آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما يتعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم
هذا وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون آية قالوا وعلى الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة
ويهديكم بتلك الآية. صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما
تذرون. واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى. لم تقدروا عليها وهي
مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم
وقوله تعالى. قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان
صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم
ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى ولا ريب في ان الاخبار بعضا الله اياها بعد اندراجها في
جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في
بيان تعجيلها. وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء. ولو قاتلكم
الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر. لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون
وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم. سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة
قديمة فيمن مضى من الامم. ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا. وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار
مكة. عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها. من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي
جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت
عنوة لا صلحا. وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم
بيت الحرام وقرئ بالياء. بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد
بحذف المضاف اي ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى. معكوفا حال من الهدي اي
محبوسا وقوله تعالى. ان يبلغ محله بدل الاشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان
يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رض على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية
من الحرم وروي ان خيامه عم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عم والمراد صده

عن محلها

عن محلها المعهود الذي هو منى. ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم
لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى. ان تطؤهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم
بدل الاشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم. فتصيبكم منهم اي من جهتهم. معرة اي مشقة
ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم
بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه. بغير علم متعلق بان
تطؤهم اي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان
تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله
تعالى. ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه ولكن كفها عنهم
ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة يعمها. من يشاء وهم المؤمنون
فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما
الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة
كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من
يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين وتاباه قوله تعالى. لو تزيلوا آه فان فرض التزيل
وترتب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي
لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا. لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل
مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها. اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر
على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى في قلو
بهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له
اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم. حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الملة الجاهلية او الحمية
الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى. فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف
على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عم والمؤمنين بتوفيق الله وسوء صنيع الكفرة وعلى
الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم تزيلوا فلم تعذب فانزل آه وعلى الثالث عطف على
المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله عم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل
بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد الله ومكرز بن حفص بن الاخيف على ان يعرضوا على النبي عم
ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم
كتابا فقال عم لعلي رض اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عم اكتب ما يريدون

فيهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله سكينته عليهم فتوقروا وحلموا . والزمهم
كلمة التقوى . اى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الو
فاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها . وكا
نوا احق بها . متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق
بها من الكفار . واهلها . اى المستأهل لها . وكان الله بكل شئ عليما . فيعلم حق كل شئ فيسو
قه الى مستحقه . لقد صدق الله رسوله الرؤيا . راى رسول الله عم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد
دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا
انهم داخلون في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله ابن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اى صدقه عم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن
بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تع . بالحق . اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اى صدقا
ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل
فيه او حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما
بالحق الذي هو من اسماء الله تع او بنقيض الباطل وقوله تع . لتدخلن المسجد الحرام . جوابه وهو
على الاولين جواب قسم محذوف اى والله لتدخلنه وقوله تع . ان شاء الله . تعليق للعدة بالمشيئة
لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك
الرؤيا لرسول الله عم او لما قاله عم لاصحابه . آمنين . حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض
وكذا قوله تع . محلقين رؤسكم ومقصرين . اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال
من ضمير آمنين فتكون متداخلة . لا تخافون . حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين
او مقصرين او استئناف لا تخافون بعد ذلك . فعلم ما لم تعلموا . عطف على صدق والمراد بعلمه تع العلم
المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اى فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة
الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا . فجعل . لاجله . من دون ذلك . اى من دون تحقق
مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الخ . فتحا قريبا . وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده
وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في
قوله تع ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء
فان علمه تع بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا . هو الذي ارسل رسوله بالهدى . اى ملتبسا به او
بسببه ولاجله . ودين الحق . وبدين الاسلام . ليظهره على الدين كله . ليعليه على جنس الدين بجميع
افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار
واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد
قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه تع سيفتح لهم

من

من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة . وكفى بالله شهيدا . على ان ما وعده
كائن لا محالة او على نبوته باظهار المعجزات . محمد . خبر مبتدأ محذوف وقوله تع . رسول الله
بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ ورسول
الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تع . والذين معه . مبتدأ خبره . اشداء على الكفار رحماء
بينهم . واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة
ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تع اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ
اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تع
تراهم ركعا سجدا . اى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوة وهو على الاو
ل خبر آخر او استئناف وقوله تع . يبتغون فضلا من الله ورضوانا . اى ثوابا ورضا خبر آخر او حال
من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على
الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ . سيماهم . اى سمتهم
وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره
في وجوههم . اى في جباههم وقوله تع . من اثر السجود . حال من المستكن في الجار اى من التأثير الذي
يؤثره كثرة السجود وما روى عن رسول الله عم من قوله عم لا تعلبوا صوركم اى لا تسموها انما هو فيما
اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث
في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن
عبد الله بن العباس رضي الله تع عنهما يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعها منهما
اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي وحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة
الوجه من خشية الله تع وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا
بالليل قال عم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة
ذلك . اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه
وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تع . مثلهم . اى وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة
مجرى الامثال وقوله تع . في التوراة . حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تع . ومثلهم
في الانجيل . عطف على مثلهم الاول كانه قيل مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرا
بته وزيادة تقريرها وقوله تع . كزرع اخرج شطأه الخ . تمثيل مستأنف اى هم كزرع اخرج فراخه وقيل
هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تع ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تع
مثلهم في التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وبتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد
وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا . فآزره . فقواه من الموازرة بمعنى
المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وآزره بالتشديد اى شد ازره وقواه

فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز
وجل لاصحابه عم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس
وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه
او لما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ
ومنهم للنبيا عن النبي عم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله عم
فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا تصدير
الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم
بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع
عن الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير
اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا
امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس
بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان
يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف
احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار
مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به
وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل
فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي عم في تأمير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد
واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع
لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي عم شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عم بعد النهي عن التجاوز في نفس القول
والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل
من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عم بصوته وقرئ
لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض
اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عم وتعهدوا في مخاطبته
اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة
وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد وخاطبوه بالنبوة

قال

قال ابن عباس رضه لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله وعن عمر رضه انه كان يكلمه عم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضه اذا
قدم على رسول الله عم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند
رسول الله عم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة
ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث
كان بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد
بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه من الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري
بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت
فوق صوته عم لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع من الرفع والجهر في حرب او مجادلة معاند او
ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضه نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان
جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عم فيتأذى بصوته وعن انس انه لما نزلت الآية فقد ثابت
فتفقده عم فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير
الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل
الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق
صوته عم فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون
حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال
به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه
وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او
ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها
او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضه اذهب عنها
الشهوات لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر
لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من
ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية
دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى
بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع
حجرة وهي القطعة من المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول

كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنا
دوه عم من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عم فناداه بعض من وراء هذه وبعض
من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي
كان عم فيها لكنها جمعت اجلالا له عم قيل ان الذين ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن
حابس وفدا على رسول الله عم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج
الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم • اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب • ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم • اي ولو
تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها
التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان
يكون مغيا بخروجه عم فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها
ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان
يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم • لكان • اي الصبر المذكور • خيرا لهم • من الاستعجال لما فيه من
رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم
وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف • والله غفور رحيم • بليغ
المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا • يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا • اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه
مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع
وقال لرسول الله صلى الله عم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عم بقتالهم فنزلت وقيل بعث
اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب
الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي
توقفوا الى ان يتبين لكم الحال • ان تصيبوا • حذار ان تصيبوا • قوما بجهالة • ملتبسين بجهالة
لحالهم • فتصبحوا • بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم • على ما فعلتم • في حقهم • نادمين • مغتمين غما
لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلثة يدور مع الدوام • واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تع • لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او
كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عم رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم
في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا الرسول صلى الله عم الايقاع ببني المصطلق تصديقا
لقول الوليد وانه عم لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم
لامتناع استمرار طاعته عم لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه

المصطلق

اختلال

اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لا من الطاعة في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استصوابهم
بلا مرية وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عم لهم في ذلك فان المضا
رع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تع ولا هم يحزنون والتحقيق ان الا
ستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة
وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلقه بما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار
واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر
استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد
مواقعها الكثيرة التي ينبئ عنها قوله تع في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان امتناع مواقع العنت
هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة
اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الو
جهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت
قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو
الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت
بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذ
كورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما و
اعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المعتبر لا
عتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع
المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه
اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تع ولا هم يحزنون حيث
حمل على استمرار نفي الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الا
نتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تع • ولكن الله حبب اليكم الايمان • الخ تجريد للخطاب وتو
جيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم
اي ولكنه تع جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من
الاقوال والافعال • وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان • ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير
فيه من اثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم
استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني
المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان
والاول هو الاظهر لقوله تع • اولئك هم الراشدون • اي اولئك الكائنون على الطريق السوي الموصل الى
الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تع وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم

المصفوف. فضلاً من الله ونعمة. اى وانعاماً تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل
نصبهما بفعل مضمر اى جرى ذلك فضلاً وقيل يبتغون فضلاً. والله عليم. مبالغ في العلم
فيعلم احوال المؤمنين وما بينهما من التفاضل. حكيم. يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة. وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. اى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى. فاصلحوا بينهما. بالنصح والد
عاء الى حكم الله. فان بغت. اى تعدت احديهما على الاخرى. ولم تتأثر بالنصيحة. فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء اى ترجع. الى امر الله. اى الى حكمه او الى ما امر به. فان فاءت. اليه واقلعت عن
القتال حذاراً من قتالكم. فاصلحوا بينهما بالعدل. بفصل ما بينهما على حكم الله تع ولا تكتفوا
بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لو
قوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل. واقسطوا. اى واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون
ان الله يحب المقسطين. فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس و
الخزرج في عهده عم بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه
اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تع وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي
في المصالحة. انما المؤمنون اخوة. استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اى انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تع. فاصلحوا بين اخويكم.
للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافاً الى المأمورين
للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح
فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخز
رج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم. واتقوا الله. في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها
ما امرتم به من الاصلاح. لعلكم ترحمون. راجين ان ترحموا على تقواكم. يا ايها الذين آمنوا قوم
اى منكم. من قوم. آخرين ايضاً منكم وقوله تع. عسى ان يكونوا خيراً منهم. تعليل للنهي او لمو
جبه اى عسى ان يكون المسخور منهم خيراً عند الله تع من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوا
م على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع
في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار
الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها
مما يجري بين بعض وبعض. ولا نساء. اى ولا تسخر نساء من المؤمنات. من نساء. منهن. عسى
ان يكن. اى المسخور منهن. خيراً منهن. اى من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر
للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي يدور عليها امر السخرية غالباً بل انما هو
الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تع
فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى

ح هي ذات الخبر كما في قوله تع فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها. ولا تلمزوا انفسكم
اى ولا يعب بعضكم بعضاً فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان فعل ما يستحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم. ولا تنابزوا بالالقاب. اى ولا يدع بعضكم
بعضاً بلقب السوء فان النبز مختص به عرفاً. بئس الاسم الفسوق بعد الايمان. اى بئس الذكر
المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر
من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين
خصوصاً اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله عم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية
بنت يهوديين فقال عم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم الصلوة والسلام
او الدلالة على ان التنابز فسوق والجمع بينه وبين الايمان قبيح. ومن لم يتب. عما نهي عنه. فاولئك هم
الظالمون. بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب. يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيراً من الظن. اى كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى
يعلم انه من اى قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله
تع ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كا
لظن في الامور المعاشية. ان بعض الظن اثم. تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف
التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها
ولا تجسسوا. اى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه معنى الطلب كما ان التلمس
بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب في قوله تع وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس
الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته. ولا يغتب
بعضكم بعضاً. اى لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته وسئل رسول الله عم عن الغيبة فقال ان تذكر اخا
ك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رض الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً. تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه
ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعاً وشرعاً وعقلاً مع مبالغات من فنون شتى
الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذاناً بان احداً من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة
بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخاً للآكل وميتاً واخراج
تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتاً بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من
الاخ والفاء في قوله تع. فكرهتموه. لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر
كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرّهتموه اى جبلتم على كراهته. واتقوا الله. بترك ما امرتم باجتنابه
والندم على ما صدر عنكم من قبل. ان الله تواب رحيم. مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث

يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يختص ذلك بتائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت. يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى. من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب. لتعارفوا. ليعرف بعضكم بعضا حسب الانساب فلا يعتزى احد الى غير ابائه لا لتفاخروا بالاباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنه كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى. ان الله عليم. بكم و باعمالكم. خبير. ببواطن احوالكم. قالت الاعراب آمنا. نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام آتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه ما فعلوا. قل. ردا لهم. لم تؤمنوا. اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة. ولكن قولوا اسلمنا. فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا. ولما يدخل الايمان في قلوبكم. حال من ضمير قالوا اى ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد. وان تطيعوا الله ورسوله. بالاخلاص وترك النفاق. لا يلتكم من اعمالكم. لا ينقصكم. شيئا. من اجوركم من لات يليت ليتا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان او شيئا. ان الله غفور. لما فرط من المطيعين. رحيم. بالتفضل عليهم

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا. وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله. في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد. اولئك. الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة. هم الصادقون. اى الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روى انه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى. قل اتعلمون الله بدينكم. اى اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم. والله يعلم ما في السموات وما في الارض. حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى. والله بكل شيء عليم. تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم. يمنون عليك ان اسلموا. اى يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن. قل لا تمنوا علي اسلامكم. اى لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض. بل الله يمن عليكم ان هداكم. للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم. ان كنتم صادقين. في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم. ان الله يعلم غيب السموات والارض. اى ما غاب فيهما. والله بصير بما تعملون. في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم. ق والقرآن المجيد. اى ذى المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى. بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم. اى لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انك لنبي الله اليك لتنذر به الناس كما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقرب الى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس

يشبع كما ادا ما وكانه اسامة على طعام

اى لم يقنعوا به

بسبب امتناعهم من الايمان بالقرآن لا بجوله ولكن لجهلهم . فقال الكافرون هذا شئ عجيب
تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة
الى كونه م منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل
عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم
يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفر
هم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم
لقدرته على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه
كفرا . ائذا متنا وكنا ترابا . تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته
مع دلالة ما بعده عليه اى احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين
بيننا وبين الحيوة وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار . ذلك . اشارة الى
محل النزاع . رجع بعيد . اى عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى
هو الجواب فناصب الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث . قد علمنا ما تنقص الارض منهم . رد لا
ستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطفه حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد
الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي ع م كل ابن
آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم . وعندنا كتاب
حفيظ . حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تع بكليات الاشياء
وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ او تاكيد لعلمه تع بها بثبوتها في اللوح المحفوظ
عنده . بل كذبوا بالحق . اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع
وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة . لما جاءهم . من غير تامل وتفكر وقرئ لما
جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار
بالبعث . فهم في امر مريج . اى مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة
انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن . افلم ينظروا . اى اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء
فوقهم . بحيث يشاهدونها كل وقت . كيف بنيناها . اى رفعناها بغير عمد . وزيناها . بما فيها
من الكواكب المرتبة على نظام بديع . وما لها من فروج . من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب
وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل . والارض مددناها . اى بسطناها . والقينا
فيها رواسي . جبالا ثوابت من رسا الشئ اى ثبت والتعبير عنها بذلك الوصف للايذان بان
القاءها لارساء الارض بها . وانبتنا فيها من كل زوج . من كل صنف . بهيج . حسن . تبصرة
وذكرى . علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق
الاستيناف اى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا . لكل عبد منيب . اى راجع الى ربه متفكر في بدائع

صنعه وقوله تع . ونزلنا من السماء ماء مباركا . اى كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من
كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجهين اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده . فا
نبتنا به . اى بذلك الماء . جنات . كثيرة اى اشجارا ذوات ثمار . وحب الحصيد . اى حب الزرع الذى
شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات
والنخل . عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر
الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفوا
صل . باسقات . اى طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فا
عل وقرئ باصقات لاجل القاف . لها طلع نضيد . اى منضود بعضه فوق بعض والمراد
تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضمير ها
في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تع . رز
قا للعباد . اى لنرزقهم علة لقوله تع فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة
والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم
واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات
رزق . واحيينا به . بذلك الماء . بلدة ميتا . ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث
ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان
البلدة بمعنى البلد والمكان . كذلك الخروج . جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى
الحيوة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اى مثل تلك الحياة البد
يعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالا
حياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة
بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تع . كذبت
قبلهم قوم نوح . الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام
عليها وتعذيب منكريها . واصحاب الرس . قيل هم ممن بعث اليهم شعيب ع م وقيل كما مر في سورة
الفرقان على التفصيل . وثمود وعاد وفرعون . اى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده . واخوان
لوط . قيل كانوا من اصهاره ع م . واصحاب الايكة . هم ممن بعث اليهم شعيب ع م غير اهل مدين و
قوم تبع . سبق شرح حالهم في سورة الدخان . كل كذب الرسل . اى فيما ارسلوا به من الشرائع التى
من جملتها البعث الذى اجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب
جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع
الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب
للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيبهم الرسل

تكذيبهم ممن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم نبيهم • فحق
وعيد • اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لهم
افعيينا بالخلق الاول • استيناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم
المهلكة والعى بالامر العجز عنه يقال عى بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر ينبئ عنه العى من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى
يتوهم عجزنا عن الاعادة • بل هم فى لبس من خلق جديد • عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه
قيل هم منكرون لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة
العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه
حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته • ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه • اى ما تحدثه
به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت
موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية • ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد • اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب
الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والو
ريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمى وريدا لان الروح ترده • اذ يتلقى المتلقيان • منصوب بما فى اقرب من معنى الفعل والمعنى
انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن
الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غنى عن استحفاظهما للاحاطة علما بما يخفى عليهما وانما
ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك
مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات
وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك
لا تستحيى من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون
على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به • عن اليمين وعن الشمال قعيد • اى عن اليمين قعيد و
عن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما
فى قول من قال رمانى بامر كنت منه ووالدى بريئا ومن اجل الطوى رمانى وقيل يطلق الفعيل على
الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير • ما يلفظ من قول • ما يرمى به من فيه من خير
او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول • الا لديه رقيب • ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه
فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان
والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه
كما ينبئ عنه قوله تعالى • عتيد • اى معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه لهذا توهم ان معنى

رقيبان

رقيبان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى انينه
فى مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل
وكاتب السيئات [على يسار الرجل] فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر • وجاءت سكرة الموت بالحق • بعد ما ذكر استبعادهم
للبعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع احوالهم محفوظة مكتوبة عليهم
اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر
عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء اما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة
الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته و
قيل الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتى فى قوله تعالى
تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقيل سكرة الحق بالموت و
المعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل
الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت • ذلك • اى
الموت • ما كنت منه تحيد • اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد
من افراده طبعا • ونفخ فى الصور • هى النفخة الثانية • ذلك • اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف
يوم الوعيد • اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود
وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص
الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة • وجاءت كل نفس من
النفوس البرة والفاجرة • معها سائق وشهيد • وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب
اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع
بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد
كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على
الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس
او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى • لقد كنت فى غفلة من هذا • محكى باضمار قول هو اما صفة
اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل
يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب
للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما
فى قول جبلة بن حريث • يا نفس انك باللذات مسرور • فكشفنا عنك غطاءك • الحجاب المغطى لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها • فبصرك اليوم حديد • نافذ لزوال

المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلثة وقال قرينه اى الشيطان المقيض له مشيرا اليه
هذا ما لدى عتيد اى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى واضلالى وقيل قال
الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيا للعرض وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل من هذا او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا فى
جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل
تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعانى
احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه
قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة
وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه معتد ظالم متخط
للحق مريب شاك فى الله وفى دينه الذى جعل مع الله الها آخر مبتدا متضمن معنى الشرط خبره فالقياه
فى العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فا
لقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استونفت استيناف الجمل الواقعة فى حكاية المقاولة
لانه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه مبنى على سابقه كلام اعتذر به الكافر
كانه قال هو اطغانى فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة
العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ولكن كان هو بالذات فى ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء
لمكان قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال استيناف مبنى على سؤال نشأ
مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال تعالى لا تختصموا لدى اى فى موقف الحساب والجزاء
اذ لا فائدة فى ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى السنة رسلى
فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما انتم فيه من التعليل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على
معنى لا تختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك و
ممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء
مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول
لدى الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اى قد قدمت اليكم هذا القول
ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى والعفو عن بعض المذ
نبين لبعض الاسباب الداعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا
بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب
الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له
حسبما اشير اليه آنفا اى وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير

ذنب

ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن
ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما
ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده
وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال
وجواب جئ بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها
تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد
محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد و
المميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه من غير
حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اى يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة
للمتقين شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجئ النفوس الى موقف الحساب وقد مر تقديم بيان
حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من المو
قف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى
غير بعيد تاكيد للازلاف اى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اى شيئا غير بعيد
ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث او لتاويل الجنة
بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبا
ل لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تعالى فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون
والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل
ازلفت اى مقولا لهم او مقولا فى حقها لكل اواب اى رجاع الى الله تعالى بدل من
المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها
ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشى الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان
من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذى او مبتدا خبره ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع با
عتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى او من مفعوله او صفة لمصدره
اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض
لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا
يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو
العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو

حال من فاعل ادخلوها اى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تع و
ملائكته • ذلك • اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ما ذكر من الامور • يوم الخلود
اذ لا انتهاء له ابدا • لهم ما يشاؤن • من فنون المطالب كائنا ما كان • فيها • متعلق بيشاؤن وقيل
بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته • ولدينا مزيد • هو ما لا يخطر ببالهم
ولا يندرج تحت مشيتهم من معالى الكرامات التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله تع ولدينا مزيد
وكم اهلكنا قبلهم • اى قبل قومك • من قرن هم اشد منهم بطشا • اى قوة كعاد واضرابها • فنقبوا فى
البلاد • اى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا فى اقطارها وجالوا فى اكناف الارض كل مجال حذار الموت
واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم
اقدرتهم على التنقيب وقيل هى عاطفة فى المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف • هل
من محيص • اى هل لهم من مخلص من امر الله والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا
اى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش
مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفى ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اى
ساروا فى مسايرهم واسفارهم فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم و
يعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى
اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم • ان فى ذلك • اى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى
السورة • لذكرى • لتذكرة وعظة • لمن كان له قلب • اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور
ويتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة
الآثار من غير تذكير • او القى السمع • اى الى ما يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله
يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا
يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تع • وهو شهيد • اى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه
فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما • من اصناف المخلوقات • فى ستة ايام وما مسنا • بذلك مع
كونه مما لا يفى به القوى والقدر • من لغوب • من اعياء ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود
فى زعمهم انه تع بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى
على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا • فاصبر على ما يقولون • اى ما يقوله المشركون فى
شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور
قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه • وسبح بحمد ربك • حال
اى نزهه تع عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث

وعن

وعن وصفه تع بما يوجب التشبيه حامدا له تع على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها • قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب • هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة • ومن الليل فسبحه • وسبحه
بعض الليل • وادبار السجود • واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة
اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل
الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما فى الليل العشاآن والتهجد وما يصلى باد
بار السجود النوافل بعد المكتوبات • واستمع • اى لما يوحى اليك من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع
للمخبر به • يوم ينادى المنادى • اى اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البا
لية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرا
فيل ينفخ وجبرائيل ينادى بالحشر • من مكان قريب • بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل
من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل
ذلك فى الاعادة مثل كن فى الابداء • يوم يسمعون الصيحة • بدل من يوم ينادى الخ وهى النفخة الثانية
بالحق • متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف ما يدل عليه قوله تع • ذلك يوم الخروج • اى يوم يسمعون
الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور • انا نحن نحيى ونميت • فى الدنيا من غير ان يشا
ركنا فى ذلك احد • والينا المصير • للجزاء فى الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا • يوم تشقق
الارض عنهم • بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من
التفعيل وتنشق • سراعا • مسرعين • ذلك حشر • بعث وجمع وسوق • علينا يسير • اى هين وتقديم
الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تع • نحن اعلم بما يقولون • من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة
به وغير ذلك مما لا خير فيه • وما انت عليهم بجبار • بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما
انت منذر • فذكر بالقرآن من يخاف وعيد • واما من عداهم • فنحن نفعل بهم ما يوجبه • اقوالهم وسيئة
اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبى صلى الله عم من قرأ سورة ق هون الله عليه تا
رات الموت وسكراته • سورة والذاريات بسم الله الرحمن الرحيم • والذاريات ذروا •
اى الرياح التى تذروا التراب وغيره وقرئ بادغام التاء فى الذال • فالحاملات وقرا • اى السحب
الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر • فالجاريات
يسرا • اى السفن الجارية فى البحر او الرياح الجارية فى مهابها او السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح
او الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اى جريا ذا يسر • فالمقسمات
امرا • اى الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التى يقسم الله تع بها
ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها
كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فى الا
قطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من

التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والاظهر لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تثير الا
بخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق
وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق
مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر
على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضاء
والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة و
عكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل
والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة
التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين
الموشى طرق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل
والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف
اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر وفي شان القرآن الكريم
تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تاييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح
به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا
القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها
وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول عليه السلام من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد
وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر
افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الا
يمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصل الدعاء بالقتل والهلاك
ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل
هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال
ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي وقوع يوم الجزاء لكن بطريق الاستعلام
حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب
للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدا محذوف اي هو يوم
هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا
القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما
كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم ~~هذا بدلا من فتنتكم~~ بتاويل
العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها
آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بحسن

القبول

القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك
نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون
في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر
وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي
كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل
والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل
ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها
وبالاسحار هم يستغفرون اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار
كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالا
ستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر
يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم المستجدي والمتعفف
الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شئونه
تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها و
السالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفننة
وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والر
وايح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به
من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط
الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين
البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الا
عمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه
لحق على ان الضمير لما واما على الاول فالضمير لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار
لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته و
نصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم و
قيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان
جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علم لرسول الله عليه السلام بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر

ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم
جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة
الضيف حيث اضافهم ابراهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك • المكرمين • اى المكرمين عند الله تع
او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته • اذ دخلوا عليه • ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل
او المكرمين ان خص باكرام ابراهيم • فقالوا سلاما • اى نسلم عليكم سلاما • قال • اى ابراهيم • سلام
اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى يكون تحيته عم احسن
من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد • قوم منكرون • انكرهم عليهم السلام
للسلام الذى هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف
ما عليه الناس ولعله عم انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به جهرا او سألهم ان يعرفوه
انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عنده ولما تصدى عليه السلام لمقدمات الضيافة • فراغ الى اهله
اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى ويبادر به حذارا من
ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تع • فجاء بعجل سمين • فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت
ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تع فقلنا اضرب بعصاك
البحر فانفلق اى فذبح عجلا فحنذه فجاء به • فقربه اليهم • بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد • قال
الا تأكلون • انكار لعدم تعرضهم للاكل • فاوجس منهم • فاضمر منهم • خيفة • لتوهم انهم جاؤا
للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب • قالوا لا تخف • قيل مسح جبريل عم
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم • وبشروه • وفي سورة الصافات وبشر
ناه • اى بواسطتهم • بغلام • هو اسحق عم • عليم • عند بلوغه واستوائه • فاقبلت امرأته • سارة لما
سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم • في صرة • في صيحة من الصرير كما يقال اقبل
يشتمني • فصكت وجهها • اى لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف
اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب • وقالت عجوز عقيم • اى انا عجوز عاقر فكيف الد • قالوا كذلك
مثل ذلك القول الكريم • قال ربك • وانما نحن معبرون نخبرك عنه تع لا انا نقوله من تلقاء انفسنا • انه
هو الحكيم العليم • فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عم قال لها انظري الى سقف بيتك
فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم يكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عم ايضا حسبما شرح
في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة
هود • قال • ابراهيم عم لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر • فما خطبكم • اى شأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم
سوى البشارة • ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • يعنون قوم لوط • لنرسل عليهم • اى
بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة • حجارة من طين • اى
طين متحجر هو السجيل • مسومة • مرسلة من سومت الماشية اى ارسلتها او معلمة من السومة وهي

حنيذ

العلامة

العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود • عند ربك للمسرفين • المجاوزين الحد في الفجور وقوله تع • فاخرجنا
آه حكاية من جهته تع لما جرى على قوم لوط عم بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم
عليهم السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما
امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك آه • من كان فيها • اى في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها
من المؤمنين • ممن آمن بلوط • فما وجدنا فيها غير بيت • اى غير اهل بيت • من المسلمين • قيل هم لوط و
ابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر • وتركنا فيها آية • علامة دالة على ما اصابهم
من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن • للذين يخافون العذاب الاليم • اى من
شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم
لا يعتدون بها ولا يعدونها آية • وفي موسى • عطف على قوله تع وفي الارض او على قوله تع وتركنا فيها
آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا • اذ ارسلناه • قيل هو منصوب
بآية وقيل بمحذوف اى كائنة وقت ارسالنا وتركنا • الى فرعون بسلطان مبين • هو ما ظهر على يديه
من المعجزات الباهرة • فتولى بركنه • اى فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تع ونأى بجانبه وقيل فتو
لى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف • وقال ساحر
اى هو ساحر • او مجنون • كانه نسب ما ظهر على يديه عم من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل
باختياره وسعيه او بغيرهما • فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم • وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن
القدرة الربانية ونهاية حقارة فرعون وقومه ما لا يخفى • وهو مليم • اى آت بما يلام عليه من الكفر و
الطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه • وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم • وصفت بالعقم لا
نها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي
النكباء او الدبور او الجنوب • ما تذر من شيء اتت عليه • اى جرت عليه • الا جعلته كالرميم • هو كل
ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك • وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين • وهو قوله
تع تمتعوا في داركم ثلثة ايام قيل قال لهم صالح عم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب • فعتوا عن امر ربهم • اى فاستكبروا عن الامتثال به • فاخذتهم
الصاعقة • قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح عم من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها
عمدوا الى قتله عم فنجاه الله تع الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق • وهم ينظرون
اليها يعاينونها • فما استطاعوا من قيام • كقوله تع فاصبحوا في دارهم جاثمين • وما كانوا منتصرين
بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم • وقوم نوح • اى واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او اذكر و
يجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذ
ناه • من قبل • اى من قبل هؤلاء المهلكين • انهم كانوا قوما فاسقين • خارجين عن الحدود فيما

المصراع الاول محروم اراد وعلفتها
تماما
حتى غدت همالة عيناها

كانوا اخبث من الكفرة المعاصرين. والسماء بنيناها بايد. اى بقوة. وانا لموسعون. لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين
الارض او الرزق. والارض فرشناها. مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها. فنعم الماهدون
اى نحن. ومن كل شئ. اى من الجنس. خلقنا زوجين. اى نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين
السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك. لعلكم تذكرون. اى فعلنا
ذلك كله كى تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة
الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى. ففروا الى الله. مقدر بقول خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين
والفاء اما لترتيب الامر على ما حكى من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية
للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شئونه بالايمان و
الطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى
لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى. انى لكم منه نذير مبين. تعليل
للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه تعالى موجب عليه السلام ان يامرهم با
لفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب
الفرار منه من العذاب المنذر به وفى امره تعالى للرسول عليه السلام بان يامرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه و
تعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم
بالمطلوب وقوله تعالى. ولا تجعلوا مع الله الها آخر. نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار
من نفسه كما يشعر به قوله تعالى. انى لكم منه. اى من الجعل المنهى عنه. نذير مبين. فان تعلق كلمة من بالانذار
مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الاقرار يقال فر منه اى هرب وآخر غيره كانه قيل وفروا من ان
تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى
لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه. كذلك. اى الامر مثل ما ذكر
من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى. ما اتى الذين من قبلهم. الخ تفسير له اى ما
اتاهم. من رسول. من رسل الله. الا قالوا. فى حقه. ساحر او مجنون. وكلا سبيل الى انتصاب
الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها. اتواصوا به. انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم
على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اى اوصى بهذا
القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى. بل هم قوم طاغون. اضراب عن كون مدار اتفاقهم
على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصى واشنع منه من الطغيان الشامل
للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب
وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم. فتول عنهم. فاعرض عن جدالهم
فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء. فما انت بملوم. على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت

فى الابلاغ كل حد معهود. وذكر. اى افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وترك
الضمير لظهور الامر. فان الذكرى تنفع المؤمنين. اى الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا
بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين. وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. استئناف
مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب
عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى
خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم
بتنزيل ترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله
تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى
لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى
استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق
ففيه منفى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة
ويكفى فى تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول
اللام واما ارادة الفاعل بها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن
البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى
وتاخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما فى قوله كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من
الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا لآمرهم بالعبادة كما فى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما
ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه
الا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق
لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان
المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة. ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون. بيان لكون شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم
حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل
رزقى ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا
له من عبادتى. ان الله هو الرزاق. الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه وقرئ
انى انا الرزاق. ذو القوة المتين. بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمحذوف وقرئ
بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد. فان للذين ظلموا. اى ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله عليه السلام او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة. ذنوبا. اى
نصيبا وافرا من العذاب. مثل ذنوب اصحابهم. مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ

من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء • فلا يستعجلون • اى لا يطلبون منى
ان اعجل فى المجئ به يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه
قوله تع اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • فويل للذين
كفروا • وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم
والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال
على ذلك ومن فى قوله تع • من يومهم الذى يوعدون • للتعليل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيمة
وهو الانسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب
الدنيوى عن النبى عم من قرأ والذاريات اعطاه الله تع عشر حسنات بعدد كل ريح هبت و
جرت فى الدنيا

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم • والطور • الطور بالسريانية الجبل و
المراد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عم كلام الله عز وعلا • وكتاب مسطور • مكتوب
على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عم وهو
الانسب بالطور او ما يكتب فى اللوح او ما يكتبه الحفظة • فى رق منشور • الرق الجلد الذى يكتب فيه
استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه
الناس • والبيت المعمور • اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو فى
السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة • والسقف المرفوع • اى السماء ولا يخفى حسن
موقع العنوان المذكور • والبحر المسجور • اى المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تع واذا البحار
سجرت فالمراد به الجنس روى ان الله تع يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم • ان عذاب ربك
لواقع • اى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تع • ماله من دافع • اما خبر ثان لان او صفة لواقع
ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيد للتأكيد وتخصيص هذه الامور
بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تع وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته
تع بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم
عليها وقوله تع • يوم تمور السماء مورا • ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله
وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجئ والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور
السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها • وتسير الجبال
سيرا • اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما و
خروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما • فويل يومئذ
للمكذبين • اى اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم • الذين هم فى
خوض • اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب • يلعبون • يلهون • يوم يدعون الى جهنم دعا
اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيد

فعوا

فعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف
لقول مقدر قبل قوله تع • هذه النار التى كنتم بها تكذبون • اى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها
تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تع • افسحر هذا • توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه
قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار
التوبيخ • ام انتم لا تبصرون • اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما
سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون • اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا • اى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه • سواء
عليكم • اى الامران فى عدم النفع لا يدفع العذاب ولا التخفيف وقوله تع • انما تجزون ما كنتم تعملون •
تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع
ان المتقين فى جنات ونعيم • اى فى اية جنات واى نعيم على ان التنوين للتفخيم او فى جنات ونعيم مخصو
صة بالمتقين على انه للتنويع • فاكهين • ناعمين متلذذين • بما آتاهم ربهم • وقرئ فكهين وفاكهون
على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر • ووقاهم ربهم عذاب الجحيم • عطف على آتاهم على
ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن فى الخبر او فى الحال واما من فاعل آتى
او من مفعوله او منهما واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل
كلوا واشربوا • اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا • هنيئا • او طعاما وشرابا هنيئا و
هو الذى لا تنغيص فيه • بما كنتم تعملون • بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا
اى هناءكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه • متكئين على سرر مصفوفة • مصطفة • وزوجناهم بحور
عين • على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء لما ان
التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم
ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تع • والذين آمنوا
اه كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم
ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تع • واتبعتهم ذريتهم • عطف على
آمنوا وقيل اعتراض وقوله • بايمان • متعلق بالاتباع اى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قا
صر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة
لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم
اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم • الحقنا بهم ذريتهم • اى فى الدرجة كما روى انه
عم قال ان الله تع يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية • وما التنا
هم • وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق • من عملهم • من ثواب عملهم • من شئ • بان اعطينا بعض مثوباتهم
ابناءهم فتنقص مثوباتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم

بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يليت
والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا
اى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله
تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اى بسبب ايمان عظيم رفيع
المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى
ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشئ
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقنا بهم • كل امرئ بما كسب رهين • قيل هو فعيل بمعنى
المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى
الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم
المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها • وامددناهم
بفاكهة ولحم مما يشتهون • وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من
فنون النعماء والوان الآلاء • يتنازعون فيها • اى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق
كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع • كأسا • اى خمرا تسمية لها باسم محلها • لا لغو فيها • اى فى شربها
حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام • ولا تأثيم • ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله
اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم
واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح • ويطوف عليهم
اى بالكأس • غلمان لهم • اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم • كأنهم
لؤلؤ مكنون • مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى
القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله عم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى
الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك • واقبل بعضهم على بعض يتساءلون • اى يسأل كل بعض منهم
بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا
آخر معينا • قالوا • اى المسؤولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة • انا كنا قبل • اى فى الدنيا • فى اهلنا
مشفقين • ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة
فمن الله علينا • بالرحمة او التوفيق للحق • ووقانا عذاب السموم • عذاب النار النافذة فى المسام
نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد • انا كنا من قبل • اى من قبل هذا • ندعوه • اى نعبده او نسأله الوقاية • انه
هو البر • المحسن • الرحيم • الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح
بمعنى لانه • فذكر • فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث
بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل • فما انت بنعمة ربك • بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل

بكاهن ولا مجنون • كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون • ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل
فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل ايقولون ننتظر به نوائب الدهر • قل تربصوا
فانى معكم من المتربصين • اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم • ام تأمرهم
احلامهم • اى عقولهم • بهذا • اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة
ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل
فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه • ام هم قوم طاغون
متجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقو
لون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم • ام يقولون تقوله
اى اختلقه من تلقاء نفسه • بل لا يؤمنون • فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الاباطيل التى لا يخفى على
احد بطلانها كيف لا وما رسول الله عم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من
العرب والعجم • فليأتوا بحديث مثله • مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن
حيث المعنى • ان كانوا صادقين • فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان
بمثله بقضية مشاركتهم له عم فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار و
كثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى ان القدرة
على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك • ام خلقوا من غير شئ • اى ام احدثوا وقدروا
هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة وجزاء • ام هم
الخالقون • لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه • ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون • اى
اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا
عن عبادته • ام عندهم خزائن ربك • اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ويمسكوها
عمن شاؤوا او اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره • ام هم
المسيطرون • اى الغالبون على الامور يدبرونها كيف ما شاؤوا حتى يدبروا امر الربوبية و
يبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء • ام لهم سلم
منصوب الى السماء • يستمعون فيه • صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى
يعلموا ما هو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة • فليأت
مستمعهم بسلطان مبين • بحجة واضحة تصدق استماعه • ام له البنات ولكم البنون • تسفيه لهم و
تركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم
الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة من الانكار
والتوبيخ • ام تسألهم اجرا • رجوع الى خطابه عم واعراض عنهم اى بل اتسألهم اجرا على التبليغ

الرسالة • فهم • لاجل ذلك • من مغرم • من التزام غرامة فادحة • مثقلون • محملون الثقل
فلذلك لا يتبعونك • ام عندهم الغيب • اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب • فهم يكتبون
ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى او اثبات • ام يريدون كيدا • هو كيدهم برسول الله عم فى دار الندوة
فالذين كفروا • هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من
الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا • هم المكيدون • اى هم
الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر
او هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته • ام لهم اله غير الله • يعينهم ويحرسهم من عذابه • سبحان
الله عما يشركون • اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه • وان يروا كسفا • قطعة • من السماء
قطعا لتعذيبهم • يقولوا • من فرط طغيانهم وعنادهم • سحاب مركوم • اى هم فى الطغيان بحيث
لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه
على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب • فذرهم حتى يلاقوا • وقرئ حتى يلقوا
يومهم الذى فيه يصعقون • على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقه وقرئ
يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى
كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى • يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا • اى شيئا
من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا فى
الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه عم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة
الاولى فليست مما يجرى فى مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يا
باه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم • ولا هم ينصرون • من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم • وان
للذين ظلموا • اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اى وان لهؤلاء الظلمة
عذابا آخر • دون ذلك • دون ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين او
وراءه كما فى قوله تركت القرى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآ
خرة وقرئ دون ذلك قريبا • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم
من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا • واصبر لحكم ربك • بامهالهم
الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم • فانك باعيننا •
اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية
الاعتناء بالحفظ • وسبح • اى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا • بحمد ربك • على نعمائه الفائتة للحصر
حين تقوم • من اى مقام قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم
وبحمدك وقال ابن عباس رض معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت
الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن فيه

اواد

لا يقدرون وقوله تعالى • يؤتيه من يشاء • خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى و
الله ذو الفضل العظيم • اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والا
يمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله عم يؤتكم ما وعد من آمن من
اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم مثلهم
فى الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروى ان مؤمنى اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين
بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتا
حها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا
هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبى عم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه
لا يقدر النبى عم والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على
ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وان الفضل بيد الله
آه عطفا على ان لا يعلم روى عن النبى عم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم • قد سمع الله • باظهار الدال وقرئ بادغامها فى السين • قول التى
تجادلك فى زوجها • اى تراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرئ تحاو
رك وتحاولك اى تسائلك • وتشتكى الى الله • عطف على تجادلك اى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من
فاعله اى تجادلك وهى متضرعة اليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزام الخزرجية ظاهر
عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت على
فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله عم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا
فقال حرمت عليه وفى رواية ما اراك الا قد حرمت عليه فى المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتى
ووجدى وجعلت تراجع رسول الله عم وكلما قال عم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنز
لت وفى كلمة قد اشعار بان الرسول عم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج
عنها كربها كما يلوح به ما روى انه عم قال لها عند استفتائها ما عندى فى امرك شئ وانها كانت ترفع
رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعا
ئها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى • والله يسمع تحاوركما • اى يعلم تراجعكما الكلام
وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك
الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى
المسألة ومبالغتها فى التضرع الى الله تعالى ومدافعته عم اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب
الوحى وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وقيل هى حال وهو بعيد وقوله تعالى • ان الله سميع
بصير • تعليل لما قبله بطريق التحقيق اى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته
ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار

لانكم

ترفع

التفظيع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال
الجملتين وقوله تع الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المر
تب عليه شرعا بطريق الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من
الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون
من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تع ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم ليس
امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم
اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقهن الشرع بهن من المرضعات
وازواج النبي عم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون
بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه
منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تع انكم لتقولون
قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر
لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تع والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة
انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك و
التلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تع ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في
قوله تع هدانا لهذا وقوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تع بان ربك اوحى لها وقوله تع واوحي الى نوح
فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط
الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة
عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تع ونرثه ما يقول اي
المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل
ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع
شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه
ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله تع ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون
به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره
بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في
استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من
الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها
ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام

شهرين

شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ
فمن لم يستطع اي الصيام لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع
من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان مس في خلال الاطعام ذلك
اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا و
محله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشا
رة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعد
يها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تع
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما
فان كلا من المتعادين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير
حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع
ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا
وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تع اتى امر الله وقيل اصل
الكبت الكبد كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد
انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات
فيمن حاد الله ورسله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة
ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا
اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من
الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد
غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدوره عنهم او
بتصويره في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا
بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تع احصاه الله استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من
السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلا
شية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تع ونسوه حال من مفعول احصى باضمار
قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا
ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتقريع لهم غير التخجيل والتشهير
والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه
تع وقوله تع الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته كما في قوله
تع الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تع الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متا

خما

للمشاهدة انه تع يعلم ما فيهما من الموجودات سوآء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تع
ما يكون من نجوى ثلثة • الآية استيناف مقرر لما قبلها من سعة علمه تع ومبين لكيفيته و يكون من كان التامة
وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقي اى ما يقع من تناجي ثلثة نفر اى مسارتهم
على ان نجوى مضافة الى ثلثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اى من اهل نجوى ثلثة
او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة • الا هو • اى عز وجل • رابعهم • اى جاعلهم اربعة من حيث
انه تع يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال • ولا خمسة • ولا نجوى خمسة
الا هو سادسهم • وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنا
فقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل • ولا ادنى
من ذلك • اى مما ذكر كالواحد والاثنين • ولا اكثر • كالستة وفوقها • الا هو معهم • يعلم ما يجرى
بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بجعل لا لنفي الجنس • اينما كا
نوا • من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تع بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلا
ف الامكنة قربا وبعدا • ثم ينبئهم • وقرئ بالتخفيف • بما عملوا يوم القيمة • تفضيحا لهم واظهارا لما
يوجب عذابهم • ان الله بكل شيء عليم • لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سوآء • الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه • نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عم ثم عادوا لمثل فعلهم
الخطاب للرسول عم والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم
وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تع • ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول • عطف
عليه داخل في حكمه اى بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عم وذكره عم بعنوان
الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عم لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ و
ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول • واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول سلام على المرسلين • ويقولون في انفسهم
اى فيما بينهم • لولا يعذبنا الله بما نقول • اى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا • حسبهم
جهنم • عذابا • يصلونها • يدخلونها • فبئس المصير • اى جهنم • يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم
في انديتكم وفي خلواتكم • فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول • كما يفعله المنافقون
وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجون بحذف احدى التائين • وتناجوا بالبر والتقوى • اى بما يتضمن
خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عم • واتقوا الله الذي اليه تحشرون • وحده لا الى
غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون • انما النجوى • المعهودة التي هو التناجي
بالاثم والعدوان من الشيطان • لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تع • ليحزن
الذين آمنوا • خبر آخر اى انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم • وليس بضارهم •

اى

اى الشيطان او التناجي بضار المؤمنين • شيئا • من الاشياء او شيئا من الضرر • الا باذن الله • اى
بمشيئته • وعلى الله فليتوكل المؤمنون • ولا يبالوا بنجويهم فانه تع يعصمهم من شره وضرره • يا ايها الذين
آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا • اى توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اى
تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تع • في المجالس • متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل
مجلس الرسول عم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه عم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو
المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تع مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول
تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اى توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه • فافسحوا يفسح الله لكم • اى في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان
والرزق والصدر والقبر وغيرها • واذا قيل انشزوا • اى انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم
به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير • فانشزوا • فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا
وقرئ بكسر الشين • يرفع الله الذين آمنوا منكم • بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان
في الآخرة • والذين اوتوا العلم • منهم خصوصا • درجات • عالية بما جمعوا من اثر العلم والعمل فان
العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في
غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب • والله بما تعملون خبير • تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ
يعملون بالياء التحتانية • يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول • في بعض شؤونكم المهمة الداعية
الى مناجاته عم • فقدموا بين يدي نجواكم صدقة • اى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي
هذا الامر تعظيم الرسول الله عم وانتفاع الفقراء وزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص
والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تع أاشفقتم
وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله
آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عم تصدقت بدرهم وهو على
القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا
وقيل الا ساعة • ذلك • اى التصدق • خير لكم واطهر • اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا
يشعر بالندب لكن قوله تع • فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم • منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن
لم يجد في المناجاة بلا تصدق • أاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات • اى اخفتم الفقر من
تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين
فاذ لم تفعلوا • ما امرتم به وشق عليكم ذلك • وتاب الله عليكم • بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه
اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على با
بها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تع اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان • فاقيموا الصلوة و

آتوا الزكوة. اي فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع ... كانوا يتخذون
اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر. الى الذين تولوا. اي
والوا. قوما غضب الله عليهم. وهم اليهود لما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه. ما
هم منكم ولا منهم. لانهم منافقون مذبذبين بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا. و
يحلفون على الكذب. اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب و
صيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى. وهم يعلمون. حال
من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه
دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلم روي انه عم كان في حجرة من
حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل
المنافق وكان ازرق فقال له عم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له عم فعلت
فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت. اعد الله لهم. بسبب ذلك. عذابا شديدا. نوعا
من العذاب متفاقما. انهم ساء ما كانوا يعملون. فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل
وضروا به واصروا عليه. اتخذوا ايمانهم. الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة
اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام. جنة. وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالا
تخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن
اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن
استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد
ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى. فصدوا. اي الناس. عن
سبيل الله. في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم. فلهم
عذاب مهين. وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة. لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله. اي من عذابه تعالى. شيئا. من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم
القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا. اولئك. الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة. اصحاب
النار. اي ملازموها ومقارنوها. هم فيها خالدون. لا يخرجون منها ابدا. يوم يبعثهم الله جميعا
قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين. فيحلفون له. اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون. كما يحلفون
لكم. في الدنيا. ويحسبون. في الآخرة. انهم. بتلك الايمان الفاجرة. على شيء. من جلب منفعة
او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون
بها فوائد دنيوية. الا انهم هم الكاذبون. البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث
تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما

تروج

في ذلك من التنويه باسم صبر بما تعودنا منا ظاهرا وباطنا وقوله الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين ج

تروج عند الغافلين. استحوذ عليهم الشيطان. استولى عليهم من حاذ الابل اذا استوليت عليها
وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم. فانساهم ذكر الله. بحيث لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم. اولئك. الموصوفون بما ذكر من القبائح. حزب الشيطان. اي جنوده
واتباعه. الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون. اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث
فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق
واظهار المضافين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى
ان الذين يحادون الله ورسوله. استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم
بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلية الحكم اي
اولئك بما فعلوا من التولي والموادة. في الاذلين. اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين و
الآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت
ذلة من يحاده كذلك. كتب الله. استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح
وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل. لاغلبن انا ورسلي. اي بالحجة والسيف وما
يجري مجراهما او باحدهما ونظيره قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء. ان الله قوي. على نصر انبيائه. عزيز. لا
يغلب عليه في مراده. لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر. الخطاب للنبي عم او لكل احد وتجد اما
متعد الى اثنين فقوله تعالى. يوادون من حاد الله ورسوله. مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من
مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر و
بين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك
وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد. ولو كانوا. اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها. اباءهم. اباء الموادين. او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم. فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل
مرارا. اولئك. اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه
من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره. كتب في قلوبهم الايمان. اي اثبته
فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء
من اعمال الجوارح يثبت فيه. وايدهم. اي قواهم. بروح منه. اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن
او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به ففي تجريدية وقوله تعالى. ويدخلهم. الخ بيان لا
ثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة. جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها. ابد الآبدين وقوله تعالى. رضي الله عنهم. استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم
من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله. ورضوا عنه. بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا

وقوله تعالى • اولئك حزب الله • تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى • الا ان حزب الله هم
المفلحون • بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر
في مثلها عن النبي عم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم • مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد
كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه عم لما قدم
المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عم نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل
انتظارا لبعثة النبي عم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عم يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته
في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين
راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عم فامر عم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة
وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عم عشرة ايام
ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عم احدى و
عشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا
الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات
الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فا
نزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى • هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم • بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القا
هرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى
بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كانه في الجلد
توليع البهق هو المشهور كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ ففيه اشعار بان في الا
خراج حكمة باهرة وقوله تعالى • لاول الحشر • اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم
جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر
رض اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام • ما ظننتم • ايها
المسلمون • ان يخرجوا • من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم • وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله • اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر و
اسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة
ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم
مرتفعا على الفاعلية • فاتاهم الله • اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم • من حيث لم يحتسبوا • ولم يخطر ببالهم

وهو

وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وقل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن و
الطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتا
هم الله العذاب او النصر • وقذف في قلوبهم الرعب • اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها • يخربون بيو
تهم بايديهم • ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين
ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل • وايدي المؤمنين • حيث كانوا يخربونها
ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه
فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل
الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم • فاعتبروا يا اولي الابصار • فاتعظوا
بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من
الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على
تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء • اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع • لعذبهم في الدنيا
بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة • ولهم في الآخرة عذاب النار • استيناف غير متعلق بجواب لولا جيء
به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة • ذلك • اي ما حاق بهم
وما سيحيق • بانهم • بسبب انهم • شاقوا الله ورسوله • وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح و
من يشاق الله • وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى ليوافق قوله
تعالى • فان الله شديد العقاب • وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد اي من عقابه له او شديد
العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية
تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من
العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله
بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد • ما قطعتم من لينة • اي اي شيء قطعتم من
نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل
من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة • او تركتموها • الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في
قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها • قائمة على اصولها • كما كانت من غير ان تتعرضوا لها
بشيء ما وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله
ذهابا الى لفظ ما • فباذن الله • فذاك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى • وليخزي الفاسقين • اي وليذل
اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا
ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعف حسرة واستدل به على
جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع

ان كانت من الالوان لا استثناء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانتا هى الكرام ليكون
غيظهم اشد وقوله تعالى. وما افاء الله على رسوله. شروع فى بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما
حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اى ما
اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان له وانما وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه
تعالى خلق الانسان لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين
منهم. اى من بنى النضير. فما اوجفتم عليه. اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة
السير. من خيل ولا ركاب. هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب
الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها
شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة
فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكبا الا النبى عم فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم مسابقة كما
قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين. ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء. اى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا
خاصا وقد سلط النبى عم على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تقتحموا مضائق الخطوب
وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم. والله على كل شىء قدير. فيفعل ما يشاء كما يشاء
تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها. وقوله تعالى. ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
بيان لمصارف الفىء بعد بيان افاءته عم من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة
الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشموله لما لعقاراتهم ايضا
فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. اختلف فى قسمة الفىء فقيل يسدس
لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم
ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والآن على الخلاف المذكور. كيلا يكون. اى الفىء الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون
به. دولة. بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة
وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة اى
كيلا يكون جدا. بين الاغنياء منكم. يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم فان الرؤساء
منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة
اسم لما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفىء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء
والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم
لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعانى

وما آتاكم

وما آتاكم الرسول. اى ما اعطاكم من الفىء او من الامر. فخذوه. فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم
وما نهاكم عنه. عن اخذه منه او عن تعاطيه. فانتهوا. عنه. واتقوا الله. فى مخالفته عم. ان الله شديد العقاب
فيعاقب من يخالف امره ونهيه. للفقراء المهاجرين. بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عم
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفىء بنى
النضير فتعسف ظاهر. الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم. حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى
الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها. يبتغون فضلا من الله ورضوانا. اى طالبين منه تعالى رزقا
فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفىء من الاخراج من الديار والاموال
وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده. وينصرون الله ورسوله. عطف على يبتغون فهى حال
مقدرة اى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين
الى المدينة نصرة واى نصرة. اولئك. الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة. هم الصادقون
الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا. والذين تبوؤا الدار والايمان. كلام
مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفىء بهم
احسن رضاء واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد
تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا
الايمان كقول قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف
المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره و
منشأه. من قبلهم. اى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الا
خيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعانى الاول عبارة عن
اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك
على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور
تقدمهم عليهم فى ذلك. يحبون من هاجر اليهم. خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم
لمحبتهم للايمان. ولا يجدون فى صدورهم. اى فى نفوسهم. حاجة. اى شيئا محتاجا اليه يقال خذ
منه حاجتك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ. مما اوتوا.
اى مما اوتى المهاجرون من الفىء وغيره. ويؤثرون. اى يقدمون المهاجرين. على انفسهم
فى كل شىء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم
ولو كان بهم خصاصة. اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى حيز الحال و
قد عرفت وجهه مرارا وكان النبى عم قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر
محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم

مطلب عدد المهاجرين

يقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشا
ركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء
او المهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصد
ق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا
ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها
مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب
عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه العام المنتظم
للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض
وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين
هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل
ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الخ والجملة
مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق
بالايمان كما ان ما عطفت هي عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا و
لاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم
بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا
على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا
الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال
الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم و
الخطاب لرسول الله عم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف
لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر
او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم موطئة للقسم وقوله
تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم
اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال
الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان
وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق
به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود
مما لا يمكن صدوره عن رسول الله عم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيه ضرورة انها لو كانت
لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعل عم عند ذلك قتلهم لا دعوتهم

الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم
معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيد
هم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد
من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر
كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة
واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي
المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا
ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول
في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يد
عون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله با
نهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقا
تلونكم اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن
من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم
ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة فتحة الدال وجُدْر وجَدْر
وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم
في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف
الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة
بينها ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا
حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون
في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونهم وانما قيل من ان المعنى لا
يعقلون ان التشتت مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم
خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني
قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا اي في زمان قريب وانتصابه بمثل
اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والآخرة لكن
لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي
ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود
وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل
من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع

ان يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم آه و
مثل المنافقين في اغرائهم ايّاهم على القتال حسبما نقل عنهم • كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر • اى
اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به • فلما كفر قال اني بريء منك • وقرئ انا بريء منك
ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيمة لما ينبئ عنه قوله • اني اخاف الله
رب العالمين • وان اريد به ابو جهل فقوله تع اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
الآية • فكان عاقبتهما • بالنصب على انه خبر كان واسمها • انهما في النار • وقرئ بالعكس وقد مر
انه اوضح • خالدين فيها • وقرئ خالدان فيها على انه خبر انّ وفي النار لغو • وذلك جزاء الظالمين
اى الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة • يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله • اى في كل ما تأتون وما تذرون • ولتنظر نفس ما قدمت لغد • اى اي شيء قدمت من
الاعمال ليوم القيمة عبّر عنه بذلك لدنوّه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتفخيم وتهويله كانه
قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم
الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك • واتقوا الله • تكرير للتاكيد او الاول في اداء الوا
جبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تع • ان الله
خبير بما تعملون • اى من المعاصي • ولا تكونوا كالذين نسوا الله • اى نسوا حقوقه تع وما قدروه حق
قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها • فانساهم • بسبب ذلك • انفسهم • اى
جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال
ما انساهم انفسهم • اولئك هم الفاسقون • الكاملون في الفسوق • لا يستوي اصحاب النار
الذين نسوا الله تع فاستحقوا الخلود في النار • واصحاب الجنة • اى الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود
في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان المقصود الذي ينبئ عنه عدم
الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب اعتبار زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب نقصان الناقص وعليه قوله هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تع هل يستوي الذين يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكر
يمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم
الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية
الجنة وكذا قوله تع • اصحاب الجنة هم الفائزون • فانه استيناف مبين لكيفية عدم الاستواء
بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه • لو انزلنا هذا القرآن

العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع • على جبل • من الجبال • لرأيته • مع كونه علما في القسوة
وعدم التأثر مما يصادمه • خاشعا متصدعا من خشية الله • اى متشققا منها • وقرئ مصدعا بالا
دغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تع • و
تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون • اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه
عند تلاوته وقلة تدبره فيه • هو الله الذي لا اله الا هو • وحده • عالم الغيب والشهادة •
اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب
على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو • كرر الابراز للاعتناء بامر التوحيد • الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه • السلام • ذو السلامة من كل
نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة • المؤمن • واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف
الجار • المهيمن • الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء • العزيز الجبار
الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اى اصلحها • المتكبر • الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة
او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة • سبحان الله عما يشركون • تنزيه له تع عما يشركون به تع
[illegible] او عن اشراكهم به تع صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تع في شيء منها شيء ما اصلا • هو الخالق • المو
جد لها بريئا من التفاوت • وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة • المصور • الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد به • له الاسماء الحسنى • لدلالتها على المعاني الحسنة • يسبح له ما في السموات والارض
ينطق بتنزهه من جميع النقائص تنزها ظاهرا • وهو العزيز الحكيم • الجامع للكمالات كافة فانها
مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء • نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل
مكة ان رسول الله ص يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبرائيل عم بالخبر
فبعث رسول الله ص عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله ص
حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك و
لكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت
ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله ص وقبل عذره • تلقون اليهم بالمودة • اى
توصلون اليهم بالمودة على ان الباء زائدة كما في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون
اليهم اخبار النبي ص بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لا

اتقوا الله

ولياء

وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استئناف و
قد كفروا بما جاءكم من الحق • حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاء
كم • اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سبب الكفر • يخرجون الرسول واياكم
اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لا
ستحضار الصورة وقوله تعالى • ان تؤمنوا بالله ربكم • تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب
على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربو
بية • ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي • متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا
اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى • تسرون اليهم بالمودة • استئناف وارد على نهج العتاب
والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة • وانا اعلم • اي والحال اني اعلم
منكم • بما اخفيتم وما اعلنتم • ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم
مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية والاخفاء على الاعلان لما مر وجهه في قوله
تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون • ومن يفعله منكم • اي الاتخاذ • فقد ضل سواء السبيل • فقد اخطأ
طريق الحق والصواب • ان يثقفوكم • اي ان يظفروا بكم • يكونوا لكم اعداء • اي يظهروا
ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها • ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء •
بما يسوؤكم من القتل والاسر والشتم • وودوا لو تكفرون • اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذ
ان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا • لن تنفعكم ارحامكم • قراباتكم • ولا اولادكم
الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم • يوم القيمة • بجلب نفع او دفع
ضر • يفصل بينكم • استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعترا
كم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم
ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول و
نفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون • والله بما تعملون
بصير • فيجازيكم به • قد كانت لكم اسوة حسنة • خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها
قوله تعالى • في ابراهيم والذين معه • اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان
او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف • اذ قالوا
ظرف لخبر كان • لقومهم انا برآء منكم • جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال
وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة • ومما تعبدون من دون الله • من الاصنام • كفرنا بكم • اي
بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم • وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا الى هذا اي ثابتا معكم لا نترك • حتى تؤمنوا بالله وحده • وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب
العداوة موالاة والبغضاء محبة • الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك • استثناء من قوله تعالى

وتقديم

اسوة

اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين
انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد بها ما يجب الا
تساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو
الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكا
فر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا
هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي
او لموعدة وعدها اياه فمبني على الاستثناء بالكلية لابتنائه على تناول النهي لاستغفاره عليه السلام
له وانبائه عن كونه مؤتسى به لولم يعذر وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار
للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا ولان ما يؤتسى بها
يجب الايتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام بعد النهي كما هو
المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالا
ستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار
وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله ساستغفر لك ربي لورودها على طر
يق التوكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب البراءة على تبين الامر فقد مر تحقيقه
في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على
انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الا
ستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى
وقوله تعالى • ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير • من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه
من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجا
هدة وشق العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق
به قوله تعالى • ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا • بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه • و
اغفر لنا • ما فرط منا من الذنوب • ربنا انك انت العزيز • الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه
ولا يخيب رجاء من توكل عليه • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع والجؤار هذا واما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا
عليه وينيبوا اليه استعاذة به من فتنة الكفرة واستغفارا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم
به من قطع العلاقة بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم • لقد كان لكم فيهم • اي في
ابراهيم ومن معه • اسوة حسنة • تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء بهم عليهم السلام ولذلك صدر بالقسم
وقوله تعالى • لمن كان يرجو الله واليوم الآخر • بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله
واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخائل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله • ومن يتول

فان الله هو الغنى الحميد. فانه مما يوعد بامثاله الكفرة. عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم. اى من اقاربكم المشركين. مودة. بان يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى
بذلك لما راى من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم
ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح
فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصادق ما تم. والله قدير. اى مبالغ فى القدرة فيقدر على
تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة. والله غفور رحيم. فيغفر لمن اسلم من المشر
كين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم اى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى
ان تبروهم. بدل من الموصول. وتقسطوا اليهم. اى تفضوا اليهم بالقسط اى العدل. ان الله
يحب المقسطين. اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلعم ان تدخلها
وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلعم على
ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من د
ياركم. وهم عتاة اهل مكة. وظاهروا على اخراجكم. وهم سائر اهلها. ان تولوهم
بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم. ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية فى موضع العداوة وهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب. يا ايها
الذين آمنوا. بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافر. اذا جاءكم المؤمنات مها
جرات. من بين الكفار. فامتحنوهن. فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن فى الايمان يروى ان رسول الله صلعم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت
من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله
ما خرجت الا حبا لله ورسوله. الله اعلم بايمانهن. لانه المطلع على ما فى قلوبهن واجله
اعتراض. فان علمتموهن. بعد الامتحان. مؤمنات. علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد
اللتيا والتى من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخائل وهو الظن
الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به. فلا ترجعوهن الى الكفار
اى الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى. لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن. فانه تعليل للنهى
عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول و
الثانى لبيان امتناع النكاح الجديد. وآتوهم ما انفقوا. اى واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحا
رث الاسلمية مسلمة والنبى صلعم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب

فقال

فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما
كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى
الله عنه. ولا جناح عليكم ان تنكحوهن. فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار. اذا
آتيتموهن اجورهن. بشرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام
المهر. ولا تمسكوا بعصم الكوافر. جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب اى لا يكن بينكم
وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا
يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار
الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا
بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا. واسألوا ما انفقتم. من مهور نسائكم اللا
حقات بالكفار. وليسألوا ما انفقوا. من مهور ازواجهم المهاجرات. ذلكم. الذى ذكر حكم الله
وقوله تعالى. يحكم بينكم. كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل
الحكم حاكما على المبالغة. والله عليم حكيم. يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روى انه لما نزلت
الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا
شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى. وان فاتكم. اى سبقكم وانفلت
منكم. شئ من ازواجكم الى الكفار. اى احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه
للتحقير والاشباع فى التعميم او شئ من مهور ازواجكم. فعاقبتم. اى فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من
اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك
مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره. فآتوا الذين ذ
هبت ازواجهم مثل ما انفقوا. من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكا
فر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ
فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها ولعل جميع من لحق بالمشر
كين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وفاطمة بنت امية وبروع
بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابى جهل وكلثوم بنت جرول. واتقوا الله الذى
انتم به مؤمنون. فان الايمان به يقتضى التقوى منه تعالى. يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبا
يعنك. اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه صلعم لما فرغ عن بيعة الرجال
شرع فى بيعة النساء. على ان لا يشركن بالله شيئا. اى شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك. ولا
يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن. اريد به واد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد. ولا
يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن. كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو
ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه

بين رجليها. ولا يعصينك في معروف. اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن. فبايعهن. اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن. واستغفر لهن الله. زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن. ان الله غفور رحيم. مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عم لهن يومئذ فروي انه عم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن عنه وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروي انه عم بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله عم على النساء قط الا بما امر الله تع وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله عم يمتحنهن يقول الله عز وجل يا ايها الذين اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن. يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم. هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم. قد يئسوا من الآخرة. لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات. كما يئس الكفار من اصحاب القبور. اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي عم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم. سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم. الكلام فيه كالذي مر في نظيره. يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تع لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وتمامه قيل من ان النازل قوله تع ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فتبين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تع وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه انه مع ان ترتيب الآيات

[margin: النبي]

الكريمة

الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تع بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذلك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهنا الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود. كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون. بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عن مثله يحقر دونه كل عظيم. وقوله تع ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا. بيان لما هو مرضي عنده تع بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوا عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل او ادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تع كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تع واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تع فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عم كل الاذية. يا قوم لم تؤذونني. اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به. وقوله تع وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم منه مملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك

ان تبالغوا في تعظيمه وتسارعوا الى طاعته. فلما زاغوا. اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى
عم واستمروا عليه. ازاغ الله قلوبهم. اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم
نحو الغي والضلال وقوله. والله لا يهدي القوم الفاسقين. اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغوا
ية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم
اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس
الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تع
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تع فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي تقتضيه
جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا
يؤذونه عليه السلام بانواع من الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه
وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا
تعلق له بالمقام وقوله تع. واذ قال عيسى بن مريم. اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما
معمول لمضمر معطوف على عاملها. يا بني اسرائيل. ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية. فان تصديقه عم اياها من اقوى الدواعي الى
تصديقهم اياه وقوله تع. ومبشرا برسول يأتي من بعدي. معطوف على مصدقا داع الى تصديقه
عم مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار
فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كو
ني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول. اسمه احمد. اي محمد عم يريد ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي. بفتح الياء. فلما جاءهم بالبينات
اي بالمعجزات الظاهرة. قالوا هذا سحر مبين. مشيرين الى ما جاء به او اليه عم وتسميته سحرا للمبالغة ويؤ
يده قراءة هذا ساحر. ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام. اي اي الناس اشد ظلما
ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز و
جل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظا
هر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه. والله
لا يهدي القوم الظالمين. اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه. يريدون ليطفئوا
نور الله. اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الا
رادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء
ليطفئوا نور الله. بافواههم. بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.
والله متم نوره. اي مبلغه الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة. ولو كره الكا

فرون. اي ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مرارا. هو الذي ارسل رسوله بالهدى
بالقرآن او بالمعجزة. ودين الحق. والملة الحنيفية. ليظهره على الدين كله. ليعليه على جميع الاديان
المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب
مقهور بدين الاسلام. ولو كره المشركون. ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه. يا ايها الذين آمنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تع. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم. استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع
فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فاخبر بوقوعه
ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر سره غير مرة. خير لكم
على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم. ان كنتم تعلمون. اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد
بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان
والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون. يغفر لكم ذنوبكم. جواب للامر المدلول
عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان
ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة. ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك. اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة
بما ذكر من الاوصاف الجليلة. الفوز العظيم. الذي لا فوز وراءه. واخرى. ولكم الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة. تحبونها. وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل
اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره. نصر من الله. وهو على الاول بدل او بيان وعلى
تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف. وفتح قريب. اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ
نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى
على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا. وبشر المؤمنين. عطف على محذوف مثل قل يا ايها
الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشر
هم يا ايها النبي بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا. يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله. وقرئ
انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله. كما قال عيسى بن
مريم للحواريين من انصاري الى الله. اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تع. قال الحواريون
نحن انصار الله. والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثا
نية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره
حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه
وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا. فآمنت طائفة من بني اسرائيل. اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به

من نصرة الدين • وكفرت طائفة • اخرى به وقاتلوهم • فايدنا الذين آمنوا على عدوهم • اى قوينا
هم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عم • فاصبحوا ظاهرين • غالبين عن النبي عم من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم • يسبح لله ما في السموات وما في الارض • يسبح مستمرا • الملك القدوس
العزيز الحكيم • وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح • هو الذي بعث في الاميين • اى
في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من
اهل الانبار • رسولا منهم • اى كائنا من جملتهم اميا مثلهم • يتلو عليهم آياته • مع كونه اميا مثلهم
لم يعهد منه قراءة ولا تعلم • ويزكيهم • صفة لرسولا معطوفة على يتلو اى يحملهم على ما يصيرون به
ازكياء من خبائث العقائد والاعمال • ويعلمهم الكتاب والحكمة • صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود
على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من
الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم
كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى با
لكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف
الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع • وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين • من الشرك وخبث
الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عم من الغير
وان هي المخففة واللام هي الفارقة • وآخرين منهم • عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم
اى يعلمهم ويعلم آخرين منهم اى من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
عم وتعليمه يعم الجميع • لما يلحقوا بهم • صفة لآخرين اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون • وهو العزيز
الحكيم • المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة
البشر • ذلك • الذي امتاز به من بين سائر الافراد • فضل الله • واحسانه • يؤتيه من يشاء • تفضلا
وعطية • والله ذو الفضل العظيم • الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة • مثل الذين
حملوا التورية • اى علموها وكلفوا العمل بها • ثم لم يحملوها • اى لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيا
ت التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عم • كمثل الحمار يحمل اسفارا • اى كتبا من
العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس
المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني • بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله • اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل
المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل
الذين كذبوا آه على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل

القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود
الذين كذبوا بما في التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عم • والله لا يهدي القوم الظالمين
الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد • قل
يا ايها الذين هادوا • اى تهودوا • ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس • كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة
الا من كان هودا فامر رسول الله عم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك • فتمنوا الموت
اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة • ان كنتم صادقين • جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من
اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار • ولا يتمنونه ابدا • اخبار بما
سيكون منهم والباء في قوله تع • بما قدمت ايديهم • متعلقة بما يدل عليه النفي اى يأبون التمني بسبب
ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط
عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة • والله عليم بالظالمين • اى بهم وايثار
الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الا
مور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر
عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما
يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم احد كما ينبئ عنه قوله • قل ان الموت الذي تفرون
منه • فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عم لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه
احدى المعجزات اى ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بال
كفركم • فانه ملاقيكم • البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط
باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم • ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة • الذي
لا تخفى عليه خافية • فينبئكم بما كنتم تعملون • من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها • يا ايها الذين آ
منوا اذا نودي للصلوة • اى فعل النداء لها اى اذن لها • من يوم الجمعة • بيان لاذا وتفسير لها
وقيل من بمعنى في كما في قوله تع اروني ماذا خلقوا من الارض اى في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع
الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الا
نصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل
لنا يوما نجتمع فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله
آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله عم فهي انه لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم

ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب و
صلى الجمعة. فاسعوا الى ذكر الله. اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة. وذروا البيع. و
اتركوا المعاملة. ذلكم. اى السعى الى ذكر الله وترك البيع. خير لكم. من مباشرته فان نفع الآخرة اجل
وابقى. ان كنتم تعلمون. اى الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم. فاذا قضيت الصلوة.
اى اديت وفرغ منها. فانتشروا في الارض. لاقامة مصالحكم. وابتغوا من فضل الله. اى الربح
فالامر للاطلاق بعد الحظر ومن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى و
حضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
واذكروا الله كثيراً. ذكراً كثيراً او زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة. لعلكم تفلحون. كى تفوزوا
بخير الدارين. واذا راوا تجارة او لهواً انفضوا اليها. روى ان اهل المدينة اصابهم جوع
وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه
خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عم
والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لاضرم الله عليهم الوادي ناراً وكانوا اذا اقبلت العير
استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة بمرجع الضمير لانها المقصودة
او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموماً فما ظنك بالا
نفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهواً
انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما. وتركوك قائماً. اى على المنبر. قل ما
عند الله. من الثواب. خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع
المتوهم. والله خير الرازقين. فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق روى عن النبي عم من قرأ سورة الجمعة
اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين.

سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم. اذا جاءك المنافقون. اى حضروا مجلسك. قالوا نشهد انك لرسول
الله. مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم و
خلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى. والله يعلم انك لرسوله. اعتراض
مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى. والله يشهد ان المنافقين لكاذبون. تحقيقاً
وتعييناً لما ينطق به التكذيب من انهم قالوا عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى
يتوهم من توجه التكذيب الى المنطوق كلامهم اى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من
انها صادرة عن اعتقادهم وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم
اتخذوا ايمانهم. الفاجرة التي من جملتها ما حكى عنهم. جنة. اى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة
بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا
بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة

بوقوع

بوقوع

الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضاً كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى
فصدوا عن سبيل الله. اى فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عم ليس برسول ومن اراد
الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم
بالفعل وقرئ ايمانهم اى ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن العجلة بالفعل فانه وقاية
دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والا
عراض عن سبيله تعالى. انهم ساء ما كانوا يعملون. من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب
وتعظيم امرهم عند السامعين. ذلك. اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوأ الناس
اعمالاً او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر. بانهم. اى بسبب انهم. آمنوا.
اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام. ثم كفروا. اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من
شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم. فطبع على
قلوبهم. حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله. فهم لا
يفقهون. حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلاً. واذا رايتهم تعجبك اجسامهم. لضخامتها
وصباحة منظرهم. وان يقولوا تسمع لقولهم. لفصاحتهم وذلاقة
السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيماً فصيحاً يحضر مجلس رسول الله عم في نفر من امثاله
وهم رؤساء المدينة وكان عم ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب
لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى. كانهم خشب
مسندة. في حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في
مجالس رسول الله عم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحاً خالية
من العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل جمع خشباء وهي الخشبة التي
دعر جوفها اى فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر. يحسبون
كل صيحة عليهم. اى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على
وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم. هم العدو. اى هم الكاملون
في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء
الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولاً ثانياً للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلاً فان
الفاء في قوله تعالى. فاحذرهم. لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء. قاتلهم الله.
دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
وقوله تعالى. انى يؤفكون. تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال
واذا قيل لهم. عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة. تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم

اى عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القتال او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت
بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام للقلب
همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار
والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى
القوم الفاسقين الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى
الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق
او الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اى للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى
التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت
ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات و
الارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله ﷺ
ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه تعالى ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان جهجاه بن سعيد اجير عمر
رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين و
سنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى
الى ابن ابى فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا
ذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لما
ضاهيهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى ولله الغلبة والقوة
ولمن اعزه من رسوله ﷺ والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم
وغرورهم فيهذون ما يهذون روى ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله
بن عبد الله بن ابى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى
منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى ﷺ لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اى لا
يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل
من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى
اليها للمبالغة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك اى التلهى بالدنيا عن
الدين فاولئك هم الخاسرون اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى

وانفقوا مما رزقناكم اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا
للآخرة من قبل ان يأتى احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول
على الفاعل للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب
لولا اخرتنى اى امهلتنى الى اجل قريب اى امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمنى وقرئ
فاصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن
وقرئ واكون بالنصب عطفا على اللفظ وقرئ اكون بالرفع اى وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن
يؤخر الله نفسا اى ولن يمهلها اذا جاء اجلها اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد
من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فيجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات
واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبى ﷺ من قرأ سورة المنافقين برئ من
النفاق

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض اى
ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد
لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها
واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شئ
قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذى خلقكم خلقا بديعا حاويا
لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اى فبعضكم مختار للكفر كاسب له
على خلاف ما تستدعيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق
والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا و
تفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم
كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعو اليه مما لا يلائم
المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم
وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح
الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم فى احسن تقويم واودع فيكم من القوى
والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات
مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة
واليه المصير فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى
والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما فى السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال
الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور
والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله
تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اى هو محيط

فبعضكم ... على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له صح

بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما
يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة قبل وتقديم تقرير القدرة على تقرير
العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الا
نحاء • الم ياتكم • ايها الكفرة • نبؤ الذين كفروا من قبل • كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر
فذاقوا وبال امرهم • عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم
كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا
من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا • ولهم • في الآخرة • عذاب اليم • لا يقادر قدره • ذلك
اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة • بانه • بسبب ان الشان
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات • اي بالمعجزات الظاهرة • فقالوا • عطف على كانت • ابشر يهدوننا
اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس
البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية
فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا • فكفروا • اي بالرسل • وتولوا • عن التدبر فيما اتوا
به من البينات وعن الايمان بهم • واستغنى الله • اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم
وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك • والله غني • عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطا
عتهم • حميد • يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد • زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا • الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها
والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا • قل • ردا عليهم
وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه • بلى • اي تبعثون وقوله • وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم • اي
لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات
البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين • وذلك • اي ما ذكر من
البعث والجزاء • على الله يسير • فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان
الامر كذلك • فامنوا بالله ورسوله • محمد عليه السلام • والنور الذي انزلنا • وهو القرآن فانه باعجازه
بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الا
نزال • والله بما تعملون • من الامتثال بالامر وعدمه • خبير • فيجازيكم عليه والجملة اعتراض تذ
ييلي مقرر لما قبله من الامر وموجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة وتاكيد استقلال الجملة • يوم يجمعكم • ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله
يجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة • ليوم الجمع • ليوم يجمع فيه
الاولون والآخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء • ذلك يوم التغابن • اي يوم غبن بعض

بين لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا

الناس

الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد
يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده
من الجنة ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع
فيه لا ما يقع في امور الدنيا • ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا • اي عملا صالحا • يكفر • اي الله عز وجل
وقرئ بنون العظمة • عنه سيئاته • يوم القيمة • ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقرئ ندخله بالنون • ذلك • اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات • الفوز العظيم • الذي لا فوز
وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات • والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير • اي النار كان هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية
التغابن • ما اصاب من مصيبة • من المصائب الدنيوية • الا باذن الله • اي بتقديره وارادته كانها
بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى • ومن يؤمن بالله يهد قلبه • عند اصابتها للثبات
والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل
يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع
قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن • والله بكل شيء • من الاشياء
التي من جملتها القلوب واحوالها • عليم • فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر • واطيعوا الله و
اطيعوا الرسول • كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي
في قوله تعالى • فان توليتم • اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى • فانما على رسولنا البلاغ المبين • تعليل
للجواب المحذوف اي فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار
الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته
عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه • الله لا اله الا هو • جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق
للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف • وعلى الله
اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا • فليتوكل المؤمنون • واظهار الجلالة في موقع
الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع
التعلق عما سواه بالمرة • يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم • يشغلونكم عن طاعة
الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا • فاحذروهم • الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله
تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما
الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتماله على العدو • وان
تعفوا • عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة
وتصفحوا • بترك التثريب والتعيير • وتغفروا • باخفائها وتمهيد معذرتهم • فان الله غفور رحيم • يعا
ملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم

لو احسن

واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقّوا لهم ووقفوا فلمّا هاجروا بعد ذلك ورأوا المها
جرين الاوّلين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزيّن لهم العفو وقيل
قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله
في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلمّا هاجروا منعوهم الخير فحثّوا على ان يعفوا عنهم ويردّوا اليهم البرّ
والصلة • انّما اموالكم واولادكم فتنة • بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون • و
الله عنده اجر عظيم • لمن آثر محبّة الله تع وطاعته على محبّة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصا
لحهم • فاتّقوا الله ما استطعتم • اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم • واسمعوا • مواعظه • واطيعوا
اوامره • وانفقوا • ممّا رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه • خيرا لانفسكم
اى ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحثّ على الامتثال بهذه الاوامر و
بيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان
مقدّرا جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم • ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون • الفائزون
بكلّ مرام • ان تقرضوا الله • بصرف اموالكم الى المصارف التي عيّنها • قرضا حسنا • مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس • يضاعفه لكم • اى يجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعّفه لكم
ويغفر لكم • ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب • والله شكور • يعطي الجزيل بمقابلة
البذل القليل • حليم • لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم • عالم الغيب والشهادة • لا يخفى عليه
خافية • العزيز الحكيم • المبالغ في القدرة والحكمة • عن النبي عم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت
الفجاءة •

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايّها النبي اذا طلّقتم النساء • تخصيص النداء
به عم مع عموم الخطاب لامّته ايضا لتشريفه عم واظهار جلالة منصبه وتحقيق انّه المخاطب حقيقة
ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عم ايّاهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كنداءهم فانّ
ذلك الاعتبار لو كان في حيّز الرعاية لكان الخطاب هو الذي يحق به شمول حكمه للكلّ قطعا و
المعنى اذا اردتم تطليقهنّ وعزمتم عليه كما في قوله تع اذا قمتم الى الصلوة • فطلّقوهنّ لعدّ
تهنّ • اى مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلّقت في طهر يعقبه
القرء الاوّل من اقرائها فقد طلّقت مستقبلة لعدّتها والمراد ان يطلّقن في طهر لم يقع فيه جماع
ثمّ يخلّين حتى تنقضي عدّتهنّ وهذا احسن الطلاق وادخله في السنّة • واحصوا العدّة • و
اضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل • واتّقوا الله ربّكم • في تطويل العدّة عليهنّ والاضرار بهنّ
وفي وصفه تع بربوبيّته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء • لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ •
من مساكنهنّ عند الفراق الى ان تنقضي عدّتهنّ واضافتها اليهنّ وهي لازواجهنّ لتأكيد النهي
ببيان كمال استحقاقهنّ لسكناها كانّها املاكهنّ • ولا يخرجن • ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في
حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهنّ امّا اذا اتّفقا على الخروج جاز اذ الحقّ لا يعدوهما

الّا ان يأتين بفاحشة مبيّنة • استثناء من الاوّل قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحدّ عليهنّ وقيل
الّا ان يبذون على الازواج فيحلّ حينئذ اخراجهنّ ويؤيّده قراءة الّا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبا
لغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة • وتلك • اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في
اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلوّ درجتها وبعد منزلتها • حدود
الله • التي عيّنها لعباده • ومن يتعدّ حدود الله • اى حدوده المذكورة بان اخلّ بشيء منها على ان
الاظهار في حيّز الاضمار لتهويل امر التعدّي والاشعار بعلّة الحكم في قوله تع • فقد ظلم نفسه • اى
اضرّ بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تع • لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك امرا • فانّه
استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطيّة وقد قالوا انّ الامر الذي يحدثه الله تع ان يقلّب قلبه
عمّا فعله بالتعدّي الى خلافه فلا بدّ ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيويّ يلحقه بسبب تعدّيه ولا
يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيويّ والاخرويّ ويخصّ التعليل بالدنيويّ لكون
احتراز الناس منه اشدّ واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تع لا تدري خطاب للمتعدّي بطريق
الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدّي لا للنبيّ عم كما توهّم فالمعنى ومن يتعدّ حدود الله
فقد اضرّ بنفسه فانك لا تدري ايّها المتعدّي عاقبة الامر لعلّ الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت
من التعدّي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدّل ببغضها محبّة وبالاعراض عنها اقبالا اليها و
لا يتسنّى تلافيه برجعة او استيناف نكاح • فاذا بلغن اجلهنّ • شارفن آخر عدّتهنّ • فامسكو
هنّ • فراجعوهنّ • بمعروف • بحسن معاشرة وانفاق لائق • او فارقوهنّ بمعروف • بايفاء الحقّ
واتّقاء الضرار بان يراجعها ثمّ يطلّقها تطويلا للعدّة • واشهدوا ذوي عدل منكم • عند الرجعة و
الفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تع واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي
انّه للوجوب في الرجعة • واقيموا الشهادة لله • ايّها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تع • ذلكم •
اشارة الى الحثّ على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية • يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر • اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تع • ومن يتّق الله • الخ جملة اعتراضيّة مؤكّدة لما سبق
من وجوب مراعاة حدود الله تع بالوعد على الاتقاء عن تعدّيها كما ان ما تقدّم من قوله تع ومن
يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكّد له بالوعيد على تعدّيها فالمعنى ومن يتّق الله فطلّق للسنّة ولم
يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد ونحوه من الامور • يجعل له مخرجا • ممّا
عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضائق ويفرّج عنه ما يعتريه من الكروب • و
يرزقه من حيث لا يحتسب • اى من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الا
ستطراد عند ذكر قوله تع ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتّق الله في كلّ ما يأتي وما يذر
يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوّليّا عن النبي عم انّه
قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عم انّي لاعلم آية

لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي
اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله عم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عم اتق الله و
اكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من
الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت. ومن يتوكل على الله فهو حسبه. اي كافيه في جميع اموره
ان الله بالغ امره. بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته
مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبره مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان
وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تع. قد جعل الله لكل
شيء قدرا. اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تع وتفويض الامر اليه
لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره تع لا يبقى الا التسليم للقدر والتو
كل على الله تع. واللائي يئسن من المحيض من نسائكم. لكبرهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين
ان ارتبتم. اي شككتم بوجه المس كيف عدتهن. فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن. بعد لصغ
هن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه. واولات الاحمال اجلهن
اي منتهى عدتهن. ان يضعن حملهن. سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد
نسخ به عموم قوله تع والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رض من شاء باهلته ان سورة
النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية و
لدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عم فقال لها قد حللت فتزوجي. و
من يتق الله. في شان احكامه ومراعاة حقوقها. يجعل له من امره يسرا. اي يسهل عليه امره
ويوفقه للخير. ذلك. اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد با
لمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يقع عنه
قوله. امر الله انزله اليكم. لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخا
طبين وقد مر في قوله تع ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة. ومن يتق الله.
بالمحافظة على احكامه. يكفر عنه سيئاته. فان الحسنات يذهبن السيئات. ويعظم له اجرا.
بالمضاعفة وقوله تع. اسكنوهن من حيث سكنتم. استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما
قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تع. من وجدكم. اي من وسعكم اي مما تطيقونه
عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له. ولا تضاروهن. اي في السكنى. لتضيقوا عليهن.
وتلجئوهن الى الخروج. وان كن. اي المطلقات. اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن. فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها. فان ارضعن لكم.

بعد ذلك. فآتوهن اجورهن. على الارضاع. وأتمروا بينكم بمعروف. اي تشاوروا وحقيقته ليأمر
بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة. وان تعاسرتم
اي تضايقتم. فسترضع له اخرى. اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعا
سرة. لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله. وان قل اي لينفق كل واحد
من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه. لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها. وان قل. فانه تع لا يكلف نفسا الا
وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل
سيجعل الله بعد عسر يسرا. اي عاجلا او آجلا. وكاين من قرية. اي كثير من اهل قرية. عتت. اي
اعرضت. عن امر ربها ورسله. بالعتو والتمرد والعناد. فحاسبناها حسابا شديدا. بالاستقصاء
والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير. وعذبناها عذابا نكرا. اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد
حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله ونادى
اصحاب الجنة. فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا. لا خسر وراءه. اعد الله لهم عذابا
شديدا. تكرير للوعيد وبيانا لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب. فاتقوا الله يا اولي
الالباب. ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصا
بهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله
تع كاين. الذين آمنوا. منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله
منه ضعف لتعذر حلوله محله. قد انزل الله اليكم ذكرا. هو جبرائيل عم سمي به لكثرة ذكره او لنزوله
بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تع. رسولا. منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد
بالذكر الشرف كما في قوله تع وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو
مجد وشرف عند الله تع كقوله تع عند ذي العرش مكين او هو النبي عم لكثرة ذكره بالذكر لمواظبته على تلاوة
القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي
اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال
المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تع. يتلو عليكم آيات الله مبينات. نعت له رسولا
وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي
بينها الله تع كقوله تع قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تع. ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات.
متعلقة بيتلو او بانزل فاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عم او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن
المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل
الصالح او ليخرج من علم وقدر انه سيؤمن. من الظلمات الى النور. من الضلالة الى الهدى. ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا. حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات. يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار. وقرئ ندخله بالنون وقوله تع. خالدين فيها ابدا. حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار

جلّ

وعليه

معنى من كما ان الافراد في الظاهر الثلثة باعتبار لفظها ومعنى وقوله تعالى · قد احسن الله له رزقا · حال
اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب و
التعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب · الله الذي خلق سبع سموات · مبتدا وخبر · ومن الارض
مثلهن · اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره
واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طبقا بعضها فوق بعض بين
كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك
مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قاله القرطبي والاول اصح لان الاخبار
دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه
ان النبي عم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن
ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين
نسئلك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رض ان
نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن
قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن
من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون
السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان
الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رض انها سبع ار
ضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء · يتنزل الامر بينهن · اي يجري امره وقضاؤه بينهن
وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة وفي كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء
من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر · لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير · متعلق بخلق او ينزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قدر على
كل شيء · وان الله قد احاط بكل شيء علما · لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك
ويجوز ان يكون العامل في اللام بين ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما
ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن
قدرته وعلمه شيء ما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي عم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول
الله عم

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم · يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك · روي
ان النبي عم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على
نفسي وابشري ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل
خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل
عم فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عم شرب في بيت

زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله يكره
التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل · تبتغي مرضات
ازواجك · اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه موذن بعدم صلاحيته لذلك
والله غفور · مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة · رحيم · قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك
حماية على عصمتك · قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم · اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او
بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد ههنا · والله مولاكم · سيدكم ومتولي اموركم · وهو
العليم · بما يصلحكم فيشرعه لكم · الحكيم · المتقن في افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما
يقتضيه الحكمة · واذ اسر النبي الى بعض ازواجه · وهي حفصة · حديثا · اي حديث تحريم مارية او
العسل او ان الخلافة · فلما نبأت به · اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ
انبأت به · واظهره الله عليه · اي اطلع الله النبي عم على افشائه حفصة · عرف · اي النبي حفصة
بعضه · بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عم قال لها الم اقل لك اكتمي
علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها · واعرض عن
بعض · اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية · فلما نبأها به · اي اخبر النبي عم حفصة
بما عرف من الحديث · قالت من انبأك هذا · اي افشاه لك الحديث · قال نبأني العليم الخبير · الذي لا يخفى
عليه خافية · ان تتوبا الى الله · خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب · فقد صغت
قلوبكما · الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله عم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد
زاغت · وان تظاهرا عليه · باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي
ان تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره · فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين · اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من
المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رض اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر وقد روي ذلك مرفوعا
الى النبي عم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام
فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده با
لتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان
بيان مظاهرتهما له اشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما
اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور · والملائكة · مع تكاثر عددهم وملاء السموات من
جموعهم · بعد ذلك · قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين · ظهير ·
اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما
ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرتهم

بهم وملظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرة هذا ما قالوه ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى
مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيانا بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى
من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير لرءم ايذانا
بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لنقصانها عن مظاهرة جبرائيل عم • عسى ربه ان طلقكن ان
يبدله • اى يعطيه عم بدلكن • ازواجا خيرا منكن • على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على
انه عم لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة
وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد • مسلمات مؤمنات • مقرات
مخلصات او منقادات مصدقات • قانتات • مصليات او مواظبات على الطاعة
تائبات • من الذنوب • عابدات • متعبدات او متذللات لامر رسول الله عم • سائحات
صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات • ثيبات
وابكارا • وسط بينهما العاطف لتنافيهما • يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم • بترك المعاصي
وفعل الطاعات • واهليكم • بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ اهلوكم عطفا على
واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب المخاطبين اى قوا انتم واهلوكم انفسكم
نارا وقودها الناس والحجارة • اى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء
هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير • عليها ملائكة
اى تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية • غلاظ شداد • غلاظ الاقوال شداد الافعال
او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة • لا يعصون الله ما امرهم • اى امره
على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه
ويفعلون ما يؤمرون • ويؤدونه ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تع • يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم • مقول القول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اى يقال لهم ذلك عند
ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به • انما تجزون ما كنتم تعملون • في الدنيا من الكفر
والمعاصي بعد ما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا • يا
ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا • اى بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الا
سناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقها
وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على
انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن
على رضى الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد
المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها
في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب ان لا يعود

ولو

لفضلها

ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك في دينك
وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس
اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها او
وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور
اى ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصحا انفسكم على انه مفعول له • عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار • ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن
الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف
ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة • يوم لا يخزى الله النبى • ظرف ليدخلكم • والذين آمنوا
معه • عطف على النبى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تع من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤ
منين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تع • نورهم يسعى بين ايديهم و
بايمانهم • اى على الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا قوله تع • يقولون • او على
انه خبر آخر للموصول اى يقولون اذا طفئ نور المنافقين • ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك
على كل شئ قدير • وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب
اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا • يا ايها النبى جاهد
الكفار • بالسيف • والمنافقين • بالحجة • واغلظ عليهم • واستعمل الخشونة على الفريقين فيما
تجاهدهما من القتال والمحاجة • ومأواهم جهنم • يرون فيها عذابا غليظا • وبئس المصير
اى جهنم او مصيرهم • ضرب الله مثلا للذين كفروا • ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة
عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء
الكفرة حالا ومثالا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله • امرأت نوح
وامرأت لوط • اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما و
يتضح بذلك حال هؤلاء فقوله • كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين • بيان لحالهما الداعية
لهما الى الخير والصلاح اى كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا و
الآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تع • فخانتاهما • بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع
تحقق ما ينفيها من صحبة النبى اى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية
لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم رسول الله عم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطا
عة وقوله تع • فلم يغنيا • اى النبيان لما ادى الا جنايتهما اى فلم يغن النبيان • عنهما • بحق الزواج
من الله • اى من عذابه تع • شيئا • اى شيئا من الاغناء • وقيل • لهما عند موتهما او يوم القيمة
ادخلا النار مع الداخلين • اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون • اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة
الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تع
اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت • رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة • قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك
اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها • ونجني من فرعون وعمله • اي من نفسه الخبيثة
وعمله السيء • ونجني من القوم الظالمين • من القبط التابعين له في الظلم • ومريم ابنة عمران
عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اي وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت
من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا • التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه • وقرئ فيها اي في مريم • من روحنا • من روح خلقناه بلا توسط اصل
وصدقت بكلمات ربها • بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه • وكتبه • بجميع كتبه المنزلة
وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل • وكانت من القا
نتين • اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم
تقصر من طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى
عليهما السلام وعن النبي عم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام وروي عن النبي عم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم • تبارك الذي بيده الملك • البركة النماء والزيادة
حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول
وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة
التفاعل في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تع من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه
سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون
الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا
وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال
وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ
في حقه تبارك وتع واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها
واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه
ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور • وهو على كل شيء
من الاشياء • قدير • مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تع في

يكيه ونسبه الواقعة والمجيبة ... وتنجي قارئها من عذاب القبر وهي ثلاثون آية

جلائل الامور ودقائقها وقوله تع • الذي خلق الموت والحيوة • شروع في تفصيل
بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما
لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه
تع والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما من انه تع خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات
وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي فكلام وارد على
منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحيوة و
ايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما
لما ينطق به قوله تع • ليبلوكم ايكم احسن عملا • فان استدعاء ملاحظتهما لاحسن العمل مما لا ريب
فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسن
العمل واللام متعلقة بخلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف
اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت
طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عم بقوله ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به
فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمل كل منهما ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل
الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله تع والتدبر في
آياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه عم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه
كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو
عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق
فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول
اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره و
لذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع
ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للا
يذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق
اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذكر [illegible]
لما من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل
يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج
العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى • وهو العزيز • الغالب الذي
لا يفوته من اساء العمل • الغفور • لمن تاب منهم • الذي خلق سبع سموات • قيل هو نعت للعزيز الغفور

او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين اى بقين معنى
وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة
منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق
به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقوله تعالى • طباقا • صفة لسبع سموات اى مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا
خصفتها وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اى طوبقت طباقا
وقوله تعالى • ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت • صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق
الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا
وبان في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول او لكل احد ممن يصلح للخطاب
ومن لتاكيد النفي اى ما ترى فيه شيئا من تفاوت اى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا
من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى • فارجع
البصر هل ترى من فطور • متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن
ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق و
الصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر • ثم ارجع البصر كرتين • اى رجعتين اخريين
في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اى رجعة بعد رجعة وان
كثرت • ينقلب اليك البصر خاسئا • اى بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد
عن ذلك طردا بالصغار والقماءة • وهو حسير • اى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا • بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة
القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب
السموات الى الارض • بمصابيح • اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت
تتراءى كان كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها
مخلوقة على نمط رائق يحار في فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار • وجعلناها
رجوما للشياطين • وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من
نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا
يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به • واعتدنا لهم • في الآخرة • عذاب السعير
بعد الاحراق في الدنيا بالشهب • وللذين كفروا بربهم • من الشياطين وغيرهم • عذاب جهنم
وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم • وبئس المصير • اى جهنم • اذا
القوا فيها سمعوا لها • اى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى • شهيقا • لانه في الاصل
صفة فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع

قالوا

قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق • وهي تفور • اى والحال انها تغلي بهم غليان المرجل
بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده
قوله تعالى • تكاد تميز • اى تتميز وتتفرق • من الغيظ • اى من شدة الغضب عليهم فانه جرى في
انه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من
شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى • كلما القي
فيها فوج • استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اى كلما القي فيها
جماعة من الكفرة • سألهم خزنتها • بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب
وحسرة على حسرة • الم يأتكم نذير • يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة
الزمر ويجيب عنهم جوابهم ايضا • قالوا • اعتراف بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية • بلى قد
جاءنا نذير • جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير
وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما
واغتماما على ذلك اى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما كا
انبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته • فكذبنا
ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى • وقلنا • في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب و
تماديا في النكير • ما نزل الله على احد • من شيء • من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم • ان
انتم • اى ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها • الا في ضلال كبير • بعيد عن الحق
والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب
وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ
لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر
على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد
حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل من الافواج واما اذا جعل
حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اى اهل نذير او منعوت
به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول لم
يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب
من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او
عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن
على الحق المبين • وقالوا • ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل • لو كنا نسمع • كلاما
او نعقل • شيئا • ما كنا في اصحاب السعير • اى في عدادهم ومن جملتهم وهم الشياطين كقوله تعالى واعتدنا

وينذركم

واحد

لهم عذاب السعير كان الخزنة • قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك • فاعترفوا بذنبهم • الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله • فسحقا • بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قوله فيعرك الله اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا كما في قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحت او مجلف • اى لم يدع فلم يبق الا مسحت آه وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى • لاصحاب السعير • للبيان كما في هيت لك ونحو والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب • ان الذين يخشون ربهم بالغيب • اى يخافون عذابه غائبا عنهم اى غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفى منهم وهو قلوبهم • لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم • واجر كبير • لا يقادر قدره • واسروا قولكم او اجهروا به • بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رض نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبى عم فيوحى اليه عم فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى • انه عليم بذات الصدور • تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى • الا يعلم من خلق • انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اى الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى • وهو اللطيف الخبير • حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى اى الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم • هو الذى جعل لكم الارض ذلولا • لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم

[margin: بصاحبيتها]

[margin: التى فى الصدور]

على مفعولى الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى • فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اى فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشى في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل • وكلوا من رزقه • والتمسوا من نعم الله تعالى • واليه النشور • اى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه • اامنتم من في السماء • اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اى اامنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان • ان يخسف بكم الارض • بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اى من ان يخسف • فاذا هى تمور • اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان • ام امنتم من في السماء • اامنتم من في السماء • ان يرسل عليكم حاصبا • اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة • فستعلمون • عن قريب البتة • كيف نذير • اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء • ولقد كذب الذين من قبلهم • من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم • فكيف كان نكير • اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله عم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى • اولم يروا • اغفلوا ولم ينظروا • الى الطير فوقهم صافات • باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا • ويقبضن • ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات • ما يمسكهن • في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع • الا الرحمن • الواسع رحمته كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى في الهواء والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن • انه بكل شيء بصير • يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى • امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن • تبكيت لهم بنفى ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وهاهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال

[margin: اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اى بل صح]

من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى
التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية و
هي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا لتحقير
المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او
نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في
زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن
من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا مع القول بان من استفهامية مما لا
تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من
غاية الضلالة اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان
آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به
في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والا
ظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم
ان امسك رزقه بامساك المطر ومباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو و
نفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا
للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله افمن
يمشي مكبا على وجهه اهدى مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما
والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء
العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة
عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى
لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكبه فخر على
وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو
يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه
امن يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج
فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة
على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه
الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم انشاء بديعا وجعل لكم
السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار
لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما
تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما

الرحمن

اي الله عز وجل رزقه صح

اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل صح

تشكرون

تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة
لتأكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذ
رأكم في الارض واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون
من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان
كنتم صادقين يخاطبون به النبي عم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عم في الوعد وتلاوة الآيات
المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا
وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند
ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظا
ئف الانذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما
كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الخ كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا
ان المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الا
ستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه
مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول مو
ضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي
كنتم به تكذبون اي تطلبونه في الدنيا وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر و
قرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارأيتم اخبروني
ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه عم وعلى المؤمنين بالهلاك
ومن معي او رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مو
لي النعم كلها آمنا به لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على
غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون بالتاء [illegible]
من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارأيتم اي اخبروني
ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن
يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي عم من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم ن على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء السا
كنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا
باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة

في الارض اي خلقكم وكثركم فيها او غيره صح

تدعون صح

وتستعجلون انكارا واستهزاء على انه من الدعاء صح

امر المؤمنين صح

[illegible]

بالسكون صح

في

ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي باحد الطريقين المذكورين في موقعه او اسما
للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو في قوله تعالى • والقلم
للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه وايا ما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه
للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لذلك لكثرة منافعه ولو لم
يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون
في الواو • وما يسطرون • الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به
اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية
وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد
بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى • ما انت بنعمة ربك بمجنون • جواب القسم والباء
متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر ما والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت برئ من الجنون ملتبسا
بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج
الكمال مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى
غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عم عما كانوا ينسبونه عم اليه من الجنون حسدا وعداوة و
مكابرة مع جزمهم بانه عم في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة
العقل ورزانة الراي • وان لك • بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء
الرسالة • لاجرا • لثوابا عظيما لا يقادر قدره • غير ممنون • مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ
او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط • وانك لعلى خلق عظيم • لا يدرك
شاوه احد من الخلق ولذلك تحمل من جهتهم ما لا يكاد يحمله البشر وسئلت عائشة رضي عن خلقه عم
فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم
فستبصر ويبصرون • قال ابن عباس رضي الله عنه فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل
وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل و
النهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا و
عيد بعذاب يوم بدر • بايكم المفتون • اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على
ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة
واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله • تعليل
لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعد اي هو اعلم بمن ضل
عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة
الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره

والرياسة

وهو

وهو اعلم بالمهتدين • الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء والمراد
جميع فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء
في قوله تعالى • فلا تطع المكذبين • لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عم وضلالهم او
على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت
عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره
عم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى • ودوا لو تدهن • فانه تعليل للنهي
او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض
الامور • فيدهنون • اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو
عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويابا ما سياتي
من بنائهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني وايا ما كان فالمعتبر في
جانبه عم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبهم فالمعتبر
بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في
غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني
المفهوم من ودوا وان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو
بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل
ودوا ان تدهن فيدهنون وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا
ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك • ولا تطع كل حلاف • كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم
هذا الوصف على ساير الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر • مهين • حقير الرأي
والتدبير • هماز • عياب طعان • مشاء بنميم • مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية و
الافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية • مناع للخير • اي بخيل امتناع للناس من الخير الذي هو الايمان
والطاعة والانفاق • معتد • متجاوز في الظلم • اثيم • كثير الاثام • عتل • جاف غليظ من عتله اذا
قاده بعنف وغلظة • بعد ذلك • بعدما عد من مثالبه • زنيم • دعي ماخوذ من الزنمة وهي الهنة
من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه
واقبح قبائحه قيل هو الوليد ابن المغيرة فانه كان دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد
ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة • ان كان ذا مال
وبنين • متعلق بقوله تعالى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى • اذا تتلى
عليه آياتنا قال اساطير الاولين • استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة
الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه
مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون

الجحود

به فيحتمل دخل وقرئ ان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ
ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط
غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف
الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر
الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله عم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم
من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق
بالبقية وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه
القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات
ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ
اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء
الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء
الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعل ابوهم و
الجملة مستانفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ
من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرمت
ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت وقيل كالنهار
اى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اى
نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان ان مفسرة
او بان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الفعل
بعلى لتضمنه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون
اى يتسارون فيما بينهم بطريق المناجاة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود
للخفاش ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول
وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة في النهى عن تمكينه من
الدخول كقولهم لا ارينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من حاردت السنة
اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على المساكين
ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم
طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قا
درين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على
الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلا
ومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على

بدل كونهم قادرين

صرامها

صرامها وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اى طريق جنتنا
وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم
الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى
رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد
كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى
حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه لله تعالى عن ان يجرى في ملكه ما لا يشا
ؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم
من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين
حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او
لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله
خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو
خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عم ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام
ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم
الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليمانى دخلت
تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل
الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رح قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا
ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والا
كثر على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة
القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب
الاخرة اكبر اعظم شدة لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اى من الكفر
والمعاصى عند ربهم اى في الاخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم
الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل
المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم
بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن
معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم
ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انحيف في الحكم فنجعل
المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون

تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل . ام لكم كتاب . نازل من السماء . فيه تدرسون
اى تقرؤن ان لكم فيه . لما تخيرون . اى ان ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئ
باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح
فى العالمين وتخير الشئ واختياره اخذ خيره . ام لكم ايمان علينا . اى عهود مؤكدة بالايمان . با
لغة . متناهية فى التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين . الى يوم القيمة .
متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم
ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين . ان لكم لما
تحكمون . جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم . سلهم . تلوين للخطاب وتوجيه
الى رسول الله عم لسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم . ايهم بذلك . الحكم الخارج عن
العقول . زعيم . اى قائم يتصدى لتصحيحه . ام لهم شركاء . يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون
مذهبهم . فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين . فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه فى هذه
الآيات الكريمة على ان ليس لهم شئ يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذى لا يغنى من يتشبث به وقيل
المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة . يوم يكشف عن ساق . اى يوم
يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى
الهرب . قال حاتم . اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها . وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا . وقيل
ساق الشئ اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اى يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر
حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على
البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او للحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة
وكسر الشين من اكشف الامر اى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اى اذكر يوم
او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف
ويدعون الى السجود . توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك . فلا
يستطيعون . لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك وعن ابن
مسعود رض تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اى فقارة واحدة . خاشعة ابصارهم . حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم
مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها . ترهقهم . تلحقهم وتغشاهم
ذلة . شديدة . وقد كانوا يدعون الى السجود . فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة
التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف . وهم سالمون .
متمكنون منه اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره . فذرنى ومن
يكذب بهذا الحديث . اى كله الى فانى اكفيكه امره اى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره

الى

الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها
من احوالهم المحكية اى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بالقرآن وتوكل على فى
الانتقام منه وقوله تعالى . سنستدرجهم . استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من
الامر التوبيخى اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى يكذب باعتبار لفظها
اى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة . من حيث
لا يعلمون . انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع
انه سبب لهلاكهم . واملى لهم . وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم
ان كيدى متين . لا يوقف عليه ولا يدفع بشئ وتسميته ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد . ام تسئلهم
. على الابلاغ والارشاد . اجرا . دنيويا . فهم . لاجل ذلك . من مغرم . اى غرامة مالية
مثقلون . مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك . ام عندهم الغيب . اى اللوح او المغيبات . فهم
يكتبون . منه ما يحكمون ويستغنون به عن ذلك . فاصبر لحكم ربك . وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم
ولا تكن كصاحب الحوت . اى يونس عم . اذ نادى . فى بطن الحوت . وهو مكظوم . مملو غيظا و
الجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى
واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من
الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه . لولا ان تداركه نعمة من ربه . وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبو
لها منه والاحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الما
ضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه . لنبذ بالعراء . بالارض الخالية من الاشجار . وهو مذموم .
مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها المنفية لا
النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه امرا محذورا
مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه
بان رد اليه الوحى وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه
الواقعة . فجعله من الصالحين . من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه
اولى روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله عم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل
حين اراد ان يدعو على ثقيف . وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم . وقرئ ليزلقونك
بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من
شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا
يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى
انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله عم فنزلت وفى الحديث ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين

واسبابهم ۲

غيظا ۲

ان تقرأ هذه الآية. لما سمعوا الذكر. اى وقت سماعهم بالقرآن على ان لما ظرفية منصوبة
بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه. ويقولون. لغاية حيرتهم فى امره
عم ونهاية جهلهم بما فى تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول
المنغمسة باحكام الطبايع ولتنفير الناس عنه. انه لمجنون. وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما
سمعوه منه عم رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل. وما هو الا ذكر للعالمين. على
انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جرأتهم على تفوه
تلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور
دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا
وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله عم وكونه مذكرا
وشرفا للعالمين لاريب فيه عن رسول الله عم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين
حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحاقة. اى الساعة او الحالة
الثابتة الوقوع الواجبة المجئ لامحالة او التى يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب و
العقاب او التى تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل
الفعل لها مجازا فهو لما قبلها من الامور او لمن فيها من اولى العلم وايا ما كان فحذف الموصوف
للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء
خبرها. ما الحاقة. على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل
ما هى اى اى شئ هى فى حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر
موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق فى سورة
الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان
ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده
كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى. وما ادريك. اى واى شئ اعلمك. ما الحاقة.
تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شأنها و
مدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى اعظم
من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وادريك خبره ولا مساغ
للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض
لان ادرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة
الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر. كذبت ثمود وعاد بالقارعة. اى بالحالة
التى تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض

والجبال

والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على
معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عم
اثر تقرير انه ما ادراه عم بها احد كما فى قوله تعالى وما ادريك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين
هناك نفس المسئول عنها وههنا حال من احوالها كما فى قوله تعالى وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر
خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول
الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما ادريك ما الحاقة كذبت
بها ثمود وعاد فاهلكوا. فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية. اى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة
او الرجفة. واما عاد فاهلكوا بريح صرصر. اى شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق
ببردها. عاتية. شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم
يقدروا على ردها. وقوله تعالى. سخرها عليهم. الخ استئناف جئ به لبيان كيفية اهلاكهم بالريح
اى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة. سبع ليال وثمانية ايام حسوما. اى متتابعات جمع حاسم
كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على
المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب
فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء واسماؤها
الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن. فترى القوم
ان كنت حاضرا. فيها. فى مهابها او فى تلك الليالى والايام. صرعى. موتى جمع صريع. كأنهم
اعجاز نخل. اى اصول نخل. خاوية. متآكلة الاجواف. فهل ترى لهم من باقية. اى بقية
او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية. وجاء فرعون ومن قبله. اى ومن
تقدمه وقرئ ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه. والمؤتفكات. اى
قرى قوم لوط اى اهلها. بالخاطئة. بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ التى من
جملتها تكذيب البعث والقيامة. فعصوا رسول ربهم. اى فعصى كل امة رسولها حين نهاهم عما
كانوا يتعاطونه من القبائح. فاخذهم. اى الله عز وجل. اخذة رابية. اى زائدة فى الشدة كما
زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشئ اذا زاد. انا لما طغى الماء. بسبب اصرار قوم نوح على فنون
الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عم فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيامة
حملناكم. اى فى اصلاب آبائكم. فى الجارية. فى سفينة نوح عم والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء
الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة
للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى

السفينة

الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى
لنجعلها اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة
عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اى تحفظها والوعى
ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين
تشبيها لها بكتف اذن واعية اى اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته
والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب
لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة
شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد
الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض و
الجبال اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العا
صفة فدكتا دكة واحدة اى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة
حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة
دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اى قامت القيامة وانشقت
السماء لنزول الملائكة فهى اى السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعدما
كانت محكمة والملك الخلق المعروف بالملك على ارجائها اى جوانبها جمع رجا بالقصر
لعل تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجؤن الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم
فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبى
ع م هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى
ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون
مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة
الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين اظلافها
الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد
علمك وعن الحسن الله اعلم ثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا
الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من
احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من
العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون

اى

اى تسئلون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان
فى يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر
الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان
اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة
الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون
غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما المراد لافشاء الحال والمبالغة فى العدل او غير
خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه
بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه هاؤم اسم فيه
ثلث لغات اجودهن ها يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن
يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم
لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى
الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت
ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك
عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضاء على النسبة بالصيغة كما يقال دارع
فى النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة
مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار
قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا
واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم
بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام
وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة و
غارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتى كتابه
بشماله ورأى ما فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما يرى من
سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها
ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اى يا ليت هذه الحالة كانت المو
تة التى قضيت على لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عنده وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اى يا ليت الحيوة
الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والاتباع على ان ما نفى والمفعول
محذوف او استفهامية للانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى
على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا او تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبا
دات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اى اشدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى

لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس
ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده
فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص
والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في
السلسلة في الشدة. انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريق الاستيناف للتحقيق و
وصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك. ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض
للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
في حق المؤاخذة قالوا وتخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة
القلب. فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه
ويفرون منه. ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل. لا
يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل للصواب
دون المقابل للعمد وعن ابن عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطر
حها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله. فلا اقسم اي
فاقسم على ان لا مزيد للتاكيد واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى. بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمش
اهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق
والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل. انه اي القرآن. لقول رسول
يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه. كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام
وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة. قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن كما تزعمونه
تارة اخرى. قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة
بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفي الشعرية والتذكر مع
نفي الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكها
نة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه السلام ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم
وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما. تنزيل من رب العا
لمين نزله على لسان جبريل عليه السلام. ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول
متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك. لاخذنا منه
باليمين اي بيمينه. ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع
ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل

اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين. فما منكم
من احد عنه عن القتل والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام. وانه اي القرآن
لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به. وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم
وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به. وانه لحق اليقين الذي
لا يحوم حوله ريب ما. فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقو
ل عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا.

سورة سأل سائل بسم الله الرحمن الرحيم. سأل سائل اي دعا داع. بعذاب واقع اي
استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال فاسقط علينا
كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله عليه السلام في علي رضي الله
عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء
فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه السلام
استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآ
خرة فهو عذاب النار. للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او
متعلق بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله. ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال
منه لتخصيصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف.
من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى. ذي المعارج ذي المصاعد
التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض.
تعرج الملائكة والروح اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة
على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو
من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به. في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل
والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة
من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع
وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او
لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن

فلا لما روى ابو سعيد الخدري رض قيل لرسول الله صلعم ما اطول هذا اليوم فقال صلعم والذي نفسي بيده
انه ليخف على المؤمنين حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تع • فاصبر
صبرا جميلا • متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما
يضجره صلعم او كان عن تضجر واستبطاء النصر او بسأل سائل او سال سيل ومعناه جاء العذاب
لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام • انهم يرونه • اى العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق
في يوم بواقع • بعيدا • اى يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به • ونراه قريبا • هينا في
قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة
تعليل للامر بالصبر وقوله تع • يوم تكون السماء كالمهل • متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر
في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الا
حوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاوجه
ان قوله تع سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تع يسألونك عن الساعة وقوله
تع ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او
ابو جهل او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تع فاسأل به خبيرا وقوله تع ليس له دافع
الخ استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تع فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه و
قوله تع انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تع يوم تكون الخ متعلق
بليس له دافع او بما يدل هو عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات
وقيل دردي الزيت • وتكون الجبال كالعهن • كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان
الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح • ولا يسأل حميم حميما • اى لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لا
بتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه
حاله • يبصرونهم • اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التسائل الا اشتغالهم
بحال انفسهم وقيل يغنى عنه من منه ظهرة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل
وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف • يود المجرم • اى يتمنى الكافر وقيل كل
مذنب وقوله تع • لو يفتدي من عذاب يومئذ • اى العذاب الذي ابتلوا به يومئذ • ببنيه وصاحبته و
اخيه • حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب
وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف
لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا
ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب
يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب • وفصيلته • اى عشيرته التي فصل عنهم • التي تؤويه

بليغ بالغ

اى

اى تضمه في النسب او عند الشدائد • ومن في الارض جميعا • من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب
ثم ينجيه • عطف على يفتدي اى يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان
هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات • كلا • ردع للمجرم عن الودادة
وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير • انها • اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب
او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تع • لظى • وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى
اللهب • نزاعة للشوى • نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع
شواة وهي جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او
الضمير للقصة ولظى مبتداء ونزاعة خبره • تدعو • اى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي
يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل
تدعو تهلكه وقيل تدعو زبانيتها • من ادبر • اى عن الحق • وتولى • اعرض عن الطاعة • وجمع
فاوعى • اى جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين و
زهي باقتنائه حرصا وتأميلا • ان الانسان خلق هلوعا • الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه و
سرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تع • اذا مسه الشر • اى الفقر او المرض ونحوهما
جزوعا • اى مبالغا في الجزع مكثرا منه • واذا مسه الخير • اى الغنى والصحة • منوعا • مبالغا في المنع و
الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الا
ولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا • الا المصلين • استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من
المطبوعين على القبائح الماضية لانبائه نفوسهم عن التسفل في طاعة الحق والاشفاق على الخلق
والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذ
كورة الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه • الذين هم على صلوتهم دائمون • لا يشغلهم
عنها شاغل • والذين في اموالهم حق معلوم • اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا
الى الله تع واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة • للسائل • للذي يسأله و
المحروم • الذي لا يسأله فيظن انه غني فيحرم • والذين يصدقون بيوم الدين • اى باعمالهم حيث يتعبون
انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم
بيوم الجزاء • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفا
ضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى
ربهم راجعون وقوله تع • ان عذاب ربهم غير مأمون • اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن
عذابه تع وان بالغ في الطاعة • والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين • سلف تفسيره في سورة المؤمنين • فمن ابتغى • اى طلب لنفسه • وراء ذلك
وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات • فاولئك • المبتغون • هم العادون • المتعدون لحدود الله تع

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • لا يخلون بشيء من حقوقها • والذين هم بشهاداتهم قائمون
أي مقيمون لها بالعدل أحياءً لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة
فضلها وقرئ لأمانتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس • والذين هم على صلاتهم يحافظون • أي يرا
عون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها
أولاً وآخراً باعتبارين فللدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل
اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قوله من قال إلى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتائب في المزدحم إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع
لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر • أولئك إشارة إلى المو
صوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليهم للإيذان بعلو شأنهم
وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره • في جنات • أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها و
لا يدرك كنهها وقوله تعالى • مكرمون • خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو
بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات • فمال الذين كفروا قبلك • حولك • مهطعين
مسرعين نحوك مادّي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك • عن اليمين وعن الشمال عزين • أي فرقاً
شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى كان
المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقاً حلقاً وفرقاً فرقاً ويستهزئون بكلامه عليه السلام و
يقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد عليه السلام فلندخلنها قبلهم فنزلت • أيطمع كل امرئ منهم
أن يدخل جنة نعيم • بلا إيمان • كلا • ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ • إنا خلقناهم مما يعلمون • قيل هو
تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول • الأعشى أأزمعت من آل ليلى ابتكا
را • وشطت على ذي هوى أن تزارا • وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعز
ل من أن يتبوأ متبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق
وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يستكمل الإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد دخولها ولا
يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى
على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله عليه السلام وما نزل عليه من الوحي
وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوماً آخرين فإن قدرته تعالى على ذلك كما
ينبئ عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى • فلا أقسم برب المشارق والمغارب • والمعنى إذا كان الأمر
كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب • إنا لقادرون على أن نبدل
خيراً منهم • أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم

على ما يعلمه من النشأة الأولى حجة [illegible] على قدرته تعالى

وما

وما نحن بمسبوقين • بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوبا
تهم • فذرهم • فخلهم وشأنهم • يخوضوا • في أباطيلهم التي من جملتها ما حكي عنهم • ويلعبوا
في دنياهم • حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة
الأولى كما توهم فإن قوله تعالى • يوم يخرجون من الأجداث • بدل من يومهم وقرئ يُخرجون على
البناء للمفعول من الإخراج • سراعاً • حال من مرفوع يخرجون أي مسرعين • كأنهم إلى نصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وبسكون الصاد أيضاً
يوفضون • يسرعون • خاشعة أبصارهم • وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف
الكل لغاية ظهور آثاره فيها • ترهقهم ذلة • تغشاهم ذلة شديدة • ذلك • الذي ذكر ما سيقع
فيه من الأحوال الهائلة • اليوم الذي كانوا يوعدون • في الدنيا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة سأ
ل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون **سورة نوح** بسم الله
الرحمن الرحيم • إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك • أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف
منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وأنّ مطرد وجعلت صلتها أمراً كما في قوله
تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف
بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف
المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر و
الإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص
بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار
وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن يكون أن مفسرة لما في
الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه
والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول • من
قبل أن يأتيهم عذاب أليم • عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلاً • قال • استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية إرساله بالوجه المذكور كأنه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم • يا قوم إني لكم نذير
مبين • منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى • أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون • متعلق بنذير
على الوجهين المذكورين • يغفر لكم من ذنوبكم • وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجبه • و
يؤخركم إلى أجل مسمى • هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة
وراء ما قدر لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأ
خيرهم إليه بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد
بقوله تعالى • إن أجل الله • أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر • إذا جاء • وأنتم على ما أنتم عليه
من الكفر • لا يؤخر • فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم

النفخة

على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى اجل مسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان
العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمل على
الاجل الاطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة
والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل هو التأخير الموعود فكيف
يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى · لو كنتم تعلمون · اى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم
لما امرتكم به · قال · اى نوح عم مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين
قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الا
نذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعييت به العلل · رب انى دعوت قومى · الى الا
يمان والطاعة · ليلا ونهارا · اى دائما من غير فتور ولا توان · فلم يزدهم دعائى الا فرارا · مما
دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا · وانى كلما
دعوتهم · اى الى الايمان · لتغفر لهم · بسببه · جعلوا اصابعهم في آذانهم · اى سدوا مسا
معهم من استماع الدعوة · واستغشوا ثيابهم · اى بالغوا في التغطى بها كانهم طلبوا ان تغشا
هم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم · واصروا · اى
اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها · و
استكبروا · من اتباعى وطاعتى · استكبارا · شديدا · ثم انى دعوتهم جهارا · ثم انى اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا · اى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب
متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى
بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او اريد بدعو
تهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر اى دعوتهم دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدر في موقع
الحال اى مجاهرا · فقلت استغفروا ربكم · بالتوبة عن الكفر والمعاصى · انه كان غفارا
للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف
يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب
اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل
لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل
سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه · يرسل
السماء عليكم مدرارا · اى كثير الدر والمراد بالسماء المظلة او السحاب · ويمددكم باموال و
بنين ويجعل لكم جنات · بساتين · ويجعل لكم فيها · انهارا · جارية · ما لكم لا ترجون لله
وقارا · انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الا
عتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار

متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لى لا اعبد
الذى فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له اى اى سبب حصل
لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له · وقد خلقكم
اطوارا · اى والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم
تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم
خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شئونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم
بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تأملون لله تعالى توقيرا
اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب
ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى يستدعيه الجزالة التنزيلية فان
الاخبار بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثاره و
احكامها الموجبة للاعتقاد حتما ولعدم رجائهم لتعظيم الله تعالى اياهم في دار الثواب فليس في حيز
الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله تعالى ولله بيان للموقر و
لو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضى ان يكون التوقير
صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اى اى عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد و
الضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم ارج اى لم ابال · وقوله تعالى · الم
تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا · اى متطابقة بعضها فوق بعض · وجعل القمر فيهن نو
را · اى منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما ان بينها مطا
بقة السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل
كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل · وجعل الشمس سراجا
يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل
البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة · والله
انبتكم من الارض نباتا · اى انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث
والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب
عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم
نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر
في قوله ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى · وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يمسسك بخير فلا راد لفضله · ثم يعيدكم فيها · بالدفن عند موتكم · ويخرجكم · منها

عند البعث والحشر. اخراجا. محققا لا ريب فيه. والله جعل لكم الارض بساطا. تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه التاخير لما مر مرارا من الاهتمام بما يكون المجهول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخر ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن. لتسلكوا منها سبلا فجاجا. اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها. قال نوح. اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اى قال مناجيا له تعالى. رب انهم عصونى. اى داموا على عصيانى فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير. واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا. اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد. ومكروا. عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمير الاول باعتبار لفظها. مكرا كبارا. اى كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم على اذية نوح عليه السلام. وقالوا لا تذرن آلهتكم. اى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح. ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا. اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية. وقد اضلوا. اى الرؤساء. كثيرا. خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال

اموالهم

فبعدهم

اى بسبب خطيئاتهم

وسعر ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليه السلام. مما خطيئاتهم. اى من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطيئاتهم ومن خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم. اغرقوا. بالطوفان لا بسبب آخر. فادخلوا نارا. المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه نوع اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار. فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا. اى لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم. وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا. عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفى العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا. انك ان تذرهم. عليها كلا او بعضا. يضلوا عبادك. عن طريق الحق. ولا يلدوا الا فاجرا كفارا. اى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعدما جربهم واستقراء احوالهم قريبا من الف سنة. رب اغفر لى ولوالدى. ابو متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما. ولمن دخل بيتى. اى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى. مؤمنا. بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعدما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود. وللمؤمنين والمؤمنات. عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا. ولا تزد الظالمين الا تبارا. اى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا عن النبى عليه السلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن

بسم الله الرحمن

الرحيم

قل اوحي الي . وقرئ اُحي اصله وحي وقد قرئ كذ لك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كأعد
وازن في وعد ووزن . انه . بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان . استمع . اى القرآن كما ذكر
في احقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه . نفر من الجن . النفر ما بين الثلثة والعشرة والجن
اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل
هي النفوس البشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عم ما شعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ
عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قرائته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من
التفصيل في الاحقاف . فقالوا . لقومهم عند رجوعهم اليهم . انا سمعنا قرآنا . كتابا مقروا . عجبا .
بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة . يهدي الى الرشد
الحق والصواب . فآمنا به . اى بذلك القرآن . ولن نشرك بربنا احدا . حسبما نطق به ما فيه من
دلائل التوحيد . وانه تعالى جد ربنا . بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بان في اثنى عشر
موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى
ارتفع عظمة من جد فلان في عيني اى عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي
هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر و
كذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول
واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور
ففيه اشكال ستحيط به خبرا وقوله تعالى . ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا
ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد
وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطاء فيما اعتقده كفرة
الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه . وانه كان
يقول سفيهنا . اى ابليس او مردة الجن . على الله شططا . اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد
ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى و
تعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم
من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى
كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى . وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا .
ففيه ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اى كنا نظن ان لن يكذب على الله تعالى احد ابدا و
لذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اى
قولا كذبا اى مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو
التقول . وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن . كان الرجل من العرب اذا امسى
في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك

استكبر

ستكبروا وقالوا لو اسدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى . فزادوهم . اى زاد الرجال العائذون الجن
رهقا . اى تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم . وانهم ظنوا
اى الانس . كما ظننتم . ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض . ان لن يبعث الله احدا . وقيل المعنى
ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فيكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب
انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق
وكذا قوله تعالى . وانا لمسنا السماء . وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة
على ذلك على الموحى بعين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبا
رات اى طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه
وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه . فوجدناها ملئت حرسا . اى حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ و
لذلك قيل . شديدا . قويا وهم الملائكة يمنعونهم . وشهبا . جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة
من نار الكواكب . وانا كنا نقعد . قبل هذا . منها . من السماء . مقاعد للسمع . خالية عن الحرس
والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقا
عد اى مقاعد كائنة للسمع . فمن يستمع الآن . في مقعد من المقاعد . يجد له شهابا رصدا . اى شهابا
راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد
في معنى الجمع كالاحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه السلام والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه
كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا اما
هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قوله . وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بحراسة السماء . ام اراد بهم ربهم رشدا . اى خيرا او نسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الادب
بالشريعة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره . وانا منا الصالحون . اى المو
صوفون بصلاح الحال في شأن انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح
حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة . ومنا دون ذلك .
اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان
والتقوى كما توهم قال هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى . كنا طرائق قد
دا . واما حالهم بعد استماعه فيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون
اى كنا قبل هذا ذوي طرائق اى مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا اى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع . وانا ظننا . اى علمنا الآن
ان لن نعجز الله . اى ان الشان لن نعجز الله كائنين . في الارض . اينما كنا من اقطارها . ولن نعجزه
هربا . هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا
وانا لما سمعنا الهدى . اى القرآن الذي هو الهدى بعينه . آمنا به . من غير تلعثم وتردد . فمن يؤمن

بربه . فلا يخاف . فهو لا يخاف . بخسا . اى نقصا فى الجزاء . ولا رهقا . ولا ان تر
هقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما
وفيه دلالة على ان من حق من امن بالله تع ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على
تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون . الجائرون عن طريق
الحق الذى هو الايمان والطاعة . فمن اسلم فاولئك . اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى . تحروا
توخوا . رشدا . عظيما يبلغهم الى دار الثواب . واما القاسطون . الجائرون عن سنن الاسلام
فكانوا لجهنم حطبا . توقد بكفرة الانس . وان لو استقاموا . ان مخففة من الثقيلة والجملة
معطوفة على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما
على الطريقة . التى هى ملة الاسلام . لاسقيناهم ماء غدقا . اى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص
الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو
استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تع وطاعته و
لم يستكبر عن السجود لادم عم ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم . لنفتنهم
فيه . لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع
القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعم . ومن يعرض
عن ذكر ربه . عن عبادته او عن موعظته او وحيه . يسلكه . يدخله . عذابا صعدا . اى شاقا
صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة . وان المساجد لله . عطف على قوله
تع انه استمع اى واوحى ان المساجد مختصة بالله تع وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا
اى لا تعبدوا فيها . مع الله احدا . غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية
منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى عم
وقيل مواضع السجود على ان المراد نهى السجود لغير الله تع وقيل اعضاء السجود السبعة و
قيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى . وانه . من جملة الموحى اى واوحى الى ان الشان . لما
قام عبد الله . اى النبى عم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتوا
ضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه . يدعوه . حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه
لصلوة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى الاحقاف . كادوا . اى الجن . يكونون عليه لبدا . متراكمين
من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما
وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام
عم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين ولبدا جمع لبدة وهى
ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد
كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا

الامر

الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه . قل انما ادعوا . اى اعبد ربى . ولا اشرك
به . بربى فى العبادة . احدا . فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عدا
وتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عم للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تع
قل انى لا املك لكم ضرا ولا نفعا . كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك
من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر . قل انى لن يجيرنى من الله احد . ان اراد بى سوءا . ولن اجد
من دونه ملتحدا . ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عم عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عم عن شؤون غيره
الا بلاغا من الله . استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤ
كد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به وقيل الا
كلمة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله
عليه . ورسالاته . عطف على بلاغا ومن الله صفة لا صلة اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا
منه تع ورسالاته التى ارسلنى بها . ومن يعص الله ورسوله . فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه . فان له نار
جهنم . وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه او فجزاؤه ان له نار جهنم . خالدين فيها . فى النار او فى جهنم و
الجمع باعتبار المعنى . ابدا . بلا نهاية . وقوله تع حتى اذا راوا ما يوعدون . غاية لمحذوف يدل عليه الحال
من استضعاف الكفار لانصاره عم واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا
ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة . فسيعلمون . حينئذ . من اضعف ناصرا واقل عددا . و
حمل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تع . قل ان ادرى . اى ما ادرى . اقريب ام بعيد
ما توعدون ام يجعل له ربى امدا . فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك المو
عود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون . عالم
الغيب . بالرفع قيل هو بدل من ربى او بيان له وياباه الفاء فى قوله تع . فلا يظهر على غيبه احدا
او يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو
خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم الغيب والجملة استيناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم
الاظهار على تفرده تع بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية
الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه . الا من ارتضى من رسول . اى الا رسولا ار
تضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما اما
لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكا
ليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتهم المترتبة عليها فى الآخرة وما
توقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية
التى بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت
قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيانه وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك

نسخة رشدا

وقوله تع

فكك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية
من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي
احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح
وقوله تعالى • فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا • تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء
وبيان الكيفية اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحر
سونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا
رسالات ربهم • متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به
العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذ
وف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع با
عتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم
ان الشان قد ابلغوا رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء
وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو
الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة
في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الا
فراد في الضميرين الباقيين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات
ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى
واحاط بما لديهم • اى بما عند الرصد والرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه
على الخلاف المشهور جيء به لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على
الوجه المذكور اى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما
لديهم من الاحوال جميعا • واحصى كل شيء • مما كان ومما سيكون • عددا • اى فردا فردا وهو
تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو
حال اى معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالا
شياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة
الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن
التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة
والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل
من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك و
احاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق
محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها المزمل • اى المتزمل

من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل
من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي عليه السلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث
كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن فامر بان يترك التز
مل الى التشمر للعبادة والتهجد دالي التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه
جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه
جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما
في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب
قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه والمعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي امر
النبوة اى حمله والزمل الحمل وازدمله اى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام اولا
مر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة • قم الليل • اى قم الى الصلوة
وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى صل وقرئ بضم الميم وفتحها
الا قليلا • استثناء من الليل وقوله تعالى • نصفه • بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اى قم
نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والا
يذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرا
ئه عن الفائدة خلاف الظاهر • او انقص منه • اى انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة
الاولى • قليلا • اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف • او زد عليه •
اى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل
قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي
ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا
فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو
جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والا
عتبار يتساوى النصفين مع كونه تحكما ظاهرا لعراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل
من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين
ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف
والزيادة عليه قيل النظم ان للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الا
قل او ازيد منه قليلا وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله تعالى اعلم بما في كتابه الجليل
ورتل القرآن • في اثناء ما ذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف • ترتيلا • بليغا بحيث
يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا • انا سنلقي عليك • اى سنوحي اليك و
ايثار الالقاء عليه لقوله تعالى • قولا ثقيلا • وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على

المكلفين لا سيما على الرسول عم فانه عم مأمور بتحمله وتحميله للامة والجملة اعتراض بين الامر و
تعليله لتسهيل ما كلفه عم من القيام وقيل مع كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه
او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار
والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رض كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عا
ئشة رض رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا • ان ناشئة
الليل • اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض
او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث
او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ • هي
اشد وطأ • اي هي خاصة باشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد
مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها
القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص • واقوم قيلا • واشد مقالا
او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات • ان لك في النهار سبحا طويلا • اي تقلبا وتصرفا
في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي
الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه • واذكر اسم ربك • ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي
وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم • وتبتل اليه • اي وانقطع
اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عم عن العوائق
الصادة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه قيل • تبتيلا • مكان تبتلا مع ما فيه من
رعاية الفواصل • رب المشرق والمغرب • مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره • لا
اله الا هو • بالجر على البدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في
قوله تعالى • فاتخذه وكيلا • لترتيب الامر وموجبه على الاختصاص بالالوهية والربوبية تعالى
واصبر على ما يقولون • مما لا خير فيه من الخرافات • واهجرهم هجرا جميلا • بان تجانبهم وتدا
ريهم ولا تكافيهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى • وذرني والمكذبين • اي دعني
واياهم وكل امرهم الى فاني اكفيكهم • اولي النعمة • ارباب التنعم وهم صناديد قريش
ومهلهم قليلا • زمانا قليلا • ان لدينا انكالا • جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل
للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم • وجحيما • وعذابا اليما • ونوعا آخر من العذاب
لما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى • يوم ترجف الارض والجبال
اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي
عذابا واقعا يوم ترجف • وكانت الجبال • مع صلابتها وارتفاعها • كثيبا • رملا مجتمعا من

وطعاما ذا غصة اي ينشب في حلوقهم ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم

كثبا

كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول • مهيلا • منثورا من هيل هيلا اذا نثر • انا ارسلنا
اليكم • يا اهل مكة • رسولا شاهدا عليكم • يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر
والعصيان • كما ارسلنا الى فرعون رسولا • هو موسى عم وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه • فعصى
فرعون الرسول • الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا
ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى
فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى • فاخذناه اخذا وبيلا • خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه يحيق
بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اي وخم لا يستمرأ لثقله
والوبيل العصا الضخمة • فكيف تتقون • اي كيف تقون انفسكم • ان كفرتم • اي بقيتم على الكفر • يوما
اي عذاب يوم • يجعل الولدان • من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي • شيبا • شيوخا جمع
اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه
واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك • السماء منفطر
اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك
للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل
لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى • به • مثلها
في فطرت العود بالقدوم • كان وعده مفعولا • الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله
او لليوم وهو مضاف الى مفعوله • ان هذه • اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة
تذكرة • موعظة • فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا • بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل
الى مرضاته • ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل • اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسا
فة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز • ونصفه وثلثه • بالنصب عطفا على ادنى وقرئ
بالجر عطفا على ثلثي الليل • وطائفة من الذين معك • اي ويقوم معك طائفة من اصحابك • والله
يقدر الليل والنهار • وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء
يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى • علم ان لن تحصوه • اي علم ان الشان
لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا • فتاب عليكم • بالترخيص
في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه • فاقرؤا ما تيسر من القرآن • فصلوا ما تيسر لكم
من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على
التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها
قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين
آية • علم ان سيكون منكم مرضى • استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف • و
آخرون يضربون في الارض • يسافرون فيها للتجارة • يبتغون من فضل الله • وهو الربح وقد عمم ابتغاء

الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الد
واعي الى الترخيص فاقرءوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة
وآتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل
آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة
على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر تجدوه
عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا
وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعر
يف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو
من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي عم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآ
خرة

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار
وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رض عن النبي عم
انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا
فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت
الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل
سورة اقرأ الى قوله تع ما لم يعلم فحزن رسول الله عم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عم وقال
انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من
قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوب متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه
وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على
صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا ايها
المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي افعل الانذار و
احدثه وقيل انذر قومك كقوله تع وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس جميعا بني عنه قوله تع و
ما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تع با
لكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت
انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره
او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما
يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه
واجب في الصلوة واولى واحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد
تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عم
من قبح العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال

يقال

يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق و
الرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما
لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير
على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو
جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله عم لان الله تع
اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لل
وقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله منا ولا اذى لان
من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزا
جري احضر الوغا وقد قرئ باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا
بالرفع ولربك اي لوجهه تع او لامره فاصبر واستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء
الفرائض فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع
الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة
اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تع فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني
على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت و
قوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تع غير
يسير تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية
والحق انها الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم
البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد
الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي
نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال اما من الياء اي
ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد
او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه او صرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى
جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان دعيا كما قرر او وحيدا في الشرارة
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومد نهر آخر وقيل كان له الضرع والزر
ع والتجارة وعن ابن عباس رض هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له
بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار

وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفين الثوري اربعة آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف
دينار • وبنين شهودا • حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة
لكونهم مكفيين لوفور نعمه وكثرة خدمه او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد وخالد وعمارة وهشام و
العاص والعيص وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة • ومهدت له تمهيدا • وبسطت له الر
ياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش • ثم يطمع ان ازيد • على ما اوتيه وهو استنكار لطمعه
وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة
المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي • كلا • ردع وزجر له عن طمعه
الفارغ وقطع لرجائه الخائب • وقوله تع • انه كان لآياتنا عنيدا • تعليل لذلك على وجه الا
ستيناف الحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمه مع سبوغها مما يوجب حرمانه
بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك
سارهقه صعودا • ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما
يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي عم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده
عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عم الصعود
جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا • انه فكر وقدر • تعليل للوعيد و
الحقاقة له او بيان لعناده لاياته تع اي فكر ماذا يقول في شان القرآن وقدر في نفسه ما يقوله • فقتل
كيف قدر • تعجب من تقديره واصابته الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق
الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم
لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشيء حدا و
الشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه
لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش
كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر
فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم
لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي
يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه
ثم قتل كيف قدر • تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعده على اصلها
من التراخي الزماني • ثم نظر • اي في القرآن مرة بعد مرة • ثم عبس • قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا

ولم

ولم يدر ما ذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله عم ثم قطب في وجهه
وبسر • اتباع لعبس • ثم ادبر • عن الحق او عن رسول الله عم • واستكبر • عن اتباعه • فقال
ان هذا الا سحر يؤثر • اي يروى ويتعلم وتلبث وقوله تع • ان هذا الا قول البشر • تاكيد لما قبله
ولذلك اخلي عن العاطف • ساصليه سقر • بدل من سارهقه صعودا • وما ادراك ما سقر • اي اي
شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتداء وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد
افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتداء اي اي شيء هي في وصفها لما تقرر ان ما قد يطلب
بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تع • لا تبقي ولا تذر • بيان لو
صفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك
اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلكته لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من
الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة • لواحة للبشر • مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح
الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تع ثم لترونها عين اليقين لواحة
بالنصب على الاختصاص للتهويل • عليها • تسعة عشر • اي ملكا او صنفا او صفا او نقيبا من
الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات
فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن • وما جعلنا اصحاب النار •
اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها • الا ملائكة • ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم
ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تع ولشدة
بأسهم عن النبي عم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار
ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان
يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فا
كفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم • وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا •
اي ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها
على التلازم بينهما وليس المراد بمجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن ايضا
كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي
هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان
اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في
النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست
منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها
وعلى كل نوع ملك او صنف او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا
يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوة الخمس فيبقى

تسعة عشر قد تصرف اليهم اخذ بها بانواع من العذاب سوى ما للزبانية ، ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب ، متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عم وصدق القرآن
لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ، ويزداد الذين آمنوا ، اي يزداد ايمانهم كيفية بما
رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر
ما انزل ، ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون ، تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد
الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب
في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب
من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان
وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث
للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك ، وليقول الذين في قلوبهم مرض
شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على
التكذيب ، ماذا اراد الله بهذا مثلا ، اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل
وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب
فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة ، كذلك يضل الله من يشاء ، ذلك اشارة الى ما قبله من
معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف
واصل التقدير يضل الله من يشاء ، ويهدي من يشاء ، اضلالا وهداية كائنين مثل ما
ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافا
دة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل من يشاء اضلاله لصرفه اختياره
الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرفه اختياره
عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا ولا هداية ادنى منهما ، وما يعلم جنود ربك
اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون ، الا هو ، اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والوقوف على حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها
من كم وكيف ونسبة ، وما هي ، اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها ، الا
ذكرى للبشر ، الا تذكرة لهم ، كلا ، ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر و
الليل اذ ادبر ، وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر
وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه ، والصبح اذا اسفر ، اي اضاء وانكشف ، انها لا
حدى الكبر ، جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف
التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء
كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرها

لها

لها ، نذيرا للبشر ، تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ
نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لانها او لمبتدأ محذوف ، لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر ، بدل من للبشر
اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تع او لمن شاء ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر
وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، كل نفس
بما كسبت رهينة ، مرهونة عند الله تع بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة
والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء ، الا اصحاب اليمين ، فانهم فاكون
رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل
الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تع الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عم يوم الميثا
ق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم ، في جنات ، لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر
لمبتدأ محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين
كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تع يتسا
لون ، وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد
منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل
وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير
كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد
تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك
تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون ، عن المجرمين ، يسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين
المسؤول عنه وقوله تع ، ما سلككم في سقر ، مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون عنهم ما سلككم فيه
المتكلفون ، قالوا ، اي المجرمون مجيبين للسائلين ، لم نك من المصلين ، للصلوة الواجبة ، و
لم نك نطعم المسكين ، على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلا
لة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة ، وكنا نخوض مع الخائضين ، اي نشرع
في الباطل مع الشارعين فيه ، وكنا نكذب بيوم الدين ، اي بيوم الجزاء اضافه الى الجزاء مع
ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا نهاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت
بقية الدواهي وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم
حسبما نطق به قوله ، حتى اتانا اليقين ، اي الموت ومقدماته ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تع ، فما لهم عن التذكرة معرضين ، لترتيب انكار اعراضهم عن
القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين
ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان لهم حال المكذبين

اي يتساءلون قائلين اي شيء ادخلكم فيها [illegible]

بدعا ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعي
الى الايمان به وقوله تعالى • كأنهم حمر مستنفرة • حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين
بحمر نافرة • فرت من قسورة • اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة
الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر
جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى • بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة • عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة و
لا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها با
تباعك كما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون
كلا ردع لهم عن تلك الجراءة • بل لا يخافون الآخرة • فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء
الصحف • كلا ردع عن اعراضهم • انه • اي القرآن • تذكرة • واي تذكرة • فمن شاء • ان يذكره
ذكره • وحاز بسببه سعادة الدارين • وما يذكرون • بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر
قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى • الا ان يشاء الله • استثناء
مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا
بان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب
التفاتا وقرئ بهما مشددا • هو اهل التقوى • اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع و
اهل المغفرة • حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • لا اقسم بيوم القيمة • ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم
قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي
ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه
حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه
في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم انكروا البعث
فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق واياما كان ففي الاقسام
على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف
ولا اقسم بالنفس اللوامة • اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى
ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطا
عات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة
ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت

قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن
النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال
تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى • ايحسب الانسان ان لن
نجمع عظامه • وهو لتبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة
من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك
حسبان باطل فانا نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح
وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق و
هما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم
القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه
العظام • بلى • اي نجمعها حال كوننا • قادرين على ان نسوي بنانه • اي نجمع سلامياته ونضم بعضها
الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه
وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون • بل يريد الانسان ليفجر امامه • عطف على ايحسب
اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن
الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي
عنه • يسئل ايان يوم القيمة • اي متى يكون استبعادا او استهزاء • فاذا برق البصر • اي تحير فزعا
من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء فهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة
شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج • وخسف القمر • اي ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول
وجمع الشمس والقمر • بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان
اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف • يقول الانسان
يومئذ • اي يوم اذ يقع هذه الامور • اين المفر • اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد
جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع • كلا • ردع عن طلب المفر وتمنيه • لا وزر • لا ملجأ مستعار
من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك • الى ربك يومئذ المستقر • اي اليه وحده
استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار
ينبؤا الانسان يومئذ • اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال • بما قدم • اي عمل من
عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني • واخر • اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب
بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما
قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره • بل الانسان
على نفسه بصيرة • اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما
سيأتي من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم

آيتنا مبصرة او عين بصيرة او التاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك ولو القى معاذيره اي ولو
جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤ اي هو
بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو القى معاذيره
والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ و
خوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يقفيه
بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي
لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه
وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد
القرآن الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان
علينا بيانه اي وبيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له عليه السلام عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل
اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة و
تذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان على الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه
كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيمة اذ تقوم بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم
على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة خبر
ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام
تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان
تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك
فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه
وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه
لا يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على
الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين يديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين
العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة
لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية

وقيل

وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي و
ظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق
والتوت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال
الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلف في الكفن الى ربك يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه سوقه
لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام والقرآن الذي نزل عليه او فلا صدق ماله
ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه
دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول
والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان
المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى
اي ويل لك اصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل
هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي غير مهمل
فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره ولا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى استئناف
وارد لابطال الحسبان المذكور فان مدار ما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء
الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اي فقدر
بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه اي من الانسان الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشأن الذي انشأ
هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي
ان النبي عليه السلام كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة
انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة هل اتى بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر
اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور
بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور
او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس
فالاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي
عن ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت
به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه
خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين
سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذ

كور

دهر هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه ثم بيان الخلق
بنيه · امشاج · اخلاط جمع مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لما ان المراد بها
مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء
الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما
كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي
هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة
ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تع · نبتليه · حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف
فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة لما روي عن ابن عباس رض نصرفه في بطن
امه نطفة ثم علقة آه · فجعلناه سميعا بصيرا · ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات
التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله · انا
هديناه السبيل · بانزال الآيات ونصب الدلائل · اما شاكرا واما كفورا · حالان من مفعول
هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حاليه جميعا او للتفصيل
او التقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء و
الاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او
كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا
فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لما
عاية الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط ·
انا اعتدنا للكافرين · من افراد الانسان الذي هديناه السبيل · سلاسلا · بها يقادون · و
اغلالا · بها يقيدون · وسعيرا · بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في
قوله تع يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم
وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجا
ذب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب · ان الابرار · شروع في بيان حسن حال الشاكرين
اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية و
الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل
بامره تع وقيل من يؤدي حق الله تع ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر · يشربون
من كأس · هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية و
على الثاني تبعيضية او بيانية · كان مزاجها · اي ما يمزج به · كافورا · اي ماء كافور وهو اسم عين في
الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تع · عينا · بدل من كافورا
وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها

مزجت

مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا
خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تع · يشرب بها عباد الله · صفة عينا اي يشربون بها
الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده
قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس · يفجرونها
تفجيرا · اي يجرونها حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واند
فاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله · يوفون بالنذر · استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا
ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون
حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تع عليهم
ويخافون يوما كان شره · عذابه · مستطيرا · فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار
الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر · ويطعمون الطعام على حبه · اي كائنين على
حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تع لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان
يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تع او اطعاما كائنا على حبه تع وهو الانسب لما سيأتي
من قوله تع لوجه الله · مسكينا ويتيما واسيرا · اي اسير الكفار فانه عم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله عم الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك · انما نطعمكم لوجه الله · على ارادة قول هو في موقع الحال من
فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكا
فاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رض انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول
ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تع · لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا · اي شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله · انا نخاف من ربنا يوما · اي عذاب يوم
عبوسا · تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة · قمطريرا · شديد العبوس فلذلك
نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا
نخاف عقاب الله تع ان اردناهما · فوقاهم الله شر ذلك اليوم · بسبب خوفهم وتحفظهم عنه
ولقاهم نضرة وسرورا · اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب
وجزاهم بما صبروا · بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار
الاموال · جنة · بستانا يأكلون منه ما شاؤا · وحريرا · يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رض
ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي عم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت
على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام
فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة
رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل

فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه
وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم
يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين
رضي الله تعالى عنهما فاقبلوا الى النبي عم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عم ما اشد
ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت
عيناها فساءه ذلك فنزل جبرئيل عم وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقرأه السورة • متكئين
فيها على الارائك • حال من هم في جزاهم والعامل فيه جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك
هي السرر في الحجال وقوله تعالى • لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا • اما حال ثانية من الضمير او من المستكن
في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي
والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر • ودانية عليهم ظلالها • عطف على ما قبلها حال
مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا
جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال
والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة
قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة
عليهم مع ان لا شمس ثم ولا قمر • وذللت قطوفها تذليلا • اي سخرت ثمارها لمتناولها وسهل اخذها
من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة قطوفها او
معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية
معطوفة على جملة اسمية • ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب • الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن
له ولا عروة • كانت قواريرا قوارير من فضة • اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين
الفضة وبياضها والجملة صفة الاكواب وقرئ بتنوين قواريرا ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ
الثاني بالرفع على هي قوارير • قدروها تقديرا • صفة لقوارير ومعنى تقدير هم لها انهم قدروها في انفسهم
وارادوا ان يكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها
باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف
عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين
لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء • ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا
اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذها تستلذ
به • عينا • بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او تخلق الله تعالى طعمه فيها
فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص • فيها
تسمى سلسبيلا • لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال و

سلسبيل

في نعيمهم

سلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض
اللذع الذي هو السلاسة • ويطوف عليهم ولدان مخلدون • اي دائمون على ما هم عليه من
الطراوة والبهاء • اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا • لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجو
ههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض • واذا رايت ثم رايت
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة • رايت نعيما وملكا
كبيرا • اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه
كما يرى ادناه وقيل اذا اراد شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم • عاليهم
ثياب سندس خضر • عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى
لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان مخلدون فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم
اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليهم ثياب الخ
وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس • واستبرق • بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول
وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من
البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب • وحلوا اساور من فضة • عطف على يطوف عليهم و
لا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب
اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت
الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك
للمخدومين • وسقاهم ربهم شرابا طهورا • هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه
اسناد سقيه الى رب العالمين
ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطا
لعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة
ثواب الابرار • ان هذا • على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات
كان لكم جزاء • مقابلة اعمالكم الحسنة • وكان سعيكم مشكورا • مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا • اي مفرقا منجما لحكمة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير
الضمير مع ان • فاصبر لحكم ربك • بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة • ولا تطع منهم آثما
او كفورا • اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة
على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب
النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس
باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه

عاليهم

مقابلة

كان غالبا في الكفر شديد الشكيمة في العتو. واذكر اسم ربك بكرة واصيلا. وداوم على ذكره في جميع الاوقات
او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما. ومن الليل فاسجد له. وبعض الليل
فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص
وسبحه ليلا طويلا. وتهجد له طائفة من الليل طويلا. ان هؤلاء الكفرة. يحبون العاجلة. و
ينهمكون في لذاتها الفانية. ويذرون وراءهم. اي امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم
يوما ثقيلا. لا يعبأون به وصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله
بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر ونهي عنه. نحن خلقناهم. لا غيرنا. وشددنا. اي
احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب. واذا شئنا بدلنا امثالهم. بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا
ريب فيه هو البعث لما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله يستبدل قوما غيركم واذا
للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية. ان هذه تذكرة. اشارة الى السورة او الآيات القر
يبة. فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا. اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى
ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى. وما تشاؤن الا ان يشاء الله.
تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية
اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشية
الله تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشية العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشية الله عز وجل وقرئ
يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى. ان الله كان عليما حكيما. بيان لكون مشيته مبنية على
اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم
الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى. يدخل من يشاء في رحمته. بيان لاحكام مشيته المرتبة
على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث
يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة. والظالمين. وهم الذين صرفوا مشيتهم الى
خلاف ما ذكر. اعد لهم عذابا اليما. اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان
ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر
وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي عم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا.

سورة المرسلات بسم الله الرحمن الرحيم. والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا. اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة
ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف
اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن
النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء
عذرا. للمحقين. او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء

اسرهم

للايذان

٣٦٠

للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذ
كورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن
ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما
ذكر من الاستحقاق او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر
الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين
ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في
الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر
اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسم بآيات القرآن المرسلة
الى رسول الله عم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغا
ربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر
وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للا
نبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية
والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البد
لية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل. انما توعدون لواقع. جواب للقسم اي ان
الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة. فاذا النجوم طمست. محيت ومحقت او ذهب
بنورها. واذا السماء فرجت. صدعت وفتحت فكانت ابوابا. واذا الجبال نسفت. جعلت
كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت
الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة. واذا الرسل اقتت. اي عين
لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم
قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما. لاي
يوم اجلت. مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي
يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله
وقوله تعالى. ليوم الفصل. بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق.
وما ادريك ما يوم الفصل. ما مبتدأ ادريك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع
موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا
بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر
قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده
عكسه. ويل يومئذ للمكذبين. اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد

النذر

720

مستقر فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرف او صفة
الم نهلك الاولين • كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه
بمعنى اهلكه • ثم نتبعهم الآخرين • بالرفع على ثم نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم
في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا
على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى
عليهم السلام • كذلك • مثل ذلك الفعل الفظيع • نفعل بالمجرمين • اى سنتنا جارية على ذلك
ويل يومئذ للمكذبين • اى يوم اذا اهلكناهم للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير
لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا • الم نخلقكم • اى الم نقدركم
من ماء مهين • اى من نطفة قذرة مهينة • فجعلناه في قرار مكين • هو الرحم • الى قدر معلوم • الى
مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر واقل منها او اكثر • فقدرنا • اى فقدر
ناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل
فنعم القادرون • اى نحن • ويل يومئذ للمكذبين • بقدرتنا على ذلك او على الاعادة • الم نجعل
الارض كفاتا • الكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع اى الم نجعلها كفاتا تكفت • احياء • كثيرة على ظهرها • وامواتا •
غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام
او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان
الاحياء الانس واموات بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية
من محذوف اى كفاتا تكفتكم احياء وامواتا • وجعلنا فيها رواسى • اى جبالا ثوابت
شامخات • طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجن
ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف • واسقيناكم
ماء فراتا • بان خلقنا فيها انهارا ومنابع • ويل يومئذ للمكذبين • بهذه النعم العظيمة
انطلقوا • اى يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا • الى ما كنتم به تكذبون •
في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا • الى ظل • اى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل
من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم
اليه طوعا او كرها • ذى ثلث شعب • يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه
يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب
فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلث اما لان حجاب النفس
عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطا
نية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية

البهيمية

تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني • لقد ارسلنا رسلنا
اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر • بالبينات • اى بالحجج والمعجزات • وانزلنا معهم
الكتاب • اى جنس الكتاب الشامل للكل • والميزان ليقوم الناس بالقسط • اى بالعدل روى ان
جبرائيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به العدوان • وانزلنا الحديد • قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان
والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه
كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله
تعالى • فيه بأس شديد • لان آلات الحروب انما تتخذ منه • ومنافع للناس • اذ ما من صنعة الا و
الحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى • وليعلم الله من ينصره ورسله •
عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما
يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه
او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اى وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف
على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى • بالغيب • حال من فاعل ينصر او مفعوله اى غائبا
منهم او غائبين منه وقوله تعالى • ان الله قوى عزيز • اعتراض تذييلي جئ به تحقيقا وتنبيها على ان
تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو
لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد
ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم • نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم
لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلناهما • وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب •
بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم • فمنهم • اى من الذرية
او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين • مهتد • الى الحق • وكثير منهم فاسقون •
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة
الضلال وكثرتهم • ثم قفينا على آثارهم برسلنا • اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا • وقفينا بعيسى
ابن مريم • اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام ابن مريم والضمير لنوح وابرهيم ومن
ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية • وآتيناه الانجيل •
وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب • وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة •
وقرئ رآفة على فعالة • ورحمة • اى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي عم
رحماء بينهم • ورهبانية • منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
• واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واحداثها وهى المبالغة في

بوده دن اشاغيسي بزم مدرسه ده
يمشجي زاده حافظده در غفلت اولنمه

العبادة بالرياضة والانقطاع من الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان
من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلث مرات
فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال
فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى • ما كتبناها عليهم • جملة مستانفة وقيل
صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل متوجه وقوله تعالى • الا ابتغاء
رضوان الله • استثناء منقطع اى ما فرضنا ما نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل
اى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله و
يستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يراعوها حق رعايتها يحافظوا عليها فما رعاها كلهم
بل بعضهم • فآتينا الذين آمنوا منهم • لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى
لها استتباع الاجر اجرهم • اى ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الا
تباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك
بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبا
نيتهم لا بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اى ما يخص
بهم من الاجر • وكثير منهم فاسقون • خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين
لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من
غير تعرض لايمانهم برسول الله عليه السلام وكفرهم به مما لا يناسب عن المقام • يا ايها الذين آمنوا • اى بالرسل المتقدمة
اتقوا الله • فيما نهاكم عنه • وآمنوا برسوله • اى بمحمد عليه السلام وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة
لا يذهب الوهم الى غيره • يؤتكم كفلين • نصيبين • من رحمته • لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل
عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقا قبل النسخ • ويجعل لكم نورا
تمشون به • يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم • ويغفر لكم • ما اسلفتم
من الكفر والمعاصي • والله غفور رحيم • اى مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله • لئلا يعلم اهل الكتاب
متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله
يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة
ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى • ان لا يقدرون على شيء من
فضل الله • مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على انها
مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون
من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى • وان الفضل بيد الله • عطف على ان

فما رعوها

ايمانا صحيحا وهو الايمان
برسول الله عليه السلام بعد رعاية
رهبانيتهم ح